بسم الله الرحمن الرحيم

الأبحاث تعبّر عن آراء أصحابها ولا تتحمل الجامعة مسؤولية ما ورد فيها.

لقد تم ترتيب الأبحاث حسب حروف المعجم.

الدور الحضاري للغة العربية

دراسة تحليلية ووحدة مقترحة في التاريخ لطلاب المرحلة الثانوية

إعداد

د . إبراهيم عبد الفتّاح إبراهيم رزق

مقدمة:

لعبت اللغة العربية دورا بارزا في تحقيق الاتصال والتواصل الحضاري الإنساني وذلك من خلال حركة الترجمة للتراث القديم في العصر الإسلامي، مما كان له الفضل في حمايته من الاندثار.

وقد تم ذلك من خلال جهود طلائع درست علوم وآداب الحضارات الأخرى واستوعبتها ثم قامت بنقلها إلى اللغة العربية ، حتى إذا ما تكدست تلك العلوم والآداب وتأصلت في الأذهان بدأ العقل البشري في إبداع البدائل والأنظمة الحاكمة التي تحكم حركة وتطور حضارته الذاتية[1].

وعندما وصل المد الإسلامي إلى أبواب أوربا عبر القسطنطينية شرقا وحدود فرنسا غربا من خلال الأندلس، وأفاقت أوربا من سباتها –في مطلع عصر النهضة– تسلم الغرب هذا التراث –عبر الأندلس وصقلية وبلاد الشام – ليضيف إسهامه الحضاري الحديث، وبهذا كان للغة العربية فضل توصيل تراث الأقدمين مضافا إليه إبداعات المسلمين في شتى العلوم إلى الغرب الذي انتقل إليه مركز القيادة في العصر الحديث.

وقد كان لثراء العربية وخصوبتها الفضل في التعبير الصادق عن التراث الإنساني في مرحلة ما قبل النهضة الأوربية الحديثة، وكان أن تقاعس العرب والمسلمين عن دورهم في الإبداع الحضاري، وصاحب ذلك اهتزاز مكانة اللغة في نفوس النشء حتى بات كثير منهم منبهرا باللغات الأجنبية

---

١) محمود محمد سفر، **الحضارة...تحد**، دار تهامة للنشر ، ١٤٠١هـ.

جاهلا بقدر لغته وتميزها عن غيرها.

وهبت على العالم رياح العولمة التي حاولت أن تقتلع ما تبقى للغات القومية من مكانة في نفوس أهلها، الأمر الذي يحتم على مناهج التعليم – ومن بينها مناهج التاريخ– أن تقوم بدورها في الذود عن اللغة والعمل على تنمية الاعتزاز بها في نفوس الأجيال الجديدة.

ومناهج التاريخ بتناولها للحضارة الإسلامية يمكن أن تقوم بدور فاعل في تجسيد الدور الحضاري للغة العربية، وتسعى الدراسة إلى التعرف على مدى قيامها بهذا الدور، وذلك من خلال تحليل محتوى منهج تاريخ المسلمين الحضاري، كما تقدم إطارا لتصور مقترح لوحدة في الحضارة الإسلامية لتجسيد الدور الحضاري للغة العربية.

مشكلة البحث:

تمثلت مشكلة الدراسة في الأزمة التي باتت اللغة العربية تعانيها والتي لا تخطئها عين، والتي من أبرز ملامحها اللحن فيها، واهتزاز الإيمان بقيمتها في نفوس الأبناء، والانبهار باللغات الأجنبية، والاعتقاد بتميزها على اللغة العربية، الأمر الذي يستنفر جهود كل القائمين على التعليم للذود عنها ودعمها، وإذا كانت اللغة العربية قد لعبت دورا حضاريا متميزا ، كما أن لها من الإمكانيات ما لا يتوافر لغيرها من اللغات، وهو ما يؤهلها لأن تلعب دورا بارزا في التعبير عن مختلف جوانب الحضارة المعاصرة، فإن السؤال الذي يطرح نفسه هو: هل عني منهج التاريخ في الصف الثاني الثانوي – والذي يتناول جوانب من تاريخ المسلمين الحضاري– بتجسيد الدور الحضاري للغة العربية؛ بما يساعد على تدعيم الاعتزاز باللغة العربية في نفوس النشء في عصر العولمة بتحدياته؟، وهو ما تسعى الدراسة الحآلية إلى الإجابة عليه وذلك من خلال الإجابة على التساؤلات الفرعية التالية:

١- ما أبعاد الدور الحضاري الذي لعبته اللغة العربية في تاريخ الحضارة الإنسانية ؟.

٢- ما مدى انعكاس هذه الأبعاد في محتوى منهج " تاريخ المسلمين الحضاري والسياسي " للصف الثاني الثانوي؟.

٣- ما التصور المقترح لوحدة دراسية في التاريخ؛لتجسيد الدور الحضاري للغة العربية؟.

أهمية البحث:

يمكن أن يسهم البحث في:

- تحديد أبعاد الدور الحضاري الذي لعبته اللغة العربية في تاريخ الحضارة الإنسانية.
- تحديد المجالات التي يجب أن يتضمنها محتوى وحدة الحضارة الإسلامية بالمرحلة الثانوية لإبراز الدور الحضاري للغة العربية.
- توجيه اهتمام واضعي المناهج والقائمين على تطويرها وتنفيذها إلى أهمية مناهج التاريخ في المرحلة الثانوية في تجسيد الدور الحضاري للغة العربية.

مبررات البحث:

يعد البحث استجابة للمخاطر التي باتت اللغة العربية تتعرض لها في هذا العصر، ومحاولة لاستنهاض الهمم وبعث الاعتزاز والتمسك باللغة العربية، وذلك من خلال تجسيد الدور الحضاري الذي لعبته -بفضل غناها - في تحقيق التواصل الحضاري بين الحضارات التي سبقت ظهور الإسلام وحضارة أوربا في عصر النهضة، والمطالبة بأن تقوم المناهج الدراسية -ومنها منهج التاريخ - بدور فعال في هذا المجال.

حدود البحث:

- يقتصر البحث على محتوى منهج "جوانب من تاريخ المسلمين الحضاري والسياسي "للصف الثاني الثانوي في المملكة العربية السعودية؛ لتناوله تاريخ الحضارة الإسلامية والذي يمكن من خلاله تأكيد الدور الحضاري المتميز للغة العربية.
- تقديم تصور مقترح لوحدة "الحضارة الإسلامية" لتجسيد الدور الحضاري للغة العربية.

أدوات البحث:

١- بناء معيار يشتمل على أبعاد الدور الحضاري للغة العربية يتم في ضوئه تحليل محتوى منهج التاريخ للصف الثاني الثانوي.

٢- تقديم إطار مقترح لوحدة في "الحضارة الإسلامية "لتجسيد الدور الحضاري للغة العربية.

منهج البحث:

يستخدم البحث المنهج الوصفي؛ لتحليل محتوى منهج التاريخ للصف الثاني الثانوي للوقوف على دوره في تجسيد أبعاد الدور الحضاري للغة العربية، وتقديم تصور لوحدة " الحضارة الإسلامية " لتفعيل دورها في تحقيق هذا الهدف.

خطوات البحث:

١-تحديد قائمة بأبعاد الدور الحضاري للغة العربية والذي يمكن لمناهج التاريخ تنمية الوعي بها لدى طلاب المرحلة الثانوية، وذلك من خلال:

- البحوث والدراسات السابقة التي تناولت الحضارة الإسلامية.
- أهداف تدريس التاريخ في المرحلة الثانوية.
- طبيعة مناهج التاريخ.

٢- إعداد معيار لتحليل محتوى منهج التاريخ للصف الثاني الثانوي" جوانب من تاريخ المسلمين الحضاري والسياسي"، والتأكد من صدقه وثباته.

٣- تحليل محتوى منهج التاريخ للصف الثاني الثانوي "جوانب من تاريخ المسلمين الحضاري والسياسي"، ورصد النتائج، وتحليلها.

٤- تقديم إطار مقترح لوحدة "الحضارة الإسلامية" لتجسد أبعاد الدور الحضاري للغة العربية، بحيث يشمل: الأهداف، المحتوى، استراتيجيات التدريس، الوسائل التعليمية، الأنشطة، أدوات التقويم.

٥- تقديم التوصيات والمقترحات.

مصطلحات البحث:

الحضارة:

الحضارة هي الجهد الذي يُقدَّم لخدمة الإنسان في كل نواحي حياته، أو هي التقدم في المدنية والثقافة معًا، فالثقافة هي التقدم في الأفكار النظرية مثل القانون والسياسة والاجتماع والأخلاق وغيرها، وبالتالي يستطيع الإنسان أن يفكر تفكيرًا سليمًا، أما المدنية فهي التقدم والرقى في العلوم التي تقوم على التجربة والملاحظة مثل الطب والهندسة والزراعة، وغيرها.. وقد سميت بالمدنيَّة؛ لأنها ترتبط بالمدينة، وتحقق استقرار الناس فيها عن طريق امتلاك وسائل هذا الاستقرار، فالمدنية تهدف إلى سيطرة الإنسان على الكون من حوله، وإخضاع ظروف البيئة للإنسان.

ولابد للإنسان من الثقافة والمدنية معًا؛ لكي يستقيم فكر الأفراد وسلوكياتهم، وتتحسن حياتهم، لذلك فإن الدولة التي تهتم بالتقدم المادي على حساب التقدم في مجال القيم والأخلاق، دولة مدنيَّة، وليست متحضرة؛ ومن هنا فإن تقدم الدول الغربية في العصر الحديث يعد مدنية وليس حضارة؛ لأن الغرب اهتم بالتقدم المادي على حساب القيم والمبادئ والأخلاق، أما الإسلام الذي كرَّم الإنسان وأعلى من شأنه، فقد جاء بحضارة سامية، تسهم في تيسير حياة الإنسان.

ويراها ابن خلدون: "أحوال زائدة على الضرورة من أحوال

العمران"[١] أو بمعنى أخر رفاهة العيش لذلك فهى تظهر في المدن والأمصار والبلدان والقرى أي في الحضر ولا تظهر في البادية، حيث إن البدو في نظر ابن خلدون هادمون للحضارة، وإن كانوا قابلين للتحضر، إذ الإنسان مدني بالطبع أي غايته التحضر.

مفهوم الحضارة الإسلامية:

الحضارة الإسلامية هي ما قدمه الإسلام للمجتمع البشرى من قيم ومبادئ، وقواعد ترفع من شأنه، وتمكنه من التقدم في الجانب المادي وتيسِّر الحياة للإنسان.

الدور الحضاري للغة العربية:

يقصد به الدور الذي لعبته اللغة العربية باعتبارها الوعاء الذي احتضن تراث الحضارات السابقة على الإسلام، وأضاف إليه إبداعات المسلمين من مختلف الأجناس، ثم قدمه لأوربا في مطلع عصر النهضة.

الإطار النظري:

يختلف ارتباط المسلم باللغة العربية عن ارتباط أي إنسان بأية لغة أخرى؛ فالإنسان الذي يرتبط بلغة وطنه ويعتز بها، قد يتخلى عنها اختيارا أو اضطرارا، إذا طاب له المقام في منطقة أخرى، لها لغة مغايرة، وإذا تمسك بلغته مدة حياته، فإن الجيل التالي له لن يتمسك بهذه اللغة تمسكه بها.

---

١) ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون)، **المقدمة**، القاهرة، ١٣٢٢هـ، ص ٢٩٢-٢٩٤.

وصاحب أي عقيدة أخرى قد يستطيع أن يقرأ كتابه، ويمارس شعائره من غير حاجة إلى التمسك بلغة كتابه المقدس، أما المسلم فإنه لا يستطيع أن يقرأ كتابه بغير اللغة التي نزل بها، ولا يستطيع أن يؤدي شعائره بغير هذه اللغة، وقد اتفق الفقهاء على أن العاجز عن قراءة القرآن بالعربية، يصلي ساكتا مناجيا ربه بقلبه؛ لأنه عجز عن ركن القراءة الواجب عليه[١]. فارتباط القرآن والشعائر الإسلامية باللغة العربية ليس ارتباطا عارضا، وإنما هو ارتباط جذري، وإذا دعت الضرورة إلى ترجمة معاني القرآن الكريم إلى أية لغة أخرى، كما حدث ويحدث كثيرا، فإن هذه الترجمة لا تعد قرآنا، ولا يجوز لمسلم أن يؤدي بها شعائره، أو يعاملها معاملة القرآن الكريم في نصه العربي المعجز.

بل إن أمر اللغة العربية في الفقه الإسلامي تجاوز قضية التلاوة وأداء الشعائر إلى ما وراء ذلك من شؤون الحياة، ففي المذهب الشافعي لا يصح لمن يستطيع أن يتكلم بالعربية أن يعقد الزواج بغيرها[٢].

وهكذا نرى أن ارتباط المسلم باللغة العربية تجاوز حدود الشعائر والعبادات، وتلاوة القرآن إلى شؤون الحياة المختلفة، فمع أن التكلم بأي لغة أخرى من الأمور المباحة، من غير العبادة والتلاوة، فإن العلماء قيدوا ذلك بالضرورة، أما ما لا يدخل تحت حكم الضرورة فإنه يدخل دائرة ما لا

١) أنور الجندي، الفصحى لغة القرآن، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٢، ص٢٥٧.

٢) أنور الجندي ، **المرجع السابق** ، ص٢٥٨.

ينبغي، وإن خرج من دائرة ما لا يجوز.

ومن هنا استطاعت اللغة العربية أن تتجاوز حدود الأعراق والألوان، وأن تصل إلى كل بقعة وصل الإسلام إليها، فكل من ينطق بالشهادتين فينطق بالعربية ضرورة، ولو في أدنى الحدود، و لم تكن للغة العربية أية قدرة على اجتياز حدود الجزيرة العربية لولا الإسلام، فالإسلام هو الذي نفخ فيها من روحه، وجعلها لغة عالمية بطريقة اختيارية.

لكن درجة انتشار اللغة العربية لم تكن واحدة في الأقطار التي وصل إليها الإسلام، فقد استطاعت أن تنفرد بالألسنة في المناطق التي كان الوجود العربي فيها كثيفا، أما المناطق التي كان العنصر العربي فيها قليلا فإن العربية لم تنفرد بلسان أهلها؛ فقد بقيت في الشعائر والعبادات وقراءة القرآن، وبقيت اللغات القديمة على ألسنة أهلها من شؤون الحياة المختلفة، ولكن هذه اللغات اصطبغت فيما بعد بالصبغة العربية، فكثير منها كتب بالحرف العربي؛ كالتركية والفارسية والأوردية والأفغانية والكردية والتترية والمغولية والبربرية والسواحلية والزنجية والسودانية[1]، والهوسا والفلاّتية والبولوينة والمانديكانية والصومالية [2]، وغيرها من لغات الشعوب الإسلامية[3].

---

١) أنور الجندي، **المرجع سابق** ص٦٧.

٢) عبد العلي الودغيري(مترجم)، **الفرنكفونية والسياسة اللغوية والتعليمية الفرنسية بالمغرب**، منشورات العلم ، السلسلة الجديدة ــ ٧، الرباط:الشركة المغربية للطباعة والنشر، ط ١، ١٩٩٣م ، ص٧٣.

٣) راجع **غرائب اللغة العربية** للأب رفائيل نخلة اليسوعي، بيروت:المكتبة الشرقية، =

بل إن الحرف العربي تجاوز الشعوب الإسلامية إلى ما جاورها واتصل بها من اللغات الأخرى، كاللغة البرتغالية[١]، واللغة اللاتينية، التي عادت إلى الجزيرة الإيبيرية بعد زوال دولة العرب[٢].

ولم يقتصر أثر العربية في لغات الشعوب الإسلامية على كتابتها بالحرف العربي، فقد غمر هذه اللغات سيل من المفردات والتراكيب اللغوية، خصوصا ما يتعلق منها بالشعائر والعبادات.

العربية لغة الحضارة الإسلامية:

وحينما قامت الحضارة الإسلامية وضمت أشتاتا من البشر، من إفريقيا وآسيا وأوربا، كانت العربية هي لغة هذه الحضارة، وقد خدم هذه اللغة ونماها وطورها استعمالها في التخاطب والتأليف في مختلف فروع المعرفة أصناف شتى من أجناس مختلفة، لا يربطهم عرق ولا أرض ولا لون، وإنما يربطهم الإسلام، واللغة العربية التي استهوت ألسنتهم، وحتى هؤلاء الذين ظلوا على دينهم، واستظلوا بمظلة الحضارة الإسلامية، لم يحتفظوا بلسانهم الخاص، ويرفضوا اللسان العربي، فلم يكن ليكون لهم دور في هذه الحضارة، دون أن يصطنعوا لغة العرب، وهكذا أصبحت اللغة العربية لغة أبناء هذه الحضارة، مسلمين كانوا أم غير مسلمين.

= ١٩٥٩ ، ص١٢٤، فقد أحصى ٧٢ لغة كتبت بالحرف العربي.

١) أنور الجندي ، **مرجع سابق** ص٩٠.

٢) صبحي الصالح ، **دراسات في فقه اللغة،** بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة السادسة ٢٠٠٤، ص٢٥٧.

ولقد أمكن للعرب أن يصبحوا وارثين لتراث الأمم القديمة، ولم يمضِ القرن الرابع الهجري إلا وقد ترجم إلى اللغة العربية كل نتاج الحضارات، وأضاف إليه العرب من نتاجهم الشيء الكثير، وهذه الإضافات تراوحت بين الابتكار والشرح والإيضاح، وعلى هذا أصبحت الثقافة العربية العنصر الموحد لكل شعوب العالم العربي ومن ارتبط معها من سائر شعوب العالم الإسلامي، وقد عبرت هذه الجهود عن إيجابية العقل العربي التي تمثلت في استفادته من تراث الأمم السابقة مع بقائه محتفظا بخصوصيته القومية والدينية(١).

ولم يقف اهتمام العرب بثقافات غيرهم عند حد اقتباس العناصر التي لم تكن موجودة عندهم من تلك الثقافات، بل إنهم أشبعوها درساً وافياً. ففي التاريخ، اهتم مؤرخوهم بتاريخ العالم كله، كما اهتموا بدراسة مختلف الأديان، على رغم ما في كثير منها من عقائد لا تتفق مع تعاليم دينهم، فكانت كتب التاريخ تتناول تاريخ العالم منذ أقدم العصور، وكتب الأديان تتناول كافة المذاهب، وفي كثير مما كتب تظهر موضوعية المؤرخين وحرصهم على إبراز الحقائق بكل أمانة ودقة.

والأهم من ذلك هو تلك الثروة الكبيرة من الألفاظ العربية التي انتقلت إلى لغات الأمم الإسلامية، ولم يقف هذا التأثير العميق على تلك الشعوب عند حد اقتباس المفردات اللغوية، فالأفكار أيضاً والتقاليد انتقلت إلى آداب تلك الأمم من العربية وآدابها بعدما حققت الكثير من التطورات في عصور المدنية.

---

١) عبد الله العشي، الترجمة إلى العربية من منظور حضاري، **مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية لجامعة باتنة**، عدد ٢، ١٩٩٤م، ص ٦٧.

وفي هذا السياق، يمكن القول إنّ الثقافة العربية كانت حصيلة لما أبدعه الشعب العربي وغيره من الشعوب الإسلامية التي اتخذت اللغة العربية لغة لها حين ذاك، كما أن انتقال الثقافة العربية إلى غرب أوروبا يقدم صورة رائعة لقوة هذه الثقافة وفاعليتها.

ومنذ العقد الأخير من القرن الأول الهجري بدأ شعاع الحضارة الإسلامية يصل إلى أوروبا عن طريق الأندلس، ثم عن طريق صقلية وكذلك عن طريق الحروب الصليبية، ومن قبل تلك الحروب، عن طريق السفارات بين دول أوروبا وبين دول المسلمين، في الشرق والغرب.

ولم يكن تأثير هذا الإشعاع الحضاري متساويا في الدرجة بل كان بعضه أكثر تأثيرا من الآخر فالأندلس كانت أسبق مصادر الإشعاع وأكبرها تأثيرا، ثم تلتها في الأهمية صقلية ثم تأتي بعد ذلك الحروب الصليبية ثم الاتصالات السياسية والتجارية بين الدول الإسلامية والدول الأوروبية.

وقد بقي العرب في إسبانيا ثمانية قرون، كما أنّ بقاءهم في صقلية دام زهاء ١٣٠ عاماً، فكان هذان الإقليمان بمثابة النافذة التي أطلّ منها الغرب على حضارة العرب وثقافتهم، فقرطبة في القرن العاشر الميلادي كانت أعظم مدن أوروبا حضارة، ولقد وجد فيها ٧٠ مكتبة و٩٠٠ حمام، فأدهشت هذه الحضارة العربية أبناء أوروبا القادمين من أقاليمها الشمالية، كما شهدت مدينة طليطلة عام ١٠٨٥م إقبال الطلاب اللاتين إلى هذه المدينة يدرسون الحضارة العربية ويقتفون آثارها.

وفي عامي ١٣١١ و ١٣١٢م انعقدت صلة جديدة ووثيقة بين التراث

العربي وأوروبا، حين أمر البابا كليمانت الخامس بأن تنشأ أستاذيات للعربية والكلدانية والعبرية في جامعات روما وباريس وبولونيا وأكسفورد وسلامنكا، كما اتخذ الغرب من كتب العرب في الفلسفة والعلوم نصوصاً دراسية استخدموها في جامعاتهم خلال بضعة قرون، كما ترجموها ترجمة كاملة أو ترجموا أجزاء منها ودرسوها وعلّقوا عليها.

كما أنّ كبار علماء العرب، من أمثال ابن رشد والفارابي وعلي بن العباس وغيرهم، أصبحوا مرجعاً في كتابات الأوروبيين، وفي مجال المصطلحات عند العرب، وهناك العديد منها انتقل إلى اللغات الأوروبية نتيجة لذلك.

وقد نمت هذه الثقافة العربية في ظل وارف من حرية البحث والتفكير، الأمر الذي أتاح لها أن تترك بصماتها الحضارية عند كل الشعوب التي تعرفت إلى لغة الضاد[1].

وفي الوقت الذي كان المسلمون ينعمون فيه بظل الحضارة الإسلامية التي أفاضت عليهم كل أنواع الخير ووقتهم مفاسد الشر وأبعدتهم عن مواقع الفتن ، كان أهل أوروبا يعيشون في جهالة جهلاء وضلالة عمياء بعيدين كل البعد عن كل مظاهر التقدم الحضاري.

---

١) أنيس الأبيض، كلام على الدور التاريخي والحضاري للثقافة العربية الإسلامية، **الحياة السعودية**، السبت، ١٢ فبراير ٢٠١١.

حاضر اللغة العربية:

ثم دخل المسلمون مرحلة الضعف، وكفوا عن الإبداع والعطاء، في الوقت الذي انطلقت فيه الحضارة الأوروبية الصناعية، وأصبح الإبداع البشري والابتكار في مختلف فروع المعرفة، يتمّ خارج اللغة العربية، وخارج روح الحضارة الإسلامية معا. ولما بدأ احتكاك المسلمين بالحضارة الغربية الفتية، منذ حوالى قرنين من الزمان، لم يكن هناك ما يحول دون أن تستوعب اللغة العربية حضارة العصر؛ فعهدها باستيعاب حضارات الأخرىن، وصبغها بصبغتها الخاصة غير بعيد، وربما لا يعلم الكثيرون الآن أن المدارس العلمية الأولى، التي قامت في مصر لتعليم الطب والهندسة والفنون العسكرية، كان التدريس فيها باللغة العربية، وأن الدراسة في الكلية الإنجيلية ببيروت (الجامعة الأمريكية الآن) كانت تتم باللغة العربية.

لكن المشكلة هي أن اللغة العربيةلم تعد لها مكانتها في العالم الإسلامي، نعم بقيت في العبادة والشعائر، وبقيت في التلاوة والترتيل، ولكنها لم تعد لغة الإبداع والابتكار، ولم تعد لغة الحوار وشؤون الحياة، كما كانت إبان هيمنة الحضارة الإسلامية. لقد كان المسلم آنذاك يخرج من قرطبة إلى قرطاجة ومصر ودمشق وبغداد ومكة والمدينة ومرو وبخارى وسمرقند وغيرها من الحواضر الإسلامية، وليس معه إلا اللغة العربية، ولا يحتاج إلى مترجم في كل هذه المرحلة، وكان يتعلم ويطلع وينسخ الكتب ويجادل ويناقش ويحاور ويناظر ولا يحتاج إلى لغة أخرى، أما في المرحلة الأخيرة فلم يعد الأمر كذلك، فمنذ دخل الاستعمار بلاد المسلمين، حرص

على فرض لغته على الشعوب المستعمرة في التعليم والإدارة والإعلام ووسائل الاتصال، وحرص كذلك على عزل هذه الشعوب عن اللغة العربية الموحدة لألسنتهم، فعمل على إحياء لهجاتهم الخاصة، والاعتزاز بها، وبعث لغاتهم المندثرة والتعصب لها، حتى لا يبقى للغة العربية مكان، لا في التخاطب حيث تسود اللهجات الخاصة واللغات القومية، ولا في التعليم والإدارة والثقافة حيث تسود لغة المستعمر، وكانت النتيجة هي التشتت اللغوي، لا على مستوى الأمة كلها بمختلف أعراقها وأجناسها وشعوبها، ولكن على مستوى الجنس الواحد.

العولمة واللغة العربية:

تسير العولمة الاقتصادية المتسارعة جنبا إلى جنب مع الاستعمال المتزايد للغة الإنجليزية، ويتم تشجيع المزيد والمزيد من الناس على استخدام اللغة الإنجليزية أو إرسال رسائلهم بها بدلا من لغتهم الأصلية " إن إزاحة لغة الأقوى للغة الأقل قوة تمثل الاستعمار الثقافي الذي هو أكثر مكرا بكثير من الاستعمار الاقتصادي، والذي هو ذاته ملموس ومرئي بدرجة أقل من الاستعمار السياسي والعسكري الذي تكون تجاوزاته واضحة، ويسهل إدانتها إن حرب اللغات نادر ما اعتبرت كحرب، و لم تعلن أبدا في أي مكان"[(١)].

إن الاستراتيجيات العسكرية والسياسية والدبلوماسية والاقتصادية للقوى العظمى يمكن دراستها ونقدها، ولكن الاستراتيجيات اللغوية تبدو

١) رولاند ج. ل. بريتون، حرب اللغات: هل يمكن إنزال الإنجليزية عن عرشها ؟ ، **رسالة اليونسكو**، السنة الواحدة والخمسون ، إبريل ٢٠٠٠، ص ٢٤.

غير واضحة وضمنية وحتى بريئة وغير موجودة. إن الخوف على اللغة لا يعانيه أصحاب اللغات الهامشية فقط[١] فهناك من يعبرون أيضا عن خوفهم على اللغات المنتشره على نطاق واسع بما فيها الانجليزية والفرنسية.

وتواجه اللغة العربية تحديات إضافية في هذا المجال نتيجة للحملة الضارية التي تشنها العولمة ضد الإسلام، وبالتالي ضد العروبة نظرا لشدة الارتباط بينهما[٢].

ويرى رشدي طعيمة[٣] وإحسان هندي[٤] بأن العولمة ستفضي إلى النتائج المتلاحقة التي من بينها تهميش الثقافة الوطنية واللغة القومية بفرض ثقافة القطب الاقتصادي الذي ينتج وحده ويفرض لغته وطريقته عبر وسائل الاتصال والتواصل".

إن الحرص على الهوية القومية إذا يقتضي الاهتمام باللغة العربية، ومن ثم كان لزاما على المؤسسات التعليمية أن تعنى بالحفاظ على هذا الهدف القومي الهام.

---

١) جان لوي كالفيه، المستخدمون هم أصحاب الاختيار، **رسالة اليونسكو**، إبريل ٢٠٠٠، ص ٣٥.

٢) نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، **سلسلة عالم المعرفة**، العدد رقم ١٨٤، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، الكويت، ٢٠٠١ ، ص ٢٣٨.

٣) رشدي طعيمة، العولمة ومناهج التعليم العام، في محمود كامل الناقة (محرر) "**العولمة ومناهج التعليم** " المؤتمر القومي السنوي الحادي عشر، الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس ، ديسمبر ١٩٩٩ ، ص ٣٥.

٤) إحسان هندي ، العولمة وأثرها السلبي على سيادة الدول، **معلومات دولية**، مركز المعلومات القومي في الجمهورية العربية السورية، السنة السادسة، العدد٥٨، دمشق ، ١٩٩٨، ص٦٥.

الحفاظ على اللغة العربية حفاظ على الهوية:

يرى البعض أن خمس وتسعون في المائة من كل اللغات الحية ستموت خلال القرن الحادي والعشرين، وأنه في الوقت الحالي تختفي عشر لغات كل عام في مكان ما في العالم[١].

قد يقول قائل بأن اللغة العربية لن تموت فهى محفوظه بحفظ كتاب الله، وهذه المقولة صحيحة بالفعل، والقضية تتعلق بما تعاني منه العربية من اللحن الذي ينحيها عن الفهم والوعي للمعنى ونقاء اللفظ، والخوف الأكبر هنا ليس على اللغة بل على أهلها الذين هجروها وفضلوا عليها لغات أخرى، إنهم هم الخاسرون لأنهم بتخليهم عنها إنما يتخلون عن هويتهم أو يشوهونها، فلا تستقيم لهم حياة إلا حياة التبعية وافتقاد الانتماء، في ظل ما تفرضه عليهم العولمة بتحدياتها، فليس هناك أسمى من الانتماء لشعب أكثر من الكتابة بلغته.

ويؤكد المفكرون التربويون في تناولهم لسبل الحفاظ على الهوية القومية من تهديدات العولمة على ضرورة الاهتمام باللغة العربية ، من ذلك على سبيل المثال ما تنادي به المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم[٢] من ضرورة:

- مقاومة محاولة الطمس والتشويه للثقافة العربية ولثقافات الشعوب وقيمها الحضارية والقضاء على جميع مظاهر السيطرة الثقافية وآثارها.

---

١)كارلوس أندريد، الفائزون والخاسرون، **رسالة اليونسكو** ، أبريل ٢٠٠٠ ، ص٢٠

٢) إدارة الثقافة، جامعة الدول العربية ، **الخطة القومية الشاملة للثقافة العربية**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ١٩٩٠، ص ١٤٤.

- تعزيز الهوية الثقافية العربية وذلك بدعم اللغة العربية وتنشيط التنمية القومية، ورفض الهيمنة الثقافية الأجنبية.

ومن ذلك أيضا ما يقترحه محمد المفتي[١] وجمال الدهشان[٢] من ممارسات تربوية مثل:

١. الاهتمام باللغة العربية كلغة قومية، بالإضافة إلى تعليم لغتين أجنبيتين كوسائل اتصال وتواصل بالعالم من حولنا.

٢. تنمية التفكير الناقد كوسيلة لتنقية ما ينسل إلينا من ثقافات الآخرين.

٣. تنمية الولاء والانتماء كقيمتين ترسخان الهوية القومية والاعتزاز بها.

اللغة العربية ووحدة الأمة:

أما وحدة هذه الأمة فقد تحققت في القديم من وحدة الدين ووحدة اللسان ومن ثم وحدة الثقافة والفكر، ووحدة التصور والشعور والوجدان، بالإضافة إلى الوحدة السياسية، فوحدة الدين والعقيدة وحدها —وهي قائمة الآن– لا يمكن أن تنشئ أمة واحدة قادرة مؤثرة، وكيف تتحقق هذه الوحدة في ظل التشتت اللساني والثقافي والفكري؟

---

١) محمد أمين المفتي، توجهات مقترحة في تخطيط المناهج لمواجهة العولمة ، في محمود كامل الناقة (محرر) "**العولمة ومناهج التعليم** " المؤتمر القومي السنوي الحادي عشر ، الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس ، ديسمبر ١٩٩٩ ، ٩١

٢) جمال علي خليل الدهشان، الجديد في تطوير التعليم الجامعي، **مؤتمر التعليم العالي في مصر وتحديات القرن الحادي والعشرين**، جامعة المنوفية، مركز إعداد القادة بالجهاز المركزي للتنظيم والإدارة ، مدينة نصر القاهرة ، مايو ١٩٩٦، ص١٩٠

إن أكبر الوسائل فعالية في تشتيت أمة أو جماعة، هو ضرب وحدة اللسان فيها، وهذه بدهية لا تحتاج إلى برهان، وقد حدث هذا في الأمة الإسلامية بالفعل، كما هو واقع ومشاهد، ليس على مستوى الأمة الإسلامية فحسب، ولكن على مستوى الوطن العربي الذي انحسرت اللغة إليه، وتكاد تنحصر فيه، فلغات الأقليات العرقية نهضت من تحت الرماد، ودخلت في قضية الهوية، وتبنتها الأحزاب والجماعات والجمعيات العرقية، ونفخت القوى الأجنبية في بوقها، وأججت نارها وما زالت، وجعلت منها مشكلة كبيرة تهدد الوحدة الوطنية، وأكبر مثل على هذا هو اللغة البربرية في الجزائر والمغرب، واللغة الكردية في العراق، فالصراع الدموي الحادث هنا وهناك، والذي تدفع الأوطان ثمنه، من وحدتها واستقرارها، وأمنها وأمانها وتنميتها، تحتل اللغة العرقية – ومن ثم الثقافة العرقية — حيزا بارزا فيه. أما الأكثرية فإنها تتعرض لمشكلة العاميات المتعددة، في لغة الخطاب والإعلام، والفن القصصي والمسرحي، والتمثيل، والأدب الشعبي الذي دخل إلى أروقة الجامعات!

ولكن حتى لو حلت مشكلة التعددية اللغوية في الوطن العربي الكبير، فكيف تحل على مستوى العالم الإسلامي؟ إن الأمة العربية ليست هي الأمة الإسلامية، ولكنها تمثل جزءا صغيرا منها، واللغات القوية في كثير من أقطار العالم الإسلامي لها تاريخ وتراث، وأهلها يعتزون بها، فكيف يتوحد لسان الأمة الإسلامية حتى يتحقق فيه مفهوم الأمة الموحدة؟

من حيث المبدأ نقول: إن الوصول إلى اللغة الواحدة المجمعة لا يعني محو هذه اللغات من الوجود، فهذا غير وارد، ولكن الذي نريد الوصول إليه

هو أن تكون هناك لغة مشتركة بين أبناء الأمة الإسلامية، وهي موجودة بالفعل على مستوى الشعائر والعبادة وتلاوة القرآن الكريم، ولكنها غائبة فيما وراءِ ذلك، وهي مع غيبتها مطلب إسلامي وليست مطلبا عربيا فقط، وهذا يعني أن الأرض ممهدة لعودة اللسان العربي إلى مكانته التي كانت له، فكيف نغرس في الأرض الممهدة بذرة اللغة العربية؟

ومن المعلوم للكافة أن العلم الحديث يتم إنتاجه وتطوره خارج اللغة العربية، على عكس نهضتنا الإسلامية الزاهرة التي بهرت العالم كله فيما مضى، حيث كان إنتاج العلم والمعرفة يتمّ في إطار هذه اللغة، ومن ثم كانت تتطور وتنمو وتفرض نفسها على العالم كله، وإذا كانت اللغة العربية الآن بمعزل عن إنتاج العلم، فهل معنى هذا أنها غير قادرة على استيعابه أو المشاركة فيه!

إن هذا الأمر كان موضع جدل واسع منذ نهاية القرن الميلادي الماضي، وحتى الآن، إن العلم الحديث ليس شيئا يمكن الاستغناء عنه أو عن ثماره التطبيقية، وإلا كان عليك أن تسلم نفسك إلى من يملكه، وتكتفي بعيشة التابع، ومن هنا فكر المسلمون في الإفادة من هذا العلم، وأدركوا أن نهضتهم لا يمكن أن تقوم لها قائمة إلا به، وقد تأكد ذلك عند أول مواجهة عسكرية بين الدول التي أخذت بأسباب العلم الحديث، وبين الدول التي كانت بمعزل عنه.

فالحرب الروسية التركية [١٧٦٨م-١٧٧٤م] التي اندحرت فيها تركيا، لتخلفها العلمي وتخلف سلاحها، فتحت أعين الأتراك على الفجوة العلمية بينهم وبين الروس.

وغزو نابليون بونابارت لمصر وهزيمة المماليك أمامه [١٧٩٨م]،

والتجارب العلمية التي كان يجريها علماء الحملة الفرنسية، الذين اصطحبهم نابليون معه، أيقظت المصريين من سباتهم العميق، وكشفت لهم بعد ما بينهم وبين الغرب المتقدم علميا.

وكان لا بد لهؤلاء وأولئك من أن يأخذوا بأسباب العلم الحديث حتى يكون لهم مكان في عالم اليوم. وكان الانفتاح الأول عسكريا، لأن الهزيمة كانت عسكرية، ثم توالى الاحتكاك وتتابع في مختلف المجالات، وهو وضع طبيعي. وقد استطاعت اللغة العربية أن تستوعب العلم الحديث وأن تتفاعل معه بتدريسه وترجمة مصادره والتأليف فيه وإنشاء المعاجم العلمية، حدث ذلك في مصر في عهد محمد علي، وفي لبنان مع إنشاء الكلية السورية الإنجيلية (الجامعة الأمريكية الآن). وإذا كانت تجربة مصر قد استمرت بنجاح ستة عقود، فإن تجربة لبنان لم تكمل العقدين، بعدها ابتعد العلم الحديث النظري والعملي عن اللغة العربية، فقد حرص الاستعمار الإنجليزي على أن ينأى بالتعليم كله عن اللغة العربية، وقد كانت هذه السياسة منفذة في كل بلد خضع للهيمنة الأجنبية على اختلاف لغاتها، بل إن الأمر لم يتوقف عند التعليم وحده، فقد كان هناك إصرار على إبعاد اللغة العربية عن مجال الحياة العملية كلها، وحصرها في زوايا المساجد، حتى تؤدى بها شعائر العبادة وحدها، كما هو الحال في البلاد الإسلامية غير العربية، وبذلك تتحول اللغة العربية من لغة حضارة إلى لغة شعائر ومناسك.

وصاحَب ذلك اتهام اللغة العربية بأنها عاجزة عن استيعاب العلم الحديث، وأن التمسك بها يعوق الاختراع والابتكار والتقدم، والأغرب من ذلك أن يدعو بعضهم إلى أن تتخذ العامية بدلا من العربية لغة الكتابة

الثقافية والفكرية والعلمية، وكأن ما عجزت عنه العربية- في زعمهم- يمكن أن تقوم به العامية الكسيحة!!

لكن الأمة لم تستسلم لإبعاد اللغة العربية عن ميدان التعليم، وجاهدت جهادا مستميتا –برغم ضعف وسائلها- لإعادة التعليم إلى اللغة العربية، وقد نجحت في ذلك نجاحا جزئيا، فالتعليم العإلى في الكليات العملية ما زال بعيدا عن هذه اللغة، وقد توزعته لغات شتى، فهو بالإنجليزية حينا، وبالفرنسية حينا آخر، وبالإيطالية حينا ثالثا، أي أن البديل عن التوحد اللغوي بالعربية هو التشتت اللغوي، بحسب نوع الاستعمار الذي كان سائدا، أو حسب نوع الصراع الثقافي والديني بين البعثات التبشيرية أو بين الدول[١].

اللغة والحضارة

هناك قضية لابد أن نلتفت إليها وهى أن مستوى الأداء اللغوي يختلف من إنسان لآخر داخل المجتمع الوأحد ومن مجتمع لآخر بل وباختلاف العصور والأزمنة في المجتمع الوأحد، فعلى سبيل المثال كان مستوى أداء اللغة العربية في جاهلية العرب غيره بعد إسلامهم بل وغيره في العصر الذهبي للحضارة الإسلامية أو بعده، وهو بالتأكيد مختلف عن مستوى الأداء الحإلى.

فاللغة انعكاس لفكر الإنسان، وهى وسيلة التعبير عنه، وكلما تميز هذا الفكر بالعمق تألق الأداء اللغوي، والعكس بالضرورة صحيح.

واللغة ليست كما محدودا من مفردات أزلية المولد أبدية البناء دائمة

١). د. عبده زايد ، اللغة العربية والبعث الحضاري العربي الإسلامي، مقال على شبكة الإنترنت http://www.khayma.com/almishkat/Num/Num٤٣_٤٤/Maqal٤٣/M١.htm

الثبات بل هى كائن حي متطور يضعف ويقوى، ويتأثر بقوة وضعف الفكر والوعي الحضاري، وبزيادة ونقصان حجم المعرفة وحركة العلوم، وليس أدل على ذلك من أن عدد المصطلحات والمفردات التي تضاف سنويا إلى اللغات الأوربية يقع ما بين ستة ألاف وسبعة ألاف مصطلح حديث ومفردة جديدة لتواكب التقدم المطرد الذي يعيشه الغرب حتى قيل لو أن شكسبير عاد الأن حيا لوجد نفسه نصف أمي أمام التدفق الكبير والتغيير الواسع في مفردات ومصطلحات اللغة الإنجليزية[١].

ونستطيع أن نؤكد أنه لن يبرز العطاء الحقيقي والإبداع المتميز للغة العربية ولن تعود إلى سيرتها الأولى إلا إذا تخطينا مرحلة التخلف الحضاري التي نعيشها، وبقدر ما نتحرك على طريق التطور فإن اللغة العربية ستعبر معنا وهدة التخلف وتعبر عن المسيرة وتختزن خبراتنا وثقافتنا، ولن تستطيع اللغة استيعاب ذلك مالم نطوعها لمقتضيات العصر فنأخذ منها ونضيف إليها، ولدينا من وسائلها الفنية الكثير التي تمكننا من ذلك كما مكنت علماء هذه الأمة من قبل.

ولعل المشكلة الأساسية أن نحدد من نحن وماذا نريد ؟ فحتى نعرف ماذا نريد يجب تحديد واضح لهويتنا، لقد أهملنا هذا الموضوع ردحا من الزمن تحت تصور منا بأن هويتنا العربية الإسلامية مسلمة أو مسلم بها، والواقع كله لا يعبر عن ذلك ، وحتى التوجه الفكري الحضاري لا يبرز تلك

---

١) محمود محمد سفر ، منظور حضاري لقضايا الترجمة والتعريب، المؤتمر الثاني للوزراء المسؤولين عن التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي، تونس ١٩٨٤، ص ١٤٨.

الهوية بصدق ووضوح مما كان له انعكاس خفي على المناهج الدراسية في كثير من الأقطار العربية.

إجراءات البحث:

أولا- تحديد أبعاد الدور الحضاري للغة العربية التي ينبغي على مناهج التاريخ في المرحلة الثانوية أن تعمل على تجسيدها:

من خلال مراجعة الباحث للمصادر، والكتب، والأبحاث المعنية بدراسة الحضارة، وكذا الدراسات المعنية بطبيعة مناهج التاريخ ، وأهداف تدريسها في المرحلة الثانوية، والاستعانة بأراء المتخصصين في علم التاريخ والحضارة، والمناهج وطرق التدريس تمكن الباحث من تحديد الدور الحضاري للغة العربية في سبعة أبعاد رئيسية، لكل منها مكونات فرعية كما يوضحها جدول (١):

جدول (١)

أبعاد الدور الحضاري للغة العربية والمكونات الفرعية لها

أبعاد الدور الحضاري للغة العربية	المكونات الفرعية لها
١- اللغة العربية أحد مصادر الحضارة الإسلامية.	ـــ اللغة العربية أغنى اللغات السامية مادة وأوسعها أفقا. ـــ حلت اللغة العربية محل لغات بعض البلاد المفتوحة كالقبطية والسريانية وغيرها. ـــ الأقاليم التي احتفظت بلغاتها اتخذت من العربية لغة للعلم والأدب. ـــ كثير من الكلمات الأجنبية في شتى مجالات العلوم والصناعات والفنون والتنظيم العسكري ذات أصل عربي. ـــ حفظت اللغة العربية تراث الأمم القديمة كاليونان والفرس والرومان. ـــ اللغة العربية كتبت بها منجزات العرب والمسلمين في شتى المجالات.
٢- إقبال شعوب البلاد المفتوحة على تعلم اللغة العربية ، ودورهم في الحركة العلمية.	ـــ لما فتحت بلاد فارس دخل الفرس في الدين الإسلامي وأقبلوا على دراسة العربية ليفهموا الإسلام ، ونبغ الكثير منهم في شتى العلوم. ـــ أقبل السريان على تعلم العربية وقاموا بدور بارز في نقل مؤلفات اليونان من السريانية إلى العربية(١).
٣ـــ حركة الترجمة إلى العربية ونقل تراث فارس والهند واليونان والرومان	ـــ بدأت في عهد بني أمية، وبدأت بأخذ ما يتمشى مع الإسلام، ثم أضافوا إليه ما أنتجته عقولهم. ـــ اتسعت حركة الترجمة والتأليف في العصر العباسي الأول. ـــ حنين بن إسحق أشهر المترجمين في العصر العباسي(٢). ـــ إذا كان نطاق الاستفادة من الفلسفة كان محدودا ، فإن العلوم العملية كالطب والرياضيات وغيرها تمثلها العرب تمثلا دقيقا وأسهموا إسهاما بالغا في تطويرها وتقدمها(٣).

---

١) علي بن إبراهيم النملة، **مراكز الترجمة القديمة عند المسلمين**، الرياض مكتبة الملك فهد الوطنية ، ١٤١٢هـــ / ١٩٩٢م. جيرار تروبو، دور السريان في نقل التراث الفلسفي والعلمي اليوناني إلى العرببية والاستفادة منه، ترجمة وتعليق محمد خير البقاعي، **عالم الكتب**، ع ٤، مج١٤، محرم -صفر ١٤١٤هـ / يوليو ـــ أغسطس ١٩٩٣م، ص ٤١٣.

٢) أحمد بن محمد الذبيان، حنين بن إسحق وآثاره المطبوعة، **عالم الكتب** مج١٦، ع٢، شوال ١٤١٥هـ / مارس - أبريل ١٩٩٥م، ٢٠٣.

٣) أحمد علي محمد، حركة الترجمة والنقل في العصر العباسي وأثرها في الفكر العربي الإسلامي، **التربية**، قطر، س٢٤، ع١٩٩٥،١١٥، ص١٨٣-١٩٠.

أبعاد الدور الحضاري للغة العربية	المكونات الفرعية لها
٤ــ دور اللغة العربية في التقريب بين الفاتحين وأهالي البلاد المفتوحة.	ــ اعتناق الدين الإسلامي دفع أهإلى البلاد المفتوحة لتعلم العربية مما قرب بينهم وبين الفاتحين. ــ تسامح الفاتحين مع من ظلوا على دينهم من أهإلى البلاد شجعهم على تعلم العربية للمشاركة في كافة مناحي الدولة. ــ خبرة أهإلى البلاد المفتوحة الإدارية والعلمية وتعلمهم العربية جعلت الفاتحين يترلوهم مترلة رفيعة مما قرب بينهم.
٥ــ الطابع العربي في نظم الحضارة الإسلامية السياسية والإدارية.	ــ اتخاذ الخاتم الذي صنع لرسول الله ﷺ وسلم وكتب عليه "لا إله إلا الله" ، وانتقاله إلى الخلفاء من بعده. ــ تحفظ أبو بكر ﷺ على لقب خليفة رسول الله –صلى الله عليه وسلم – لكون الخلافة من الناحية اللغوية تكون في حق الغائب. ــ تعريب الدواوين في عهد عبد الملك بن مروان. ــ اتخاذ الوزراء واللفظ من المعاونة أو المؤازرة في تحمل أعباء الحكم. ــ حرص عمر رضى الله عنه على اختيار عماله من العرب لمقدرتهم على فهم أصول الشريعة وتعاليمها. ــ الديوان:كلمة عربية معناها الأصل الذي يرجع إليه ويعمل به ، ويطلق أيضا على المكان الذي تحفظ فيه السجلات.
٦ــ دور اللغة العربية في نقل تراث الإنسانية الحضاري إلى الغرب.	ــ إقبال الأسبان على العربية، وتفضيلها على اللاتينية. ــ المتعلمين من النصارى أقبلوا على دراسة كتب الفقه ليتعلموا الأسلوب العربي البليغ، وجمعوا الكتب العربية في مكتبات كبيرة. ــ ترجمة الكتب العربية في الطب والرياضيات والفلك خلال القرنين السادس والسابع الهجريين[١]. ــ عندما بدأت المدن الإسلامية تسقط نشطت حركة الترجمة عن العربية نشاطا كبيرا. ــ ظلت ترجمات الكتب العربية تدرس في الجامعات الأوربية ستة قرون. ــ كتب روجرز الأول ملك صقلية مراسيمه باللغة العربية إلى جانب اللاتينية واليونانية، وكتب أحد وجوه العملة بالعربية. ــ درس وليم الثاني اللغة العربية. ــ الشعر العربي كان يمارس في بلاط ملوك صقلية النورمان. ــ اعتنى فردريك الثاني بعلوم المسلمين وشجع ترجمة الكتب العربية.

١) سعد عبد الله البشري، ترجمة الكتب العربية في الطب والرياضيات والفلك خلال القرنين السادس والسابع الهجرين، الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين ، **مجلة جامعة أم القرى**، السنة الأولى العدد الثاني ، ١٤٠٩هــ ، ص ٩٣ــ ١٢٩.

٢) علي السيد علي محمود، العلاقات الثقافية بين المسلمين والفرنج: عصر الحروب الصليبية، **التربية**، قطر، س٣٠، ع١٣٧/ ١٣٨، سبتمبر ٢٠٠١، صص ١٧٥ــ٢١٩.

أبعاد الدور الحضاري للغة العربية	المكونات الفرعية لها
	ـــ دخلت كلمات ومصطلحات عربية عديدة في اللغات الأوربية إبان الحروب الصليبية[٢].
٧ـــ تعريب العلوم (النقل عن الغرب).	ـــ الفرق بين الترجمة والتعريب:الترجمة تعني نقل العلوم والمعارف ومواكبة تدفقها وتطورها، أما التعريب فهو نقل مع تطويع ومواءمة وتوضيب اجتماعي للمادة المنقولة، ونحن بلا شك نحتاج إلى الوسيلتين معا وبنفس الأهمية والدرجة فالترجمة تتيح لنا إذا أحسن توجيهها متابعة السرعة العالمية لتطوير العلوم والتقنيات وبسطها على أوسع مدى لغالبية الأمة ممن لا يستطيعون متابعتها بلغاتها الأصلية ثم يأتي دور التعريب ليطوع تلك العلوم ويدخلها إلى جسم الأمة ، ولن يكون قادرا على إتمام عملية التطويع هذه إلا علماء الأمة المتمكنين من التفاعل مع جوهر تلك العلوم[١]. ـــ الفرق بين تعريب التعليم وتعريب العلم:تعريب التعليم يعني جعل اللغة العربية لغة التعليم، وهذا يقتضي ترجمة أو تعريب المصطلحات التي ترد في سياق التعليم ، أم تعريب العلم فيعني تطوير اللغة العربية بحيث تنضم إلى مجموعة اللغات التي تعرض بها العلوم كالانجليزية والفرنسية والألمانية[٢].

ثانيا: بناء المعيار وضبطه:

١ – تحديد الهدف من المعيار:

يهدف المعيار إلى تحليل محتوى منهج التاريخ للصف الثاني الثانوي في ضوء أبعاد الدور الحضاري للغة العربية والتي تم التوصل إليها من خلال الداسة النظرية ، وقد تم وضع هذه الأبعاد كمحاور رئيسية يندرج تحت كل منها مجموعة من العبارات الفرعية.

٢ –تحديد مكونات المعيار:

---

١) محمود محمد سفر ، **مرجع سابق** ، ١٥٨. محي الدين صابر، الأبعاد الحضارية للتعريب ، **ندوة التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي والوحدة العربية،** تونس: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨١، صص٦٩ـــ٩٥.

٢) أحمد سليم سعيدان ، تعريب العلم والتفكير العلمي في العصور الإسلامية الأولى ، **التربية** ، قطر ، س ٢٠، ع٩٧، يونيو ١٩٩١، صص ٢١٥ـــ٢٢٩.

تم اشتقاق مكونات المعيار من المصادر التالية:

- البحوث والدراسات السابقة ذات الصلة بالدراسة الحآلية.
- الكتب والمراجع والدوريات في مجال تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى.
- أراء المعلمين، والموجهين، والخبراء، والمتخصصين في مجال التاريخ والحضارة ، والمناهج وطرق التدريس.

٣- صياغة مفردات المعيار في صورته الأولية:

لصياغة عبارات المعيار تم تحليل كل بعد رئيسي من الأبعاد السابقة إلى مجموعة من العناصر والبنود التي يجب مراعاها عند وضع محتوى منهج التاريخ للصف الثاني الثانوي، وقد تم وضع هذه العناصر في صورة عبارات بحيث يمكن تطبيقها على محتوى المنهج، واعتبرت كل عبارة من هذه العبارات وحدة معيارية قائمة بذاها، كما روعي في صياغة هذه العبارات أن تكون واضحة ومحددة، وأن تتضمن فكرة واحدة وقصيرة قدر الإمكان وقابلة للتطبيق.

٤- ضبط المعيار:

أ ـــ صدق المعيار:

في ضوء ما سبق تم التوصل إلى قائمة تتضمن الوحدات المعيارية في صورتها الأولية، وللتأكد من سلامتها وإمكانية تطبيقها، كان لابد من إجراء عملية ضبط للمعيار، لذا فقد تم عرضه بصورته الأولية على مجموعة من المحكمين ذوي الخبرة، وذلك للتأكد من:

- انتماء ودلالة البنود الفرعية إلى البعد الذي أدرجت فيه من أبعاد الدور الحضاري للغة العربية.
- مدى إمكانية تدريسه من خلال منهج التاريخ للصف الثاني الثانوي.

وقد أسفر ذلك عن بعض الملاحظات والمقترحات التي تم مراعاتها في الصورة النهائية للمعيار.

ب ـــ ثبات المعيار:

للتأكد من ثبات المعيار تم استخدامه في صورته النهائية في تحليل الوحدة الأولى من محتوى منهج التاريخ للصف الثاني الثانوي، وإعادة التحليل بعد فترة، وحساب معامل الاتفاق بين التحليلين باستخدم معادلة كوبر ، وقد بلغ معامل الثبات ٩٥,٠٦ وهو معامل ثبات مرتفع.

٥- المعيار في صورته النهائية:

بعد تجميع أراء السادة المحكمين والأخذ ببعض ملاحظاتهم، وبعد التجربة الاستطلاعية للمعيار والتأكد من ثباته، تم وضع المعيار في صورته النهائية، بحيث أصبح العدد الكلي لعباراته (٣٣) عبارة؛ كما يتضح من

خلال الجدول الأتي:

جدول (٢)

العدد الكلي لعبارات المعيار بصورته النهائية

م	البعد الرئيسي (أبعاد الدور الحضاري للغة العربية)	عدد العبارات الفرعية
١	اللغة العربية أحد مصادر الحضارة الإسلامية.	٦
٢	إقبال شعوب البلاد المفتوحة على تعلم العربية ، ودورهم في الحركة العلمية.	٢
٣	حركة الترجمة إلى العربية ونقل تراث فارس والهند وإلىونان والرومان.	٤
٤	دور اللغة العربية في التقريب بين الفاتحين وأهإلى البلاد المفتوحة.	٣
٥	الطابع العربي في نظم الحضارة الإسلامية السياسية والإدارية.	٦
٦	دور اللغة العربية في نقل تراث الإنسانية الحضاري إلى الغرب.	١٠
٧	تعريب العلوم (النقل عن الغرب).	٢
	المجموع	٣٣

ثالثا- تطبيق المعيار على محتوى منهج التاريخ للصف الثاني الثانوي " جوانب من التاريخ الحضاري والسياسي للمسلمين "باستخدام أسلوب تحليل المحتوى:

وللإجابة عن السؤال البحثي الثاني وهو: ما مدى انعكاس أبعاد الدور الحضاري للغة العربية في محتوى منهج "جوانب من تاريخ المسلمين الحضاري والسياسي" للصف الثاني الثانوي ؟ تم استخدام أسلوب تحليل المحتوى[١]؛ وذلك لتحليل المواد التعليمية المكتوبة إلى بيانات إحصائية كمية قابلة للقياس، وذلك عن طريق تحليل المحتوى القائم على الوصف والتبويب لأبعاد الدور الحضاري للغة العربية والتي تضمنها المعيار على شكل أبعاد رئيسية يندرج تحت كل منها بعض العبارات الفرعية الممثلة له، وقد تم اتباع الخطوات التالية عند القيام بعملية تحليل المحتوى:

١ ــ **تحديد الهدف من التحليل**: وهو الوقوف على أبعاد الدور الحضاري للغة العربية في محتوى منهج التاريخ للصف الثاني الثانوي.

٢ ــ **تحديد فئات التحليل**: وذلك على ضوء الدراسات السابقة والأدبيات التربوية في هذا المجال، وقد تمثلت في أبعاد المعيار السبعة (أبعاد الدور الحضاري للغة العربية) التي اتخذت فئات للتحليل والوصف الموضوعي لمضمون محتوى المنهج.

٣ ــ **تحديد وحدات العد والتسجيل**: وقد تمثلت في اختيار الفقرة

---

١) رشدي طعيمة ، تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية: مفهومه، أسسه، استخداماته، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٧.

كوحدة تحليل للعد والتسجيل؛ لملائمتها لطبيعة الدراسة، فالفقرة ليست صغيرة كالكلمة، ولا كبيرة كالموضوع، ولأن الفقرة تمثل وحدة ذات معنى يمكن أن تتضمن تعبيرا عن بعد من أبعاد الدور الحضاري للغة العربية بشكل صريح أو ضمني.

٤ ــ أداة التحليل: قام الباحث بتصميم الأداة بحيث تتضمن قائمة أبعاد الدور الحضاري كفئات للتحليل بشكل رأسي في يمين الاستمارة، بينما وضعت الأبواب التي يتضمنها المحتوى بشكل أفقي أعلى الصفحة، كما أعد الباحث استمارة لتفريغ ناتج التحليل.

٥ ــ وضع الأسس والقواعد التي ينبغي اتباعها في عملية التحليل

وقد تمثلت في:

- قراءة المحتوى قراءة دقيقة وتقسيمه إلى فقرات.
- استبعاد مقدمة الكتاب من عملية التحليل حيث إنها تلقي الضوء على فلسفة المنهج.
- ادخال الأنشطة والإثراء والأسئلة ضمن المحتوى واعتبار كل مفردة في سؤال فقرة.
- يعد كل عنوان عام أو جانبي فقرة مستقلة لها توجهاتها.
- يتم إدخال الحواشي في عملية التحليل.
- إدخال الصور والرسوم والخرائط والأشكال والجداول في عملية التحليل.

- إذا كانت الأسباب أو النتائج أو العوامل مختصرة دون شرح تعد فقرة مستقلة، أما إذا كانت مفصلة يعد كل سبب أو نتيجة أو عامل منها فقرة مستقلة.
- اعتبار الآية القرآنية أو الحديث الشريف أو البيت الشعري فقرة واحدة.
- رصد التكرارات في استمارة التحليل، ثم تفريغها بعد ذلك في جدول التحليل لتجيب على الهدف من التحليل.

٧ــ **ثبات التحليل**:تم حساب ثبات التحليل عن طريق قيام الباحث باستخدام المعيار في تحليل محتوى منهج التاريخ للصف الثاني الثانوي ، وبعد انقضاء مدة تزيد عن الشهر على التحليل قام الباحث نفسه بإعادة التحليل مرة أخرى ، ورصد النتائج بنفس الطريقة، ثم حساب معامل الثبات عن طريق إيجاد معامل الاتفاق بين التحليلين باستخدم معادلة كوبر لحساب نسبة الاتفاق وهى على النحو التالي:

عدد مرات الاتفاق

معامل الثبات = ——————————

___________________________________ ×١٠٠

عدد مرات الاختلاف + عدد مرات الاتفاق

وقد بلغ معامل الثبات ٩٣,١٤.

٧ ــ نتائج التحليل:

جدول (٣)

العدد الكلي لفقرات محتوى منهج التاريخ للصف الثاني الثانوي وعدد الفقرات التي انطبقت على أبعاد الدور الحضاري للغة العربية ونسبتها المئوية

أبعاد الدور الحضاري للغة العربية	الباب الأول	الباب الثاني	الباب الثالث	الباب الرابع	الباب الخامس	الباب السادس	المجموع	النسبة %
العدد الكلي لفقرات منهج التاريخ	**٤٧٦**	**٢٤١**	**٤٣**	**١٩٢**	**٣١٠**	**٩٨**	**١٣٦٠**	**١٠٠**
١ــ اللغة العربية أحد مصادر الحضارة الإسلامية.	٥	—	—	—	—	—	٥	٠,٣٦
٢ــ إقبال شعوب البلاد المفتوحة على تعلم العربية، ودورهم في الحركة العلمية.	١	—	—	—	—	—	١	٠,٠٧
٣ــ حركة الترجمة إلى العربية.	٣	٨	—	١	—	—	١٢	٠,٨٨
٤ــ دور اللغة العربية في التقريب بين الفاتحين وأهالي البلاد المفتوحة.	—	—	—	—	—	—	—	—
٥ــ الطابع العربي في نظم الحضارة الإسلامية	٨	—	—	—	—	—	٨	٠,٥٨
٦ــ دور اللغة العربية في نقل تراث الحضارة الإسلامية إلى الغرب.	١	—	١١	—	—	—	١٢	٠,٨٨
٧ــ تعريب العلوم (النقل عن الغرب).	—	—	—	—	—	—	—	—
المجموع	١٨	٨	١١	١	—	—	٣٨	٢,٧٩

وبالنظر إلى جدول (٣) يمكن ملاحظة أن:

١- العدد الكلي للفقرات في المحتوى ١٣٦٠ فقرة.

٢- نسبة الفقرات المتعلقة بأبعاد الدور الحضاري للغة العربية في

محتوى المنهج بصفة عامة بلغت (٢,٧٩%) من جملة الفقرات التي وردت بالمحتوى وهى نسبة منخفضة جدا في منهج يتناول تاريخ الحضاري الإسلامية، ويرجع ذلك إلى أن المنهج لم يقتصر على دراسة الحضارة الإسلامية بل تضمن أيضا جوانب من التاريخ السياسي للمسلمين مما أثر على النسبة المخصصة لتناول جوانب الحضارة.

٣- نسبة الفقرات المتعلقة بأبعاد الدور الحضاري للغة العربية تختلف من بعد لآخر من أبعاد المعيار فبينما نجد أن النسبة في البعدين الثالث والسادس والمتعلقان بحركة الترجمة لتراث الحضارات القديمة إلى العربية، ودور اللغة العربية في نقل تراث الحضارة الإسلامية إلى الغرب في مطلع عصر النهضة هى (٠,٨٨%)، وهذا يرجع لأهمية هذين البعدين ومحوريتهما في الدور الحضاري الذي لعبته اللغة العربية باعتبارها البوتقة التي انصهر فيها تراث الحضارات السابقة على الإسلام، وضمت إليه إبداعات المسلمين في شتى المجالات، ثم حمت كل ذلك وحافظت عليه وسلمته للعلماء الأوربيين في مطلع عصر النهضة الأوربية، عندما أفاقت أوربا من غفلتها التي طالت العصور الوسطى، واصطلح على تسميتها بالعصور المظلمة.

٤ــ نسبة الفقرات المتعلقة بالبعد الخامس والمتعلق بالطابع العربي في نظم الحضارة الإسلامية تبلغ (٠,٥٨%)، وفي البعد الأول والمتعلق باللغة العربية أحد مصادر الحضارة الإسلامية بلغت النسبة (٠,٣٦%)، ومن ثم جاءا في المرتبة الثانية في اهتمام المحتوى بعد البعدين الثالث والسادس، وربما يرجع ذلك لطبيعتهما حيث تحرص المصادر التي تتناول تاريخ الحضارة

الإسلامية أن تفرد صفحات لتناول الدين الإسلامي، واللغة العربية، وحضارات شعوب البلاد المفتوحة باعتبارها أهم مصادر الحضارة الإسلامية ، كما تسهب في عرض النظم الإسلامية (النظام السياسي، الإداري، المإلى، القضائي) وقد خصص المنهج فصلا كاملا لتناولها أشار إلى أن المسلمين وإن تأثروا بالحضارات السابقة في هذا المجال إلا أن الطابع العربي كان واضحا في العديد من الجوانب بدأ من الخاتم الذي اتخذه الرسول ﷺ والخلفاء من بعده ونقش عليه عبارة "لا إله إلا الله"، وانكار أبو بكر الصديق رضي الله عنه أن يدعى بإسم خليفة الله وقوله "أنا لست خليفة الله ولكني خليفة رسول الله" باعتبار أن ذلك لا يجوز من الناحية اللغوية؛ لأن لفظة خليفة أو استخلاف تطلق في حق الغائب وليس في حق الحاضر، لأن الخليفة هو الذي يخلف من قبله الذي غاب، أما خليفة الله فلا يجوز لغويا ولا دينيا لأن الله حاضر في كل زمان ومكان، وتعريب الدواوين في عهد عبد الملك بن مروان... وغيرها.

٥- نسبة الفقرات المتعلقة بالبعد الثاني والخاص بإقبال شعوب البلاد المفتوحة على تعلم اللغة العربية، ودورهم في الحركة العلمية جاءت منخفضة جدا (٠,٠٧%) رغم الأهمية البالغة لهذا البعد لبيان العوامل التي أدت إلى ذلك ممثلة في تسامح المسلمين مع أهالي البلاد المفتوحة سواء منهم من رحب بالإسلام أو رغب في أن يظل على دينه، وكيف أن ذلك دفع تلك الشعوب إلى المبادرة لتعلم اللغة العربية للمساهمة في شتى مناحي الحياة في تلك الدولة التي لم تميز بين مختلف الأجناس التي انضوت تحت لوائها، وكيف لعب هؤلاء دورا بارزا في ترجمة تراث الحضارات السابقة إلى العربية بما امتلكوه

من اتقان للغات التي كتبت بها.

٦- لم يحظى البعدان الرابع والسابع بأي عناية من جانب المحتوى رغم أهميتهما حيث يركز البعد الرابع على دور اللغة العربية في التقريب بين الفاتحين وأهالي البلاد المفتوحة بما يمثل اللحمة في النسيج الاجتماعي للدولة الإسلامية، وكذا البعد السابع والمتعلق بالدور المعاصر الذي يتحتم على اللغة العربية القيام به ألا وهو تعريب العلوم والنقل عن الغرب الذي صار له قصب السبق في الجانب المادي للحضارة المعاصرة، وهو الجانب الذي أجمع العلماء على ضرورة نقله والإفادة منه، وعلى الرغم من تخصيص المنهج لفصل كامل بعنوان حاضر العالم الإسلامي إلا أنه لم يلتفت لهذا الدور نهائيا وركز كثيرا على البعد السياسي وحده.

٧- لم يُشر المحتوى لدور الاستعمار في محاولة تقويض اللغة العربية من خلال محاولة إحياء اللغات واللهجات القديمة أو تشجيعه للعامية، وفرض هيمنة لغته كلغة رسمية للتعليم والثقافة في كثير من البلدان العربية، وذلك رغم أن الباب الخامس عرض تفصيلا لموجات العدوان الخارجي على العالم الإسلامي.

٨ـــ لم يتعرض المحتوى للمحنة التي باتت تعانيها اللغة العربية الآن في ظل الهجمة الشرسة للعولمة الثقافية وذلك على الرغم من أن الباب السادس خصص لحاضر العالم الإسلامي.

تعليق عام:

كشف تحليل محتوى منهج التاريخ للصف الثاني الثانوي -موضع الدراسة- عن قصور في تجسيد بعض أبعاد الدور الحضاري للغة العربية تمثل

في غياب بعض الأبعاد تماما (البعد الرابع والسابع)، وورود بعضها بتكرارات قليلة جدا (البعد الأول والثاني)، وهو ما دفع الباحث لتقديم إطار لوحدة مقترحة في الحضارة الإسلامية لطلاب الصف الثاني الثانوي؛ لتجسيد الدور الحضاري للغة العربية.

رابعا- إطار لوحدة مقترحة في التاريخ لطلاب الصف الثاني الثانوي؛ لتجسيد أبعاد الدور الحضاري للغة العربية:

في ضوء الإطار النظري للبحث، والدراسات السابقة، وقائمة أبعاد الدور الحضاري للغة العربية، ومراعاة طبيعة الطلاب في المرحلة الثانوية تم بناء إطار لوحدة مقترحة في التاريخ لطلاب الصف الثاني الثانوي وذلك وفق الخطوات التالية:

أولا:اختيار موضوع الوحدة:

تم تحديد موضوع الوحدة ليكون "الحضارة الإسلامية" باعتبارها المجال الحيوي الذي قامت اللغة العربية بدورها من خلاله.

ثانيا: تحديد الأهداف الإجرائية للوحدة:

بعد الانتهاء من دراسة هذه الوحدة ينبغي أن يكون المتعلم قادرا على أن:

- يوضح دور اللغة العربية كأحد مصادر الحضارة الإسلامية.
- يصحح الاعتقاد الخاطئ بأن دور المسلمين اقتصر على النقل عن الحضارات السابقة.

- يقارن بين موقف الحضارة الإسلامية من الأجناس غير العربية، وما يتعرض له المسلمون اليوم في الغرب.
- يحترم دور الشعوب المختلفة في صنع الحضارة.
- يستخلص مقومات اللغة العربية التي مكنتها من أداء الدور الحضاري المتميز في الحضارة الإسلامية.
- يعتز بإسهام العرب والمسلمين في الحضارة الغربية.
- يوضح دور اللغة العربية في التقريب بين الفاتحين وأهالى البلاد المفتوحة.
- يبدي رأيا في قضية تعريب العلوم الحديثة.
- يحترم دور العلماء غير العرب في حركة الترجمة.
- يحرص على استخدام اللغة العربية الفصحي.
- يوضح عوامل إقبال شعوب البلاد المفتوحة على تعلم اللغة العربية، ودورهم في الحركة العلمية
- يقترح وسائل للنهوض باللغة العربية وحمايتها.
- يحدد الطابع العربي في نظم الحضارة الإسلامية.
- يحرص على الأخذ بأحدث ما وصلت إليه الحضارة الإنسانية في العلوم التطبيقية.

ثالثا: محتوى الوحدة:

تم تحديد محتوى الوحدة في مجالات كل مجال يشمل موضوعات، ولكل موضوع محاور "بنود" فرعية تتضمن معارف ومفاهيم وحقائق[1]، ويمكن عرض عناصر المحتوى الدراسي للوحدة، وبيان عناصر المحتوى التي تجسد أبعاد الدور الحضاري للغة العربية، وذلك على النحو التالي:

---

١) حلمي أحمد الوكيل، محمد أمين المفتي، **أسس بناء المناهج وتنظيماتها**، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الطبعة الرابعة، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م، ص ١٢٨.

جدول(٤)

عناصر المحتوى الدراسي لوحدة الحضارة الإسلامية، والبنود التي تعكس أبعاد الدور الحضاري للغة العربية

المحتوى الدراسي	البنود التي تعكس الدور الحضاري للغة العربية	أبعاد الدور الحضاري للغة العربية
أولاـ مفهوم الحضارة الإسلامية ومصادرها ١ـ الدين الإسلامي ٢ـ اللغة العربية. ٣ـ تراث الحضارات القديمة.	أن تؤكد وحدة الحضارة الإسلامية على أن: ـ اللغة العربية أغنى اللغات السامية وأوسعها أفقا. ـ نزول القرآن الكريم باللغة العربية أعلى شأنها وثبت أركانها. ـ اللغة العربية حلت محل لغات بعض البلاد المفتوحة كالقبطية والسريانية وغيرها. ـ الأقاليم التي احتفظت بلغاتها اتخذت من العربية لغة للعلم والأدب. ـ كثير من الكلمات الأجنبية في شتى مجالات العلوم والصناعات والفنون والتنظيم العسكري ذات أصل عربي. ـ اللغة العربية حفظت تراث الأمم القديمة كاليونان والفرس والرومان. ـ اللغة العربية كتبت بها منجزات العرب والمسلمين في شتى المجالات.	**اللغة العربية أحد مصادر الحضارة الإسلامية**
ثانيا- المجتمع الإسلامي ـ تكوين المجتمع. ـ الحياة الاجتماعية.	ـ دخول أهالي البلاد المفتوحة الإسلام دفعهم لتعلم اللغة العربية مما قرب بينهم وبين الفاتحين. ـ تسامح الفاتحين مع من ظلوا على دينهم من أهالي البلاد شجعهم على تعلم العربية للمشاركة في كافة مناحي الدولة. ـ خبرة أهالي البلاد المفتوحة الإدارية والعلمية وتعلمهم العربية جعلت الفاتحين يترلوهم مترلة رفيعة مما قرب بينهم.	٤ـ دور اللغة العربية في التقريب بين الفاتحين وأهالي البلاد المفتوحة.
ثالثا ـ الحياة العلمية نظام التربية الإسلامية العلوم الشرعية العلوم الكونية	١ـ حلت اللغة العربية محل اليونانية واللاتينية والقبطية والبربرية وغيرها. ٢ـ البلاد التي احتفظت بلغتها رغم خضوعها لحكم العرب واعتناقها الإسلام مثل الترك والفرس اتخذت اللغة العربية أداة للعلم والأدب. ٣ـ كثير من أعلام الحضارة الإسلامية ليسوا من أصل عربي إلا أنهم نضجوا ونبغوا وأنتجوا ودونوا ثمرة جهدهم باللغة العربية.	٢ـ إقبال شعوب البلاد المفتوحة على تعلم اللغة العربية، ودورهم في الحركة العلمية.
	١ـ أظهرت اللغة العربية مقدرة عجيبة على استيعاب عناصر الحضارات السابقة فاشتقت من مفرداتها ألفاظا جديدة واكسبت بعض ألفاظها معاني جديدة، و لم تمانع من تعريب بعض الألفاظ غير العربية فصارت لغة عالمية. ٢ـ حافظت حركة الترجمة على جانب كبير من تراث اليونان[1]الذي لم يعد له وجود إلا في التراجم العربية[2]. ٣ـ أعقب حركة الترجمة حركة ابتكار وتجديد واكتشاف وتصحيح لكثير من الجوانب التي تم نقلها.	٣ـ حركة الترجمة إلى العربية ونقل تراث الفرس والهنود واليونان والرومان.
رابعا- النظم الإسلامية أولا: النظام السياسي ثانيا:النظام الإداري ثالثا:النظام المالي رابعا: النظام القضائي	ـ لقب خليفة الله. ـ الخاتم الذي اتخذه الرسول ـ الوزارة. ـ الإمارة. ـ عالجت اللغة العربية إلى جانب الدين الإسلامي الانقسام السياسي الظاهري في العالم الإسلامي بعد عصر الخلافة الأموية إذ ظل يتضمن في داخله وحدة إسلامية عربية عميقة الجذور. • تعريب الدواوين	٥-الطابع العربي في نظم الحضارة الإسلامية.
خامسا-انتقال الحضارة	▪ الأندلس	٧ـ دور اللغة العربية في

١) فتح الله خليف، ترجمة التراث اليوناني وأثرها على الحضارة الإسلامية، **حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية**، قطر، ع ١٢، ١٩٨٩، ص ص ٢٤٥ـ ٢٦٣.

٢) جروينباوم ، حضارة الإسلام ، ص ٤١.

= ١) ابن خلكان، **وفيات الأعيان** جـــ١ ص١٣٠,١٣١.

٢) ابن خلدون، **كتاب العبر** جـــ٤ ص ١٤٦.

٣) المقري (أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني المالكي)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** ، المكتبة الأزهرية، ج١ ص ٢٥٠.

٤) طه المدوّر. الديانات والحضارات ص ٦٧.

٥) علي الخربوطلي: العرب والحضارة ص ٣١٣.

٦) محمد أمين توفيق ، قضايا اللغة العربية وتحدياتها في القرن الحادي والعشرين: اللغة العربية مسموعة ومرئية ، **التربية** ، قطر ، س ٢٩، ع ١٣٤/ ١٣٣، ٢٠٠١، ص ٣٣٧.

٧) سعيد عاشور. **أوروبا في العصور الوسطى** ص ٢١٧.

٨) آنخل جنثالث بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلسي**، ترجمة وتحقيق حسين مؤنس، القاهرة:مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٥، ص ٥٣٦.

٩) هل، **الحضارة العربية**، ترجمة العدوي ، القاهرة ص ١٢٠.

١٠) جماعة من الأسبان الذين استمروا على المسيحية، وأصبحوا أهل ذمة يدفعون الجزية للمسلمين، ويعيشون آمنين في وطنهم، ويتمتعون بالحرية الدينية والتسامح الذي امتاز به المسلمون في معاملتهم لمخالفهم في الدين عاشروا العرب، وتعلموا لغتهم، ودرسوا علومهم وقلدوهم في عاداتهم، وأسلوب معيشتهم.

١١) محمد عباسة ، الترجمة في العصور الوسطى، **مجلة حوليات التراث**، جامعة مستغانم ، الجزائر ، ع ٥، ٢٠٠٦ م ، ص ص ١ـــ ٩.

١٢) المقري، **مرجع سابق** جـــ١ ص٢٩٨.

١٣) علي بن إبراهيم النملة، **مراكز الترجمة القديمة عند المسلمين** ، الرياض مكتبة الملك فهد الوطنية ، ١٤١٢هـــ / ١٩٩٢م.

١٤) ابن جبير ، **رحلة** ، تحقيق حسن نصار ، مصر ، ١٩٥٥ ، ص٣٣١.

المحتوى الدراسي	البنود التي تعكس الدور الحضاري للغة العربية	أبعاد الدور الحضاري للغة العربية
الإسلامية إلى أوربا: ▪ الأندلس ▪ صقلية ▪ بلاد الشام	ـــ جامعة قرطبة في المسجد الجامع كان يفد إليها الطلاب من جميع أنحاء الأندلس، ومن أفريقيا وأوروبا ، حاضر فيها اللغوي أبو على القالي مؤلف كتاب الأمالي(١)، ودرس المؤرخ الأندلسي ابن القوطية النحو بها. ـــ كان الحكم الثاني مغرما باقتناء الكتب؛ فكان يكلف رجاله بالبحث عن المخطوطات في حوانيت الإسكندرية ودمشق وبغداد، وشرائها ونسخها، وبهذه الطريقة تمكن من جمع أربعمائة ألف مجلد(٢)وكان يطلع بنفسه على بعض هذه المخطوطات ويكتب ملاحظات في هوامشها مما جعل لها قيمة كبيرة في نظر العلماء المتأخرين. وقد أراد أن يحصل على النسخة الأولى لكتاب الأغاني التي كتبها أبو الفرج الأصفهاني بنفسه، وكان يقيم إذ ذاك بالعراق فبعث إليه بألف	نقل تراث الإنسانية الحضاري إلى الغرب

١) المقريزي، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، موقع الوراق:
http://www.alwarraq.com ص٣٨٢

٢) أبن تغري بردي (جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، مكتبة المجلس العلمي علي شبكة الإنترنت، ج٦، ص٢٨٣.

٣) فليب حتى، **تاريخ العرب**، القاهرة: مطبعة وادي النيل، ١٩٤٨، جـــ٢ ص ٨٥٧، ٨٥٨.

٤) جلال الدين السيوطي، **حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة**، مكتبة مشكاة الإسلامية على الانترنت ، ص ١٦٨.

٥) فيليب حتى ، **تاريخ العرب** ، القاهرة: مطبعة وادي النيل ، ١٩٤٨، جـــ٣ ص ٦٥.

٦) سعيد عاشور، **أوربا العصور الوسطى**، القاهرة، ١٩٦٣، ج٢، ص ٥٣٣، زيغريد هونكه ، **شمس العرب تسطع على الغرب أثر الحضارة العربية على أوربة** ، ترجمة فاروق بيضون ، كمال دسوقي ، مراجعة مارون عيسى الخوري ، بيروت: دار الجيل ودار الأفاق الجديدة ، ص ١٩، ٣٢١.

٧) عبد المنعم ماجد، **تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٨م، ص ٢٢٧، زيغريد هونكه، **مرجع سابق**، ص ١٧ـــ٥٩.

٨) قاسم عبده قاسم ، الحروب الصليبية في ألف ليلة وليلة ، **ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط**، دار المعارف، ١٩٨٥، المجلد الثالث ، ص ٢٥٧.

المحتوى الدراسي	البنود التي تعكس الدور الحضاري للغة العربية	أبعاد الدور الحضاري للغة العربية
	دينار ثمنا لها[٣]. ــ أشاد المسيحيون الأسبان الذين هاجروا إلى كثير من بلاد أوروبا بالعرب وشرائعهم ، وحضارتهم، وثقافتهم، وبالعمران الذي عم البلاد الأسبانية على أيديهم؛ فنشروا بذلك- من حيث لا يقصدون- دعاية طيبة للمسلمين في أوربا ونبهوا أذهان أهلها إلى النهضة الحضارية التي قام بها المسلمون في أسبانيا[٤]، هذه الدعاية جعلت أهلها يتطلعون للوقوف على هذه النهضة الحضارية. ــ بعث الملك فيليب البافاري إلى الأندلس يرجو الأمير الأموي هشاما الأول (١٧٢- ١٨٠ هـ) أن يسمح له بإيفاد بعثة إلى قرطبة لدراسة أنظمة الأندلس وثقافتها، ومشاهدة أوجه النشاط بها، فقبل الأمير رجاءه وأرسل الملك الجرماني وفداً إلى الأندلس برئاسة وزيره الأول " ويلمبين " الذي أطلق عليه الأندلسيون اسم " وليم الأمين " لأنه تحرى الأمانة في نقل ما رأوه من مظاهر نهضة بلادهم إلى الملك. وقد أشار الوزير على الملك بالاستمرار في إرسال البعثات العلمية لاقتباس ما يفيد البلاد من فنون الحضارة العربية[٥]. ــ في أوائل القرن الخامس الهجري أرسل جورج الثاني ملك إنجلترا ابنة أخيه الأميرة "دوبانت "، على رأس بعثة من ثمان عشرة فتاة، من بنات الأمراء والأعيان، إلى أشبيلية بمرافقة النبيل " سفليك " رئيس موظفي القصر الملكي، وأرسل معه كتابا إلى الخليفة هشام الثالث آخر الخلفاء الأمويين بالأندلس جاء فيه "... وقد سمعنا عن الرقي العظيم الذي تتمتع بفيضه الصافي معاهد العلم، والصناعات في بلادكم العامرة، فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج من هذه الفضائل؛ لتكون بداية حسنة في اقتفاء أثركم لنشر أنوار العلم في بلادنا التي يحيط بها الجهل من أركانها الأربعة... "[٦]. ــ في عهد ملوك الطوائف في الأندلس كانت توفد إلى معاهد غرناطة، وأشبيلية، وغيرهما بعثات من فرنسا، وإيطاليا، والأراضي الواطئة؛ لتنهل من الحضارة العربية، وكان طلاب هذه البعثات يعجبون بالحياة العربية وتقاليدها وثقافتها حتى أن بعضهم اعتنق الإسلام وفضل البقاء بالأندلس و لم يعد إلى بلاده. ــ كانت مدينة طليطلة بعد سقوطها في أيدي المسيحيين سنة ٤٨٧ هـ المركز الرئيسي لحركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية، وقد أنشأ " ريموند " رئيس أساقفتها مكتبا للترجمة، وكان المستعربون من أهل الأندلس أكبر المساهمين في حركة الترجمة [٧]. ــ ترتب على هذه الحركة وجود ثورة علمية وفكرية هائلة في غرب أوروبا[٨] ففي علم الحساب مثلا عرفوا نظام الأعداد الهندية عن العرب، وهو النظام الذي تتغير فيه قيمة الـرقم بنقله من خانة الآحاد إلى خانة العشرات أو المئات أو الآلاف وما بعدها بدل الأرقام الرومانية التي كانت عملياتها الحسابية تتطلب منهم وقتا طويلا. ــ شجع البابا "سلفتر " الثاني على ترجمة كثير من المؤلفات العربية إلى اللاتينية وبخاصة ما يتعلق منها بعلم الجغرافيا. ــ عرف الأوروبيون علم الجبر- لأول مرة- عن العرب، كما نقلوا عنهم علوم الهندسة والفلكَ والطبيعة والكيمياء والطب والفلسفة، وكثيرا من أنواع فــروع المعرفة المختلفة. ــ سلكت الفنون الإسلامية سبيلها إلى أوربا عن طريق الأندلس مثل صناعة الخزف والنسيج، والتعدين، وصناعة المعادن، والنجارة، والتطعيم بالعاج وغيرها من الصناعات[٩]. ــ ساعدت سياسة التسامح تجاه أهل الذمة على إقبال المستعربون[١٠] من الأسبان على استخدام اللغة العربية بل وفضلوها على اللاتينية، وعن طريق هؤلاء الذين جمعوا بين معرفة اللغة العربية واللغة اللاتينية الحديثة نقلت حضارة العرب إلى الإمارات الشمآلية في شبه جزيرة أيبريا. ــ تتلمذ كثير من اليهود علي يد الأساتذة العرب فنشأت مدرسة من غير المسلمين لعب أعضاؤها دور السفراء بين الحضارة الإسلامية وغرب أوربا، وقام اليهود بدور بارز في حركة الترجمة[١١] ــ بعد جيل من الفتح تكوَّن من المسلمين العرب والأسبان عنصرٌ جديدٌ عرف "بالمولدين" وهم الذين ولدوا من آباء عرب وأمهات أسبانيات، وعلى مرّ الزمن كثر عدد هؤلاء حتى أصبحوا يكونون أغلب سكان الأندلس. ــ وصلت الحضارة العربية في الأندلسي إلى درجة عالية من الازدهار، وبخاصة في القرن الرابع الهجري؛ حيث كانت مدينة قرطبة العاصمة تضم مائة وثلاثة عشر ألف مسكن ووأحد وعشرين ضاحية، وكان بها سبعون دارا للكتب، وعدد لا يحصى كثرة من الحوانيت كما كان بها كثير من المساجد، وكان أغلب شوارعها مرصوفةً ومضاءة[١٢] وكانت بقية المدن صورة مصغرة من العاصمة. ــ كثير من مؤلفات اليونانيين ترجم إلى السريانية والعبرية أولا فالعربية بعد ذلك، و لم يعثر غرب أوربا على جزء كبير من هذا التراث إلا في تلك التراجم[١٣]. ــ لم يكتف الغرب بالمادة اليونانية التي قدمها له المسلمون في ترجمتها العربية، بل كان أكثر تلهفا على الشروح التي وضعها علماء المسلمين لهذه المادة. ▪ صقلية	

المحتوى الدراسي	البنود التي تعكس الدور الحضاري للغة العربية	أبعاد الدور الحضاري للغة العربية
	ــ لم يكن استيلاء النورمانديين على الجزيرة آخر عهد العرب بها، بل ظلوا بعد زوال الحكم العربي يقيمون فيها، وقد اعتمد حكامها النورمانديون على العناصر العربية في الشئون السياسية، والاقتصادية؛ لأنهم كانوا على جانب كبير من الخبرة والحضارة والرقي، كما كانوا عناصر نشيطة ومنتجة. ــ كان "روجر الثاني" يرتدى الملابس العربية ويطرز رداءه بحـــروف عربية وقد نقش على سقف كنيسته التي بناها في مدينة "بارمو" نقوشا بالخط الكوفي. وكان الإدريس الجغرافي الرحالة، وأعظم رسامي الخرائط، محببا إليه مقربا عنده، وقد شجعه الملك على بحوثه الجغرافية وقدم له كل مساعدة وبذل له من المال ما مكنه من إرسال الرسل إلى كثير من الأقاليم؛ لإمداده بالمعلومات الجغرافية عنها. ــ كان الملك "وليم" يعتمد على العرب فيقربهم إليه ويثق فيهم، وقد عبر عن ذلك الرحالة بن جبير في حديث له عن الملك بقوله: "... إنه عجيب في حسن السيرة واستعمال المسلمين، وإنه لكثير الثقة بهم، وساكن إليهم في أحواله، والمهم من أشغاله، وله منهم الأطباء، والمنجمون وهو شديد الحرص عليهم"(١٤). ــ الإمبراطور "فردريك الثاني" الذي ولد بصقلية وتربى بها، وتعلم فيها؛ فنشأ محبا للعلوم العربية كان يحسن التكلم باللغة العربية. وقد أفاض المؤرخون العرب والأوربيون في وصف حبه للمسلمين، وإعجابه بعلومهم، وحضارتهم، وأخلاقهم، وتقريبه لهم واستخدامهم في حاشيته حتى أن الموذنين المسلمين كانوا يؤذنون عند موعد كل صلاة في معسكره(١). ــ قامت بين الإمبراطور "فرديك الثاني" وبين السلطان الأيوبي الكامل محمد صداقة متينة، وكانا يتبادلان السفارات والهدايا. فتذكر المصادر التاريخية أن السلطان الكامل أرسل هدية إلى الإمبراطور، كان من بينها زرافة كانت أول زرافة دخلت أوربا، وأن الأشراف الأيوبي صاحب دمشق أرسل إليه جهازا عجيبا للكواكب ، وأن الإمبراطور أرسل هدايا لكل من الكامل والأشرف منها دب أبيض وطاووس أبيض أعجبا أهل القاهرة ودمشق، كما أعجبت الزرافة وجهاز الكواكب أهل صقلية(٢). ــ ظل العرب يحتفظون بضياعهم وأموالهم ومتاجرهم ومصانعهم في الجزيرة، ويزاولون نشاطهم الزراعي والتجاري والصناعي بحرية تامة، كما ظلت اللغة العربية شائعة في الجزيرة، وكان ملوك النورماند يحسنون التكلم بها ويطربون لأدبها وشعرها. ويظهر أن استعمالها استمر إلى أواخر القرن التاسع الهجري؛ ويؤيد ذلك شواهد القبور التي عثر عليها علماء الآثار حديثا سواء كانت قبور مسلمين أم قبور مسيحيين. ــ ترك العرب في جزيرة صقلية كثيرا من عاداتهم وتقاليدهم، التي لا تزال باقية حتى الآن، كما تركوا ألفاظا عربية كثيرة في اللغة الصقلية والإيطالية. ولا تزال مدن كثيرة في الجزيرة تحمل أسماء عربية. وفي مدينة بارمو مبنيان عظيمان من مباني العرب أحدهما قلعة العزيزة والآخر قصر القبة. ــ ازدهرت الحضارة الإسلامية في الجزيرة نحو ستة قرون من الزمن ، وقد خرّجت صقلية العربية عددا غير قليل من المحدثين والفقهاء والنحويين والأدباء والمؤرخين والجغرافيين والأطباء والفلاسفة. نذكر منهم على سبيل المثال أسد الدين بن الحارث، صاحب كتاب الأسديات في الفقه، والقاضي ميمون بن عمر، وابن حمد يس الصقلي الشاعر المبدع، والشريف الإدريسي الجغرافي المحقق، والحسن بن يحي المعروف بابن الخزاز صاحب تاريخ صقلية، وعيسى بن عبد المنعم، وكان من أهل العلم بالهندسة والنجوم والحكمة، وأبو عبد الله الصقلي الفيلسوف وغيرهم كثير. ــ أنشأ العرب في مدينة بالرمو، عاصمة صقلية، أول مدرسة للطب في أوربا، وعن طريقها انتشر الطب في إيطاليا، وسائر أرجاء القارة. ▪ **بلاد الشام ومصر (أثناء الحروب الصليبية):** ــ نقل أحد علماء مدينة بيزة الكتاب الطبي المشهور "كامل الصناعة الطبية" لعلي بن العباس. ــ ترجم فيليب الطرابلسي مخطوطا عربيا في الفلسفة والأخلاق يسمى "سر الأسرار" يقال إن أرسطو ألفه لتلميذه الإسكندر المقدوني. ــ اهتم الأوروبيين بتعلم اللغة العربية؛ لأنهم وقد فشلوا في نشر الديانة المسيحية بحدّ السيف رأوا أن تعلم اللغة العربية يمكنهم من التخاطب مع الشرقيين ونشر المسيحية بينهم باللين والإغراء(٣). ــ لم تعرف أوربا إنشاء المستشفيات ومعالجة المرضى قبل الحروب الصليبية؛ مما يرجح أن هذا النظام منقول عن الشرق الإسلامي، بعد أن شاهد الأوروبيون المستشفيات فيه أثناء الحروب الصليبية، كما يرجح أيضا أن نظام الحمامات العامة الذي انتقل إلى أوروبا بعد الحروب الصليبية منقول كذلك بواسطتها. ــ تعلم الصليبيون من المسلمين استخدام حمام الزاجل في نقل الأخبار الحربية(٤) كما اقتبسوا منهم الاحتفال بالانتصارات بإشعال النيران، ولعبة الفروسية المعروفة باسم "الجريد"، وكذلك نقلوا عنهم اتخاذ الشعارات ونقشها على	

المحتوى الدراسي	البنود التي تعكس الدور الحضاري للغة العربية	أبعاد الدور الحضاري للغة العربية
	الأسلحة والخوذات، وكان اتخاذ الشعارات معروفا عند المسلمين، فقد كان صلاح الدين يلبس خوذة عليها رسم النسر، وكانت خوذة الظاهر بيبرس على شكل أسد كخوذة ابن طولون من قبل، و لم يكن ذلك معروفا في أوروبا قبل الحروب الصليبية. ـــ وفي مجال الزراعة والصناعة والتجارة نقل الصليبيون العائدون إلى أوروبا كثيرا من النباتات وأشجار الفواكه مثل السمسم والبصل والأرز والبطيخ والبرقوق والليمون، كما حملوا معهم حين عودتهم البسط والسجاجيد والمنسوجات، وبدأت تظهر في أوروبا مصانع الآنية والبسط والأقمشة تقليدا للمنتجات الشرقية، ووجدت سوق أوروبية جديدة للمنتجات الزراعية الشرقية، والسلع الصناعية مما ساعد على نشاط التجارة الدولية التي كانت قد ركدت منذ سقوط الدولة الرومانية الغربية في القرن الخامس الميلادي(٥) ـــ انتقلت كثير من الكلمات العربية إلى لغاتهم الأجنبية كأنواع الأقمشة التي مازال الكثير منها تحتفظ بأصلها العربي في اللغات الأوربية ، منها الحرير الدمشقي Damaskas، و Muslin نسبة إلى مدينة الموصل ، و Fustianنسبة إلى مدينة الفسطاط ، ومن العقاقير التي احتفظت بأسمائها العنبر Amber والكافور Kampfer ، والتمر هندي Tamarinda(٦)، أضف إلى ذلك الليمون Lemon، والبرتقال أو النارنج Orange، وقصب السكر Sugar Cane، وهناك بعض المصطلحات التجارية التي ما تزال تستخدم في أوربا مثل Tairiffويقصد بها التعريفة الجمركية، والصك Cheque أو الشيك، والحوالة Avalوغيرها من الألفاظ(٧) ـــ ـــ تأثر الأدب الشعبي بالحروب الصليبية فقد كشف تحليل بعض حكايات ألف ليلة وليلة التي تتعلق بالحروب الصليبية عن شعور مفعم بالكراهية والمرارة التي علقت بالوجدان الشعبي تجاه الفرنج ونصارى الغرب من جراء الحروب الصليبية ، وتجلت هذه الكراهية في السخرية من إدعاءات الفرنج واتهامهم بالكذب على المسيح ، ولقد استحق الفرنج عداء العرب والمسلمين عن جدارة بسبب مذابحهم الشنعاء وعدوانهم المستمر والمتكرر على المنطقة العربية واستهانتهم بكل المقدسات الإسلامية والمسيحية الشرقية واليهودية(٨).	
سادسا– موجات العدوان الداخلي والخارجي على العالم الإسلامي	ـــ اللغة العربية أحد عوامل تماسك الأمة أمام موجات العدوان الداخلي والخارجي. ـــ موقف الاستعمار الغربي من اللغة العربية (أمثلة ومقارنات بين مصر وبلاد الشام والمغرب العربي). ـــ القومية العربية كحركة تدعو لتمجيد العرب وقيام دولة على أساس رابطة الدم واللغة والتاريخ المشترك. ـــ الطورانية ونظرتها للإسلام واللغة العربية باعتبارها كيان غريب وطارئ على القومية التركية. ـــ المدارس والجامعات الأجنبية في العالم العربي ودورها في التنصير وسعيها لتخريب اللغة العربية.	
سابعا ـــ حاضر العالم الإسلامي تعريب العلوم والتقنية	ـــ انسحاب المسلمين من ميدان صناعة الحضارة وأثره على اللغة العربية. ـــ الفجوة الحضارية بين الشرق والغرب ودور اللغة في تجاوزها عن طريق الترجمة والتعريب. ـــ هل تعريب العلوم طوق نجاة أم عامل عزلة لعدم قدرة حركة الترجمة والتعريب على مواكبة التطور في العلوم.	

ثالثا– أساليب واستراتيجيات التعليم والتعلم:

ـــ الأحداث الجارية.

ـــ القراءات الخارجية.

ـــ الاستقصاء.

ـــ التعلم التعاوني.

رابعا– الوسائل التعليمية ومصادر التعلم:

ـــ النصوص التاريخية والمصادر الأصلية.

ــ المواقع الإلكترونية "مثل موقع قصة تاريخ الإسلام..وغيره".

ــ الرسوم التوضيحية واللوحات التنظيمية.

ــ الخرائط التاريخية.

خامسا– الأنشطة التعليمية:

ــ البحوث القصيرة.

ــ الندوات.

ــ مجلات الحائط، والصفحات الإلكترونية.

ــ المذكرات اليومية.

سادسا– التقويم:

ــ الاختبارات التحصيلية لقياس المستوى التحصيلي للطلاب قبل وأثناء وبعد دراسة الوحدة.

ــ اختبارات مهارات لقياس المستوى المهاري للطلاب في إصدار الأحكام، وإبداء الرأي، وتقويم الدليل، والاستنتاج وعمل المقارنات، والاشتراك في الفعاليات المختلفة أثناء دراسة الوحدة وبعدها.

ــ مهام الأداء.

ــ مقياس الاتجاه نحو اللغة العربية.

توصيات البحث:

في ضوء النتائج السابقة التي أسفر عنها البحث أمكن الكشف عن بعض القصور في محتوى منهج التاريخ للصف الثاني الثانوي فيما يخص تجسيد الدور الحضاري للغة العربية، ومن ثم فقد قدم البحث تصورا لوحدة مقترحة في الحضارة الإسلامية، كما يوصي البحث بضرورة:

١ــ تطوير مناهج التاريخ بالمرحلة الثانوية لمواجهة الأدوار المتجددة لهذه المناهج بما يواكب قضايا العصر بحيث يكون لها دور فاعل في التحصين الثقافي للأجيال الجديدة.

٢ــ مراعاة الصلات العضوية المهمة التي تربط بين المناهج الدراسية المختلفة، ومعالجة ما تعانيه مناهجا من انفصال وعزلة مصطنعة في ظل منهج المواد الدراسية المنفصلة التي أثرت بالسلب على وظيفية هذه المناهج ودورها الفاعل في حياة المتعلم.

٣ــ تفعيل دور مناهج التاريخ في المحافظة على الثوابت الثقافية للمجتمع الإسلامي، وفي مقدمتها الاعتزاز باللغة العربية، والمحافظة عليها، والتمسك بها، ودعمها.

٤ــ التأكيد من خلال المناهج الدراسية على أن استئناف اللغة العربي لدورها الحضاري يرتبط إلى حد بعيد باسئناف العرب لدورهم الفاعل في صنع الحضارة، والذي توقف لقرون.

٥ــ إعادة النظر في فلسفة تدريس التاريخ في المرحلة الثانوية بحيث يركز على القضايا المعاصرة، ويعمل على كشف جذورها التاريخية؛ بما يمهد

الطريق لمناقشتها مناقشة جادة، والعمل على حلها.

٦ـــ التأكيد على تفعيل دور المنظمات العربية والإسلامية في معالجة القضايا والتحديات التي تواجه العالم الإسلامي، ومن بينها ما تتعرض له اللغة العربية من ضربات في أوطانها وبين أهلها.

٧ـــ أهمية النشاط المصاحب لاستثمار الطاقات التي يتميز بها طلاب المرحلة الثانوية، مع وجوب أن تتناسب تلك الأنشطة مع روح العصر ومعطياته.

٨- التأكيد في مناهج التاريخ على عالمية الحضارة وعدم إنفراد أمة أو شعب بصنعها، وكيف أن المسلمين الأوائل كانوا واعين تماما لذلك مما انعكس على موقفهم من تراث الحضارات السابقة على الإسلام، وكذلك عندما خبا ضوء الحضارة الإسلامية، والدور الذي لعبته اللغة العربية في التواصل الحضاري.

مقترحات ببحوث أخرى:

١ــ تطوير مناهج التاريخ في المرحلة الثانوية في ضوء متطلبات نهضة العالم الإسلامي.

٢ــ برنامج مقترح لتنمية بعض مهارات تدريس التاريخ لدى معلم المرحلة الثانوية في ضوء متطلبات تنمية الرؤية الحضارية.

٣ــ فعالية استخدام بعض استراتيجيات التدريس في تعليم التاريخ على تنمية إدراك طلاب المرحلة الثانوية لجوانب الحضارة الأسلامية واتجاهاتهم نحوها.

المراجع:

١ ــ ابن تغري بردي (جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** ، مكتبة المجلس العلمي علي شبكة الإنترنت.

٢ ــ ابن جبير، **رحلة**، تحقيق حسن نصار، مصر، ١٩٥٥.

٣ ــ ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون)، **المقدمة**، القاهرة، ١٣٢٢هـ.

٤ ــ ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر بن خلكان)، **وفيات الأعيان** وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت: دار صادر، ١٩٩٤.

٥ ــ إحسان هندي، العولمة وأثرها السلبي على سيادة الدول، **معلومات دولية**، مركز المعلومات القومي في الجمهورية العربية السورية، السنة السادسة، العدد ٥٨، دمشق، ١٩٩٨، ص٦٥

٦ ــ أحمد بن محمد الذبيان، حنين بن إسحق وآثاره المطبوعة، **عالم الكتب** مج١٦،ع٢، شوال ١٤١٥هـ / مارس ــ أبريل ١٩٩٥م ، ٢٠٣.

٧ ــ أحمد سليم سعيدان، تعريب العلم والتفكير العلمي في العصور الإسلامية الأولى، **التربية**، قطر، س٢٠، ع٩٧، يونيو ١٩٩١، ص ٢١٥ــ٢٢٩.

٨ ــ أحمد علي محمد ، حركة الترجمة والنقل في العصر العباسي وأثرها في الفكر العربي الإسلامي، **التربية**، قطر، س٢٤، ع١١٥، ص١٨٣ــ١٩٠.

٩ ــ إدارة الثقافة، جامعة الدول العربية، **الخطة القومية الشاملة للثقافة**

العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ١٩٩٠.

١٠ ــ الأب رفائيل نخلة إليسوعي **غرائب اللغة العربية** بيروت:المكتبة الشرقية ، ١٩٥٩.

١١ ــ المقري (أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني المالكي)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، المكتبة الأزهرية ، ج ١.

١٢ ــ المقريزي، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، موقع الوراق:

http://www.alwarraq.com

١٣ ــ آنخل جنثالث بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلسي**، ترجمة وتحقيق حسين مؤنس، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٥.

١٤ ــ أنور الجندي، **الفصحى لغة القرآن** دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٢.

١٥ ــ أنيس الأبيض، كلام على الدور التاريخي والحضاري للثقافة العربية الإسلامية ، **الحياة السعودية** ، السبت، ١٢ فبراير ٢٠١١.

١٦ ــ جان لوي كالفيه ، المستخدمون هم أصحاب الاختيار، **رسالة اليونسكو** ، إبريل ٢٠٠٠، ص ص ٣٥ــ ٣٦.

١٧ ــ جلال الدين السيوطي، **حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة**، مكتبة مشكاة الإسلامية على الإنترنت.

١٨ ــ جمال علي خليل الدهشان، الجديد في تطوير التعليم الجامعي، **مؤتمر التعليم العالي في مصر وتحديات القرن الحادي والعشرين**، جامعة المنوفية، مركز إعداد القادة بالجهاز المركزي للتنظيم والإدارة، مدينة نصر القاهرة،

مايو ١٩٩٦، ص ص ١٨٧ــ ٢٠٩.

١٩ ــ جوستاف جروينباوم، حضارة الإسلام، ترجمة عبد العزيز جاويد، القاهرة ، ١٩٥٦، ص ٤١.

٢٠ ــ جيرار تروبو، دور السريان في نقل التراث الفلسفي والعلمي إليوناني إلى العرببية والاستفادة منه، ترجمة وتعليق محمد خير البقاعي، **عالم الكتب**، ع ٤، مج١٤، محرم ــ صفر ١٤١٤هــ / يوليو ــ أغسطس ١٩٩٣م ، ص ٤١٣.

٢١ ــ حلمي أحمد الوكيل، محمد أمين المفتي ، أسس بناء المناهج وتنظيماتها ، عمان:دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، الطبعة الرابعة، ١٤٣٢هــ / ٢٠١١م ، ص ١٢٨.

٢٢ ــ رشدي طعيمة، العولمة ومناهج التعليم العام، في محمود كامل الناقة (محرر) "**العولمة ومناهج التعليم** " المؤتمر القومي السنوي الحادي عشر، الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس، ديسمبر ١٩٩٩ ، ص ٢٢ــ ٦١، ص ٣٥.

٢٣ ــ رشدي طعيمة، **تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية: مفهومه، أسسه، استخداماته** ، القاهرة:دار الفكر العربي، ١٩٨٧.

٢٤ ــ رولاند ج. ل. بريتون، حرب اللغات:هل يمكن إنزال الإنجليزية عن عرشها ؟، **رسالة اليونسكو**، السنة الواحدة والخمسون، إبريل ٢٠٠٠، ص ص ٢٣ــ٢٤.

٢٥ ــ زيغريد هونكه، **شمس العرب تسطع على الغرب أثر الحضارة العربية على أوربة**، ترجمة فاروق بيضون ، كمال دسوقي، مراجعة مارون عيسى الخوري، بيروت: دار الجيل ودار الأفاق الجديدة ، ١٩٦٣.

٢٦ ـــ سعد عبد الله البشري، ترجمة الكتب العربية في الطب والرياضيات والفلك خلال القرنين السادس والسابع الهجريين، الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، **مجلة جامعة أم القرى**، السنة الأولى العدد الثاني، ١٤٠٩هـــ، ص ٩٣ـــ ١٢٩.

٢٧ ـــ سعيد عاشور، أوربا العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٦٣، ج٢.

٢٨ ـــ صبحي الصالح، **دراسات في فقه اللغة**، بيروت:دار العلم للملايين، الطبعة السادسة ، ٢٠٠٤.

٢٩ ـــ عبد العلي الودغيري (مترجم) **الفرنكفونية والسياسة اللغوية والتعليمية الفرنسية بالمغرب**. منشورات العلم، السلسلة الجديدة ـــ ٧، الرباط: الشركة المغربية للطباعة والنشر، ط ١، ١٩٩٣م.

٣٠ ـــ عبد الله العشي، الترجمة إلى العربية من منظور حضاري، **مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية لجامعة باتنة** ، عدد ٢ ، ١٩٩٤م، ص ٦٧ ـــ ٧٧.

٣١ ـــ عبد المنعم ماجد ، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٨م.

٣٢ ـــ عبده زايد، اللغة العربية والبعث الحضاري العربي الإسلامي ، مقال على شبكة الإنترنت:

http://www.khayma.com/almishkat/Num/Num٤٣_٤٤/Maqal٤٣/M١.htm

٣٣ ـــ علي الخربوطلي: **العرب والحضارة**، القاهرة، ص ٣١٣.

٣٤ ـــ علي السيد علي محمود، العلاقات الثقافية بين المسلمين والفرنج من منظور حضاري، **التربية**، قطر، س٣٠، ع١٣٧/ ١٣٨، سبتمبر ٢٠٠١،

ص ١٧٥ــ٢١٩.

٣٥ ــ علي بن إبراهيم النملة، مراكز الترجمة القديمة عند المسلمين، الرياض مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

٣٦ ــ فتح الله خليف، ترجمة التراث اليوناني وأثرها على الحضارة الإسلامية، **حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية**، قطر، ع ١٢، ١٩٨٩، ص ٢٤٥ــ ٢٦٣.

٣٧ ــ فليب حتى، **تاريخ العرب**، القاهرة: مطبعة وادي النيل، ١٩٤٨، ثلاث أجزاء.

٣٨ ــ قاسم عبده قاسم، الحروب الصليبية في ألف ليلة وليلة، **ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط**، دار المعارف، ١٩٨٥، المجلد الثالث، ص ٢٥٧.

٣٩ ــ كارلوس أندريد، الفائزون والخاسرون، **رسالة اليونسكو**، أبريل ٢٠٠٠، ص ص،٢٠ــ٢٢، ص٢٠

٤٠ ــ محمد أمين المفتي، توجهات مقترحة في تخطيط المناهج لمواجهة العولمة، في محمود كامل الناقة (محرر) "**العولمة ومناهج التعليم** " المؤتمر القومي السنوي الحادي عشر، الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس، ديسمبر ١٩٩٩، ٩١

٤١ ــ محمد أمين توفيق ، قضايا اللغة العربية وتحدياتها في القرن الحادي والعشرين:اللغة العربية مسموعة ومرئية، **التربية**، التربية، قطر، س ٢٩، ع ١٣٤/ ١٣٣، ٢٠٠١، ص ٣٣٧ــ ٣٤٧

٤٢ ــ محمد عباسة، الترجمة في العصور الوسطى ، **مجلة حوليات التراث**، جامعة مستغانم، الجزائر ، ع ٥، ٢٠٠٦ م ، ص ص ١ــ ٩.

٤٣ ــ محمود محمد سفر، **الحضارة...تحد**، دار تهامة للنشر ، ١٤٠١هــ.

٤٤ ــ محمود محمد سفر، منظور حضاري لقضايا الترجمة، المؤتمر الثاني للوزراء المسؤولين عن التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي، تونس ١٩٨٤، ص ١٤٥ ــ ١٦٠.

٤٥ ــ محي الدين صابر، الأبعاد الحضارية للتعريب ، **ندوة التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي والوحدة العربية**، تونس: مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٨١، صص٦٩ــ٩٥.

٤٦ ــ نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، **سلسلة عالم المعرفة**، العدد رقم ١٨٤، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠٠١، ص ٢٣٨.

٤٧ ــ هل، **الحضارة العربية**، ترجمة العدوي، القاهرة.

فهرس المحتويات

دور اللغة في تشكيل الشخصية والهوية والبناء المعرفيّ

إعداد

رائد جميل محمّد عكاشة

مقدّمة:

الشخصيّة الإسلاميّة شخصيّة متفرّدة في التّاريخ، فهي تسير وفق منهاج ربانيّ مترّل من السّماء، قدوتها وقائدها محمّد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. وهي الشّخصيّة الّتي عبّر عنها ربعي بن عامر حين قال لكسرى ملك الفرس: (أمرنا أن نخرج النّاس من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدّنيا إلى سعة الآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام).

إنّ الأمّة الإسلاميّة تعيش في ظروف موضوعيّة تجعلها قابلة للانصهار في التّكوينات المعرفيّة المتنوّعة، فالغزو الفكريّ يكاد يضيع شخصيّتها، والغزو العسكريّ يكاد يحاصرها، والغزو السّياسيّ قوقعها في ذاتيّة قميئة، والغزو الاقتصاديّ جعلها سوقاً مستهلكاً، نهب ثرواتها وأفقر شعوبها. ولعلّ ذلك كلّه يدعو الأمّة الإسلاميّة إلى البحث عن شخصيّتها في محاولةٍ لفهم سيرورة النّهوض الحضاريّ لهذه الأمّة. والهدف النّهائيّ أو الغائيّ من العقيدة والفكر والتّربية والثّقافة، كامن في بناء إنسان متميّز عن غيره من أبناء المجتمعات الأخرى؛ عقيدةً وفكراً وسلوكاً؛ لتقام من خلاله حضارة فكريّة وماديّة متميّزة عن غيرها من الحضارات.

تبحث هذه الدّراسة في دور اللّغة في تشكيل الشّخصيّة الإنسانيّة عامّة والعربيّة الإسلاميّة خاصّة؛ إذ يمثّل الإسلام واللّغة ركنيْن أساسيَيْن في تشكيل الشّخصيّة والهويّة، وكلاهما متناسق مع الآخر، فاللّغة العربيّة الوسيلة الأساسيّة لفهم الإسلام، وهي شرط أساسيّ لازم للتّفقّه في شريعته وإدراك مقاصده العليا، واستنباط الأحكام الفرعيّة العمليّة من أصوله. وتتفحص

الدّراسة كذلك موقع الهوية في البناء المعرفيّ والفكريّ للأمّة، وتعالق اللّغة مع هذه الهوية. وتنبع هذه التّساؤلات من وعينا بأهميّة اللّغة في تكوين الهوية والذّات، فنحن الأمّة الوحيدة في العالم الّتي تتحدّث لغة كتابها المقدّس، تلك اللّغة عينها منذ ما يقرب من ألف وخمسمائة عام. ولا تزال لغتنا قادرة على الصّمود والبقاء، على الرّغم ممّا تتعرّض له من هجمات عاتية. وكما أثبتت الفلسفة التّحليليّة المعاصرة، والدّراسات اللّغويّة المتقدّمة، والعلوم المعرفيّة الإدراكيّة أنّ اللّغة ليست محض وسيلة للتّواصل والتّعبير، مثل صيحات الحيوان وإشاراته، ولا هي وعاء للمعنى فحسب، كما تكون الأقفاص أو الأكياس وعاء للفاكهة. بل اللّغة لُحمة في نسيج التّفكير وخامة من خامات الوعي، وأهمّ عوامل تشكّل الشّخصيّة والهوية والقوميّة. إنَّ اللّغة هي الهوية وهي الذّاتيّة وهي الأنا، ويصدق هذا على الفرد وعلى الجماعة على حدّ سواء. وسيتشكّل البحث من مفردات عديدة منها: علاقة اللّغة بالإسلام، واللّغة والهوية، وأهميّة اللّغة في تشكيل الشّخصيّة، واللّغة القوميّة أو اللّغة الأمّ، واللّغة الأجنبيّة، واللّغة والثّنائيّة، واللّغة والازدواجيّة، والسّياسة اللّغويّة ودورها في بناء الذّات، وما هي اللّغة المناسبة للخطاب المعاصر.

أولاً: نظرة القدماء إلى علاقة اللّغة بالإسلام (عقيدة وشريعة):

أدرك سلف هذه الأمّة دلالة ارتباط العربيّة بالإسلام؛ فالعربيّة عندهم كادت تكون مرادفةً للإسلام، وهما معًا يشكّلان خاصيّة المسلم وهويّته، فحين سأل أبو جعفر المنصور مولى لهشام بن عبد الملك عن هويّته قال المولى: "إن

كانت العربيّة لسانًا فقد نطقنا به، وإن كانت دينًا فقد دخلنا فيه".[١]

يُعدّ إتقان قواعد اللّغة وفروعها وتطبيقاتها من أهمّ الشّروط اللاّزمة للمفسّر والمحدّث والأصوليّ والفقيه المجتهد للفهم الصّحيح للإسلام، ولحسن فهم مقاصده، ولضمان سهولة التّخاطب والتّفاهم بين أفراد الأمّة الإسلاميّة. ومن أراد فهم مقاصد الشّارع، أو استنباط أحكامه، أو تفسير آية أو حديث، ولم يكن عالماً بالعربيّة؛ فإنّه قد يضلّ الطّريق في فهمه للمقاصد وحكمه وتفسيره. كتب سيّدنا عمر بن الخطاب -رضي الله تعالى عنه- إلى أبي موسى الأشعريّ: "أمّا بعدُ فتفقّهوا في السّنّة، وتفقّهوا في العربيّة، وأعرِبوا القرآنَ؛ فإنّه عربيّ، وتعلّموا العربيّة فإنّها من الدّين".[٢]

ففي توجيه عمر بن الخطاب -رضي الله تعالى عنه- أمران: الأول: الدّعوة إلى فقه العربيّة، والثّاني: الدّعوة إلى فقه الشّريعة؛ لأنّ الدّين فيه فقه أقوال وأعمال، ففقه العربيّة هو الطّريق إلى فقه الأقوال، وفقه الشّريعة هو الطّريق إلى فقه الأعمال.

وثمّة أقوال كثيرة تكشف عن أهميّة إتقان اللّغة، والتّعرّف على

---

١ انظر النص في: الدوري، عبد العزيز. التّكوين التّاريخي للأمّة الإسلاميّة: دراسة في الهويّة والوعي، بيروت، ١٩٨٤، ص١٩. (من الإنصاف القول: إنني اعتمدت في هذا الفصل على بحث مخطوط للدكتور أبي سعيد عبد المجيد الموسوم بـــ: أهمية اللّغة العربيّة في إدراك مقاصد الشّريعة.

٢ ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمّد. المصنف، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٤م، أحايث الأحكام، ص١٣٠.

أسرارها، لما يتيحه من تنظيم للفكر، وتأثير في المتلقّي، ومنها:

قال عمر رضي الله عنه: "لأنْ أقرأ فأُخْطِئَ أحبُّ إلى من أن أقرأَ فألحنَ؛ لأنّني إذا أخطأت رجعت، وإذا لحنت افتريت."[١]. وقال أبو بكر وعمر -رضي الله تعالى عنهما-: "لَبَعض إعراب القرآن أحبّ إلينا من حفظ حروفه"[٢]. وقال عمر لقوم رموا فأساؤوا الرّمي فقال: بئس ما رميتم. فقالوا: إنّا قومٌ متعلّمين فقال: والله لَخطؤكم في لسانكم أشدُّ من خطئكم في رميكم. سمعت رسول الله -صلى الله تعالى عليه وسلم-: يقول: "رحم الله امرأً أصلح من لسانه"[٣].

ويقول الإمام الشّافعيّ: "فعلى كلّ مسلم أن يتعلّمَ من لسان العرب ما بلغه جهده حتى يشهد به أن لا إله إلا اللهُ وأنّ محمّدا عبده ورسولُه ويتلو به كتاب الله، وينطق بالذّكر فيما افترض عليه من التّكبير وأمر به من التّسبيح والتّشهّد وغير ذلك"[٤].

ويقول ابن تيمية -رحمه الله تعالى-: "واعلم أنّ اعتيادَ اللّغة يؤثّر في العقل والخلق والدّين تأثيرًا قويًّا بيّناً، ويؤثّر أيضاً في مشابهة صدر هذه الأمّة

---

١ الزّجاجيّ، أبو القاسم. الإيضاح في علل النّحو، تحقيق: مازن المبارك، ط٦، ١٩٩٦، ص٩٦.

٢ القرطبيّ، أبو عبد الله. الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التّركيّ، ط١، مؤسّسة الرّسالة، باب ما جاء في إعراب القرآن.

٣ الحموي، ياقوت. معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار الفكر، ١٩٨٠، ج١، باب فضل الأدب وأهله.

٤ الشّافعيّ، محمّد بن إدريس. الرسالة، تحقيق: أحمد شاكر، بيروت: دار الكتب العلميّة، ج١، ص٤٢.

من الصّحابة والتّابعين. ومشابهـــتهم يزيد من العقل والدّين والخلق، وأيضاً فإنّ نَفَسَ اللّغة العربيّة من الدّين، ومعرفتها فرض واجب، فإنّ فهم الكتاب والسّنّة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللّغة العربيّة، وما لا يتمّ الواجب إلاّ به فهو واجب"[١]. ويقول أيضًا: "اللّسان العربيّ شعارُ الإسلام وأهله، واللّغات من أعظم شعائر الأمم الّتي يتميّزون بها"[٢].

يقول الإمام الغزالي عمّن يتعامل مع علم أصول الفقه: "لو لم يعلم توسّع العرب في مخاطبتها لعيّ بكثير من علم محكم الكتاب والسّنّة"[٣].

ويُكثر الإمام الشّاطبيّ من التّأكيد على أهمّيّة احترام قواعد اللّغة العربيّة والتزامها في فهم مقاصد النّصوص؛ لأنّ "لسان العرب هو المترجم عن مقاصد الشّارع"[٤]. ويقول أيضا: "إّن الشّريعة عربيّة، وإذا كانت عربيّة فلا يفهمهما حقّ الفهم إلاّ مَنْ فّهِمَ العربيّة حقَّ الفهم؛ لأنّهما سيان في النّمط، ما عدا وجوه الإعجاز؛ فإن فرضنا مبتدئًا في فهم العربيّة؛ فهو مبتدئ في فهم الشّريعة، أو متوسّطًا، فهو متوسّط في فهم الشّريعة،

---

١ ابن تيمية، أبو العباس تقي الدّين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السّلام الحراني. اقتضاء الصّراط المستقيم، تحقيق: عصام فارس الحرستانيّ ومحمّد إبراهيم الزّغليّ، بيروت: دار الجيل، ١٩٩٣م، ص ٢٠٧.

٢ المصدر نفسه: ١: ٢٠٣.

٣ الغزإلى، أبو حامد. المنخول من تعليقات الأصول، تحقيق: محمّد حسن هيتو، ط١، دمشق: دار الفكر ١٩٨٠م، ص٤٦٣، والمزهر،١: ٥.

٤ الشّاطبيّ، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى. الموافقات في أصول الشّريعة، تحقيق: محمّد عبد الله دراز، ط١، مصر: المكتبة التجارية الكبرى، ج٤، ص٣٢٤.

والمتوسّط لم يبلغ درجة النّهاية؛ فإن انتهى إلى درجة الغاية في العربيّة، كان كذلك في الشّريعة"[١]، وهكذا، فكلّما كان أمكن في اللّغة العربيّة، كان أقدر على إدراك مقاصد الشّريعة إدراكًا سليمًا.

وقد ردّ أهمّ أسباب الابتداع والانحراف في الدّين إلى سببين رئيسيْن هما: الجهل، وتحسين الظّنّ بالعقل، قال: "فأمّا جهة الجهل؛ فتارة تتعلّق بالأدوات الّتي تفهم بها المقاصد، وتارةً تتعلّق بالمقاصد"[٢]. ومن أهمّ الأدوات الّتي بها تعرف المقاصد اللّغة العربيّة"، فعلى النّاظر في الشّريعة والمتكلّم فيها أصولاً وفروعًا... أن لا يتكلّم بشيء من ذلك حتى يكون عربيًّا أو كالعربيّ...."[٣]. فإذا كان كذلك، صحّ له أن ينظر في القرآن[٤]، ويستخرج معانيه ومقاصده، على أن يسلك في الاستنباط منه، والاستدلال به مسلك كلام العرب في تقرير معانيها، ومنازعها في أنواع مخاطباتها خاصّة، فإنّ كثيرًا من النّاس يأخذون أدلّة القرآن بحسب ما يعطيه العقل فيها، لا بحسب ما يفهم من طريق الوضع. وفي ذلك فساد كبير، وخروج عن مقصود الشارع"[٥].

وقد أشار ابن جنّي إلى ذلك قبلاً فقال: "أكثر من ضلّ من أهل الشّريعة عن القصد فيها، وحاد عن الطّريقة المثلى إليها، فإنّما استهواه

---

١ المرجع السابق، ج٤، ص١١٤– ١١٥.

٢ المرجع السابق، ج٤، ص١١٥.

٣ الشّاطبيّ، الاعتصام، السعودية: مكتبة الرياض الحديثة، ط١، ج٢، ص٢٩٣.

٤ المرجع السابق، ج٢، ص٢٩٧.

٥ الشّاطبيّ، الموافقات، مرجع سابق، ج١، ص٤٤.

واستخفّ حِلمه، ضعفه في هذه اللّغة الكريمة الشّريفة، الّتي خوطب الكافّة بها، وعرضت عليها الجنّة والنّار من حواشيها وأفنائها"[١].

ويرى الزّمخشريّ أنّ فهم مقاصد الشّريعة والعلوم الإسلاميّة من فقهها وأصولها وكلامها وعلمي تفسيرها وأخبارها، متّصل اتصالاً كلّيّاً مع اللّغة وعلومها؛ إذ إنّ "الكلام في معظم أبواب أصول الفقه، ومسائلها مبنيّ على علم الإعراب، والتّفاسير مشحونة بالرّوايات عن سيبويه والأخفش والكسائيّ والفراء وغيرهم من النّحويّين البصريّين والكوفيّين"[٢].

ويقول ابن قتيبة: "وإنّما يعرف فضلَ القرآن، مَنْ كثر نظره، واتّسع علمه، وفهم مذاهب العرب، وافتنانها في الأساليب، وما خصّ الله لغتنا دون جميع اللّغات"[٣].

ويرى ابن خلدون هذا الاتّصال الوثيق بين اللّغة والشّريعة؛ إذ إنّ فهم الشّريعة لا يتمّ إلاّ بإتقان اللّغة، فهو يقول: "علم اللّسان العربيّ أركانه أربعة هي: اللّغة والنّحو والبيان والأدب، ومعرفتها ضروريّة على أهل الشّريعة؛ إذ إنّ مأخذ الشّريعة كلّها من الكتاب والسّنّة، وهي بلغة العرب، نقلها من الصّحابة والتّابعين عربٌ، وشرح مشكلاتها من لغتهم، فلا بدّ من معرفة العلوم المتعلّقة بهذا اللّسان لمن

---

١ ابن جنّي، أبو الفتح عثمان. **الخصائص**، القاهرة: مطبعة دار الكتب المصريّة، ١٣٤٧هـ، ج١، ص١١.

٢ الزمخشري، أبو القاسم. **المفصّل في صناعة الإعراب**، تحقيق: علي بو ملحم، بيروت: مكتبة الهلال، ط١، ١٩٩٣، مقدّمة المؤلّف، ص٢.

٣ ابن قتيبة، أبو محمّد عبد الله. **تأويل مشكل القرآن**، تحقيق: السّيّد أحمد صقر، القاهرة: دار التّراث، ط٢، ١٩٧٣، ص١٢.

أراد علم الشّريعة"[١]. ولمّا فسدت ملكة اللّغة عند أصحابها بسبب التّحضّر والتّرف، صار لزاماً على العرب عامّة، والفقيه خاصّة أن يتعرّف على لغته من خلال تعلّم قوانين اللّغة، فهو يقول: "ثمّ بعد ذلك يتعيّن النّظر في دلالة الألفاظ؛ وذلك أنّ استفادة المعاني على الإطلاق من تراكيب الكلام على الإطلاق يتوقّف على معرفة الدّلالات الوضعيّة مفردة ومركّبة، والقوانين اللّسانيّة في ذلك هي علوم النّحو والتّصريف والبيان، وحين كان الكلام ملكة لأهله، لم تكن هذه علومًا ولا قوانين، ولم يكن الفقيه حينئذٍ يحتاج إليها؛ لأنّها جبلته وملكته فلمّا فسدت الملكة في لسان العرب قيدها الجهابذة المتجرّدون لذلك بنقل صحيح ومقاييس مستنبطة صحيحة وصارت علومًا يحتاج إليها الفقيه في معرفة أحكام الله تعالى"[٢].

وبلغ وقار السّلف للعربيّة مبلغًا عظيمًا، قال أبو منصور الثّعالبيّ: "فإنّ من أحبّ الله تعالى أحبّ رسوله المصطفى -صلّى الله عليه وسلم-، ومن أحبّ النّبيّ العربيّ، أحبّ العرب، ومن أحبّ العربَ، أحبَّ اللّغة العربيّة، الّتي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب. ومن أحبّ العربيّة، عُنِيَ بها، وثابر عليها، وصرف همته إليها. ومن هداه الله للإسلام، وشرح صدره للإيمان، وأتاه حسن سريرته فيه، اعتقد أنّ محمّدا -صلى الله تعالى عليه وسلم- خير الرسل، والإسلام خير الملل، والعرب خير الأمم، والعربيّة خير اللّغات والألسنة، والإقبال على تفهّمها من الدّيانة؛ إذ هي أداة

١ ابن خلدون، **المقّدمة**، دار الكتاب العربيّ اللّبنانيّ، بيروت، الفصل السّادس والثّلاثون: في علوم اللّسان العربيّ،١٩٥٩م، ص٥٤٥.

٢ المرجع السابق، ٤١٩.

العلم، ومفتاح التّفقّه، وسبب إصلاح المعاش والمعاد"[١].

وجعل علماء أصول الفقه من شروط المجتهد أن يكونَ عالمًا بأسرار العربيّة وبخاصّة علم النّحو، قال الأنصاريّ الحنفيّ: "من شروط المجتهد أنّه لا بدّ من معرفة التّصريف والنّحو واللّغة"[٢]. "لأنّ الشّريعة عربيّة، ولا سبيل إلى فهمها إلا بفهم كلام العرب، وما لا يتمّ الواجب إلاّ به فهو واجب"[٣]. ويرى محمّد رشيد رضا أنّ على المفسّر فهم حقائق الألفاظ المفردة الّتي أودعها القرآن؛ "إذ يحقّق المفسّر ذلك من استعمالات أهل اللّغة، غير مكتف بقبول فلان وفهم فلان؛ فإنّ كثيراً من الألفاظ كانت تستعمل في زمن التّتريل لمعانٍ، ثمّ غلبت على غيرها بعد ذلك بزمن قريب أو بعيد من ذلك لفظ التّأويل؛ إذ اشتهر بمعنى التّفسير مطلقًا، أو على وجه مخصوص، ولكنّه جاء في القرآن بمعانٍ أخرى، كقوله تعالى: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ ﴾ (الأعراف:٥٣)[٤]. ويقول أيضا: "فينبغي أن يكون عنده من علمها ما يفهم

---

١ الثّعالبيّ، أبو منصور عبد الملك بن محمّد النّيسابوري، فقه اللّغة وأسرار العربيّة، شرح: ديزيرة شقال، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٩م، ص١٠.

٢ الأنصاريّ، نظام الدّين عبد العليّ، فواتح الرّحموت بهامش المستصفى، بيروت: دار الفكر، ج٢، ص٣٦٣.

٣ الرّازي، فخر الدّين. المحصول في علم أصول الفقه، تحقيق: طه جابر العلوانيّ، الرّياض: جامعة الإمام محمّد بن سعود، ١٩٨٦، ج٣، ص٣٥.

٤ رضا، محمّد رشيد. تفسير المنار، مصر، ١٣٤٦هـ، مقدّمة التّفسير.

به هذه الأساليب الرّفيعة، وذلك يحصل بممارسة الكلام البليغ ومزاولته، مع التّفطّن لنكته ومحاسنه، والعناية بالوقوف على مراد المتكلّم منه. نعم إنّنا لا نتسامى إلى فهم مراد الله تعالى كلّه على وجه الكمال والتّمام، ولكن يمكننا فهم ما نهتدي به بقدر الطّاقة، ويحتاج في هذا إلى علم الإعراب وعلم الأساليب (المعاني والبيان)، ولكن مجرّد العلم بهذه الفنون وفهم مسائلها وحفظ أحكامها لا يفيد المطلوب"[١].

ويقول محمّد الغزإلى عن دور اللّغة في إدراك مقاصد النّصّ القرآنيّ: "أيّ إنسان يريد فهم أيّ كتاب، لا بدّ له من تعلّم لغته. ولذلك أرى أنّ من مستلزمات فهم الإسلام أن يتعلّم النّاس العربيّة. وقد تُقْبَل التّرجمة في المراحل الأولى؛ لأنّها يمكن أن تؤدّي دورها في إفهام النّاس أبعاد العقيدة، وأنماط الحياة والسّلوك والعبادة، وما إلى ذلك، لكن بعد ذلك لا بدّ أن يقود الإسلام إلى تعلّم العربيّة لإدراك مدلول الخطاب الإلهيّ الّذي نزل بلغة العرب"[٢].

ويفهم من كلام السّلف والخلف أنّه ليس المقصود من تعلّم اللّغة العربيّة الاقتصار فقط على القواعد الأساسيّة، الّتي تتوقّف وظيفتها على معرفة ضوابط الصّحّة والخطأ في كلام العرب، وإنّما المقصود من تعلّم اللّغة العربيّة لدارس الكتاب والسّنّة والمتأمّل فيهما هو فهم أسرارها وإدراك مقاصدها والبحث عن كلّ ما يفيد في استنطاق النّصّ، ومعرفة ما يؤدّيه

---

١ مقدمة المرجع السابق.

٢ الغزإلى، محمّد. كيف نتعامل مع القرآن، المعهد العالمي للفكر الإسلاميّ، هيرندن، فيرجينيا، الولايات المتّحدة الأمريكيّة، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م، ص٢٤٤.

التّركيب القرآنيّ على وجه الخصوص، بوصفه أعلى ما في العربيّة من بيان. وقد نبّه على هذه الخاصيّة الزّجاجيّ في كتابه الإيضاح في علل النحو؛ إذ يقول: "فإن قال قائل: فما الفائدة في تعلّم النّحو، وأكثر النّاس يتكلّمون على سجيتهم بغير إعراب، ولا معرفة منهم به، و يُفهمون غيرهم مثل ذلك؟ فالجواب في ذلك أن يقال له: الفائدة فيه الوصولُ إلى التّكلّم بكلام العرب على الحقيقة صوابًا غير مبدَّل ولا مغيَّر، وتقويمُ كتاب الله -عز وجل-، الّذي هو أصل الدّين والدّنيا والمعتمد، ومعرفة أخبار النّبيّ -صلّى الله تعالى عليه وسلم-، وإقامة معانيها على الحقيقة؛ لأنّه لا تفهم معانيها على صحّة إلا بتوفيتها حقوقها من الإعراب"[1].

ثانياً: اللّغة والذّات؛ الرّؤية الكلّيّة

كثر الحديث منذ منتصف القرن الماضي عن اللّغة وأهميتها في صنع الهوية، ولعلّ الحديث يتنامى كلّما كان هناك شعور بالتّحدّي الّذي تواجهه اللّغة العربيّة، ومردّ هذا التّحدّي "الشّعور المبالغ فيه بأهمية اللّغة الأجنبيّة النّاتج غالباً عن الانبهار بكلّ ما هو أجنبيّ، والظّنّ الزّائف بأنّ التّقدّم لا يأتي إلاّ عن طريق إتقان اللّغة الأجنبيّة للجميع، بل والتّحدّث بها بين العرب أنفسهم، وغنيّ عن الذّكر أنّ هذا الشّعور يأتي من الإحساس بالهزيمة النّفسيّة الّتي يعاني منها الإنسان العربيّ في هذا العصر، والإعجاب المتنامي بصانع الحضارة المعاصرة الّذي يمثل المنتصر الغالب"[2].

---

١ الزّجاجيّ، أبو القاسم، الإيضاح في علل النّحو، مرجع سابق، ص٩٥.

٢ الضبيب، أحمد بن محمّد. اللّغة العربيّة في عصر العولمة، الرياض: مكتبة العبيكان، =

١- هوية اللّغة ولغة الهوية:

قد تكون الهويات مستقرّة في مجتمع ما، ولكنّ الخطاب (واللّغة أحد تمثّلاته) هو الّذي يبرزها سلباً أو إيجابًا، ولا تكون الهوية عندئذٍ موجودة إلا بشكل مستقلّ عن المتكلّمين باسمها، وبذلك يعاد إنتاج الهوية؛ أي إنتاج ثقافة تعكس العلاقة مع الآخر، كما تعكس العلاقة مع الذّات، وهي علاقة يؤدّي فيها التّخيّل مهمّة مركزيّة يتمّ من خلاله تكوين رؤية للمجتمع تحرص على إخفاء الذّاتيّة، والرّجوع إلى الأصل ذي النّقاوة، والابتعاد -ما أمكن- عن التّلوّث بالآخر، ابتغاء المحافظة على طهارة المجتمع، فهو خطاب رؤية مشوبة بالتّخيّل سرعان ما يتحوّل إلى ممارسة ثقافيّة واجتماعيّة وسياسيّة، إلخ.

والهوية بحسب هذا الخطاب، تصبح مفهوماً مكتملاً، ولم يتبق سوى البحث عن صيغة التّطابق مع المثال (الماضي)؛ لتحقيق الوجود (الحاضر). وهذا ما يدعونا إلى التّمييز بين الهوية وخطاب الهوية، فإذا كانت الهوية حقيقة رمزيّة يعيشها الأفراد والمجتمعات، فإنّ الخطاب المُنشأ عن الهوية هو خطاب (أيديولوجيّ) يتّجه نحو الآخر، بغية تأكيد الذّات، ورفض تماهيها مع الآخر وتمثلاته، فكُنه الذّات لا يتمّ إلاّ عن طريق الآخر، ومن خلاله. من هنا فإنّ خطاب الهوية يطرح نفسه بوصفه خصوصيّة، ومن مهمّة المجتمع - في صيرورته-أن يحافظ عليها، وعلى الآخر ألاّ يهدّدها أو يعمل على اختراقها. وبناء عليه تصبح الهوية البُعد الصّامت السّاكن، ويغدو خطاب الهوية البُعد الفعّال المتحرّك. وبذلك تتمحور اللّغة لتصبح واسطة تجعل من

= ط١، ٢٠٠١م، ص١٦

الأمّة مجتمعا متخيّلاً، وتربط الفرد مع أبناء أمّته ممن لم يرهم أو يقابلهم.

والبحث في هوية اللّغة "يهتمّ بكلّ تلك المميّزات للمنطوقات الّتي يستعملها المستمع، بهدف قراءة حقائق عن المتكلّم، ويشمل ذلك الأصول الجغرافيّة والاجتماعيّة، والمستوى التّعليميّ، والجنوسة gender، والجنسيّة sexuality، والذّكاء... إنّ ما يعنيه هذا هو أنّه كلّما عزلنا اللّغة عن متكلّميها ومؤوليها، وعن السّياق الّذي يتكلّم فيه هؤلاء النّاس ويؤولون فيه هذا اللّغة، أخفقنا في أن نقترب أكثر من بعض جوانب حقيقتها الجوهريّة"[١].

وتكتسب اللّغة هويتها من ماهيّتها وأهميتها ووظيفتها؛ فاللّغة ليست حروفاً وكلمات فحسب، بل هي حاضنة فكريّة، وعامل مهمّ في تجسيد خصائص الأمّة، وحافظة لتاريخها وداعمة لاستمراريّتها، وتماسك مجتمعها وأفرادها، وأداة لنقل المعرفة والعلم، ولها مقاصد كُلّيّة متمثّلة في: الوحدة والتّجانس والتّماسك. وتغدو بذلك حلقة وصل مهمّة بين الماضي والحاضر والمستقبل، لذلك تجدها في حالة سيرورة وصيرورة، لا سيما إذا كان ثمّة وعي متنامٍ مع هذه السّيرورة والصّيرورة، فلغة الوعي لا تتولّد إلا بالوعي باللّغة وبإمكانياها. وتبرز هوية اللّغة –كذلك- في قدرها على تشكيل الشّخصيّة فـــ "على الرّغم من أنّ اللّغة تتصرّف بوصفها قوّةً مسؤولةً عن عمليّة التّنشئة الاجتماعيّة، وقوة منظّمة، فإنّها تعتبر في الوقت ذاته العامل

---

١ جوزيف، جون. اللّغة والهوية، ترجمة: عبد النور خراقي، كتاب عالم المعرفة، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد٣٤٧، ٢٠٠٧، ص٤٦.

المعروف المستقلّ الأكثر فاعليّة في نمو الشّخصيّة الفرديّة"[١].

واللّغة مفردة مهمّة في تحديد الرّؤية؛ إذ إنّ "اللّغة الّتي تنتمي إلى مجتمع بشريّ معيّن، والّتي يتكلّمها أبناؤه، ويفكّرون بواسطتها، هي الّتي تنظّم تجربة هذا المجتمع، وهي الّتي تصوغ بالتّالي عالمه وواقعه الحقيقيّ، فكلّ لغة تنطوي على رؤية خاصّة للعالم"[٢].

إنّ أيّ مصطلح أو مفهوم يختزن في طياته دفقاً ثقافيّاً واسعاً، ويكون مشحوناً بهذه الأبعاد الثّقافيّة، ليكوّن بصمة ثقافيّة تميّزه عن غيره. واللّغة قادرة على ممارسة هذا الاستيعاب، بل وتجاوزه إلى رؤى تمثّل خطاب اللّغة وخطاب الهوية، لتتشكّل آنذاك الهوية الثّقافيّة، الّتي تعني -بصيغة أو بأخرى- الانتماء إلى جماعة لغويّة محليّة أو إقليميّة أو وطنيّة بما لها من قيم متميزة[٣].

ولأنّ الهوية صيغة ثقافيّة، واللّغة تُعدّ ركناً من أركان الثّقافة، فـــ"هوية كلّ مجتمع تتأسّس على لغته"[٤]؛ إذ يشعر المرء بالأمن والاطمئنان في كنف لغته، "فإذا حرم الإنسان من موطنه على الأرض، فإنّه يجد موطناً روحيّاً في

---

١ المرجع السابق، ص ٨٥

٢ تنسب المقولة إلى إدورد سابير، انظرها في:

- بركة، بسام. اللّغة العربيّة: القيمة والهوية، مجلة العربي، العدد ٥٢٨ تشرين الثاني،٢٠٠٢م، ص ٨٤

٣ انظر هذا التعريف في قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ ٨ كانون الأول ١٩٨٦، الّذي عدّ الفترة من ١٩٨٨ حتى ١٩٩٧ عقداً عالمياً للتنمية الثقافية تحت رعاية الأمم المتحدة واليونسكو.

٤ حيدر، أحمد. إعادة إنتاج الهوية، دمشق: دار الحصاد للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م، ص١٣٦

لغته القوميّة الّتي يحسّها دائماً وأبداً بكلّ حواسّه، والّتي -لهذا السبب- سوف تصبح قوة حقيقيّة تمكّنه يوماً من الحصول على موطن على الأرض"[١]. ومن هنا نجد هذا التّماثل بين اللّغة والثّقافة؛ إذ غدت ركناً من أركانها؛ "لأنّها تكون بمثابة الدّم داخل الجسد الحيّ، فهي تحمل كلّ خصائص مجتمع ما إلى كلّ فرد من أفراده، وهي بمثابة شبكة تواصل وقنوات نقل للتّراث والمعرفة الوافدة إلى الذّات، والنّاقلة من الذّات إلى الآخر، فلا جرم أن يعتصم كلّ مجتمع بهويته الثّقافيّة من خلال تنشئته بلغته"[٢].

وللهوية لغةٌ وتجلٍّ وتمثّلٌ نتلمسه، وقد تكون للمجتمع الواحد هويات متعدّدة، وقد تكون في الوقت نفسه متناقضة، وهذا نابع من تنوّع خطاب الهوية، كما أسلفنا، فيتمثّل عندنا خطاب الهوية الشّخصيّة، وخطاب الهوية المُعبَّر عنها؛ أي ماهيّة الأنا من خلال الذّات، وماهيّة الأنا من خلال الآخر، وبين الماهيّتيْن بُعد كبير، فـ"الهوية المُعبّر عنها، بوصفها مفهوماً موحّداً، تقدّم ثقلاً موازياً للهوية الشّخصيّة، ومفيداً لإزاحة هذه الهوية من مكانها الّذي يتمتّع بامتياز فريد، والهوية المُعبّر عنها: أي من أنا في تصوّر الآخر، تفتقر إلى مؤوّل مميّز، بل إنّ لها مؤوّلاً مجرّداً من الامتياز على نحو فريد هو الذّات، وإنّني آخر شخص مرجّح يعرف ماهيّته في تصوّر

---

١ بشر، كمال. علم اللّغة الاجتماعي، دار الثقافة العربيّة، ط ١، ١٩٩٢م، ص٧٢

٢ الكتاني، محمّد. أي منظور لمستقبل الهوية، ضمن أعمال العولمة والهوية موضوع الدورة الأولى لسنة ١٩٩٧م، الرباط: مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، أيار ١٩٩٧م، ص٨١.

الأخرىن، وهو قد يطابق تصوّري لماهيتي أو يخالفه؛ لأنّ مسألة من أكون في متخيلاتهم تعيق رأيي/ تصوّري"[١].

وقد يحدث انسجام بين اللّغة والهوية، فتغدو لغة الهوية مُشبَعة بهوية اللّغة، وتصبح هوية اللّغة علامة بارزة لهذه اللّغة، وكلتاهما سيّدتان ومسودّتان، فصحيح أنّ الإنسان هو الّذي يصنع اللّغة، إلاّ أنّه أسير لها ولا يخرج عن قوانينها. واللّغة "سبيل المرء إلى معرفته لذاته ومحيطه، وهي في الوقت نفسه تفرض على المرء قيوداً تمنعه من تخطيها، فإذا أراد شخص أن يعبّر عن مكنوناته، أو أن يتواصل مع إخوانه، أو أن يعي ما يجيش في نفسه، فإنّه يستعمل في ذلك ما تُقدّم اللّغة إليه من مفردات وتراكيب، وهو يبقى في ذلك أسير هذه المفردات والتّراكيب"[٢]. والهوية هي الّتي تنقل اللّغة من مرحلة القوّة إلى الفعل؛ أي من حروف وكلمات وجمل إلى تعبير عن الذّات تجاه الذّات، والذّات تجاه الآخر.

إنّ ثمّة ارتباطاً وثيقاً بين اللّغة والهوية يقوم على ثلاث حجج هي[٣]:

الحجّة الأساسة: وتتمثّل في الارتباط الفطريّ والوعي القوميّ

١ جوزيف، اللّغة والهوية، مرجع سابق، ص١١٩

٢ كرمة، الشريف. اللّغة العربيّة وعلاقتها بالهوية، مجلة حوليات التراث، مستغانم، الجزائر، العدد ٦، ٢٠٠٦م، ص٤١

٣ انظرها في: - عبد الفتاح، سيف الدين. اللّغة والهوية والسياسة، ضمن كتاب اللّغة والهوية وحوار الحضارات، إعداد وإشراف نادية محمود مصطفى وسيف الدين عبد الفتاح، جامعة القاهرة،٢٠٠٦م، ص٤١

والشّخصيّة الجماعيّة.

حجّة التّأسيس: فاللّغة ذاكرة تتعامل مع النّصوص التّراثيّة الحضاريّة لصياغة أصول الذّاكرة الحضاريّة، وفقه اللّغة، وعمليات التّجديد والإحياء التّراثيّ، وأدواره في صياغة شخصيّة الأمّة وأصول هويتها.

حجّة التّأصيل والتّفعيل: اللّغة مفهوم ثقافيّ وفكريّ وحضاريّ، يؤصّل معانيَ القدرة على المواجهة والممانعة الحضاريّة من جانب، وترشّح مداخل الفاعليّة الحضاريّة وأصولها من جانب آخر.

توضّح لنا الحجج السّابقة مهمّة اللّغة وماهيّتها ودورها في البناء الحضاريّ؛ إذ تنبو عن كونها أداة تواصل صوتيّ وصرفيّ ومعجميّ ودلإلى، لتغدو أداة وعي ونقل لخطاب الهوية (الماضي) أو الأنموذج، وأداة للحفر المعرفيّ، ومحفّز للعودة إلى الذّات، فضلاً عن دورها الحيويّ في تكوين الرّؤية وتفعيل السّاكن المتحرّك في الذّات العربيّة، أي استفزاز الذّات العربيّة نحو التّكامل؛ لتكون قادرة على المواجهة وعلى المثقافة، وبذلك تحقّق اللّغة مع الهوية ضرورتيْن حضاريتيْن هما: الاستيعاب والتّجاوز.

وقد يحدث شرخ وحالة فصام نكد بين اللّغة والهوية، وهو ما يمثّل فسخ الهوية؛ أي حدوث قطيعة مع اللّغة في سياقات تقطع الذّات عن اللّسان، ومن ثمّ هي حالة تحاول تغريب اللّسان بالمعنى الواسع، وفسخ الهوية يؤدّي إلى قطيعة مع الأصل وإلى قطع الذّات عن العلاقات الفطريّة ومجالاتها الحيويّة، وما من شكّ في أنّ حالة الفصام تؤدّي إلى انسلاخ الإنسان عن ذاته وذاكرته، ضمن محور يحاول محو الذّاكرة الحضاريّة، وقطع النّفس عن

ذاكرتها التّراثيّة، لتتشكّل في وعي ولا وعي أبناء اللّغة أنّ لغتهم سبب رئيس في تخلّفهم وفقدانهم فاعليّتهم الحضاريّة[١]. فينشأ جيل لا يستطيع صوغ ذاته وشخصيّته، ولا يقدر على رسم حدود الانتماء، فهو ابن الهوية والحضارة والجغرافيا والزّمان، ولكنّه يستعير لساناً آخر غير قادر على إعادة تشكيله؛ إذ إنّ اللّسان في منزلة (تفوق) منزلة الهوية، والذّات ترغب هذا اللّسان، واللّسان يأبى ذلك، فتحدث عندئذ حالة المسخ الّتي تمثّل صيغة موحشة للذّات، الّتي تشعر بالاغتراب، فلا هي ابنة اللّسان، ولا هي ابنة الهوية.

٢- جدليّة اللّغة والتّواصل:

إنّ الغاية التّقليديّة للّغة تتمثل في أمرين:

أ- التّواصل: ويتمّ ذلك من خلال التّواصل مع الآخر

ب- التّمثُّل: أي: أن نتمثّل الكون في عقولنا، كي نستطيع تصنيف الأشياء وتمييزها من خلال ما توفّره لنا اللّغة.

وتقاس قوة اللّغة -في جانب من جوانبها- بمدى انتشار أحد هذيْن المفهوميْن في المجتمع، فكم نسبة الّذين يستعملون اللّغة (الأمّ) لغة تواصل أو تمثُّل، وكم نسبة الّذين يستعملون اللّغة الثّانية لغة تواصل أو تمثُّل؟ وفي أيّ مجالات الحياة تختار الذّات أحدى الوظيفتيْن؟ والنّتيجة ستعطي إيحاء مهمّاً حول قدرة اللّغة على صوغ الذّات، وقدرة الذّات على تمثُّل اللّغة ضمن علاقة جدليّة مركّبة وصعبة في بنيتها الدّاخليّة،

١- لعلّ المدارس والجامعات الأجنبيّة في البلدان العربيّة خير مثال على هذا التوجه٤.

إلاّ أنّها واضحة المعالم للمجتمع.

صحيح أنّ وظيفة التّواصل من أهمّ وظائف اللّغة "نظرا لكونها تحقيقاً صوتيّاً لميل الإنسان إلى رؤية الواقع بطريقة رمزيّة"[١]. وبفضلها "تكوّنت الجماعات الإنسانيّة، فتاريخ البشريّة منذ بدايته يفترض وجود اللّغة"[٢]. إلاّ أنّ ثمّة فارقاً بين اللّغة والتّواصل، فعلى الرّغم من أهمية وظيفة التّواصل وحيويّتها وضرورتها، إلاّ أنّها لا تمنح اللّغة خصوصيّة؛ إذ إنّها متحقّقة بين الكائنات الأخرى بالقدر الّذي تحتاجه، وبهذا فالتّواصل لا يأخذ دوره الفعليّ والجوهريّ، إلاّ إذا تعالق مع الفكر؛ ليشكّلا هويّة واضحة قادرة على تحقيق الانسجام بين الماضي والحاضر والمستقبل. ولعلّ الاقتصار على دور اللّغة في التّوصيل -بمعناه البسيط- أدّى إلى خلل واضح في فهم مقصديّة اللّغة، وعدّها أداةً لتوصيل المعنى فحسب، غاضين الطّرف عن الأخطاء والرّكاكة؛ إذ لا يؤثّر هذا في وصول المعنى واستيعابه.

وهذا الفرق بين اللّغة وأحدى وظائفها (التّوصيل) يساعدنا على أحداث الاتّساق بين القوّة والفعل؛ فالقوّة شيء كامن في ذاتنا فهو ممارسة داخليّة، وربّما نستطيع أن نصفه بـــ:(الكفاية). أمّا الفعل، فهو نمط الممارسة الخارجيّة الّذي يمثّل حبل الوصل بين الذّات والآخر، والدّاخل والخارج، ونستطيع أن نصفه بـــ:(الأداء). ولعلّ الفرق بين القوّة والفعل ظاهر في عالم اللّغة، فعلى الرّغم "من أنّ اللّغة العربيّة قطعت شوطاً كبيراً في التّطوّر باتّجاه

---

١ بركة، اللّغة العربيّة. القيمة والهوية، مرجع سابق، ص٨٢

٢ كرمة، اللّغة العربيّة وعلاقتها بالهوية، مرجع سابق، ص٣٥

أن تكون الفصحى اللّغة العمليّة للحياة اليوميّة، فإنّه من الصّعب القول بأنّ العربيّة الفصحى تُعدّ لغة الحديث اليوميّة، أي لغة التّعامل اليوميّ: الاقتصاديّ والسّياسيّ والتّعاقديّ، فمن الملاحظ أنّنا نفكّر تجاريّاً ونحسب مالياً بالعاميّة، ولكن حين يتطلّب الأمر توثيقاً خطّيّاً، نترجم ما تمّ الاتّفاق عليه، وكثيراً ما نستعين بمترجمين؛ لأنّنا لا نستطيع الكتابة بالعربيّة الفصحى"[١].

ونجد هذا الفصام النّكد في كلّ مناحي الحياة؛ فـ"اللّغة الّتي يتعلّمها الطّالب العربيّ هي غير اللّغة الّتي يسمعها في البيت أو الطّريق... وما يسمعه من معلّم العربيّة غير الّذي يسمعه من معلّم الجغرافيا، بل إنّ معلّم اللّغة العربيّة يعلّمه أشياء ويستخدم أشياء غيرها... كلّ شيء حول العربيّة في(الفصل) مضادّ لها في البيت والمدرسة والشّارع، وكأنّما هناك هذه القربة المقطوعة، تملأ من أعلاها، فينهمر الماء من جوانبها المتهرئة والممزّقة"[٢].

وقد يكون من أسباب هذا الفصام بين اللّغة الــوقــتيّة (لغة الصّفّ أو المحاضرة)، ولغة الحياة (التّعايش مع المجتمع والأسرة)، أنّ اللّغة القوميّة (الوقتيّة) تؤخذ تلقيناً، في قوالب صمّاء دون أن يكون لها أثر في استثارة ذائقة المتلقّي، وجعله معايشاً لها، ومحاوراً إياها، وصديقاً لها، فاللّغة الّتي نتعلّمها اليوم "تُجهد المُعلّم تلقيناً والتّلميذ حفظاً، دون أن تكسبه ذوق

---

١ التل، شادية. تمثيل المعرفة عند ثنائيي اللّغة، ضمن ندوة الازدواجيّة في اللّغة العربيّة، مجمع اللّغة الأردني، نيسان ١٩٨٧م، ص٢١

٢ فيصل، شكري. قضايا اللّغة العربيّة المعاصرة، المجلة العربيّة للدّراسات اللّغويّة، المجلد الثّاني، العدد الأول، ١٩٨٣م، ص٢٤

العربيّة ومنطقها وبيانها"[1].

٣- الوعي بحقيقة الذّات:جدليّة الانتماء والارتماء

تعدّ قضية الانتماء إلى اللّغة والهويّة من القضايا الشّائكة، الّتي تؤرّق العاملين في حقل السّياسة اللّغويّة أو التّخطيط اللّغويّ في أيّ زمان ومكان؛ إذ تتمحور هذه القضية حول موقع الفرد وموقفه من هويّته، والأسس المعرفيّة والاجتماعيّة الّتي صاغ منها شخصيّته، وعلاقته مع الآخر بمعينه كلّه، فها هو ابن حزم الأندلسيّ يرى أنّ العلاقة بين ارتقاء اللّغة وارتقاء الأمّة علاقة وطيدة؛ إذ إنّ "اللّغة يسقط أكثرها ويبطل بسقوط دولة أهلها ودخول غيرهم عليهم... فإنّما يقيّد لغة الأمّة علومها وأخبارها قوّةُ دولتها ونشاط أهلها وفراغهم"[2]. وهذه نظرة عميقة من ابن حزم في الرّبط بين اللّغة ومكانتها، ودور الأمّة في سموّ اللّغة. ورفعة اللّغة مبنيّة على وحدة لغة الخطاب، والتّكامل القوميّ، والحقّ في تقرير المصير؛ فالوحدة اللّغويّة تصنع إرادة واحدة على النّطاق الدّوليّ، وهي تتعامل مع الدّاخل فتنشئ تكاملاً قوميّاً، وتتعامل مع الخارج فتنشئ وحدة نظاميّة ذات إرادة واحدة، ومن ثمّ تستحقّ هذه الوحدة النّظاميّة أن تكون (أمّة) تملك حقّ تقرير المصير[3].

وتحدّث ابن خلدون عن هويّة الأمّة، وتفحّص علاقة الأمّة المغلوبة بالغالبة،

---

١ عبد الرّحمن، عائشة. لغتنا والحياة، مصر: دار المعارف، ١٩٦٩م، ص١٨٧

٢ ابن حزم، علي بن أحمد. الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: أحمد محمّد شاكر، ط١، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٣م، ج١،ص٣٢

٣ انظر: عبد الفتاح، سيف الدّين. اللّغة والهويّة السّياسيّة، مرجع سابق، ص٣٩

وفسّر مظاهر الاستلاب الثّقافيّ والاستتباع الفكريّ؛ إذ تتقمّص الأمّة المغلوبة شخصيّة الغالبة، وتحاول التّماهي معها في مناحي الحياة كلّها: المعنويّة والماديّة، فهو يقول: "المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب في شِعاره وزيّه ونِحلته وسائر أحواله وعوائده، والسّبب في ذلك أنّ النّفس أبداً تعتقد في من غلبها وانقادت إليه، إما لنظره بالكمال بما وفر عندها من تعظيمه، أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعيّ، إنّما هو لكمال الغالب، فإذا غالطت بذلك واتّصل لها اعتقاداً، فانتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبّهت به، وذلك هو الاقتداء، أو لما تراه، والله أعلم من أن غلب الغالب لها ليس بعصبيّة ولا قوّة بأس، وإنّما هو بما أنحلته من العوائد والمذاهب... ولذلك ترى المغلوب يتشبّه بالغالب في ملبسه ومركبه وسلاحه في اتّخاذها وأشكالها وفي سائر أحواله"[١].

وفي الحديث عن تجليات الانتماء، تَبرزُ المعالجة اللّغويّة مظهراً مهمّاً من مظاهر الشّعور بالانتماء، أو اتّباع سنن الثّقافة الدّاخليّة أو الثقافات الأخرى. وستحاول الدّراسة أن تتحدّث عن هذه المعالجة في محورَيْن هما: لماذا اللّغة الأمّ، والثّنائيّة.

أ- لماذا اللّغة الأمّ:

تعاني الذّات –أحياناً– من شعور بالتّفسخ ما بين الماضي والحاضر. وقد يدفع هذا الشّعور تلك الذّات إلى محاولة إعادة تشكيل الهوية الّتي تمنحها صفة الانسجام، ممّا يدفع الذّات إلى الاحتماء باللّغة الأمّ شكلاً من أشكال الهوية؛ إذ يُعدّ هذا الأمر غريزة يشعر بها المرء بالاطمئنان، ويستطيع من

---

١ ابن خلدون، عبد الرّحمن بن محمّد. المقدّمة، تحقيق: علي عبد الوأحد وافي، ط٣، القاهرة: دار نهضة مصر، ج٢، ص٥١٠

خلالها أن يبثّ همومه، وينقل أفكاره وعاداته وتقاليده.

وفي استعمال اللّغة الأمّ (القوميّة) فوائد عديدة، فهي:

- ملاذ نفسيّ للذّات، ومُنَمِية للشعور القوميّ، ومخزن للفكر.

- ذات نفع ماديّ، "فمعرفة القراءة والكتابة بلغة الأمّ مفيد جداً؛ إذ يعود بالنّفع على ميداني التّجارة والأعمال"[1].

- ذات بُعدٍ تفكيكيّ بنائيّ توحيديّ؛ فهي تفكّك منظومة العاميات المتعدّدة، وتقوم ببناء منظومة لغويّة واحدة مشتركة في القوانين والمشاعر والأهداف، فــ"عدد العاميات العربيّة يتعدّى عدد أقطار العروبة، بل ويتعدّى عدد مناطقها، وقد يتعدّى عدد مدنها وأحيائها وقبائلها، وأنّ الجامع الوحيد الّذي يضفي عليها طابع العربيّة، هو ذلك الخيط الّذي يشدّها إلى الفصيحة، فاللّغة الفصيحة هي الّتي تعطي للأمة العربيّة هويّتها، وهي نموذج لغويّ ثابت من حيث الصّرفُ والنّحوُ والتّراكيبُ، ولكنّه نامٍ ومتطوّر من حيث المفرداتُ والأساليب" [2].

- وهي ضرورة في أحداث التّجانس المجتمعيّ؛ إذ إنّ المجتمع القويّ يعتمد على ركيزتين أساسيتيْن هما: الولاء الّذي يتّجه إلى الأمّة، بوصف هذا

---

١ طوليفصون، جيمس. السّياسة اللّغويّة خلفياتها ومقاصدها، ترجمة محمّد خطابي، الرّباط: مؤسّسة الغني، ط ١، ٢٠٠٧م، ص٦٠

٢ من الكلمة الافتتاحيّة الّتي ألقاها الأستاذ الدّكتور عبد الكريم خليفة رئيس مجمع اللّغة الأردنيّ في ندوة الازدواجيّة في اللّغة العربيّة، نيسان ١٩٨٧م، مطبعة الجامعة الأردنيّة، ص١١

الولاء عنصراً من عناصر تشكّل الأمّة[1]. والرّكيزة الثّانية هي اللّغة؛ إذ تؤدّي مهمّة عظيمة في أحداث التّجانس، فهي لغة واحدة للخطاب تؤشّر على حقيقة الاتّصال والتّواصل، وهي خطاب يتمّ عبر رموز واحدة تمثّل حقيقة تكاملها وتمايزها، وهي تتمثّل في نسقٍ للقيم يفضي إلى حقائق اختصاصها وأصول هويّتها، وهي تعابير اجتماعيّة تمثّل مع كلّ ما سبقها محوراً للعمليّة الاتّصآلية بين الجماعة القوميّة، وتميّز الجماعة القوميّة عن غيرها[2].

- وهي ضرورة للمحافظة على النّقاء والأصل، فهي تحفّز المجتمع على العودة إلى الذّات، وتستثير فيه روح المقاومة، ورَفْض الاستلاب الثّقافيّ والتّبعيّة الفكريّة؛ إذ تفسح المجال أمام إنتاج نصوص حرّة تعبّر عن روح حُرّة.

ولعلّ في التّجربة اليابانية عبرة في تمثّل لغة المقاومة، فقد أخضعت أمريكا اليابان لمجموعة من التّغييرات السّياسيّة والاقتصاديّة والتّربويّة والتّعليميّة، إلاّ أنّ اليابان ما تخلت عن "لغتها اليابانية رغم نظامها الكتابيّ المعقّد، وبقيت لغتها القوميّة وسيلة لنظام تعليمها، وعمليّة تحديثها، ونهضتها العلميّة والصّناعيّة؛ إذ جعلتها لغتها الفصيحة في التّعليم في مختلف مراحله وتخصّصاته، وكذلك لغة الإعلام، وعلى رأسه قناتها التّلفزيونيّة الحكوميّة

---

١ من المفيد الاطّلاع على تجربة لجنة البحث في تعليم اللّغة الإنجليزيّة المعروف بتقرير (king man١٩٨٦) الّذي بحث في المحافظة على الإنجليزيّة بوصفها إرثاً وطنيّاً. انظر التّقرير في:

- طوليفصون، **السّياسة اللّغويّة**، مرجع سابق، ص٧٢

٢ انظر: عبد الفتاح، سيف الدّين. اللّغة والهوية السّياسيّة، مرجع سابق، ص٥٩

المعروفة باسم *NHK* الّتي كان لها دور كبير في انتشار اللّغة اليابانية الفصيحة، وترسيخها بين اليابانيين على اختلاف لهجاتهم"[١].

أمّا عندما تغيب لغة المقاومة فستتعرض الأمّة إلى الغزو الثّقافيّ، والميل الوادع إلى المحتلّ"؛ إذ ينظر المغزوون إلى واقعهم من خلال نظرة الغزاة لهم، وبقدر ما يقلّدون هؤلاء الغزاة بقدر ما يطمئنّ الغزاة إلى وضعهم، ولأجل أن يتحقّق هدف الغزو لا بدّ أن يقتنع هؤلاء المغزوون أوّلاً بدونيتهم؛ لأنّ في اقتناعهم بالدّونية اعترافاً بعلويّة الغزاة، وفي هذا الاعتراف يكمن التّحوّل الّذي يؤدّي بالمغزوين إلى تمثّل خطى الغزاة في طرائق مشيهم ولبسهم وسلوكهم الاجتماعيّ، وفي ذلك يتحقّق الازدواج في شخصياتهم، وهذا الازدواج هو الّذي يوضّح لماذا يتعايش المقهورين في بعض المراحل مع قاهريهم"[٢].

ب- الثنائية:

تعني الثّنائيّة في اللّغة بشكل عام: استعمال لغة ثانية بجانب لغة الأمّ (القوميّة)، وهي ظاهرة تكاد تكون منتشرة في معظم الدّول الّتي خضعت للاستعمار؛ إذ تبرز لغة المستعمِر إلى جانب لغة المستعمَر في مختلف جوانب النّشاط الحياتيّ لمجتمع المستعمَر. وتقاس قوّة الثّنائيّة وتجلياتها في مجتمع المستعمَر بقابلية هذا المجتمع للاندماج في بنية المجتمع المستعمِر، وقدرة الدّولة

١ فارس، شهاب. اللّغة والهويّة الثّقافيّة: النّموذج الياباني، جريدة البلاد السّعوديّة، الأربعاء ١٩ آذار ٢٠٠٨ الموافق ١١/ ٣ /١٤٢٩هـ

٢ فرايري، باولد. تعليم المقهورين، ترجمة يوسف نور عوض، بيروت: دار القلم، ١٩٨٠م، ص١١٤

القوميّة على الاستقلال السّياسيّ والاقتصاديّ، ومدى انتماء المؤسّسة ووفائها إلى الجوهر التّاريخيّ للّغة وللهوية، ومدى الشّعور بالدّونيّة والنّقص من الهوية؛ إذ يدفع هذا الشّعور إلى استعارة هوية أخرى تعبّر عن انتماء المستعمَر إلى ثقافة المستعمِر.

وتصوير مسألة الثّنائيّة أنّها لا تخرج عن كونها تقليداً لغويّاً مقتصراً على الكلمات والجمل والتّعابير، ومستخدَماً من معظم المستويات، هو تصوير ساذج يَنمُّ عن أحد دافعيْن: دافع بسيط لا يعي أنّ اللّغة شكلٌ سامٍ في التّعبير عن الهوية. ودافع خبيث يرى أنّ الإثنية اللّغويّة شكل من أشكال التّفاعل الثّقافيّ والحيويّة الثّقافيّة والحوار الحضاريّ[1]، وبدرجة أعلى شكل من أشكال الحتميّة اللّغويّة خاصّة في عصر التّقنية[2].

---

١ يرى علماء التربية والاجتماع أن التفاعل بين الحضارات والثقافات يتم عن طرق ثلاث هي: التوصيل؛ إذ يتفاعل المجتمع المضغوط مع الحضارة الضاغطة، فيحملون معهم بعض عادات الحضارة الضاغطة. وطريقة الحمل؛ إذ يحمل الأجانب إلى البلد الآخر العادات والتقاليد عن طريق الاختلاط. والطريقة الثالثة الإشعاع الفكري أو الحضاري وذلك عن طريق التقليد. انظر:

- سفر، محمود محمّد. دراسة في البناء الحضاري، كتاب الأمّة، قطر: مركز البحوث والمعلومات دائرة المحاكم الشرعية، رجب، ١٤٠٩هـ، ص٢٨

٢ تتصدر اللّغة الإنجليزية اللغات المستخدمة عبر الشبكة العنكبوتية في العالم، وتبلغ نسبة استخدامها ٢٨,٩% ثم الصينية ١٤,٧% ثم الإسبانية ٨,٩% فاليابانية ٧,٦% فالألمانية٥,٢% فالفرنسية ٥% ثم البرتغالية ٣,٦% ثم الكورية ٣% فالإيطالية٢,٧% فالعربيّة ٢,٥%. وفي الوقت الّذي حقق فيه مستخدمو =

وقطار الحداثة لن يُقلَّ من ابتعد عن مواكبة التّحديث والعولمة اللّغويّة، فاللّغة القوميّة للمجتمع التّابع غير قادرة على تحقيق النّموّ والارتقاء بأفراد المجتمع. وقد تؤدّي لغة الغالب أو الحداثة مهمّة أخلاقيّة في نقل المغلوب أو التّابع من مرحلة التّيه والاستجداء المعرفيّ وعدم معرفة الكينونة إلى مرحلة المشاركة والصّنع المعرفيّ والحضاريّ[1]، ولعلّ هذه النّقطة خطيرة جدّاً؛ إذ تمنح الغالب حرّيّة مطلقة في نقل معرفته إلى الآخر؛ طوعاً أو كرهاً، فهو ينطلق من منظومة قيم وأخلاق تؤهّله للقيام بأيّ فعل في سبيل نقل ثقافته، كما كان يفعل المستعمِرون الأوروبيّون في انطلاقاتهم الاستعماريّة في القرنيْن

= الشبكة العنكبوتية الّذين يتكلمون اللّغة لعربية أكبر وتيرة نمو في العالم كله في الفترة (٢٠٠٠ – ٢٠٠٧) إلا أن معظم مستخدمي الشبكة العنكبوتية العرب ٨٠% منهم يستخدمون اللّغة الإنجليزية، ودرجة إتقان الإنجليزية تتفاوت بينهم بشكل كبير، وتبلغ نسبة العرب مستخدمي اللّغة الفرنسية ١٠% معظمهم من المغرب العربي، ومستخدمي اللغات الأخرى ١٠%. انظر:

-Global Internet Statistics. I T News Internet Users in the world,page updated on may ١٤,,٢٠٠٩

١ يذكرنا هذا بالنظريات الاجتماعية الّتي انتشرت في العالم الغربي (المتحضر) إبان القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، الّتي ترى أن الحضارات والشعوب تقسم إلى مدنية متحضرة، وأخرى متخلفة، ويجب على المجتمعات المتحضرة أن تُخرج المجتمعات المتخلفة من مستنقع التخلف الممثل في الدين واللّغة والهوية، إلخ. انظر:

– ابن غنيسة، نصر الدين. قراءة في أثر التمركز الثقافي في نشأة الهوية الأوروبية، مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، العدد ٥٦، ص١١٥.

الثّامن عشر والتّاسع عشر؛ إذ أنتجوا عبارة
WHITE MANS BURDEN.

لأجل ذلك ترتبط قضية الثّنائيّة بالحديث عن المصير وحقّ تقريره، ومفهوم الأمّة والمواطنة، والمشاركة الوجدانيّة، والحس المشترك، والانتماء إلى الذّات، ونقاء الهويّة. وهذه المصطلحات هي في ذاتها مصطلحات بريئة، تأخذ دلالاتها السّامية أو الوضيعة من سياقات استخدامها. ومن هنا تظهر إشكالية طغيان لغة على أخرى، لا على مستوى النطق فحسب، بل على مستوى الهوية أيضاً، فـــ"عدم التوازن في استعمال اللّغتين في أغلب الحالات يعني "أنّ واحدة من هاتيْن اللّغتيْن والّتي سنسميها اللّغة الرّئيسة سوف تسيطر على حياة الشّخص ثنائي اللّغة. واللّغة الرّئيسة هي اللّغة الّتي يعتبرها الشّخص ثنائي اللّغة لغته الخاصّة، ويمارس بها علاقاته الشّخصيّة المهمّة، ومن ثمّ، فهي اللّغة الّتي يعرفها أكثر ويتحدّثها أفضل، ويستخدمها بكلّ سهولة ويسر، وعادة ما تكون هذه اللّغة من ناحية زمنيّة اللّغة الّتي يتمّ اكتسابها أوّلاً، وكلمة (عادة) الّتي جاءت في الجملة السّابقة مهمّة في هذا المضمون، لتأكيد أنّ الوصف الّذي قدمناه للّغة الرّئيسيّة يصدق في أغلب الحالات، وليس بالضّرورة في كلّها، فهناك بعض الأشخاص ثنائي اللّغة يمارسون علاقاتهم الخاصّة والشّخصيّة جدّاً بلغتيْن، ومثل هؤلاء الأشخاص الّذين تشرّبوا اللّغتيْن لا يفرّقون بوضوح بينهما، ولا يشعرون بخصوصيّة أحداهما دون الأخرى"[١].

---

١ سوان، ميجل و مكاي، وليم. التعليم وثنائية اللّغة، ترجمة إبراهيم بن حمد القعيد ومحمّد عاطف مجاهد، الرياض: عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، ١٩٩٤م، ص١٦

ويرى المهتمّون ببناء مجتمع المعرفة، والعاملون في التّخطيط اللّغويّ، أنّ ثمّة دوافع لحدوث الثّنائيّة، ولعلّ أهمّها: الدّافع الاندماجيّ والدّافع الأداتيّ (النّفعيّ)، والمقصود بالدّافع الاندماجيّ أنّ الغرض من تعلُّم اللّغة الأجنبيّة الثّانية هو الاندماج في بنية المجتمع الأجنبيّ (القوي – المهيمن)، وقد ينشأ هذا الدّافع عند الّذين يذهبون إلى بلاد أجنبيّة للعمل أو الدّراسة، إلخ[١]، وعند من يشعر بأنّ هويّته دونيّة لا ترقى إلى اللّغة الثّانية، فيظنّ أنّه وُجد في المكان الخطأ، وأنّه استمرار لثقافة اللّغة الثّانية، ومنتمٍ إليها لا اللّغة الأولى وهي الأمّ. أما الدّافع الأداتيّ (النّفعيّ)، فهو يرى في تعلّم اللّغة المهيمنة تحقيقاً لأهداف نفعيّة خالصة، كالرّقي الاجتماعيّ، والحصول على وظائف ذات دخل مرتفع، وربّما محاولة قراءة الآخر في مختلف جوانب نشاطه.

ولعلّ هذا التّأرجح في الهويّة ومحاولة الهيمنة اللّغويّة، وإفقاد اللّغة القوميّة (الأمّ) جوهرها التّاريخيّ، هو ما نطلق عليه مصطلح (التّدمير الخلاّق للّغة العربيّة)؛ أي تفتيت المجتمعات العربيّة عن طريق تدمير اللّغة ونشر الثّنائيّة والازدواجيّة[٢]. وبناءً عليه، هل يحقّ للمجتمعات العربيّة أن تنظر بعين الرّيبة والشّك تجاه الأفكار الّتي تنادي بالتّحديث والحداثة، وما بعد الحداثة، واللّغة

١ ظهر عند مخططي السياسة اللغوية الغربيين مصطلح إنجليزية البقاء، أي تخصيص برنامج يُسهّل اندماج المهاجرين في المجتمع لكي يحصلوا على فرص جيدة في العمل، مما يؤدي إلى توفير مادي كبير.

٢ استعرت من مايكل ليدن،أحد مفكري المحافظين الجدد، مصطلح التدمير الخلاّق؛ أي تفتيت المجتمعات العربيّة على غرار البلقنة.

الكونيّة، إلخ من تلك المصطلحات والمفاهيم الّتي تجعل من اللّغة الإنجليزيّة شريكة لأيّة لغة قوميّة، وقد تتفوّق عليها كما هو الحال في تجربة الفلبين؛ إذ أصبحت اللّغة الإنجليزيّة المهيمنة على اللّغة القوميّة المسماة بـــ(البلبينو) فغدت اللّغة الإنجليزيّة لغة الصّفوة والسّياسة والاقتصاد والعلم، وغدت البلبينو لغة عامّة، لأجل ذلك يجب أن يكون ثمّة وعي بالفروق الجوهريّة بين وظيفة اللّغة القوميّة بوصفها أداة فكر وهوية وتواصل، واللّغة الأجنبيّة بوصفها أداة تواصل مع فكر الآخر، إن استعصى على أهل اللّغة نقل المعارف إلى لغتهم القوميّة.

تعتمد نظريّة التّحديث على منطلق رئيس، وهو أنّ المجتمعات المتخلّفة يجب أن تُحدِث قطيعة مع البنيات المؤسّسيّة التّقليديّة الّتي تعرقل التّطوّر والازدهار الاقتصاديّ، وبهذا ترى نظريّة التّحديث أنّ أفضل طريقة ممكنة لتجاوز التّخلّف تنحصر في تبنّي مؤسّسات وأنماط سلوك شبيهة لما يوجد في المجتمعات الصّناعيّة. وظاهر للعيان هيمنة الإنجليزيّة على باقي اللّغات، ما دفع البعض إلى القول بأنّ الإنجليزيّة هي لغة التّحديث؛ لأنّها لغة المعرفة والتّواصل. ويرى مؤيّدو هذا الرّأي أنّ أنظمة المعلومات الحديثة تتطلّب سيادة لغة واحدة وهي اللّغة الإنجليزيّة، وذلك لثلاثة أسباب:

أوّلاً: لأنّ المعلومات الّتي يتوقّف عليها التّطوّر التّكنولوجيّ الحديث ذات صبغة تراكميّة، فمن أجل متابعة العلماء -وغيرهم من المعنيين بالبحث والتّطوير- ما يستجدّ، ينبغي أن يصلوا إلى البحث الّذي يجري في العالم، ولهذا فوجود لغة بحث مشتركة أمر مفيد، ويلاحظ بشكل متزايد أنّ

الإنجليزيّة هي اللّغة المهيّأة للقيام بهذه المهمّة.

ثانياً: تتطلّب عمليّة البحث والتّطوير والتّطبيق النّفاذ إلى آخر ما استجدّ في عالم البحث، وهكذا ينظر مرة أخرى إلى الإنجليزيّة أداة فعّالة في هذا النّفاذ.

ثالثاً: يشهد تنامي المعلومات توسّعاً ملحوظاً، ويتطلّب ذلك أنظمة استرجاع ونفاذ عآلية التّقنية، تستطيع أن تنشر على وجه التّقريب يوميّاً سبعة آلاف مقالة علميّة. وتشير الفيدرآلية الدّوليّة للتّوثيق – وهي أحد فروع اليونسكو الّتي تتعامل مع المعلومات العلميّة– إلى أنّ ٨٥% تقريباً من كلّ المعلومات المخزنة أو المختزلة في جميع أقطار العالم لغتها الإنجليزيّة. إنّ القدرة على النّفاذ إلى مثل هذا النّظام المعقّد من المعلومات، والتّحكّم فيه، يتطلّب مهارات لغويّة معتبرة على مستوى الوطنيّ، ويعني هذا أنّ كلّ بلد ينبغي أن يتوافر على طاقم ضخم ممّن يتقنون الإنجليزيّة[1].

إنّ عمليّة نقل العلوم لا تقتصر على لغة دون غيرها، فكم من أمم في الماضي والحاضر استطاعت أن تنهض بلغتها عن طريق التّرجمة؛ إذ اعتمدت هذه الأمم على ركيزتيْن أساسيتيْن هما: الاستيعاب والتّجاوز، وما النّهضة اليابانية والصّينيّة إلاّ مثال ناصع على قدرتهما في تحقيق التّقدّم العلميّ على الرّغم من استفحال الإنجليزيّة في الشّبكة العنكبوتيّة. وقد حاول مجمع اللّغة الأردنيّ أن يبرهن على قدرة اللّغة العربيّة في استيعاب تقنيات العصر والتّفاعل معها وتجاوزها، وإنتاج جهاز مفاهيمي قادر على رفد المجتمعات

---

١ طوليفصون، السياسة اللغوية، مرجع سابق، ص٩٩-١٠٠ بتصرف يسير.

العربيّة بما يلزمها لكي تواجه مستجدّات العصر[١]. وحاول عدد غير قليل من المفكّرين اللّغويّين والتّقنيّين العرب أن يفنّدوا الاتّهامات الّتي وُجّهت إلى العربيّة من أنّها عاجزة عن أن تكون لغة علم وتقنية، متّخذة تلك الاتّهامات من الحرف العربيّ مثالاً على هذا العجز[٢].

٤- اللّغة بين الاستيعاب والتّجاوز:

يقول ابن خلدون: "اعلم أنّ عرف التّخاطب في الأمصار وبين الحضر ليس بلغة مضر القديمة، ولا بلغة أهل الجيل، بل هي لغة أخرى قائمة بنفسها، بعيدة عن لغة مضر، وعن لغة هذا الجيل الّذي لعهدنا، وهي عن لغة مضر أبعد. وأما أنّها لغة قائمة بنفسها، فهو ظاهر يشهد له فيها من التّغاير الّذي يُعدّ عند صناعة أهل النّحو لحناً"[٣].

إن التّسارع المعرفيّ والتّقنيّ الّذي يشهده العالم اليوم يفرض على المجتمعات أن ترى مكانها في هذا التّسارع، وتراجع أساليب تعاملها مع الذّات ومع الآخر، فلقد علّمنا التّاريخ أنّ المراجعة القائمة على التّفكير – بوصفها مؤشّراً على إنسانيّة سوية- لا تستقيم مُلبية منطقها بغير قدرتها

١ انظر الموسم السادس والعشرين عام ٢٠٠٨ م. الموسوم بـــ" اللّغة العربيّة والتقنيات الحديثة".

٢ من العلماء الّذين تصدوا لهذه الفرية:

- نبيل علي: اللّغة العربيّة والحاسوب والعرب وعصر المعلومات
- محمّد زكي خضر: الحروف العربيّة والحاسوب
- نهاد الموسى: الثنائيات في قضايا اللّغة العربيّة.

٣ ابن خلدون، المقدمة، تحقيق: علي عبد الوافي، مرجع سابق، ج٣، ص١٢٨٤.

على معالجة كلّ مستهدف في الواقع عن طريق التّصدّي له، كما أنّها لا تساير طبيعتها دون جرأة صاحبها على فِعْل هذه المراجعة. وليس من مراجعة مثمرة بغير قابليّة أصحابها، وليس من ذهن تُتاح له سعة التّفكير بغير وجود للحراك في الواقع، وليس من واقع يتحرّك ليتغيّر ما دامت مسوّغات صعود الأفراد على ما هي عليه؛ منكفئة في ظلّ دائرة ضيّقة تكاد تخنقّها. لذلك لا بدّ من تطوير اللّغة، على ألاّ يفقدنا هذا التّطوير الاتّصال بالتّراكم المعرفيّ التّراثيّ، وأن تكون هذه اللّغة قادرة على تمثُّل مفهومي الاستيعاب والتّجاوز.

ولكن عن أيّ لغة نتحدّث؟ وعن أيّ مستوى للغة نتعامل؟ وإن كانت ثمّة مستويات فهل نستطيع أن نوالف بينها؟ وماذا تمسُّ عمليّة التّطوير ألبذور أم الجذور أم الورق؟ وما هي اللّغة الواقعيّة؟ أهي المستعملة أم المجرّدة؟ وهل عدم الالتزام بالمستوى العإلى الرّفيع أو الفصحى له علاقة سيكولوجيّة تتعلّق بقانون الاقتصاد في الجهد ممّا يجعل النّاس يخفّفون الألفاظ؟

لم يعد هذا الموضوع خافياً على أحد، خاصّة بعد الانتشار الكبير لتقنيات التّواصل الشّفهيّ والمرئيّ والكتابيّ، وغدت المعمورة بيتاً يستطيع فيه الجميع أن يسمعوا ويناقشوا بعضهم بعضاً. وتنبهنا نظريّة التّلاؤم[١] إلى ضرورة مراعاة الفروق الاجتماعيّة واللّغويّة والاقتصاديّة عند التّخطيط اللّغويّ، وضرورة الحيويّة اللّغويّة حتى تنشأ لغةٌ تبتعد عن المعاظلة الّتي تقف سدّاً أمام وصول المعنى، وتبتعد كذلك

١ تبحث نظرية التلاؤم فيما يمكن أن يحدث أثناء تفاعل أفراد ينتمون إلى مجموعات لا تتساوى بينها موازين القوة. انظر:

- طوليفصون، **السياسة اللغوية**، مرجع سابق، ص٨٥

عن الابتذال الّذي يقلّل من قيمة التّوقّعات.

يقارن اللّغويّون غالباً بين ثلاثة مستويات للّغة العربيّة: مستوى اللّغة الفصحى العليا وهي المستخدمة في الأوساط الأكاديميّة والعلميّة. ومستوى الفصحى الإعلاميّة (العربيّة الوسطى). ولغة العامّة. ولعلّنا عندما نبحث في وضع مستويات لشيء ما، فإنّنا نضع المستوى الأعلى، ويقابله نقيضه المستوى الأدنى، ويتوسّطهما المستوى الّذي نَعدُّه – مرحليّاً- موائماً لطبيعة المجتمع الّذي يتفاعل مع المستجدّات، وابتعد عن المعيار أو الأنموذج. وبما أنّ هذا المستوى المتوسّط ينحت من المعيار أو الأنموذج ومن البيئة، فمن الطّبيعيّ أن يستحوذ على اهتمام اللّغويّين. ومن هنا كان الحرص على "إجراء دراسات مقارنة بين العاميّة والعربيّة الوسطى من جهة، وبين العربيّة الوسطى والعربيّة من جهة أخرى؛ لتحديد العلاقة في هذه المستويات الثّلاثة، والكشف عن مقدار التّطور الّذي تمثّله العربيّة الوسطى في الانتقال من العاميّة إلى الفصحى، وتعيين العوامل الّتي أدت إلى ولادة هذا المستوى اللّغويّ (العربيّة الوسطى)"[١].

ورأى بعض الباحثين أنّ هناك فصحى معاصرة تمثّل مرحلة زمنيّة معيّنة من

---

١ الموسى، نهاد. الازدواجية في العربيّة ما كان، وما هو كائن، وما ينبغي أن يكون، ندوة الازدواجية في اللّغة العربيّة، مرجع سابق، ص٩٩. ويرى الدكتور نهاد في العربيّة الوسطى تفاعلاً بين العامية المكتسبة والفصحى المتعلمة وهي أقرب إلى العامية؛ لأنها كأنما تكتسب اكتساباً... وقيمتها آنية... ومع ذلك يُستأنس بها... لأنها معلم على طريق التحول المنشود.

المراحل الّتي تواردت على العربيّة التّراثيّة، وهي امتداد للفصحى التّراثيّة؛ إذ تلتزم بقواعدها، وهي منتشرة في لغة الصّحافة والإعلام[١]. وبناء على ما سبق تقترح الدّراسة ملامح العربيّة الحديثة أو الفصحى المعاصرة أو العربيّة الوسطى:

– هي أصوليّة في بنيتها المعرفيّة وقواعدها النّحويّة والصّرفيّة والبلاغيّة، ولكنّها لا تتبع بالضّرورة القول بـــ: قُلْ ولا تَقُلْ في التعبير عن مفردات النّحو والصّرف والبلاغة؛ إذ تحتمل العربيّة الكثير من التّأويلات النّحويّة والصّرفيّة والبلاغيّة دون الخروج على الأصول. وبناء على ذلك تظهر بشكل واضح حدود القواعد وحدود المُستخدِم، وتتّضح العلاقة بين المُنتِج والمُنتَج، وتصبح حرّيّة المُستخدِم مضبوطة بأصول اللّغة، ويغدو بذلك وفياً لجوهر اللّغة. وهي بهذا المفهوم ليست ثوريّة تهدف إلى تلويث اللّغة، والخروج عليها.

– وهي دقيقة في التّعبير عن مفرداتها وقواعدها؛ إذ إنّها تخاطب مستويات متعدّدة من الدّائرة اللّغويّة نفسها، ومن دوائر لغويّة أخرى، وهذا يجعلها تبتعد عن الإغراق في المجاز والكناية والفذلكات اللّغويّة والنّحويّة والصّرفيّة. ولا يعني هذا أن نجعلها جامدة وعلميّة مثل لغة الرّياضيات والفيزياء، ولكنّها لغة فكر ومتعة، دون أن يطغى أحدهما على الآخر. وبما أنّ التّسارع التّقنيّ يفرض تسارعاً في نشاطات الحياة ومنها النّشاط اللّغويّ، فإنّ هذا يحثُّ اللّغة على إيصال الفكرة بجهد عقليّ مقبول يتواءم ومسألة التّسارع.

---

١ انظر: عبد السلام، ربيع. طرق التوسع المعجمي للفصحى المعاصرة بين النظرية والتطبيق، بحث مقدم إلى مؤتمر اللّغة العربيّة في وسائل الإعلام، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم،٢٠٠٢، ص٤.

– وهي لا تجعل للحركات الإعرابيّة الأصليّة (الفتحة والضمة والكسرة) موقعاً مميّزاً، إلاّ إذا استدعى الأمر أنْ يتعاشق المتلقي معها؛ إذ تبطئ –كذلك– من وتيرة الجهد اللّغويّ. وهنا يجب أن نفرّق بين المشافهة والكتابة، فقد يظهر للحركات موقع مميّز محتفى به في المشافهة، إلاّ أن بريقه يضعف عند الكتابة.

– وهي توسعيّة بالمعنى الاشتقاقيّ والتّوالديّ؛ إذ تستخدم وسائل عديدة للتّعبير ونقل المعرفة، وتسمح بقبول الآخر اللّغويّ، فهي تقبل الاشتقاق ولكن طبقاً لقواعدها، وتقبل التّطوير في الأساليب والتّراكيب طبقاً لمعيارها. وفي هذا الموضوع يذكر الدّكتور إبراهيم السّامرائيّ، في بحثه الموسوم بـــ"مع لغة الصّحافة" أنّ كثيراً من الأساليب والتّراكيب قد دخلت إلى العربيّة وهي ليست فصيحة، ولكنّها مقبولة، ويعطي أمثلة على ذلك ومنها: هو يلعب دوراً خطيراً، فهذه جملة غير فصيحة، ولكنّها مقبولة[١].

– وهي متسامحة، وعندها القابليّة لكي تأخذ بالمباح والمندوب من اللّغة (كأس – كاس، صحراء – صحرا)

١ السامرائي، إبراهيم، مع لغة الصحافة، بحث مقدم إلى ندوة الازدواجية في اللّغة العربيّة، مرجع سابق، ص١٩٧.

خاتمة:

تبيّن لنا ممّا سبق أنّ اللّغة العربيّة تعاني اغتراباً بين أهلها، وخرجت عن وصفها تعبيراً عن هويّة الأمّة وثقافتها، ودورها كبير في صوغ الفكر والهويّة. وقد يتبادر إلى الذّهن أنّ عمليّة التّغيير والتّطوير عمليّة فوقيّة فحسب، فمخطئ من يظنّ هذا، بل هي عمليّة تحتيّة كذلك؛ إذ يكون للفرد دور كما هو للمؤسّسة، مع مراعاة سرعة الإنجاز وحجمه. ومخطئ من يظنّ أن عمليّة التّطوير والتّغيير تتطلّب ضريبة باهظة ممثّلة في الانسلاخ من ثقافة الأضعف والارتماء في ثقافة الأقوى. ولعلّ الدّراسة لاحظت هذا الخلل التّربويّ؛ إذ إنّ التّفاعل مع اللّغة، والحرص عليها، ومحاولة تطويرها على الأصول تربية. ومخطئ من يظنّ أنّ تشكيل الفرد والشّخصيّة عمليّة أفقيّة فقط، بل هي عموديّة كذلك؛ إذ لا يكتفى بالتّطلّعات والأمنيات، بل لا بدّ من التّخطيط الّذي يجعل للتّراكم المعرفيّ دوره في البناء. ممّا يفرض وعياً قادراً على مسايرة الحداثة واستيعاب التّراث.

فهرس المحتويات

فرنسا كنموذج يحتذى به في مجال دفاعها عن لغتها

إعداد

د. سفيان موسى الحامد

في هذه الدّراسة، سنتناول موضوعاً ينتمي إلى الميدان اللّغويّ الاجتماعيّ، وعلى نحو أدقّ، إلى الميدان اللّغويّ السّياسيّ. يتعلّق هذا الموضوع بالتّخطيط السّياسيّ اللّغويّ الّذي يمكن أن يعرف بشكل عامّ على أنّه مجموعة الإجراءات اللّغويّة الّتي يتّخذها الزّعماء والسّياسيّون وقادة الحركات والأفراد وكافّة المهتمّين بالشّؤون اللّغويّة من أجل التّأثير على استعمالات الأخرىن للغات المتداولة في مجتمع ما، وتحديد الوظائف الّتي تؤدّيها تلك اللّغات بما يخدم غاياهم وأهدافهم وتطلّعاهم، إلخ.

سنتناول في هذه الدّراسة، كما يشير عنواها، السّياسات الّتي تتبعها فرنسا تجاه لغتها. وبعبارة أخرى، سنحاول في هذا البحث عرض وتحليل هذه السّياسات مع التّركيز على الطّريقة الّتي تتدخّل فيها هذه الدّولة من أجل الدّفاع عن لغتها وترويجها على الصّعيدين الدّاخليّ والخارجيّ. والهدف من ذلك هو تقديم نموذج قد يلهم المخطّطين اللّغويّين العرب في إعداد سياسات لغويّة من شأنّها حماية اللّغة العربيّة وتطويرها وإبلاغها المكانة الّتي تستحقّها من ناحية، ومن ناحية أخرى، توسيع الرّقعة الجغرافيّة الّتي تغطّيها، وكذلك تسهيل عمليّة انتشارها.

في هذا البحث، سنقوم – في بداية الأمر– بالتّطرّق إلى تاريخ فرنسا العريق في مجال تخطيطها اللّغويّ. ومن ثمّ، سنبيّن التّغيّر الّذي طرأ على سياساها اللّغويّة بعد حدوث الثّورة الفرنسيّة. وبعد ذلك، سنتناول التّخطيط اللّغويّ الفرنسيّ في القرن العشرين. وفي النّهاية، سنسلّط الضّوء على السّياسات الّتي تتبعها حالياً الجمهورية الفرنسيّة على الصّعيدين الدّاخليّ

والخارجيّ تجاه لغتها الوطنيّة.

١- فرنسا وتاريخها العريق في التّدخّل اللّغويّ

بحسب جاك لوكلير (٢٠١٠)، قام العالم اللّغويّ الفرنسيّ، شارل دوبوفل (وهو أحد كبار العلماء اللّغويّين الفرنسيّين في عصر النّهضة) في عام ١٥٣٣، بتأليف كتاب عنوأنّه: "مختلف اللّغات العاميّة وأصناف من التّعابير المستخدمة في بلاد الغال". في هذا المؤلّف، نوّه الكاتب إلى أنّه كان يوجد في بلاد الغال (أي في فرنسا)، في ذاك الوقت، عادات ولغات بقدر ما كان يوجد شعوب ومناطق ومدن، أي: أنّ الوضع اللّغويّ الفرنسيّ كان يتّسم بتعدّد لغويّ كبير جدّاً. وبغية إدارة هذا التّعدّد اللّغويّ، وقع فرانسوا الأوّل، ملك فرنسا آنذاك، عام ١٥٣٩، مرسوماً يشمل عدّة قوانين، نذكر من ضمنها ما يلي: قانون إنشاء دائرة الأحوال المدنيّة وقانون استخدام اللّغة الفرنسيّة كلغة رسميّة في جميع الأعمال الإداريّة. ومن ضمن موادّ هذه القوانين، نذكر تلك الّتي تتعلّق باللّغة الفرنسيّة (جاك لوكلير،٢٠١٠):

ـــ المادّة ١١٠

حتى لا يكون هناك شكّ في فهم الأحكام الصّادرة عن المحاكم ذات السّيادة، نريد ونأمر أن تكتب هذه الأحكام بشكل واضح جدّاً، بحيث لا يكون هناك غموض وريبة، ولا مجال لطلب التّفسير.

ـــ المادّة ١١١

نحن نريد إذن أن يتمّ نطق وتسجيل وتسليم الأحكام، وجميع الإجراءات الأخرى، إلى الأطراف المعنيّة باللّغة الفرنسيّة، وليس بلغة أخرى.

هذا التّشريع اللّغويّ، الّذي جعل من اللّغة الفرنسيّة لغة الدّولة، لم يكن موجّهاً ضدّ اللّغات المحليّة، ولكن فقط ضدّ اللّغة اللاتينية الّتي كانت آنذاك لغة الكنيسة، أي: أنّ هذا القانون اللّغويّ كان يهدف إلى التّقليل من سلطات الكنيسة الّتي كانت تهيمن آنذاك على أغلب مناحي الحياة في فرنسا. والجدير بالذّكر أنّ غالبية الفرنسيّين في ذاك الوقت، كانوا لا يجيدون اللّغة الفرنسيّة، ولكن، فقط لغاتهم المحليّة. وهذه الأخيرة كانت تستخدم في الحياة العامّة والتّعليم الدّينيّ والدّنيويّ. واللّغة الفرنسيّة كان يجيدها فقط سكان مدينة باريس والطّبقات الإرستقراطيّة الّتي كانت تقطن في المناطق الشّمالية لفرنسا.

٢ – إنشاء الأكاديميّة الفرنسيّة كإجراء تخطيطيّ لغويّ

في عهد الملك لويس الرّابع عشر (في القرن السّابع عشر)، وعلى الرّغم من أنّ اللّغة الفرنسيّة كانت في الواقع اللّغويّ الفرنسيّ تستخدم كلغة رسميّة، إلاّ أنّه اقتصر استخدامها على القصور الملكيّة وعلى الطّبقة البرجوازيّة وفي المجال الأكاديميّ والأدبيّ. في هذا القرن، وعلى الرّغم من الحكم السّلطويّ والمركزيّ، قام النّحويّون الفرنسيّون بصياغة هذه اللّغة حسب ذوقهم، وليس وفقاً لقوانين ومراسيم ملكيّة. وبالتالي، شهدت اللّغة الفرنسيّة، في تلك الفترة، عهداً من التّميّز والتّدعيم والتّمتين؛ حيث إنه تمّ، بصفة عامّة، تثبيت قواعدها. حتى أنّ هذه اللّغة، بعد هذا التّدخّل اللّغويّ، ووفقاً لوجهة نظر النّحويّين الفرنسيّين، وصلت إلى "قمّة الكمال" في مجال ترسيخ قواعدها اللّغويّة. ولم يكتف النّحويّون بذلك، بل نادوا باستخدام المفردات اللّغويّة بشكل صحيح ولبق. وحرصاً على "تنقية" اللّغة وخوفاً

من "فسادها"، قاموا بإبعاد المفردات الغير فرنسيّة والقديمة والغير لائقة. ولضمان تطبيق هذه السّياسات اللّغويّة، قام العالم اللّغويّ ريشليو، عام ١٦٣٥، (كما يذكر جون لويس كالفي، ١٩٩٦)، بإنشاء الأكاديميّة الفرنسيّة الّتي تعنى بإدراة هذه اللّغة. هذه الأكاديميّة، الّتي استمرت بتنقية هذه اللّغة، نشرت الطّبعة الأولى من قاموسها اللّغويّ عام ١٦٩٤. نلاحظ أنّ إنشاء هذه الأكاديميّة جاء من خلال مبادرة فرديّة، أي: أنّ الأفراد يمكنهم أيضا التّدخّل في إدارة الأوضاع اللّغويّة، وهذا الأمر ليس مقتصراً فقط على الحكومات أو الجهات الرّسميّة.

اللّغة الفرنسيّة، الّتي اقتصر استخدامها على النّخبة، بدأت "بالزّحف" رويداً رويداً إلى ألسن الفرنسيّين (الّذين كانوا يجهلون قواعدها الأساسيّة والّذين كانت نسبة الأمية لديهم تصل إلى ٩٩ بالمئة، كما كان هو الحال في جميع دول أوروبا في ذاك الوقت). كان الشّعب إذن في جهل تامّ، وكان التّعليم الدّينيّ هو التّعليم السّائد في تلك الفترة. وهذا التّعليم كان يتمّ باللّغات المحليّة وأحياناً باللّغة اللاتينية. في هذا الصّدد، يؤكّد جاك لوكلير (٢٠١٠) أنّ العالم اللّغويّ الفرنسيّ، المختصّ باللّغات الرّيفيّة في فرنسا، ألبير دوزات، أحصى، في القرن السّابع عشر الميلاديّ، ٦٣٦ لغة محليّة في فرنسا. والمفارفة أنّ اللّغة الفرنسيّة كانت، في ذاك الوقت، تستخدم في كوبك (الإقليم الفرنسيّ في كندا)، وإنجلترا، وهولندا وموسكو أكثر ما كانت تستخدم في فرنسا نفسها. ولكن، هل بقي الحال على ما هو عليه بعد الثّورة الفرنسيّة الّتي حدثت عام ١٧٨٩؟ هذا ما سنتناوله في ما يلي.

٣ – التّخطيط اللّغويّ بعد الثّورة الفرنسيّة

بعد حدوث الثّورة الفرنسيّة، زادت نزعة التّدخل اللّغويّ، بشكل كبير، لدى الجمهورية الفرنسيّة، على اعتبار أنّها قامت بسنّ العديد من القوانين الّتي لها صلة بالميدان اللّغويّ. فمثلاً في السّنوات الأولى للثّورة، كان يتمّ ترجمة المراسيم الثّوريّة إلى جميع اللّغات المحليّة. وفي عام ١٧٩٠، أي بعد عام من قيام الثّورة، أصدر المجلس الوطنيّ (البرلمان الفرنسيّ) قانونا يهدف إلى نشر المراسيم النّيابية بجميع اللّغات الّتي كانت آنذاك موجودة في فرنسا. وبالطّبع، التّكاليف المالية الباهظة لعمليّة التّرجمة عقدت بشكل كبير تطبيق هذا القانون.

بعد الثورة، بدأت اللّغة الفرنسيّة، ولأوّل مرّة، تتّصل اتّصالاً وثيقاً بالشعب الفرنسيّ. وأصبح بالتالي أمر اللّغة الفرنسيّة هامّاً جدّاً بالنّسبة للجمهورية الفرنسيّة. وظهر تدريجيّاً تيار فكريّ ينادي بجمهورية موحّدة وغير مجزّأة من النّاحية اللّغويّة وبأهمية التّعليم ونشر اللّغة الفرنسيّة في جميع أنحاء فرنسا. كان هذا التّيار يرى أنّ التّباين اللّغويّ والثّقافي الموجود في الأقاليم الفرنسيّة يتعارض مع فكرة الجمهورية الموحّدة. هكذا، علت الأصوات المنادية بضرورة أن يتبنّى جميع أطياف الشّعب الفرنسيّ اللّغة الفرنسيّة كلغة وطنيّة وحيدة. ومن ضمن هذه الأصوات، نذكر عضو لجنة السّلام العام، برترا بارير، الّذي أعلن، في كانون الثّاني عام ١٧٩٤، أمام أعضاء الوفاق الوطنيّ، أنّ: "النّظام الملكيّ كان له أسبابه ليشبه برج بابل في الدّيمقراطيّة، إنّ عمليّة ترك المواطنين يجهلون اللّغة الوطنيّة {...} يعتبر بمثابة خيانة للوطن. يجب عند أيّ شعب حرّ، أن تكون اللّغة واحدة ونفسها للجميع. كم من الأموال أنفقنا لترجمة القوانين الصّادرة عن

المجلس الوطنيّ إلى مختلف اللّغات الموجودة في فرنسا! كأنّما علينا الحفاظ على هذه الرّطانات البربريّة واللّهجات الفظّة الّتي لا تستطيع خدمة إلا المتطرّفين وأعداء الثّورة." (جاك لوكلير، ٢٠١٠). زد على ذلك، فقد قام رجل الدّين المعروف آنذاك، هنري غرغوار، بنشر تقرير شهير بين فيه ضرورة وطرق إبادة هذه "الرّطانات" وتعميم استخدام اللّغة الفرنسيّة في جميع أنحاء فرنسا، يؤكّد هنرت ولتر (٢٠٠٥:٢٢). في هذا التّقرير، ذكر غرغوار، أنّ الوضع اللّغويّ في فرنسا سيّئ للغاية نظراً لوجود ما يقارب ثلاثين لغة محليّة تعمل على شرذمة المجتمع الفرنسيّ ولحقيقة أنّ اللّغة الفرنسيّة كانت مستخدمة فقط في خمس عشرة مقاطعة من أصل ثلاث وثمانين، أي: أنّها كانت مستخدمة من قبل ما يقارب ثلاثة ملايين فرنسيّاً من أصل خمسة وعشرين مليوناً. والجدير بالذّكر أنّ هذا الكاهن كان يطلق لقب "لغة" فقط على اللّغة الفرنسيّة، وأمّا بشأن اللّغات الأخرى الّتي كانت موجودة آنذاك في فرنسا، (نذكر على سبيل المثال لا الحصر، الباسك، النرماند، البيكار، البروفنسيال، الكورس، البروتون، إلخ.)، فكان يسميها "رطانات"، وذلك من أجل تحقيرها والتّقليل من شأنّها ومكانتها. هكذا، بدأ الهجوم الضّاري على هذه "الرّطانات" عبر حملة شعواء تهدف من جهة، إلى تشويه صورتها والتّقليل من أهميتها، ومن جهة أخرى، إلى المطالبة بالتّخلّص منها، وذلك لكي تصبح اللّغة الفرنسيّة اللّغة الوطنيّة لكافّة مكونات الشّعب الفرنسيّ. منذ ذلك الحين، أصبح من الضّروريّ فرض اللّغة الفرنسيّة بموجب مراسيم صارمة في جميع أنحاء فرنسا. وفي هذا السّياق، يشير جاك لوكلير (٢٠١٠)، إلى أنّ أحد أكبر رجال السّياسة آنذاك، شارل موريس دو

تإلىغن، اقترح إنشاء مدرسة ابتدائيّة في كلّ بلديّة، حيث يتمّ فيها تعليم لغة الدّستور (الفرنسيّة) للجميع، وبالتالي القضاء على "اللهجات الإقطاعيّة الفاسدة"، وفقا لتعبيره. ومن ثمّ صدر، في تموز عام ١٧٩٤، مرسوم يسمّى "مرسوم تيرميدور اثنين"، الّذي هو عبارة عن قانون يشمل أربعة بنود تهدف من ناحية، إلى جعل اللّغة الفرنسيّة اللّغة الوطنيّة الوحيدة في المجتمع الفرنسيّ، ومن ناحية أخرى، إلى "تعقّب ومطاردة" اللّغات المحليّة الأخرى. ووفق جون باتست دوفيغجي (١٨٢٥:٢٧٥)، فإنّ بنود هذا القانون، الّذي يلبّي، من وجهة النّظر اللّغويّة، رغبة بعض الثّوار، الّذي كان من ضمنهم القياديّ الثّوريّ والنّائب في المجلس الوطنيّ النّيابيّ، ماكسميلين روببير، تتلخّص فيما يلي:

ـــ المادّة ١

ابتداء من يوم نشر هذا القانون، لا يجوز على الإطلاق لأيّ وثيقة عامّة، في أي جزء من أراضي الجمهورية، أن تكتب بلغة غير الفرنسيّة

ـــ المادّة ٢

بعد شهر وأحد من تاريخ نشر هذا القانون، لا يمكن تسجيل الوثائق المكتوبة بغير اللّغة الفرنسيّة.

ـــ المادّة ٣

ابتداء من يوم نشر هذا القانون، أيّ موظف حكوميّ يقوم –في إطار وظيفته– بإصدار أو كتابة المحاضر أو الأحكام أو العقود أو أيّ وثيقة أخرى بلغة غير الفرنسيّة، سيحال إلى القضاء في منطقة سكنه وسيحكم عليه بالسجن لمدة ستة أشهر وسيعزل من منصبه

ــــ المادّة

سيحكم بنفس العقوبة محصل رسوم تسجيل الوثائق الّذي يقوم، بعد شهر وأحد من تاريخ نشر هذا القانون، بتسجيل الوثائق، (حتى الوثائق العاديّة الغير مسجّلة عند كاتب العدل)، المحرّرة بلغة غير الفرنسيّة.

ألغي هذا القانون بعد ستة أسابيع من تاريخ إصداره، وذلك بعد عمليّة إعدام القياديّ الثّوريّ، ماكسميلين روبيير، الّذي كان من كبار الدّعاة إليه. وقد تمّ إعدامه؛ نظراً لتورّطه بأعمال دمويّة شنيعة (ضدّ خصومه) في فترة ما بعد الثّورة. ومع ذلك، بقيت اللّغات المحليّة تعاني تحت وطأة التّهميش، ودليل ذلك، كما يشير إليه إغفي أبلان (١١٢:٢٠٠٧)، في كتابه "اللّغة الفرنسيّة واللّغات التّاريخيّة لفرنسا"، هو المصادقة، في تشرين الثاني عام ١٧٩٤، على قانون يسمى بقانون *ثلاثين فندمير* وينصّ على أنّ "التّعليم في جميع أنحاء الجمهورية، يجب أن يتمّ باللّغة الفرنسيّة".

٤- اللّغة الفرنسيّة لغة التّعليم الحكوميّ

يذكر جون كلود بولي (١٥:١٩٩٩) أنّه، في بداية القرن التّاسع عشر، كان خُمس الشّعب الفرنسيّ يجهل اللّغة الفرنسيّة، وذلك وفقاً لدراسة (أجراها أستاذ الإحصاء شارل كوك دو موبري، بتكليف من نابليون بونابرت) كان هدفها إحصاء عدد اللّغات المستخدمة في فرنسا وعدد متحدثيها. أمّا في شأن تعليم اللّغة الفرنسيّة في المدارس الحكوميّة، فكان الكثيرون يعتبرونه غير فعالٍ بالنّسبة لتلاميذ مدارس قرى الأقاليم، على اعتبار أنّهم كانوا يتحدّثون فيما بينهم بلغاتهم المحليّة. ومن أجل إفساد

ومحاربتة وبالتالي القضاء على هذه اللّغات، قامت وزارة التّعليم بإصدار تعليمات صارمة لإدارات هذه المدارس، من ضمنها نذكر – على سبيل المثال– لا الحصر، ما يلي: في منطقة البريتان الواقعة في الشّمال الغربيّ لفرنسا، كان ممنوعاً على التّلاميذ، في أثناء دوامهم الدّراسيّ، نطق أيّ كلمة من كلمات لغتهم المحليّة (البروتون). وفي كلّ صف، كان أوّل تلميذ يتكلّم بهذه اللّغة يوضع في جيده، كإجراء عقابيّ، قطعة من حديد (كانت توضع في الأصل تحت حوافر الخيل). وبعد ذلك، يقوم هذا التّلميذ بإيجاد تلميذ آخر تكلّم هذه اللّغة لكي يضع في عنقه هذه القطعة، وهكذا طوال اليوم. وفي نهاية المطاف، كان آخر تلميذ يتعرّض لهذا الإجراء يعاقب بالشّكل التالي: يبقى بعد انتهاء الدّوام الرّسميّ، ساعة في أحدى زوايا غرفة صفه ويجبر، قبل أن يعود لبيته، على كتابة هذه العبارة مئة مرة باللّغة الفرنسيّة،: "لن أتحدّث أبداً بالبروتون". زد على ذلك، كان يوضع في هذه الأقإلىم (في حافلات الرّكاب والمدارس والأماكن العامّة، إلخ.) لافتات مكتوب فيها: "ممنوع التّحدّث بالرّطانات المحليّة والبصق على الأرض". وعلى الرّغم من قساوة هذه الإجراءات اللّغويّة، بل "المجازر اللّغويّة الثّقافيّة"، إلاّ أنّ العديد من هذه اللّغات "قاومت" هذه المخطّطات وبقيت بالتالي حاضرة في المشهد اللّغويّ الفرنسيّ. ولكن، هل تغيّرت هذه السّياسات اللّغويّة في القرن العشرين؟ هذا ما سنبيّنه فيما يلي.

٥ ــ التّخطيط اللّغويّ الفرنسيّ في القرن العشرين

في بداية القرن العشرين، لم تكن عمليّة فرنسة الأقإلىم الفرنسيّة تسير

بالسّرعة الّتي كانت ترغب بها وزارة التّعليم، لهذا قامت السّلطات بتعيين مدرّسين لا يجيدون اللّغات المحليّة في مدارس هذه الأقاليم. وهذا الإجراء يهدف إلى إجبار التّلاميذ على التّحدّث مع معلّميهم طوال الوقت باللّغة الفرنسيّة. وعلى الرّغم من تطبيق العديد من السّياسات اللّغويّة الهادفة لاجتثاث هذه اللّغات المحليّة، بقي أهلها متشبّثين بها كونها تمثّل أحدى ركائز مكونات هويتهم الثّقافيّة. والجدير بالذّكر أنّ اللّغة الفرنسيّة كانت في بداية القرن العشرين لغة المدن، في حين أنّ اللّغات المحليّة كانت تستخدم في المناطق الرّيفيّة. ورغم تمسّك سكان الرّيف بلغاتهم، إلاّ أنّ الثّورة الصّناعيّة الفرنسيّة (الّتي انتقلت رويداً رويداً من المدن إلى المناطق الرّيفيّة والّتي نتج عنها هجرة أعداد كبيرة من الرّيفيّين إلى المناطق المدنيّة وإنشاء السّكك الحديديّة الّتي سهّلت بدورها عمليّة تنقّل الأفراد) جعلت سكان الأرياف يتأثّرون بأنماط الحياة المدنيّة وخصوصاً باللّغة الفرنسيّة الّتي كانت تمثّل لهم لغة التّمدّن والتّقدّم والعمل. وما سلف ذكره يعدّ من الأسباب الهامّة الّتي جعلت الرّيفيّين يهتمّون باللّغة الفرنسيّة ويكتسبونها بجانب لغاتهم المحليّة.

منذ منتصف القرن العشرين، بدأت السّياسات اللّغويّة للجمهورية الفرنسيّة تجاه لغاتها المحليّة، تأخذ منحى آخرَ، على اعتبار أنّه تمّ اتّخاذ عدّة تدابير لصالحها: سمح، وفقاً لقانون "ديكسون" لعام ١٩٥١، بتدريس أربعة من هذه اللّغات في المدارس الثّانويّة للأقاليم الفرنسيّة، وهذه اللّغات هي البروتون والكتالان والباسك والأكستان، أيّ أهمّ اللّغات الّتي بقيت على قيد الحياة بعد سياسات الإبادة اللّغويّة الّتي انتهجتها الحكومات الفرنسيّة. وبكلمات أكثر وضوحاً، أدرجت في مدارس

كلّ إقليم لغته المحليّة. ومع ذلك، أشارت منظّمة اليونسكو إلى أنّ مستقبل هذه اللّغات يبقى مهدّداً. وفي عام ١٩٧٠، أنشئت، في عدّة مناطق، منشآت تعليميّة حيث يتمّ التّعليم فيها بهذه اللّغات المحليّة. وفي عام ١٩٧٥، سن قانون "هابي" الّذي ينصّ على أنّه يمكن تدريس اللّغات والثّقافات المحليّة في جميع المراحل الدّراسيّة، وهكذا، أضحى بالإمكان تدريس لغات الأقليّات (الّتي أصبحت كذلك نتيجة لسياسات لغويّة ممنهجة) في المدارس الحكوميّة الفرنسيّة.

وبعد تولّي فرنسوا ميتيرا رئاسة الجمهورية الفرنسيّة (١٩٨١ـ ١٩٩٥)، بدأ الخطاب السّياسيّ الرّسميّ، تجاه هذه اللّغات يأخذ منحى أكثر إيجابيّةً. على سبيل المثال، قبل شهريْن من انتخابه رئيساً لفرنسا عام ١٩٨١، أعلن فرنسوا ميتيرا، في إطار حملته الانتخابيّة، أنّه "حان الوقت أنْ تعترف الجمهورية الفرنسيّة بالوجود الحقيقيّ للغاتها وثقافاتها المحليّة. آن الأوان أن تفتح لها أبواب المدارس والإذاعة والتّلفاز بشكل واسع بغية السّماح بنشرها، وأن تعطى المكانة الّتي تستحقّها في الحياة العامّة" (جاك لوكلير، ٢٠١٠). وعلى الرّغم من هذا الخطاب ذي النّكهة الانتخابيّة، لم يتغيّر وضع هذه اللّغات بشكل كبير في المشهد اللّغويّ الفرنسيّ، على اعتبار أنّها بقيت تدرّس في ثانويات الأقاليم الفرنسيّة كمادة دراسيّة، في حين أنّ اللّغة الفرنسيّة بقيت لغة التّعليم في جميع المدارس الفرنسيّة، واللّغة الأولى في المجتمع الفرنسيّ.

وإذا نظرنا إلى التّشريعات اللّغويّة للجمهورية الفرنسيّة، سنجد أنّ هناك عدداً كبيراً من القوانين المتعلّقة باللّغة الفرنسيّة واللّغات المحليّة، حيث إنه من الممكن أن نعدّ ما يقارب ١٢ قانوناً و٢٠ مرسوماً وأكثر من ٤٠ أمراً وتعميماً

إدارياً. بكلمات أخرى، فإنّ أغلب هذه النّصوص القانونيّة تتناول –في المقام الأول– لغة التّعليم والميدان الاصطلاحيّ للّغة الفرنسيّة. وهذا يعني أنّ السّياسات اللّغويّة للجمهورية الفرنسيّة لا تتناول الحقوق اللّغويّة لأقليّاتها كتناولها مسألة ترويج اللّغة الفرنسيّة ونقائها اللّغويّ. ومع ذلك، يتوجّب التّنويه إلى أنّ الاتّجاه الحالي للتّخطيط اللّغويّ الفرنسيّ يميل إلى توسيع نطاق الحقّ في الاختلاف وإلى الاعتراف بخصوصيّة هذه اللّغات المحليّة. فيما سبق، قمنا بعرض تاريخيّ موجز لسياسات فرنسا تجاه لغتها الوطنيّة من جهة، ولغات أقلياتها من جهة أخرى. ولكن فيما يلي، سنقوم بالتّركيز على سياسات هذه الدّولة تجاه لغتها الوطنيّة مع التّشديد على الطّريقة الّتي تتدخّل فيها بغية الدّفاع عنها وترويجها على الصّعيدين الدّاخليّ والخارجيّ.

٦ــ سياسات فرنسا الحآلية تجاه لغتها الوطنية

بقيت الأحكام الدّستوريّة الّتي لها علاقة بوضع اللّغات غير جلية حتى عام ١٩٩٢. وبعبارة أخرى، كانت اللّغة الفرنسيّة عمليّاً هي اللّغة الرّسميّة للجمهورية الفرنسيّة، ولكن، هذا الأمر لم يكن مشاراً إليه بشكل واضح وصريح في التّشريعات اللّغويّة الفرنسيّة. وبغية جعلها قانونيّاً اللّغة الرّسميّة، تمّ اعتماد قانون رقم ٩٢ــ ٥٥٤ في ٢٥ حزيران عام ١٩٩٢، حيث إنه تمّ على إثره تعديل المادّة ٢ من دستور عام ١٩٥٨. ووفقاً لهذا التّعديل، فإنّ هذه المادّة تقرأ حالاً، كما يؤكّد أنييس بلان (١٢:٢٠١٠)، بالشّكل التّالي: " لغة الجمهورية هي الفرنسيّة ". ونحن نرى أنّ هذا القانون تمّ اعتماده كإجراء استباقيّ يهدف إلى قطع الطّريق أمام اللّغات المحليّة، على اعتبار أنّ المجلس الأوروبيّ، كان قد صادق بأغلبيّة أعضائه في

نفس العام، على ميثاق ينصّ على أنّ للأوروبيّين الحقّ باستخدام لغاتهم المحليّة في حياتهم الخاصّة والعامّة. والجدير بالذّكر أنّ جميع ممثّلي فرنسا في المجلس الأوروبيّ كانوا قد عارضوا هذا الميثاق. أمّا في فرنسا، فإنّ المجلس الدّستوريّ فسر -في وقت لاحق- اعتماد الفرنسيّة كلغة رسميّة على أنّه تشريع معاد للّغات المحليّة.

لتفسير هذا القانون اللّغويّ، اعتمد، في عام ١٩٩٤، هذان التّشريعان اللّغويّان: الأوّل، هو عبارة عن وثيقة رسميّة بعنوان "سياسة شاملة لترويج اللّغة الفرنسيّة"، وجهت إلى المفوضيّة العامّة للّغة الفرنسيّة بغية توضيح المحاور الرّئيسيّة لسياسات فرنسا اللّغويّة. وأمّا الثّاني، فهو عبارة عن قانون اعتمد في ٤ آب من نفس العام ويحمل الرّقم ٩٤ــ٦٦٥. يتعلّق هذا القانون باستخدام اللّغة الفرنسيّة ويسمّى "قانون توبون"، كونه اقترح من قبل وزير الثّقافة والفرنكفونيّة آنذاك جاك توبون. هذا القانون (المكوّن من ٢٤ مادة) ينصّ على أنّ استخدام اللّغة الفرنسيّة إلزاميّ في معظم الحالات. بالاستناد إلى بول بوغارد (٢٠٠٨:١٦٥ــ١٦٧) سنقوم -فيما يلي- بعرض مقتضب لموادّ هذا القانون:

ــ المادّة ١ تنصّ على أنّ اللّغة الفرنسيّة هي لغة التّعليم والعمل والتّبادل اللّغويّ في الدّوائر الحكوميّة.

ــ المواد ٢ و٣ و٤ تلزم استخدام اللّغة الفرنسيّة في مجال تقديم السّلع والخدمات والمعلومات الموجّهة إلى المستهلكين (مثل الفواتير والكفالات والكتابات الّتي تظهر على المنتجات، إلخ.)، وكذلك في الكتابات والإعلانات الموجودة في الأماكن العامّة المتاحة للجمهور وفي وسائل النّقل العام المشتركة.

ـــ المادّة ٥ تنصّ على أنّ كتابة العقود على المستوى الرّسميّ يجب – من ناحية– أن تكتب باللّغة الفرنسيّة، ومن ناحية أخرى، أن لا تتضمّن أيّ مصطلح أجنبيّ في حال توفّر مصطلح فرنسيّ يحمل نفس المعنى.

ـــ المادّة ٦ تنصّ على أنّ للمواطن الفرنسيّ الحقّ في استخدام اللّغة الفرنسيّة في المؤتمرات والنّدوات المنعقدة في فرنسا في حال تنظيمها من قبل مواطنين فرنسيّين وانعقادها بلغة أخرى. حتى أنّ الوثائق الّتي توزّع على المشاركين في هذه المظاهرات العلميّة يجب أن تكون محرّرة باللّغة الفرنسيّة مع إمكانية ترجمتها إلى لغة أخرى.

ـــ المادّة ٧ تنصّ على أنّ المنشورات والمجلات المنتشرة في فرنسا (الّتي تنبثق من جهة شخص ينتمي إلى القطاع العامّ أو شخص عاديّ يقوم بمهمّة لحساب القطاع العامّ أو شخص يتلقّى دعماً من القطاع العامّ؛ ليقوم بمهمّة ما) يجب –إذا حررت بلغة أجنبية– أن تتضمّن على الأقلّ ملخّصاً باللّغة الفرنسيّة.

ـــ الموادّ ٨ و ٩ و١٠ تتعلّق بحماية العاملين في الشّركات من النّاحية اللّغويّة، أي: أنّها تنصّ على أنّ عقود وفرص العمل والوثائق الدّاخليّة في الشّركات، الّتي تفرض على العاملين في إطار تنفيذ مهامّهم، يجب أن تحرّر باللّغة الفرنسيّة.

ـــ المادّة ١١ تؤكّد أنّ لغة التّعليم هي اللّغة الفرنسيّة، أي: أنّ لغة الاختبارات والمسابقات، فضلاً عن الرّسائل والأطروحات في المؤسّسات التّعليميّة العامّة والخاصّة، هي الفرنسيّة. تستثنى من هذا الإجراء الرّسائل الّتي لها علاقة بتعليم اللّغات أو الثّقافات المحليّة والأجنبيّة. حتى أنّ المدارس الأجنبيّة المعدّة لاستقبال طلاب من جنسيات أجنبيّة لا تخضع لهذه المادّة.

ــ المادّة ١٢ جعلت استخدام اللّغة الفرنسيّة إجباريّاً في البرامج والإعلانات التّجاريّة الّتي تبثّ في محطّات الإذاعة والتّلفاز، وجعلت أيضا من مهامّ هذه المحطّات حماية وترويج اللّغة الفرنسيّة.

ــ المادّة ١٣ تلزم احترام اللّغة الفرنسيّة وعمليّة نشر الفرنكفونيّة.

ــ الموادّ من ١٤حتى ٢٠ تبيّن أحكام المراقبة الّتي تسمح بالتّطبيق السّليم لهذا القانون: سحب الإعانات -إن وجدت- تدخل ضباط الشّرطة القضائيّة والوكلاء المكلّفين بتطبيق قانون المستهلك ووكلاء الجمعيات الّتي تعنى (والمكلّفة من قبل الدّولة) بحماية اللّغة الفرنسيّة. وأيّ مخالفة لهذا القانون توجّه إلى القضاء من خلال محضر رسميّ ليبت فيها. ووفقاً للقانون، توجّه إلى المخالف غرامة مالية من الدّرجة الرّابعة تصل قيمتها إلى٧٥٠ يورو.

ــ المادّة ٢١ تؤكّد أنّ أحكام هذا القانون لا تعارض استخدام لغات فرنسا المحليّة، وتطبّق دون المساس بالتّشريعات والأنظمة ذات الصّلة بها.

ــ المادّة ٢٢ تنصّ على أنّ على الحكومة أن ترسل كلّ سنة قبل تاريخ ١٥ أيلول، إلى الجمعيات تقريراً حول تطبيق هذا القانون وأحكام الاتّفاقيات والمعاهدات الدّوليّة المتعلّقة بوضع اللّغة الفرنسيّة في المؤسّسات الدّوليّة. ــ المادّتان ٢٣ و٢٤ تحدّدان آلية نشر هذا القانون في الصّحف وتاريخ دخوله حيز التّنفيذ.

أي: أنّ اللّغة الفرنسيّة أصبحت -وفقا لهذا القانون- لغة التّعليم والعمل والأجهزة الإداريّة والوثائق العامّة والخاصّة ولغة الإعلانات المسموعة والمقروءة والقضاء والإعلام، إلخ. بصفة عامّة وبكلمات موجزة،

للمستهلكين وللموظّفين وللجمهور الفرنسيّ الحقّ في استقبال وإرسال كلّ معلومة مفيدة بهذه اللّغة في أيّ مجال كان. ويمكن بعد ذلك ترجمة اللّغة الفرنسيّة إلى لغات أخرى. بعد اعتماد هذا القانون، أثيرت ضجّة واسعة في فرنسا، حتى بين أعضاء الحكومة نفسها، على اعتبار أنّ معارضيه رفضوه؛ لأنّه يشكّل وسيلة لإفناء اللّغات المحليّة، أما مؤيّدوه، فأنّهم اعتبروه تشريعا لغويّاً يهدف إلى حماية اللّغة الفرنسيّة من المفردات الأجنبيّة الدّخيلة، وخاصّة المفردات الإنجليزيّة. باختصار، هذا القانون لا يفرض الاستخدام الحصريّ للغة الفرنسيّة، ولكن مجرّد وجودها، بنفس الوضوح، بجانب الكتابات الأجنبيّة، في اللاّفتات أو الإعلانات الموجودة في الأماكن العامّة أو في وسائل النّقل العامّ. علماً بأنّ هذا القانون ينصّ على استثناءات عديدة.

أما في شأن عمليّة تطبيق هذا القانون، فتعتبر الحكومة الفرنسيّة ليست يقظة بشكل كبير في هذا المجال، ودليل ذلك هو فحوى التّقرير الّذي قدّمته المفوضيّة العامّة للغة الفرنسيّة ولغات فرنسا، حول استخدام اللّغة الفرنسيّة في عالم العمل، للبرلمان عام ٢٠٠٨. ومضمون هذا التّقرير، بحسب جاك لوكلير (٢٠١٠)، يتلخّص في الكلمات التالية: ٢٦ % من موظّفي الشّركات المكوّنة من ٢٠ موظفاً وأكثر يضطرّون إلى تحدّث وكتابة لغة أجنبيّة في إطار نشاطهم المهنيّ، أي: ما يقارب ١,٨ مليون شخصاً. اللّغة الأجنبيّة الّتي يستخدمونها بشكل رئيسيّ هي الإنجليزيّة (في ٨٩ % من الحالات). ومن جهة أخرى، فإنّ ٣٢% من الموظّفين يضطرّون لقراءة وثائقَ محرّرة بلغة أجنبيّة، أي: نحو ٢,٢٧ مليون شخصاً. هكذا، فعلى الرّغم من

أنّ العديد من الشّركات الفرنسيّة، ذات الانتشار العالميّ، تفرض استخدام اللّغة الإنجليزيّة على موظّفيها كلغة عمل، فإنّنا نجد أنّ هذه الشّركات لا تخضع للأحكام الجزائيّة المنصوص عليها في هذا القانون.

تناولنا -فيما سبق- بشيء من التّفصيل أحد التّشريعيْن اللّغويّيْن اللّذيْن اعتمدا عام ١٩٩٤، وفيما يلي سنقوم بتسليط الضّوء على التّشريع الثّاني (الّذي هو عبارة -كما ذكرنا سابقا- عن وثيقة رسميّة، بعنوان "سياسة شاملة لترويج اللّغة الفرنسيّة"، وجهت إلى المفوضيّة العامّة للغة الفرنسيّة بغية توضيح المحاور الرّئيسيّة لسياسات فرنسا اللّغويّة). بعبارة أخرى، سنحاول أن نتناول، فيما يلي، السّياسات الّتي تطبّقها هذه المفوضيّة بهدف ترويج ودعم اللّغة الفرنسيّة على الصّعيديْن الدّاخليّ والخارجيّ.

١.٦ ـــ سياسات المفوضيّة العامّة تجاه اللّغة الفرنسيّة

أنشأت الحكومة الفرنسيّة المفوضيّة العامّة للغة الفرنسيّة في شهر حزيران عام ١٩٨٩، حيث إنها كانت تسمّى في حينها بهذا الاسم. هذه المفوضيّة، الّتي حلّت محلّ الهيئة العامّة للّغة الفرنسيّة، أوكل لها مهمّة ترويج وتعزيز وتنسيق الإجراءات الّتي تتّخذها الإدارات والمنظّمات العامّة والخاصّة بغية نشر اللّغة الفرنسيّة واستخدامها بشكل سليم من النّاحية اللّغويّة. من خلال مرسوم صدر في ١٦نيسان عام ١٩٩٣، وضعت هذه المفوضيّة تحت تصرّف وزير الثّقافة والفرنكفونيّة، الّذي أسند له -بتفويض من رئيس الوزراء- المسؤوليات المتعلّقة باستخدام وإغناء اللّغة الفرنسيّة. أصبحت هذه المفوضيّة، وفقاً للتّوجيهات الّتي وضعتها الحكومة، الأداة الأساسيّة فيما يتعلّق

بتطبيق السّياسات الّتي تهدف إلى ترويج اللّغة الفرنسيّة. وبعبارة أخرى، فإنّ الدّور الأساسيّ للمفوضيّة العامّة هو تعزيز التّنسيق والتّشاور لتثقيف أولئك الّذين لديهم مسؤوليات تجاه اللّغة الفرنسيّة ولزيادة التّآزر فيما بينهم بغية ترويج هذه اللّغة. وللقيام بذلك، تعمل المفوضيّة، وفق جاك لوكلير (٢٠١٠)، بالتّعاون مع الهيئات التالية:

ــ المجلس الأعلى للغة الفرنسيّة: يرأسه رئيس الوزراء ويقوم أعضاؤه بالتّشاور ودراسة واقتراح سياسات لغويّة؛ ــ الأقسام الوزاريّة الّتي تعمل لمصلحة اللّغة الفرنسيّة (خصوصاً التّعليم الوطنيّ والتّعليم العالي والبحث العلميّ والصّناعة والثّقافة والخارجيّة والتّعاون والفرنكفونيّة، إلخ.)؛

ــ الأوساط المهنيّة المعنيّة بالمسائل اللّغويّة: مثل الجامعات ومختبرات الأبحاث والشّركات، أو الّتي تلعب دوراً استراتيجيّاً في نشر اللّغة مثل الإعلام والإعلانات، إلخ؛

ــ الجمعيات الّتي تدعم اللّغة الفرنسيّة؛

ــ شبكة شركاء دوليّين يتعاونون مع العالم الفرنكفونيّ، خصوصاً كوبك ودول الاتّحاد الأوروبيّ والدّول النّاطقة باللّغة اللاتينية.

المفوضيّة العامّة للّغة الفرنسيّة مكلّفة إذن بتطبيق السّياسات اللّغويّة للحكومة الفرنسيّة، الّتي ترتكز على ثلاثة مبادئٍ رئيسيّة:

ــ ضمان نشر اللّغة الفرنسيّة؛

ــ المحافظة على الدّور الّذي تلعبه اللّغة الفرنسيّة بوصفها لغة اتّصال دوليّة؛

ــ احترام التّنوّع اللّغويّ والثّقافيّ.

بعد توقيع فرنسا عام ١٩٩٩(ولكن دون المصادقة) على الميثاق الأوروبيّ للغات الأقليات، أصبحت جميع لغات فرنسا معترفاً بها كتراث ثقافيّ وطنيّ. وأسند إلى وزارة الثّقافة، المكلّفة منذ عام ١٩٩٧باللّغة الفرنسيّة، مسؤوليّة الإرث الثّقافيّ اللّغويّ الفرنسيّ. لهذا السّبب، غيّرت الحكومة الفرنسيّة، عام ٢٠٠١، اسم "المفوضيّة العامّة للّغة الفرنسيّة"، حيث إنها أطلقت عليها اسم "المفوضيّة العامّة للّغة الفرنسيّة ولغات فرنسا". ومهمّة هذه الأخيرة هو ما يلي: ضمان تعزيز استخدام اللّغة الفرنسيّة على الأراضي الفرنسيّة وتشجيع استخدامها كلغة اتّصال دوليّة وتطوير التّعدّد اللّغويّ الضّامن للتّنوّع الثّقافيّ. بالإضافة إلى ذلك، تنسّق هذه المفوضيّة عمل السّلطات العامّة وتنفّذ –بوسائلها الخاصّة أو بالاشتراك مع منظّمات عامّة أو خاصّة– كلّ المبادرات ذات الصّلة بهذه الأهداف. بعبارة أخرى، هذه المفوضيّة، بوصفها هيئة للتّفكير والتّقييم والعمل، تستمرّ بتنفيذ سياسات شاملة بهدف تعزيز اللّغة الفرنسيّة من ناحية، ومن ناحية أخرى، يقع على عاتقها رعاية الإرث اللّغويّ الفرنسيّ المتمثّل بلغات الأقاليم الفرنسيّة. والجدير بالاهتمام أن برنار سركليني، وهو أستاذ جامعيّ متخصّص في اللّغويّات أحصى، كما يؤكّد كريستوف بتروسي (٢٠٠١:٢٥٣)، في تقريره الّذي أعدّه لوزارة الثّقافة والاتّصال، عام ١٩٩٩، ٧٥ لغة في فرنسا.

من جانب آخر، تم في عام ١٩٩٩ إنشاء أكاديميّة كاربت الإنجليزيّة، وهي عبارة عن مؤسّسة غير حكوميّة تمنح كلّ عام، كإجراء رمزيّ ساخر يهدف إلى نصرة اللّغة الفرنسيّة على حساب اللّغة الإنجليزيّة، جائزة

لشخصيّة فرنسيّة معروفة، على أن تكون هذه الشّخصيّة تتميّز بكونها تميل إلى اللّغة الإنجليزيّة على حساب اللّغة الفرنسيّة. على سبيل المثال، تمّ في عام ٢٠٠٨ منح هذه الجائزة لوزيرة التّعليم العالي والبحث العلمي، كرستين لاغارد؛ لأنّها قالت إنّ وضع اللّغة الفرنسيّة في انتكاس، ودعت إلى كسر المحرّمات المتعلّقة باستخدام اللّغة الإنجليزيّة في المؤسّسات التّعليميّة الأوروبيّة وجعلت بالتالي التّعليم المكثّف لهذه اللّغة إلزاميّاً في الجامعات الفرنسيّة.

أكثر من ذلك، سنت الجمهورية الفرنسيّة قوانين لغويّة في مجال الإعلام الإلكترونيّ. والقانون الأكثر أهميةً في هذا الصّدد هو القانون الّذي سنّ في شباط عام ١٩٩٤والّذي تمّ من خلاله إلزام الإذاعات ببثّ ما لا يقلّ عن٤٠% من الأغاني باللّغة الفرنسيّة. وبغية تعديل هذا القانون، سنّ في آب عام ٢٠٠٠ قانون آخر ينصّ على ما يلي:

ـــ الكوتة المخصّصة للأغاني الفرنسيّة (ما لا يقلّ عن ٤٠%) تبقى كما هي، على أن تخصّص ٢٠% منها للمواهب الجديدة.

ـــ إلزام الإذاعات المختصّة في الإرث الموسيقيّ الفرنسيّ ببثّ ما لا يقلّ عن٦٠% من الأغاني باللّغة الفرنسيّة، على أن تخصّص ١٠% منها للمواهب الجديدة.

ـــ إلزام الإذاعات المتخصّصة في المواهب الشّابّة ببثّ ٣٥% من الأغاني باللّغة الفرنسيّة، على أن تخصّص ٢٥% منها للمواهب الشّابّة.

تناولنا في ما سبق السّياسات اللّغويّة للجمهورية الفرنسيّة على المستوى الدّاخليّ، وفيما يلي سنقوم بالتّركيز على سياساتها تجاه لغتها على

الصّعيد الخارجيّ.

٢.٦ ـــ سياسات فرنسا الخارجيّة تجاه لغتها

بعد إنشاء الإمبراطوريّة الاستعماريّة الفرنسيّة، فرضت فرنسا تدريس لغتها في جميع مستعمراتها. وكانت هذه اللّغة تدرس في المقام الأوّل لأولاد النّخبة المحليّة وأبناء زعماء القبائل. وكان الفرنسيّون، بالمقارنة مع البريطانيّين، أكثر حزماً في فرض لغتهم على المستعمرين وأكثر وعياً بتأثيرها الحضاريّ عليهم، وأقلّ تسامحاً مع استخدام السّكان الأصليّين للغاتهم. بعبارة أخرى، كانت هذه السّياسات اللّغويّة تهدف إلى إحلال اللّغة الفرنسيّة مكان لغة أو لغات المستعمرين، وبالتالي إلى جعلهم فرنسيّين في لغتهم وروحهم وعقلهم وتفكيرهم. فمثلاً، في إطار الاحتلال الفرنسيّ للجزائر، وضّح وزير التّربية والتّعليم الفرنسيّ، ألفريد رمبو (الّذي شغل هذا المنصب من ٣٠ نيسان عام ١٨٩٦ حتى ٢٨حزيران عام ١٨٩٨)، هذه الإديولوجيّة اللّغويّة الاستعماريّة بالشّكل التّالي: "في بداية الأمر، احتلّت الجزائر عسكريّاً، وأكمل هذا الأمر عام ١٨٧١عندما نجحت فرنسا بترع سلاح القبائل. ومن ثمّ جعلنا الجزائريّين يقبلون أنظمتنا الإداريّة والقضائيّة. بعد ذلك، قامت المدرسة بتأكيد غلبة لغتنا على اللّغات المحليّة وبالتّالي زرعنا في أذهان هؤلاء المسلمين أفكارنا، إلخ." (مقتبس في روبر فيلبسون، ١٩٩٢). أي: أنّ السّاسة الفرنسيّين اعتبروا المدرسة هي البيئة الأساسيّة لإنجاح سياساتهم اللّغويّة. في هذا الصّدد، يذكر هاردي (في روبر فيلبسون، ١٩٩٢) أنّه من أجل تحويل هذه الشّعوب البدائيّة في مستعمراتنا، ولكي نجعلهم مخلصين

لقضايانا ونافعين لتجاراتنا، فالأفضل أن نأخذ الطّفل ونجعله على اتّصال دائم بنا، ونعلّمه عاداتنا وقيمنا الفكريّة والثّقافيّة لعدّة سنوات. بمعنى أنّه علينا أن نفتح لهم المدارس لنتمكّن من تشكيل عقولهم كيف نشاء. إذن، يمكننا إجمال الإديولوجيّة اللّغويّة الاستعماريّة الفرنسيّة بالكلمات التالية: فرنسا ترى أنّ لديها رسالةً حضاريّةً يتوجب عليها إيصالها إلى مستعمراتها، بل إحلالها محلّ ثقافات سكان هذه المستعمرات، والأداة الرّئيسيّة من أجل إنجاح ذلك هي اللّغة، بمعنى أنّه بعد تهميش، بل إلغاء لغات وثقافات السّكان الأصليّين، يتمّ إشباعهم باللّغة الفرنسيّة، وبالتّالي بالثّقافة والحضارة والقيم... الفرنسيّة، وكلّ هذا على حساب هويتهم الأصليّة. وكلّ هذا من أجل أن تتمكّن فرنسا من ترويج منتجاتها التّجاريّة في هذه المستعمرات، بل في العالم أجمع. وبكلمات أكثر وضوحاً، هذه الآلية تتلخّص -بالنسبة لنا، بالشكل التالي-: استعمار لغويّ، ومن ثمّ تقبّل ثقافيّ وفي الحصيلة النّهائيّة ترويج اقتصاديّ، أي: أنّ وراء هذه السّياسات اللّغويّة الخارجيّة غايات اقتصاديّة.

ليس فقط في مستعمراتها، ولكن تسعى فرنسا إلى نشر لغتها أيضا في العديد من الأصعدة الدّوليّة. لذلك، فإنّنا نجد أنّ هذه اللّغة هي واحدة من اللّغات الرّسميّة لبعض المنظّمات الدّوليّة: هيئة الأمم المتّحدة ومنظّمة التّجارة الدّوليّة وحلف شمال الأطلسيّ والاتّحاد الأفريقيّ ووكالة الفضاء الأوروبيّة، ومحكمة العدل الدّوليّة، والمحكمة الجنائيّة الدّوليّة، ومكتب البراءات الأوروبيّ، والإنتربول، واللجنة الأولومبية. بالتأكيد، هذا لم يحدث بمحض الصّدفة، ولكن بفضل سياسات فرنسا الّتي تسعى دائما، بل تقاتل، بغية إيجاد موطئ قدم للغتها في الهيئات الدّوليّة.

والجدير بالذّكر أنّ هذه السّياسات اللّغويّة الطّموحة على الصّعيد الدّوليّ تشكّل نموذجاً نادراً في العالم.

نظراً إلى أنّ اللّغة الفرنسيّة تشكّل لغة اتّصال عالميّة ولغة رسميّة للعديد من المنظّمات الدّوليّة، فإنّ المحافظة على هذه المكانة تبقى أحدى أولويات السّياسات اللّغويّة للحكومات الفرنسيّة. ولتعزيز هذه المكانة ونظراً إلى أنّ استخدام اللّغة الفرنسيّة يضعف نسبيّاً بالمقارنة مع استخدام اللّغة الإنجليزيّة في هذه المنظّمات، وضعت فرنسا سياسة شاملة تهدف -بحسب لوكلير (٢٠١٠) - إلى:

ــ العمل على احترام الوضع القانونيّ للّغة الفرنسيّة والتّدخّل بشكل منهجيّ لإدانة الانتهاكات المبلّغ عنها؛

ــ توعية المسؤولين الفرنسيّين الّذين يعملون في المنظّمات الدّوليّة؛

ــ تطوير عمليّة تعليم اللّغة الفرنسيّة للموظّفين العاملين في المنظّمات الدّوليّة.

ولكي نبيّن كيف تقوم فرنسا بنشر وترويج لغتها في العالم، سنعتمد على موقع وزارة الخارجيّة الفرنسيّة الموجود على الشّبكة المعلوماتيّة (تحت ركن تعلّم اللّغة الفرنسيّة): كلّفت فرنسا ما يقارب ٧٠٠ موظّفاً (في إطار شبكة مكوّنة من ٥٩ مؤسّسة ثقافيّة فرنسيّة وفرنسيّة ــ وطنيّة، أي: معاهد ثقافيّة ومؤسّسات الإليانس فرانسيز الّتي تعنى بتعليم هذه اللّغة) بالتّعاون اللّغويّ مع أغلب دول العالم. وتقوم ٤٦١ مؤسّسة مدرسيّة تابعة لوكالة تعليم الفرنسيّة في الخارج بتعزيز عمليّة النّهوض بالفرنسيّة على المستوى العالميّ.

ولتشجيع استعمال اللّغة الفرنسيّة في الميدان المهنيّ، أطلقت مؤسّسة

الإلى‌ىانس فرنسيز وغرفة التّجارة والصّناعة في باريس ومنتدى الفرنكفونيّة للأعمال، مبادرة بعنوان "أنا أتكلّم اللّغة الفرنسيّة داخل شركتي"، وهذه المبادرة تهدف إلى حثّ الشّركات الفرنسيّة في الخارج على تعليم موظّفيها اللّغة الفرنسيّة. ولجذب جمهور واسع من الشّباب نحو تعلّم اللّغة الفرنسيّة، تطوّر الشّبكة الثّقافية الفرنسيّة دائماً ألعاباً ومسابقات ومهرجانات مسرحيّة وأغان، حيث يتمّ كلّ عام انتقاء ١٥٠شابّاً تعلّموا اللّغة الفرنسيّة لدعوتهم إلى زيارة باريس في إطار عمليّة تسمّى "لنذهب إلى فرنسا". وأنا شخصيّاً حصلت على منحة دراسيّة من قبل الحكومة الفرنسيّة لإتمام شهادة الدّكتوراه في فرنسا في مجال اللّغويّات.

ولتأهيل معلّمي اللّغة الفرنسيّة في العالم (والّذي يصل عددهم إلى ٩٠٠٠٠٠ معلّما، وفقاً لموقع المنظّمة العالميّة للفرنكفونيّة الموجود على الشّبكة المعلوماتيّة)، يحصل الآلاف من هؤلاء المعلّمين كلّ عام على منحة دراسيّة في فرنسا. وبغية مساعدتهم في اعتماد أساليب تعليميّة عصريّة، تقوم وزارة الخارجيّة الفرنسيّة دائماً بنشر وسائل سمعيّة وبصريّة تعليميّة حديثة: أفلام وأغان وتحقيقات وعروض حيّة، إلخ. كما يتمّ دائماً تقديم الدّعم للوسائل الإعلاميّة الكبرى النّاطقة باللّغة الفرنسيّة.

حسب موقع وزارة الخارجيّة الفرنسيّة على الشّبكة المعلوماتيّة، خصّصت هذه الوزارة؛ لإنعاش تعليم اللّغة الفرنسيّة في العالم، مبلغ ٥٠ مليون يورو، وطوّرت في هذا الصّدد خمس مبادرات طموحة:

ـــ تعزيز المراكز التّربويّة ذات المرجعيّة في بلاد المغرب العربيّ، الّتي يتمّ

فيها تأهيل معلّمي اللّغة الفرنسيّة؛

ـــ وضع برنامج لتأهيل ١٠٠٠٠ معلّماً للّغة الفرنسيّة في العالم؛

ـــ المساهمة في خطّة لتأهيل الموظّفين الأوروبيّين باللّغة الفرنسيّة وتطوير آليات التّعليم المزدوج باللّغة الفرنسيّة في التّعليم الثّانوي والعالي في أوروبا؛

ـــ تطوير برنامج استخدام تكنولوجيا المعلومات في التّواصل من أجل تعليم اللّغة الفرنسيّة وتعليمها؛

ـــ إعداد مبادرات إقليميّة، مع مؤسّسات الفرنكفونيّة، بغية تأهيل معلّمي اللّغة الفرنسيّة خصوصاً في دول أفريقيا الغربيّة، وتنسيق جميع العمليات ذات الصّلة باللّغة الفرنسيّة في جنوب شرق آسيا.

ولكن ماذا عن الفرنكفونيّة أو المنظّمة الدّوليّة للفرنكفونيّة ودورها في ترويج اللّغة الفرنسيّة على الصّعيد العالميّ؟ يعود مصطلح الفرنكفونيّة إلى العالم الجغرافيّ الفرنسيّ "أونزيم روكلو" الّذي وضعه عام ١٨٨٠ والّذي عرّفه على أنّه مجموعة الدّول الّتي تستعمل اللّغة الفرنسيّة في مواضع عديدة. ووفقاً لموقع المنظّمة العالميّة للفرنكفونيّة على الشّبكة المعلوماتيّة، فإنّ الفرنكفونيّة تعرّف على أنّها "الآلية المؤسّسية الّتي تنظّم العلاقات والسّياسات والتّعاون بين الدّول والحكومات الّتي تستخدم اللّغة الفرنسيّة والّتي تحترم القيم العالميّة". تأسّست هذه المنظّمة في ٢٠ آذار عام ١٩٧٠، حيث أصبح هذا اليوم يوماً عالميّاً للاحتفال بالفرنكفونيّة. تضمّ هذه المنظّمة حالياً ٥٦ عضواً و١٩ عضواً مراقباً. ومهامّ هذه المنظّمة، للفترة الواقعة بين ٢٠٠٥ ـــ ٢٠١٤، اعتمدت في إطار إستراتيجيّ، من قبل رؤساء الدّول الأعضاء، في القمة الّتي عقدت في بوركينا فاسو عام ٢٠٠٤. والمهمّة الأولى لهذه المنظّمة هي

ترويج اللّغة الفرنسيّة والتّنوّع الثّقافيّ واللّغويّ. ولتحقيق ذلك، تعمل الفرنكفونيّة، وفقاً لموقعها على الشّبكة المعلوماتيّة، من خلال أربع مؤسّسات:

ـــ الوكالة الجامعيّة للفرنكفونيّة

تأسّست هذه الوكالة عام ١٩٦١ في مدينة مونتريال الكنديّة. وهي عبارة عن جمعية مكوّنة من ٧٥٩ مؤسّسة تعليم عالٍ منتشرة في ٩٠ بلداً. هذه الوكالة حاضرة في جميع القارات (أي: في ٣٨ بلداً، وتشغل ٤٣٤ موظّفاً) من خلال ٨ مكاتب محلّيّة ومفوضيّة و٧٦ موقعاً (فضائيات وحرم جامعيّ رقميّ ومعاهد). منذ عام ١٩٨٩، أصبحت هذه الوكالة المحرّك للفرنكفونيّة بما يخصّ التّعليم العالي والبحث العلميّ. وتقدّم هذه الوكالة عدّة برامج تعاونيّة لدعم البحوث والتّأهيل باللّغة الفرنسيّة، وتشجّع على تطوير شبكات تعارف بين النّاطقين باللّغة الفرنسيّة، وتقدّم أيضا للطّلاب وللأساتذة وللباحثين منحاً دراسيّة يصل عددها إلى ما يقارب ٢٠٠٠ منحة سنويّاً. وتبلغ ميزانيتها السّنويّة ٤٠ مليون يورو مقدّمة من قبل الدّول الأعضاء وخاصّة فرنسا.

ـــ جامعة سنغور

أسّست هذه الجامعة في مدينة الإسكندرية من خلال قمّة رؤساء الدّول والحكومات الفرنكفونيّة الّتي انعقدت في مدينة دكار في أيار عام ١٩٨٩. هذه الجامعة، الّتي هي عبارة عن مؤسّسة مخصّصة للتّعليم العالي، تهدف إلى تدريب وتطوير الكوادر الإفريقيّة وتوجيه مهاراتهم نحو العمل وممارسة مسؤولياتهم في المجالات ذات الأولويّة في التّنمية. هذه الجامعة هي مركز للاجتماعات والتّبادل في العالم الفرنكفونيّ، حيث إنها تنظّم مؤتمرات

وندوات علميّة. بالإضافة إلى ذلك، تقوم هذه الجامعة، بالتّعاون مع مؤسّسات أخرى، بإدارة الأنظمة التّعليميّة لبعض الدّول الإفريقيّة.

ـــ الجمعية العالميّة لرؤساء البلديات الفركفونيّين

هذه الجمعية عبارة عن شبكة تضمّ رؤساء البلديات الفركفونيّين لثمانية وأربعين بلداً، وتعبّر عن التّضامن الّذي يوحّدهم وتروّج للقيم المشتركة بينهم. هذه الجمعية -من خلال خبرات هؤلاء الرؤساء- تساعد البلديات المحليّة في الدّول الفرنكفونيّة على تنفيذ سياساتها الحضريّة وتحقيق أهدافها التّنمويّة.

ـــ القناة التّلفزيونيّة الخامسة:

أنشئت هذه القناة في عام ١٩٨٥. وهي أوّل قناة عالميّة ناطقة باللّغة الفرنسيّة، حيث تبثّ برامجها إلى ٢١٥ مليون بيتاً في العالم، أي: في ٢٠٠ بلداً وإقليماً. هذه المحطّة تبثّ في وقت وأحد، من باريس ٨ قنوات مختلفة موجّهة: لدول أوروبا النّاطقة بالفرنسيّة (فرنسا وسويسرا وبلجيكيا)، وللدّول غير الفرنكفونيّة، ولدول المغرب العربيّ والشّرق ولدول أفريقيا ولدول آسيا وللولايات المتّحدة الأمريكيّة، ولأمريكا اللاّتينيّة، ومنطقة المحيط الهادئ، وقناة خاصّة موجّهة لكندا. وأخيرا، تعتبر هذه القناة التّلفزيونيّة المصدر الإعلاميّ الأساسيّ للشّعوب الفرنكفونيّة، وهي موجّهة لاستقطاب المهتمّين باللّغة الفرنسيّة، بل إنّ كلّ المؤسّسات الفرنكفونيّة الّتي ذكرناها تهدف إلى تعزيز الحضور الفرنسيّ والفرنكفونيّ بصورة قويّة في العالم.

خاتمة

السّياسات الّتي تتبعها فرنسا تجاه لغتها، بغية دعمها وفرضها وترويجها على الصّعيدَيْن الدّاخليّ والخارجيّ، تشكّل -كما نعتقد- نموذجاً يحتذى به بالنّسبة للمخطّطين اللّغويّين العرب الرّاغبين في حماية اللّغة العربيّة وتطويرها وإبلاغها المكانة الّتي تستحقّها من ناحية، ومن ناحية أخرى، توسيع الرّقعة الجغرافيّة الّتي تغطّيها، وكذلك تسهيل عمليّة انتشارها في العالم. من أجل ذلك، نقترح أن تولد من رحم هذا المؤتمر منظمّة عالميّة تعنى باللّغة العربيّة، على غرار منظّمة الفرنكفونيّة. هذه المنظّمة، الّتي يمكن أن نسمّيَها "المنظّمة العالميّة للّغة العربيّة" والّتي إذا كتب لها الحياة، سيكون مقرّها الرّئيسيّ الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ستعمل من خلال سياسات لغويّة ممنهجة، على دعم وترويج لغة الضّاد على الصّعيدَيْن الدّاخليّ والخارجيّ.

فعلى الصّعيد الدّاخليّ، سنعمل في إطار هذه المنظّمة، بالتّنسيق مع مجمعات اللّغة العربية الموجودة في أغلب العواصم العربيّة، على إعداد وتنفيذ سياسات لغويّة تهدف (كمقترحات مبدئيّة يمكن البناء عليها) إلى: -إعادة النّظر في أساليب تدريس اللّغة العربيّة، وحتى أيضا في مضمون المادّة المدرّسة بحيث تتوافق مع الطّرق والأهداف الحديثة في تعليم اللّغات - تقوية مكانة اللّغة العربية في المجتمع العربيّ في كلّ الميادين، وذلك عن طريق سنّ قوانين صارمة تلزم استخدامها وتكليف لجان خاصّة بمراقبة تطبيق هذه القوانين - إعادة الاعتبار للّغة العربيّة لدى متحدّثيها، وذلك من خلال التّدخّل من أجل تغيير وجهة نظرهم تجاهها ــوبالطّبع سيكون هناك اقتراحات أخرى في هذا الصّدد.

أمّا على الصّعيد الخارجيّ، فسنعمل في إطار هذه المنظّمة، على إعداد وتنفيذ سياسات لغويّة تهدف إلى ترويج اللّغة العربيّة في دول العالم، فعلى سبيل المثال لا الحصر: -إنشاء مراكزَ لتعليم اللّغة العربيّة في دول العالم- تقديم منح دراسيّة للأجانب الرّاغبين في تعلم اللّغة العربيّة كلغة أجنبيّة في البلاد العربيّة -تقديم منح دراسيّة لإعداد وتأهيل معلّمي اللّغة العربية في العالم- مساعدة، بل حثّ الجامعات العالميّة على افتتاح أقسام متخصّصة في تعليم اللّغة العربيّة _ إنشاء قناة تلفزيونيّة عالميّة ناطقة باللّغة العربية بهدف تعليمها ونشرها في العالم- والقائمة تطول، إلخ.

ولتعميق هذه الأفكار، أقترح عقد مؤتمر آخر حول هذا الموضوع؛ بحيث تكون محاوره الرّئيسيّة منصبّة على المواضيع التالية: -تحديد أهداف هذه المنظّمة- اقتراح طرقٍ لتمويلها - تعريف آلية عملها - اقتراح سياسات لغويّة لتعزيز اللّغة العربية على المستوى الدّاخليّ، ولترويجها على المستوى الخارجيّ...إلخ. وهذا أقلّ شيءٍ يمكننا تقديمه للغتنا العربيّة، حيث إننا بنشرنا لها، سنقوم بنشر ثقافتنا، وبالتالي نشر ديننا الحنيف.

المراجع

ABALAIN Hervé, ٢٠٠٧, *Le français et les langues historiques de la France*, J.-P. Gisserot.

BETROSSI Christophe, ٢٠٠١, *Les frontières de la citoyenneté en Europe: nationalité, résidence, appartenance*, Paris, L'Harmattan.

BLANC Agnès, ٢٠١٠, *La langue du roi est le français - Essai sur la construction juridique d'un principe d'unicité de langue de l'Etat royal*, Paris, L'Harmattan.

BOGAARDS Paul, ٢٠٠٨, *On ne parle pas franglais. La langue française face à l'anglais*. Bruxelles, De Boeck-Duculot.

CALVET Louis-Jean, ١٩٩٦, *Les politiques linguistiques*, PUF, coll. «Que sais-je», Paris, Payot.

DELASSALLE Dominique, coor, ٢٠٠٥, *L'apprentissage des langues à l'école: diversité des pratiques*, Tome ١, Paris, Paris, L'Harmattan.

DUVERGIER (Jean Baptiste), ١٨٢٥, *Collection complète des lois, décrets, ordonnances, règlements, avis du Conseil d'Etat... de ١٧٨٨ à ١٨٢٤ inclusivement, par ordre chronologique,* ٢ème édition. Paris: A. Guyot et Scribe, ١٧٨٨-١٨٢٤, Tomes ٧.

PHILIPSON, Robert, ١٩٩٢, *Linguistic Imperialism*. London: Oxford University Press.

POLET Jean-Claude, ١٩٩٩, *Patrimoine littéraire européen, Vol ١١A, Renaissances nationales et conscience universelle (١٨٣٢-١٨٨٥)*, De Boeck Université.

LECLERC Jaques, « France » dans *l’aménagement linguistique dans le monde, Québec*, TLFQ, Université Laval, ١١ octobre ٢٠١٠,

http://www.tlfq.ulaval.ca/AXL/europe/france-٢politik_francais.htm

تعلّم اللّغة الفرنسيّة: موقع وزارة الخارجيّة الفرنسيّة

(http://www.diplomatie.gouv.fr/ar/rubrique٣٥٩.html?lang=ar)

موقع المنظّمة العالميّة للفرنكفونية

(http://www.francophonie.org/Arabe.html

فهرس المحتويات

أهمية اللغة في الاتصال والتبادل بين الحضارات

إعداد

د . عزة مختار إبراهيم عبد الرحمن البنا

مقدمة:

اللغة وعاء الفكر وأداة الثقافة، وهما يعدان رئيسيان لها في علاقتها مع الثقافة: يتعلق الأول بالإنتاج الثقافي الذي يرتبط ارتباطا وثيقا باللغة الأم، في حين يتعلق الثاني بالتواصل والانفتاح الثقافي والحضاري الذي يرتبط بإتقان اللغات الأجنبية باعتبارها وسيلة للإطلاع علي الثقافات الأخرى والتفاعل معها. وينطبق ذلك علي جميع المجتمعات وبشكل خاص بالمجتمعات الأقل تقدما وتطورا في مساهمتها بالإنتاج المعرفي، "فاللغات بطبيعتها لا تعمل في عزلة، بل كجزء من ثقافة. والثقافة تختلف وأحدهما عن الأخرى، ومن ثم فإن إتقان لغة أو لغات أجنبية، خاصة الأكثر شيوعا منها، ذو أهمية بالغة باعتبارها أحدى وسائل الانفتاح علي الثقافات العالمية والاتصال بها والتعامل معها"(١).

اللغة هي التي تحمل التفاعل الثقافي والحضاري مع اللغات الأخرى عبر الترجمة، وتحمل في الوقت نفسه مظاهر جديدة في تفاعل ثقافي لغوي يطور رؤية العالم لدي هذه اللغة ولدي أصحابها بفضل المترجم بالضرورة، وهو الوسيط الحاسم في حياة الأمم والشعوب، ذلك أن الترجمة "رسالة ثقافية وواجب قومي، ومهارة خاصة تحول عبر التفاعل والحوار والمشاركة والتداول، كل ثقافة في لغة خاصة إلى ثقافة إنسانية. فهي عدا عن كونها وسيلة اتصال للتفاعل الثقافي والحضاري، فإنها تضيف عناصر جديدة للثقافة وتؤدي إلى التفاعل بين اللغات وآدابها وثقافتها، ما يحقق علي مرور

(١) منذر المصري، المعلوماتية والانفجار المعرفي للشباب، المجلس الأعلى للشباب، عمان، ٢٠٠٤، ص٨٩.

الوقت تماثلا ثقافيا كونيا يساعد علي بلورة الثقافة الإنسانية "[١].

ونشير هنا إلى منظمة اليونسكو تحتفل في اليوم الحادي والعشرين من شهر فبراير من كل عام باليوم العالمي للغة الأم ولقد أشار المدير العام لليونسكو "كويتشيرو ماتسنورا" في الإحتفال الذي أقيم يوم ٢٠٠٦/٢/٢١ إلى أن " اللغة أكثر من مجرد وسيلة أو أداة فهي التي تشكل بنية تفكيرنا، وتصوغ علاقتنا الاجتماعية وترسم صلتنا بالواقع، وهي أيضا بعد جوهري ملازم للكائن البشري"[٢].

واعتبر أن استخدام اللغات ليس فقط مسألة تقنية، وإنما أيضا نقطة تلاقي الكثير من الإشكاليات الحساسة والمتباينة. فاستخدام أو عدم استخدام اللغة في المجالات العامة مثل: المدرسة ووسائل الإعلام أو الإنترنت يرجعنا إلى قضايا الهوية والانتماء الوطني. وأضاف" لا تعتبر اللغة مجرد وسيلة للتعبير والتواصل الاجتماعي والثقافي والحضاري، بل تعكس أيضا نظرة المتحدثين بها إلى العالم. وإن اليونسكو تلاحظ أن ثمة ستة آلاف لغة في العالم اليوم نصفها مهدد بالانقراض. وهناك أيضا ٩٦ % من مجموع هذه اللغات لا يتحدث بها سوى ٤ % من سكان العالم. وإن ٩٠% من لغات العالم غير ممثلة علي شبكة الإنترنت. وإن معدل لغة واحدة تختفي كل أسبوعين. وإن ٨٠% ممن اللغات الإفريقية يتم تداولها على المستوى الشفوي فقط، وهي

---

(١) المجلس الأعلى للثقافة، مؤتمر الترجمة٢٩/٥-٢٠٠٤/٦/١، www.alrafidlh.com

(٢) محمد المشايخ، الأدب المترجم والتبادل الثقافي في عصر العولمة: www.atf.org.jo

أصلا لغات لا تعتمد علي النسق الكتابي".

وفي دراسة ميدانية لمعهد اليونسكو للإحصاء بعنوان " قياس التنوع اللغوي علي شبكة الإنترنت " يبرز أن مئات اللغات المحلية غير ممثلة في هذه الوسيلة الإعلامية العالمية، وهو ما يساعد علي توسيع الفجوة الرقمية بين الشعوب.

فضلاً عن ذلك أن اللغات المتداولة في الترجمة بشكل أساسي لا تتعدي الخمسين لغة من بينها اللغة العربية التي تمثل الموقع الثامن عشر وتأتي بعد اللغات الأوروبية والأمريكية.

إن حماية التنوع الثقافي واللغة الأم جزء أساسي منه واعتباره إرثا مشتركا بين جميع أبناء الإنسانية يشكلان واجبا أخلاقيا لا يمكن فصله عن احترام كرامة الإنسان لما في ذلك من أهمية بالنسبة للأجيال المقبلة(١).

فاللغة لا يقتصر دورها علي تبليغ أفكار معينة فقط، بل إنها " يحتمل في طياتها الفكر نفسه لأنها كما تستمد وجودها ودلالتها من أعماق الإنسان، فكره وآلامه، تحرك الحياة، وتشحن هذا الوجود وهذه الدلالات من مسارات الفكر التاريخية والحاضرة"(٢)، كما أن اللغة " تمثل السيادة الوطنية والقومية، فلغتنا القومية هي جزء من سيادتنا ولا يمكن التنازل عنها إلا إذا كنا على استعداد للتنازل عن سيادتنا"(٣). اللغات القومية للأمم

(١) انظر البوابة، www.aljabriabed.net

(٢) عبد الكريم غلاب، الفكر العربي بين الاستيلاب وتأكيد الذات، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا ،١٩٩٧، ص٤٥.

(٣) نفس المرجع،ص١٨٥.

والشعوب تقف مبهورة أمام هذا السيل الكاسح من الألفاظ والمصطلحات الخاصة بثورة المعلومات والاتصالات بسبب التقدم العظيم في علوم اللسانيات وهندسة اللغة. وقد تجاذب موقف هذه اللغات طرفان الأول التكتل الإقليمي سواء أكانت ثورة المعلومات والاتصالات والعولمة وفاقا أم صراعا. فللغة في كلتا الحالتين شأن خطر، فإن كانت وفاقاً فاللغة ذات شأن جليل في حوار وتبادل الثقافات والحضارات، إذ من المتوقع أن يتخذ أنصار العولمة من علوم اللغة مرتكزا أساسيا لعولمة الثقافة فالتنظير اللغوي الحديث يعد عوناً كبيراً لهم، فقد استوعب هذا التنظير القواسم المشتركة بين اللغات.... ويبني النموذج الذهني للغة الذي يقوم مع أن اللغة غريزة إنسانية يشترك فيها البشر كافة[١].

أما إذا كانت العولمة صراعاً فان كل ما يحدث حولنا يشير إلى أن الطريق سالكة أمام لغة الاتصالات والمعلومات لتسود العالم كله، فهذا التدفق الهادر الذي تطغي عليه اللغة الإنجليزية أثار الفزع والخوف لدي جميع المجتمعات غير الناطقة بالإنجليزية ومنها أمتنا العربية.

فقد أسرعت بعض المجتمعات إلى اتخاذ خطوات سريعة حازمة للحفاظ علي هويتها وثقافتها، فعلي سبيل المثال تشهد أوروبا حالا توجهين متناقضين أحدهما يقوم التنوع اللغوي، والآخر ميل إلى الانغلاق في إطار التوحد اللغوي فكتلة الوحدة الأوروبية تعد التنوع اللغوي لدولها "١٧ لغة" مصدرا لقوتها الأوروبية في مواجهة القطب الأمريكي المتشبث بأحاديته

---

(١) نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، عالم المعرفة، اكويت، ٢٠٠١، ٢٣٢.

اللغوية[(١)]، وما موقف اليابان إلا نموذج للنضال ضد هيمنة القطب اللغوي الوأحد إذ أيقنت أن مصيرها في عصر المعلومات والإنترنت بصفة خاصة رهن بمصير اللغة اليابانية وما مشروع الجيل الخامس الذي أطلقته اليابان في بداية الثمانيات إلا رد فعل تقني يهدف كسر هيمنة اللغة الإنجليزية، وقد تعرض هذا المشروع إلى ضغوط أمريكية تقنية واقتصادية وسياسية و لم يثن ذلك من عزيمة اليابانيين فأخذوا يركزون علي تقنية الترجمة الآلية من جهة ويستغلون تفوقهم التقني في مجال المعلوماتية من أجل انتزاع الزعامة اللغوية لتكتل الدول غير الناطقة بالإنجليزية[(٢)].

أما الموقف الأخر فيقوم علي انتهاج سياسات تربوية وطنية مستقلة تبعد أي هيمنة خارجية علي عمليات التعليم وتطويره ووسائل الإعلام المختلفة آخذةً في الاعتبار المتغيرات الدولية والتقدم العلمي التقني[(٣)].

وتتعترض اللغة في الوقت الحاضر جملة ظواهر منها ظاهرة الانقراض اللغوي ففي مؤتمر الثقافة والتنمية الذي عقد في كوبا ١٩٩٩ أوضح سطوة اللغة الإنجليزية في مجال الإعلام عالمياً[(٤)]. إلا أننا يجب أن نفرق بين نوعين

(١) نفس المرجع،ص٢٣٣.

(٢) عبد الغفور عبود وآخرون، التربية المقارنة والألفية الثالث، الأيدلوجية والتربية والنظام العالمي الجديد، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١ ،٢٠٠٠،ص١٣١

(٣) نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، مرجع سابق،ص ٢٧٣.

(٤) محمد المعموري وآخرون، تأثير تعلم اللغات الأجنبية في تعلم اللغة العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٨٣،ص٦٢

من التأثير أحداهما إيجابي يعرف بالافتراض اللغوي، والآخر سلبي تروج له أطراف العولمة الذي يهدف فيما يهدف إلى تقويض شأن اللغة القومية وحصرها في زاوية بعيدة عن الاستعمال اليومي وجعلها عاجزة عن تلبية حاجات أبنائها[١]، إن تحرر اللغة العربية من وضعية الرف الحاصل للأشياء النافعة إلى كائن نافع أو منتج للنفع سيبعث فيها من جديد روح الحياة والإضافة التي كانت تتمتع به إبان مرحلة التأسيس والازدهار، مرحلة كان فيها العرب قادرين وبجدارة علي تحقيق مزايا تكاملية وقوية ومنتجة بين بناء ثقافي وفكري ذي إشعاع عالمي وبين انفتاح مبهر علي نتاج الحضارات والثقافات المختلفة.

فتحقق لهم بذلك أمران:

أولهما: رفع المستوي الإنتاجي للغة العربية ونقلها من خصوصية شعرية أدبية فقط إلى قدرة توليدية خلاقة استوعبت كل علوم العرب.

ثانيهما: الاستعداد القوي لاستيعاب الآخر والانتفاع بإضافاته الفكرية والمعرفية بلغة عربية قياسية[٢].

---

(١) رفيق لبوحسيني، الأبعاد الرابطة بين اللغة العربية والتواصل، www.aljabriabed.net

(٢) See: M.H.Boehn, Nationlism:Theoretical Aspects, In: Encyclopedia of social science, N.Y, Macmillan, ١٩٤٨,Xi-Xii, PP.٢٣١-٢٤٠.

-بويد شيفر، القومية، ترجمة جعفر خصباك، وعدنان الحميري، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٩٩٠،ص٨

لقد كان منطلق هذه المنجزات قاعدة نظرية قوية حول اللغة ودورها في النسيج الثقافي والفكري والمعرفي والحضاري ولم يكن يد من إفراز اجتهادات لغوية رائدة قدمت صورة متكاملة عن اللغة، وفي كل محطة من محطات تناول الظاهرة اللغوية برزت الآراء المختلفة والاجتهادات المتنوعة وأحيانا المتناقضة، وهذا دليل واضح علي حيوية التنظير اللغوي واتساع أفاقها.

المحور الأول: اللـــــغة والوجود القومي

لا شك أن مصطلح "القومية" حديث العهد، وأنه من المصطلحات التي أبدعها الفكر الأوروبي. وقد اكتسبت القومية معناها السياسي والأيدلوجي* من حركة الشعوب الأوروبية ونهوضها العلمي والحضاري الذي بدأ بمحاولات الانفصال عن السلطة البابوية والكنيسة، وانتهى ببناء الدول القومية المختلفة واختلفت التعريفات "للقومية" باختلاف النظريات والاتجاهات الفكرية والتطور التاريخ للأمم وللطابع الحضاري والثقافي للمجتمع. فإذا قلنا إن "القومية"[١] تعني الشعور بالانتماء إلى شعب معين، له كيان حضاري متميز أو ثقافة معينة، كان المبدأ الحضاري أو الثقافي هو المسئول عن وحدة الأمة واختلافها عن الأمم الأخرى، وإذا قلنا إن "القومية" تعني الولاء للدولة التي تعبر عن مصالح الوطن والمواطن، كما تعبر عن سيادة الأمة واستقلالها كان المبدأ الأساسي هو العامل الحاسم في ترابط الأمة والتعبير عن إرادتها. وإذا قلنا إن "القومية" تعني حب الأرض التي عاش فوقها الأسلاف وتوارثتها الأجيال المتعاقبة كان العامل الجغرافي هو

(١) نفس المرجع،ص٨٧-١٤٤.

الذي يشد أفراد الأمة بعضهم إلى بعض في وحدة جغرافية معينة، وإذا قلنا إن "القومية" تعني الولاء المطلق للأمة، وأن على مجموع الأفراد الدفاع عنها ضد الأخطار الداخلية والخارجية كان المبدأ القومي هو الأساس في الوحدة والتميز. إن أفضل سبيل كما نعتقد لإزالة اللبس والغموض الذي اكتنف تعريفات "القومية" والمفاهيم التي تشترك معها في المعنى جزئيا هو في التمييز الواضح بين المفاهيم الآتية:- "الوجود القومي" ، "المذهب القومي" ، "الأمة".

نقصد بالوجود القومي:- الكيان الثابت للشعب أو الأمة في الزمان والمكان. ويتحدد معنى الوجود القومي للأمة العربية بالعوامل الآتية:-

أ- عامل الأرض. ب- عامل الحضارة. جـ - عامل الرسالة.

ونقصد بالوجود القومي أو "النظرية القومية" أو "الفلسفة القومية":- التعبير الأيدلوجي* للوجود القومي. إن طرح أيديولوجية قومية معينة في فترة زمنية معناه حدوث تطور كبير في الوعي القومي ولا يمكن أن يتكامل إلا إذا توافرت خصائص ثابتة هي:-

أ- الشعور بالانتماء إلى أمة: بمعنى أن يكون الفرد على وعي تام بأنه جزء لا يتجزأ من الكيان القومي للأمة.

ب- وعي أهمية هذا الانتماء: بمعنى أن يكون الفرد على معرفة جيدة

---

*‏**الأيديولوجية:** منظومة من الأفكار والمبادئ نابعة من ظروف اقتصادية واجتماعية معينة، غايته ليس فهم الواقع بل العمل باتجاه تغييره وفق أهداف مرسومة. ولهذا فإن لكل أيديولوجية رسالة (mission) تتضمن الأهداف الرئيسية المستقلة التي تطمح الأيديولوجية إلى تحقيقها.

بدور أمته في التاريخ والحضارة فيحمل تراث أمته وحضارتها ورسالتها.

جـ - التمييز الواضح بين الأمة التي ينتمي إليها والأمم الأخرى.

د- وعي وضرورة التعبير عن "الأمة" و"الكيان القومي" بأيديولوجية قومية تسعى إلى بناء دولة قومية موحدة.

ولابد من الإشارة هنا إلى أن المذاهب أو النظريات القومية المختلفة تعبر عن حقيقة مهمة هي أنه من الخطأ الاعتقاد بوجود مذهب أو نظرية قومية واحدة صالحة التطبيق على كل المجتمعات بغض النظر عن خصوصية كل أمة ولكننا في الوقت نفسه لا ننكر وجود عوامل مشتركة في "الوجود القومي" لكل أمة وأن التعبير عن هذا الوجود بأيديولوجية قومية مصدر الاختلاف، فمن الأيديولوجيات ما تؤكد العامل العرقي أو الطبيعي أو الحضاري أو السياسي أو الاقتصادي أو اللغوي من دون أن تهمل العوامل الأخرى على أساس انه العامل الحاسم في وحدة الأمة.

ونقصد "بالأمة"جماعة أو مجموعة من الأفراد تربطهم علاقات تحتمها عوامل لغوية وثقافية وحضارية وسياسية واجتماعية واقتصادية وغير ذلك[1]. إن الأمة وجود قائم يتحقق بالفعل من خلال التاريخ المشترك، واللغة المشتركة والثقافة المشتركة والأوجه الأخرى المعبرة عن وحدة الوجود القومي والمصير المشترك.

إن الإحساس أو الشعور بالانتماء إلى الأمة لا يعني بالضرورة مذهب

---

(١) ياسين خليل، منطق اللغة، نظرة عامة في التحليل اللغوي، مطبعة العالي، بغداد، ١٩٨٥،ص٩٣-٩٧.

قومي يساعد الفرد على اتخاذ الموقف من الأمة ولكنه يعني بالضرورة وجود دافع داخلي في الفرد يشعر من داخله بالطمأنينة عندما يكون جزءاً من كل، ويشعر بالضياع عندما يكون خارجاً عن الأمة. ويشتد الشعور بالانتماء إلى الأمة في جميع الحالات التي يرى فيها الفرد تهديدا مباشراً أو غير مباشر لأمته. فالتحديات المختلفة تحدد موقف الفرد بوضوح لأن تهديد الأمة يعني تهديداً لوجوده، كما يعني في الوقت نفسه تهديداً لكل الانجازات والأعمال التي ساهم في بنائها الأجداد، وتهديداً للمبادئ والقيم التي آمن وتمسك بها والتي لا يقبل استبدالها بأخرى مفروضة عليه من قبل قوى تنازعه البقاء في ساحة الصراع من أجل الحياة واستمرارها.

وتمثل اللغة عاملا وعنصراً جوهرياً في "الوجود القومي"، ولكن ما المقصود باللغة؟

اللغة:- منظومة (system) مؤلفة من أصوات "منطوقة أو مكتوبة" مترابطة وفقا لقواعد بنائية معينة في سبيل تحقيق الاتصال (communication) الفكري والعاطفي بين الناس[1].

ينطوي هذا التعريف على عدة أوجه:-

أ- ينطوي التعريف علي البعد الصوري (formal dimension)

(١) - See: Charles William Momis, Foundations of the theory of signs, Chicago, III: International Encyclopedia of Unifled Science, ١٩٥٧,P.٢٥٥-٢٦٥

-فتحي علي يونس،التواصل اللغوي والتعليم، يناير ٢٠٠٩، موقع مصر أونلاين www.tantaoffline.com

ونقصد به البناء التركيبي الذي تقوم عليه الأبنية اللغوية المختلفة. وقد أشار المفهوم "أنها منظومة مؤلفة من أًصوات منطوقة أو مكتوبة مترابطة وفقاً لقواعد بنائية" إلى البعد الصوري[١]. لا شك في أن هذه القواعد مهمة لبناء اللغة واستمرارها هو الأساس في المحافظة على كيان اللغة وقد أصبح معروفاً أن البنية اللغوية ثابتة نسبياً، وأن مجمل التغيرات التي تطرأ على اللغة محصورة في إطار المعنى والدلالة.

ب- ينطوي المفهوم على بعد المعنى والدلالة (semantical dimension) ونقصد به ما تشير إليه الألفاظ والعبارات والجمل والقضايا من دلالات وما تعبر عنه من معانٍ هي في حقيقة الأمر الأفكار والتصورات والأحكام. وقد أشار المفهوم "في سبيل تحقيق الاتصال الفكري والعاطفي بين الناس" إلى البعد السيمانطيقي أو بعد المعنى والدلالة.

جـــ - وينطوي المفهوم كذلك على البعد الشعوري (feeling dimension) ويمكن تسميته كذلك بالبعد القومي. إن هذا البعد يمثل الناحيتين الوجدانية والفلسفية اللتين تعبر عنهما روح الأمة فهي معانٍ ليست موضوعية، بل ذاتية يشعر بها المنتمي إلى الأمة التي تستعمل تلك اللغة. ويتحدد معنى اللغة في البعد الشعوري للغة من خلال الارتباط القومي أولاً وبالمشاركة المستمرة في استعمال اللغة ثانياً وبإدراك ما للغة من صلة وثيقة بالوجود القومي ثالثا.

---

(١) حسين نصار، المعجم العربي: نشأته وتطوره، دار مصر للطباعة، القاهرة، ١٩٦٨،ص١٥.

أهمية اللغة:-

وإذا كنا قد أشرنا بأن اللغة وعاء الفكر وأساس الصلة بين الماضي والحاضر، والمعبرة عن تجارب الأمة في التاريخ وبالصورة اللغوية الأوجه المختلفة للإنجازات الحضارية، فهي ليست مجرد جزء لا يتجزأ من الوجود القومي بل هي في الوقت نفسه الوسيلة الوحيدة لمعرفة جوهر الوجود القومي وأبعاده وأسسه ومنطلقاته، كما تخبرنا عن البعد التاريخي والحضاري، وتنفرد اللغة بأهمية أكبر بأنها الوسيلة الوحيدة التي تسجل نشاط الإنسان وإبداعاته وانجازاته الحضارية المختلفة. واللغة بصورة عامة ذات أهمية لكل الأنشطة البشرية، فكل إنسان عضو في جماعة اجتماعية يتعامل مع أفرادها ويشارك في فعاليتها، وبذلك لابد من استعمال اللغة كوسيلة للاتصال. ومن المعروف أن للحضارة وجهين، مادي ولا مادي، وكذلك اللغة، فإن الوجود القومي للأمة بلا شك وجود حضاري لا يقتصر على نشاط الإنسان في الماضي، بل يتجاوز ذلك إلى الحاضر والمستقبل.

ولقد اختلف العلماء وتباينت آراؤهم فيما يتعلق بوظيفة اللغة، والأغراض التي تؤديها وسوف نعرض فيما يلي أهم هذه الآراء[1].

اللغة وظيفته التعبير عن الأفكار والعواطف والانفعالات: ينظر بعض اللغويين إلى اللغة كما لو كانت تابعة لميادين الفلسفة والمنطق والعواطف

---

(١) ياسين خليل، اللغة والوجود القومي، سلسلة كتب المستقبل العربي(٤٦) اللغة العربية، أسئلة التطور الذاتي والمستقبل، مركز دراسات الوحدة العربية ص ص ٤٥-٥٠.

والانفعالات، وتعرف هذه المدرسة بالمدرسة الفلسفية، أو النفسية، أو المنطقية في الدراسات اللغوية، وقد يشار إليها أحياناً بالمدرسة العقلية.

١- اللغة وظيفتها تصريف شئون المجتمع الإنساني: وتقابل المدرسة السابقة مدرسة فكرية أخرى يعني أصحابها عناية بالغة بالجانب الاجتماعي للغة، إذ هم يعتبرونها حقيقة اجتماعية ونتيجة للتواصل الاجتماعي، وهي في الوقت نفسه مدنية في تطورها ونموها إلى وجود الجماعات .والوظيفة الأساسية للغة عند هؤلاء تسيير دفة الأمور، وتصريف شئون المجتمع الإنساني .ومن أنصار هذه المدرسة العالم الأنثروبولوجي "مالينوفسكي" الذي يؤكد في كتاباته على العنصرالاجتماعي للغة، ويرى أنها وسيلة لتنفيذ الأعمال، وقضاء حاجات الإنسان ويتضح هذا من قوله في هذا المجال :إنما تستعمل الكلمة في آداء الأعمال وإنجازها، لوصف الأشياء، أو ترجمة الأفكار فالكلمة إذن لها قوتها الخاصة، وهي وسيلة لتنفيذ الأعمال، وقضاء الأشياء، وليست تعريفاً لهذه الأشياء. ومن أنصار هذه المدرسة كذلك العالم اللغوي يسبر سن، الذي يؤكد أن كلمات اللغة لا تستعمل في أكثر الأحايين لتنقل أفكاراً أو لتوضح أشياء من هذا القبيل، ولكنها تستعمل لتشبع الاشتياق إلى النزعة الاجتماعية والمصاحبة التي يهواها الإنسان ويعشقها، وهذا كله يمثل رأيا لمدرسة التي يطلق عليها أحياناً المدرسة الاجتماعية في البحوث اللغوية.

مما تقدم يتبين أن هناك نظرتين مختلفتين بالنسبة لوظائف اللغة، فالنظرة الأولى تركز على الجانب العقلي من اللغة، والثانية تركز على الجانب الاجتماعي منها، ولكن نظرة فاحصة إلى هذين الجانبين ترينا أنهما

متكاملان، فكما أن الفرد يستخدم اللغة أحياناً لكي يعبر عن نفسه، ومشاعره وأفكاره، فهو يستخدمها في الوقت نفسه بهدف التواصل مع غيره من أفراد مجتمعه، ويعني هذا أن للغة مغزى فردياً، ومغزى اجتماعياً. ومن هنا وجدنا البعض يفصل الوظيفتين السابقتين للغة فيما يلي من وظائف:

١- تنسيق الأنشطة بين أعضاء المجتمع.

٢-تثبيت الفكر والتعبير عنه.

٣- إيصال الأفكار والمشاعر.

٤- إمتاع النفس وتقليل الاضطراب.

وعن الوظيفة الرابعة، يقول يسبر سن: بالخبز وحده لا يعيش الإنسان، فاللغة لها وظائف أخرى، علاوة على كونها أداة للتواصل وهي لا تستخدم فقط في الكلام، بل في الغناء أيضاً، والحديث لا هدف له في الغالب إلا مجرد اللعب بالأصوات ليمتع الفرد نفسه، ويمتع الأخرين، فليست الحياة اليومية جداً كلها، بل هناك فرص ينبغي ألا نفكر فيها، وذلك حينما نترك العمل جانباً، وفي مثل هذه الظروف لا تؤدي اللغة وظيفة حل المشكلات، بل لها في هذه الأوقات وظائف أخرى، فهي وسيلة من وسائل الراحة، وتقليل الاضطراب، وكسر حواجز الغربة بين الفرد ومن يشاركونه الحديث، وإقامة علاقات بينهم، تنأى عن التقليدية. معنى ما سبق أن للغة وظائف متعددة، اجتماعية وفكرية ونفسية، وهي بهذا تمثل الأداة الأساسية لتواصل البشر سواء في المجتمع الوأحد أو في المجتمعات المختلفة. لكن نظرة فاحصة إلى الوظائف التي أشير إليها ترينا أن هناك وظيفة أغفلت على الرغم من أهميتها،

هذه الوظيفة هي التوثيق، أي تسجيلا لأحداث والتاريخ، والحقائق، والمعارف. ..الخ، التي مرت بالإنسان، وتمر به، أو سيواجهها في المستقبل. إن الإنسانية مدينة للتوثيق اللغوي بكل ما لديها من معارف، وكل ما تعرف من أحداث الماضي وأحواله، لقد ذكر علماء الآثار أن التاريخ الحقيقي للإنسانية بدأ منذ اخترعت الكتابة، أي منذ أن اخترع المصريون الكتابة، ولقد ظل التاريخ الفرعوني كله غامضاً إلى أن اكتشفت الحملة الفرنسية حجر رشيد وفك رموز لغته " شمبليون ."إن الذاكرة الإنسانية لا تستطيع أن تفي جميع الأحداث والمعارف، ومن هنا كانت وظيفة اللغة، ووظيفة الكتابة .وقد أشار القرآن الكريم في أكثر من موضع إلى أهمية القلم، وإلى أهمية كتابة الدين ... فقال عز من قال: {ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ} (سورة القلم-الآيات ١،٢)

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ} (سورة البقرة-الآية ٢٨٢)

أي :إن الكتابة ذاكرة الفرد والأمة، وهي سجل لكل جوانب حياته، وهي منبع لا يغيض لكل المعارف والعلوم، وحياتنا كلها مرتبطة ارتباطاً مباشراً أو غير مباشر بهذا التوثيق اللغوي .

لقد كان التاريخ قبل اختراع الكتابة مجرد مجموعة من الظنون، المعتمدة على الحدس والتخمين، والتحليل الذي يرتبط بقدرة من يقوم به، ولا يعتمد على منهج يقيني. انظر حولك ترى الكتب، والجرائد، والصحف، والإعلانات، والأسماء، والوثائق المختلفة، والعناوين. ..الخ، وهي كلها

تعتمد على الكلمة المكتوبة، وهي كلها وثائق بصورة أو بأخرى. لكل هذا نال فن الكتابة عناية بالغة في مناهج تعليم اللغة؛ بل إن بعض المناهج تعتبر الكتابة ودقتها ووضوحها من أهم أهداف تعليم اللغة، وبصفة خاصة في المرحلة الثانوية.

بقى لنا هنا ونحن نتحدث عن وظائف اللغة أن نشير إلى وظيفة مهمة للغة وهي: تنمية الفكر، إن هذه الوظيفة لم تنل حظها من الدراسة والعناية فيما سبق؛ ولذا وجب أن نتناولها بشيء من التفصيل.

لقد ذكر علماء النفس أن اللغة هي الوسيلة التي يمكن بواسطتها تحليل أية صورة أو فكرة ذهنية إلى أجزائها أو خصائصها، وتركيب هذه الصورة مرة أخرى في أذهاننا أو أذهان غيرنا بواسطة تأليف كلمات ووضعها في ترتيب خاص، وعلى هذا، فالطفل الذي يردد الكلمات التي يسمعها ممن يحيطون به لا يتكلم اللغة حقاً إلا إذا كان مدركاً لما ينطق به، ولا يطلق على الكلام لغة بالمعنى العلمي إلا إذا أدى هذا الكلام وظيفته النفسية، وهي التحليل التصوري والتركيـــبي.

ومعنى هذا أن عملية التصور ضرورية قبل أن تصدر اللغة، كما أن معرفة اللغة ضرورية للمتلقي قبل أن تتم عملية التصور عنده. وعلى هذا، فلا يكفي أن يقال: إن اللغة وسيلة للتعبير، كما لا يكفي أن يقال :إنها وسيلة لنقل أفكار المتكلم إلى السامع، بل هناك إلى جانب هذا شيء آخر مقصود هو استجابة السامع، وتلبيته لأثر ما أدركه من كلام، فإن لمتحدث اللغة استجابة من السامع فقدت وظيفتها.وتطابق الصورة الذهنية مع الحدث

اللغوي لدى كل من المتكلم والسامع يؤدي إلى تمام التواصل اللغوي، أما عدم تطابق الصورة الذهنية مع الحدث اللغوي لدى المتكلم والسامع فيؤدي إلى نقص في التواصل أو يؤدي إلى عدم التواصل في بعض الأحوال. ويعزى تفوق الإنسان الذهني -لدرجة كبيرة -إلى قدرته على استعمال اللغة الراقية، فهي الوسيلة التي تمكنه من استخدام ما عنده من قدرة على التفكير، فكل كلمة تحمل بين ثناياها كمية عظيمة من الخبرات البشرية. ويقدر ما لدى الفرد من ثروة لغوية تكون قدرته على التواصل الشفوي أو الكتابي، بل إن هناك علاقة في كثير من المجتمعات الحديثة بين القدرة اللغوية للفرد والمركز الاجتماعي الذي يتبوأه هذا الفرد وتقاس الأمم حضاريا بقدرة أبنائها على استخدام اللغة، لا على المستوى الشفوي وحده، إنما على المستوى الكتابي بالدرجة الأولى، هذا المستوى المرتبط بفني القراءة والكتابة، وبالطبع تتأثر قدرة الفرد على الفهم حين يسمع، وعلى انطلاقه حيث يتحدث بقدرته على القراءة والكتابة.

العلاقة بين اللغة والوجود القومي:

وإذا أردنا فهم العلاقة بين اللغة والوجود القومي – إضافة إلى ما تقدم من تحليل — فإن أفضل وسيلة هي ربط بعد المعنى والدلالة ببعدي الحضارة فتكون اللغة بناء على ذلك وعاء لكل الأنشطة الحضارية.

وتلعب الوثيقة دوراً بارزاً في الكشف عن الانجازات ومجموع الأنشطة الحضارية للأمة، فاللغة هي مفتاح معرفتنا لماضي الحضارات القديمة، فلولاها لما استطاع الإنسان كشف الانجازات العلمية والأدبية ومراحل التطور

سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وفكرياً لأمم قديمة مثل البابلية والفرعونية وغيرها، ولا تقل أهمية اللغة في الدراسات التاريخية للماضي القريب، فهي مفتاح معرفتنا للحوادث والوقائع والانجازات المدونة في الوثائق.

وندرك أهمية اللغة من خلال ارتباطها الوثيق بالأمة، فغالباً ما تقترن اللغة باسم الأمة وهويتها القومية، فتصبح أساساً مميزاً لها عن بقية الأمم. ويشذ عن هذه القاعدة جميع المجتمعات التي فقدت لغتها الأصلية واكتسبت لغات قوية أخرى سواء عن طريق الهيمنة الاستعمارية* أو عدم قدرة لغاتها على التطور وعجزها عن الإيفاء بمستلزمات العلم والفكر والتكنولوجيا.

---

* لقد أدرك الاستعمار ما للغة من أهمية ودور في حالة الوجود القومي لأي شعب من الشعوب فعمل في أفريقيا وأمريكا اللاتينية علي استبدال اللغات القومية بلغات أوروبية علي أساس أن الشعب الذي يفقد لغته الأصلية ليكتسب لغة الغير إنما يكتسب في الوقت نفسه ثقافته وأسلوب حياة المستعمر الناطق بتلك اللغة،إذ ينحصر اهتمامه باقتباس المعرفة التي يصدرها المستعمر، وأخيراً يجد الشعب نفسه أسير حضارة جديدة مفروضة عليه يتعامل معها ولن يتخلص من هذه التبعية إلا في حالة التحرر الوطني وبناء دولة قومية خاصة به.

وإلى جانب ما تشترك به اللغة العربية من خصائص عامة مع اللغات الأخرى، فهي تتميز عن بقية لغات العالم بخصائص مميزة من خلال عدة أبعاد مختلفة:- البعد الديني، البعد القومي، والبعد التاريخي الحضاري. أخذت اللغة العربية في الفترة الزمنية السابقة على ظهور الإسلام طريقها إلى الوحدة رغم تعدد اللهجات العربية[1] التي كانت سائدة بين القبائل العربية أصبحت بفضل ذلك لغة مشتركة لكل العرب فخلقت شعوراً مشتركاً وفكراً وأحداً يعكس الحياة العربية وتطلعاتها وعكست في الوقت نفسه الصورة المثلى للقيم التي يجب على العربي أن ينشأ عليها. وقد أشارت هذه الظاهرة إلى حقيقة حضارية مهمة هي التقاء العرب فكراً وحضارةً ووجوداً لبناء وحدتهم، حيث أصبحت اللغة العربية وعاء لتجارب العرب ومعارفهم وأساساً للتعبير عن وجودهم القومي. وعندما بدأ الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) الدعوة الإسلامية اعتمد على ثلاثة أركان حضارية مهمة هي:-

أ- تنزيل القرآن الكريم بلغة عربية توحد العرب في اللسان وتدفعهم إلى التعمق في معاني ألفاظها.

ب- رسول عربي يقود مسيرة حضارية جديدة.

جـ- أمة عربية موحدة حيث تبلورت شخصية الأمة في ظل الإسلام قومياً لتكون نواة صالحة لبناء الإنسان والأمم الأخرى على أساس العدل والمساواة.

لقد ظل القرآن الكريم والحديث الشريف منبعين رئيسيين من منابع

---

(١) نفس المرجع ص ص ٥١-٥٣.

المعرفة العربية، وبذلك ترسخت دعائم الوجود القومي العربي على أسس ثابتة من العلم والمعرفة والحكمة، بحيث أخذت شخصية العربي تتوحد في خصائصها الجديدة، وتتمايز بوضوح فنشأت العلوم العربية قبل اتصال العرب بالثقافات الأجنبية فكانت الأساس الذي حفظ للأمة العربية وجودها القومي، لأنها علوم تتصل باللغة والأدب والتاريخ، إضافة إلى صلتها الوثيقة بالعقيدة الإسلامية.

وعندما بدأت حركة الترجمة والنقل تشق طريقها كانت اللغة العربية أمام تحدٍّ كبير، فهل هي قادرة على استيعاب علوم الأوائل والتعبير عن الثقافات الأجنبية بدقة وموضوعية؟ وهل يمكن أن تكون لغة علمية إلى جانب كونها لغة الدين والأدب والشعر؟ وهل تسمح قواعدها ببناء المصطلح العلمي والتغلب على المشكلات الناجمة عن الترجمة والنقل؟.

لا شك في أن التحدي الجديد للغة العربية هو تحد للوجود القومي العربي، لقد نجحت اللغة العربية في فترة قصيرة من الزمن بأن تكون لغة العلم، فهي لغة رصينة للعلوم الإنسانية، وللعلوم الرياضية والطبيعية والعلوم التطبيقية.

لقد نشطت الحركة العليمة في جميع المجالات وتوسعت آفاق المعرفة العلمية عند الإنسان العربي، وتأسست المدارس ودور العلم والمكتبات بشكل واسع، وظهرت المؤلفات العلمية مكتوبة باللغة العربية في الرياضيات، والطب، والفلسفة، والعلوم الطبيعية، والعلوم الأخرى، وظهرت كتب الفهارس في العلوم المختلفة ونشط علماء اللغة في دراسة اللغة العربية من جميع نواحيها، وتفنن العلماء العرب في تأليف المعاجم العلمية لشتى العلوم،

الأمر الذي يثبت بجلاء قدرة اللغة العربية على استخدام المصطلح العلمي لكل العلوم المعروفة آنئذٍ. وفي المقابل نشطت جهود علمية أخرى غايتها استقصاء وجمع وتدوين جميع المعارف العلمية التي امتلكها الإنسان العربي نقية من كل تأثير أجنبي، وهكذا نشأن حركة علمية تناولت الحساب، والفلك، والنبات، والحيوان، تبتغي استقصاء "العلوم على مذهب العرب".

لقد كانت غاية علماء اللغة جمع مفردات اللغة العربية وصيانة أو تنقية اللغة العربية مما علق بها من شوائب اللحن نتيجة اتصال العرب بالأعاجم وضبط قواعد اللغة وفصاحة اللسان. لقد أمدت هذه الحركة اللغوية القومية علماء معاجم اللغة بعدد كبير من المفردات، كما أفادت العلماء من حيث المصطلح العلمي والمعرفة العلمية العامة، وزودت علماء النحو واللغة بالشواهد المختلفة.

وتأكيداً للوجود القومي العربي أخذت اللغة العربية تتواصل نحو إيجاد أبجدية كتابية للتدوين فدون القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة واستقرت نحو قواعد خاصة لا يجوز الخروج عليها من حيث الشكل والضبط اللغوي وارتبطت الكتابة العربية بالذوق الفني العربي، فكان ذلك حقلاً إبداعياً جديداً. وكانت الروح الدينية وقدسية اللغة العربية دافعين خلقا في النفس العربية القدرة على الإبداع الفني والإحساس بالدهشة والروعة، وتوسط فن الخط العربي ليشمل أنواعاً كثيرةً، ووجدت له تطبيقات كثيرة في مجالات الحياة المختلفة.

السياسات التي استهدفت القضاء على اللغة العربية:-

إن النهوض العربي الذي تحقق بفضل الإسلام والقدرات الذاتية للأمة العربية سرعان ما بدأ بالانحسار أولاً وبالتدهور السريع ثانياً، نتيجة تعاظم القوي المعادية للعرب وتمزق الوجود العربي الذي أحدثته عوامل كثيرة[١].

منها:-

تعدد الفرق والطوائف، ودخول الأعاجم وسيطرتهم على كثير من مظاهر الحياة العامة، وتفضيل غير العرب من قبل بعض خلفاء بني العباس على العرب، والاستعانة بالجند من الموإلى أو الأعاجم من الفرس والترك، وتفرق العرب في الأقطار والأمصار، والابتعاد عن القيم العربية الأصيلة، وضياع رسالة الأمة بين الجدل والتأويل، وهكذا ازدادت التحديات للأمة العربية، ولم يعد للوجود القومي العربي غير الانغلاق والتبعثر، بينما أخذت القوى الأجنبية تتصاعد في تحقيق غايتها في القضاء على هذا الوجود وطمس معالمه، فكانت اللغة العربية هدفاً مركزياً.

إن انتقال السيادة والحكم من أيدي العرب إلى أيدي الأعاجم كان إيذاناً بانهيار الحضارة العربية الإسلامية، وقد أصاب اللغة العربية في هذه الفترة تدهور من الناحيتين؛ ناحية العناية بها والاستمرار في تغذيتها بالعلم والمعرفة، وناحية شيوع الكلام باللهجات المحلية وتفشي الألفاظ غير العربية فيها. وعلى الرغم من ذلك بقيت اللغة العربية نقية بفضل القرآن الكريم

---

(١) أحمد الخطيب، نظرية الترجمة، (دراسات وأبحاث الملتقي العربي للترجمة)، مؤسسة الفكر العربي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥، ص ٢٩٠

وفضله في تدعيم الروابط الثقافية والحضارية والدينية بين العرب. لقد أدركت القوى الأجنبية أهمية اللغة العربية في تماسك الوجود القومي العربي فاتخذت عدة سياسات استهدفت القضاء على اللغة العربية في العصر الحديث من أبرزها:-

أولاً:- السياسات التي انتهجها الأتراك في بعض الأقطار العربية نحو تتريك الشعوب غير التركية. ولكن هذا المسعى باء بالفشل لسبب بسيط وهو بقاء القرآن الكريم باللغة العربية وتلاوة السور والآيات خمس مرات في اليوم أثناء تأدية الصلاة، بالإضافة إلى تلاوته في الكثير من الشعائر الدينية وغير الدينية، كما لعب المسجد دوراً هاماً في استمرار اللغة العربية من خلال تعليم الأبناء للقرآن الكريم والحديث، وما يتصل بهما من مؤلفات بالإضافة إلى تدريس المخطوطات العربية ذات الصلة باللغة والعلوم الفقهية. ثانياً:- السياسة التي انتهجها الفرنسيون في الأقطار العربية التي احتلوها، وبخاصة في أقطار الشمال الأفريقي، حيث حلت الفرنسية محل العربية في معظم مظاهر الحياة، وانحسرت اللغة العربية في دائرة ضيقة في المساجد والتكايا والمناطق الريفية الفقيرة والبوادي بين القبائل، ويتصدى الإسلام لهذه السياسة، فتنمو الثورة من قلب الصحراء والريف والمسجد لتحرر الإنسان العربي من الاستعمار، وتشتد الدعوة إلى الوحدة العربية تأكيداً لتواصل الوجود القومي العربي.

ولم تبق حركة معاداة اللغة العربية موقوفة على المستعمر، بل سرعان ما نشط في الاتجاه نفسه عدد غير قليل من العرب، وقد تركزت جهودهم في

اتجاهين؛ الأول:- يتمثل في الدعوة إلى شيوع اللهجات المحلية لتحل في نهاية الأمر محل اللغة العربية الفصحى وبذلك نحصل على عدة من اللغات المختلفة فينعكس هذا الأمر على الوجود القومي العربي الثاني:- ويتمثل في إبدال الحرف العربي وأسلوب الكتابة العربية بالحرف اللاتيني أو العبري المتقطع.

إن الدعوة إلى تمتين اللهجات العامية في الأقطار العربية والكتابة بها والترويج لها تمثل ظاهرة معاكسة للاتجاه الوجودي المتمثل في الدعوة القومية إلى قيام الوحدة العربية كما تمثل في الوقت ذاته تياراً جديداً هدفه قطع الإنسان العربي بماضيه وتراثه العقائدي. ويمكن تشخيص أهداف هذه الظاهرة[١] إلى:-

١- إذا كانت اللغة العربية الفصحى هي الرابط القومي الموحد لأبناء العربية فإن اللهجات العامية في الأقطار العربية مختلفة إلى الحد الذي لا يستطيع إنسان المشرق العربي مثلاً فهم لهجة الإنسان العربي الجزائري أو المغربي، وهذا معناه تجزئة الأمة الواحدة إلى كيانات لغوية متباينة تعمل على إعاقة تحقيق الوحدة العربية وتحقيق الصلات التي تكونت عبر الزمن بفضل اللغة الواحدة.

٢- إن التجربة التاريخية للأمة العربية في ممارسة جميع الأنشطة قد دونت اللغة العربية ووصلت إلينا من خلال المخطوطات والآثار. فإذا ما تم إحلال اللهجة العامة محل الفصحى فإننا نذكر بأن هذا التراث الضخم سيصبح مجرد تركة ثقيلة لا يستطيع الإنسان العربي الاطلاع عليه ودراسته

---

(١) سالم العيش، الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية، اتحاد الكتاب، ١٩٩٩، www.awndam.org

أو اتخاذه بداية لحركة بعث عربية وإحياء التراث وبذلك تقطع الصلة بين ماضي الأمة وحاضرها.

أما الدعوة إلى إبدال الحرف العربي باستعمال الحروف المتقطعة فتكشف حقيقة مهمة جداً هي أن أعداء الأمة العربية قد أدركوا أن استبدال الحرف العربي وإسقاط حركات الإعراب بقصد تيسير اللغة العربية يؤدي إلى تجزئة الوجود القومي العربي وتحويل جوانبه الحضارية المشرقة ورسالة الأمة إلى العالم إلى متحجرات لا يقدر الإنسان العربي على التفاعل معها أو اتخاذها قاعدة لفهم العالم الذي يعيش فيه. و لم يتوقف أعداء اللغة العربية عن نشاطهم في تجميد اللغة العربية وتحويلها إلى لغة لا يتعدى نشاطها الدين والأدب والشعر؛ لأنها في اعتقادهم غير قادرة على مواكبة التطور الهائل الذي أحدثته العلوم والتكنولوجيا. وهكذا وقفت جمهرة كبيرة من المثقفين وأساتذة الجامعات نحو حركة التغريب.

إن الاتجاه المعادي لتعريب العلوم يؤدي دوراً تخريبياً ضد اللغة العربية؛ لأنه يمنع اللغة من التطور عبر القنوات المعروفة في الاشتقاق والنحت والتعريب وغيرها، كما يفيد اللغة العربية في المساهمة العلمية لتكون لغة علمية شأنها في ذلك شأن اللغات الأخرى، ويخلق وضعا نفسياً يؤدي بالإنسان العربي دون أن يعرف إلى احتقار لغته والتقليل من شأنها ويفضل عليها لغات أخرى مما يزيد الهوة بين المثقف والعالم ولغته القومية ووجوده القومي.

إن التعريب يعتبر ضرورة قومية ولغوية حيث يزود الوجود القومي العربي بأنشطه جديدة، ويعبر عن استمرار اللغة في أداء وظيفتها.

المحور الثاني: الترجمة والتبادل والتواصل

من المعلوم أن الترجمة شكلت على الدوام باعتبارها نشاطاً إنسانياً جسراً للتواصل والتفاعل والتلاقح بين اللغات، ورحلة في الثقافات والحضارات المغايرة، وقد دفعت أهمية الترجمة المهتمين إلى إنتاج خطابات متنوعة حولها، تراوح موضوعها بين التساؤل عن نظرياتها ونماذجها وحقولها التطبيقية.....

والترجمة في المعاجم اللغوية: نقل الكلام من لغة إلى أخرى، أو تفسيره بلسان آخر.

وفي المعاجم العلمية: عملية نقل، بحيث لا تتغير محاور المنقول ولا يتغير جوهره لا اتجاهاً ولا قدراً ولا شكلاً ولا فحوى.

ومن هذين المفهومين، يتبدى لنا أن عملية الترجمة تنطوي على نقل يشمل الطبيعية الاجتماعية والخلفية الثقافية، والبيئية والمناخية، إضافة إلى المفهوم، أو المفاهيم اللغوية، دون تحريف أو تشويه[١].

الترجمة عمل ثقافي ينتج عنه تثاقف طويل الأمد على صعيد الأفراد والجماعات، وهي تعبر عن أبعاد حضارية قابلة للتعميم والانتشار عبر تفاعل الثقافات في إطار من العلاقات المبنية على التبادل الثقافي الحر، والإبداع بين مختلف الشعوب والقوميات، وهي حوار ضمني بين تجارب الشعوب الثقافية عبر الكلمة

---

(١) انظر شحاذة الخوري، واقع الترجمة في الوطن العربي ووسائل النهوض بها، دراسات وأبحاث الملتقى العربي للترجمة، مؤسسة الفكر العربي، بيروت، ٢٠٠٥، ص ٨١.

انظر: منذر عياش، مؤتمر الترجمة، المجلس الأعلى للثقافة٢٩/٥-١/٦/٢٠٠٤، القاهرة، www.alrafidh.com

الفاعلة. وهي بالمدلول الثقافي والحضاري للمفهوم ليست مجرد نقل كلمة أو فكرة من لغة إلى أخرى، بل هي بالدرجة الأولى فعل ثقافة حية قادرة علي تحويل موارد المجتمع إلى قوي محركة للطاقة الإبداعية فيها، ولديها القدرة علي تحويل الثقافة إلى فعل حضاري وديناميه قوية لتغيير المجتمع، بعد أن أصبح العالم كله مساحة ثقافية واحدة في عصر العولمة. ولذلك اعتبرت حركة الترجمة بمثابة فعل حوار دائم بين القوي البشرية ذات الثقافات المتنوعة القادرة علي التفاعل الإيجابي من موقع حوار الأنداد بين ثقافات حية.

وتبرز أهميتها من خلال توحيد دلالات المصطلحات والمفاهيم بهدف نشر ثقافة إنسانية مشتركة تقارب ما بين الشعوب ولا تزيد من حدة التباعد والتنافر فيما بينها علي خلفية ثقافتها المحلية.

في عصرنا، عصر الانفجار المعرفي، عصر القرية الكونية، وعصر شبكة المعلومات، وعصر حوار الحضارات، وعصر الاعتماد الاقتصادي المتبادل بين الدول، اكتسبت الترجمة أهمية قصوى وبعد استراتيجياً فرضه واقع العصر، بل إنها صارت ضرورة تنموية ملحة لاستيعاب معطيات التقدم العلمي والتقني، ولوضعه في خدمة التنمية الوطنية بجميع أشكالها وأبعادها.

لقد كانت ظاهرة الترجمة وما زالت ملازمة لتاريخ الإنسان؛ لأن تعدد الشعوب والأقوام واختلاف اللغات كلها عوامل جعلت ظاهرة الترجمة الأداة الوحيدة لسد حاجة التواصل بين البشر، وفي كل أنواع التبادل(١)..

---

(١) عبد السلام بن عبد العالي، الترجمة والمثاقفة، مجلة الوحدة، السنة الثالثة، عدد ٦١-٦٢/١٩٨٩، المجلس القومي للثقافة العربية،ص٨.

لقد كانت الترجمة في كل الحضارات وسيلة دالة علي عظمة الاختلاف وروعة التنوع ومعبرا واصلا بين الأمم والثقافات وكانت وما زالت خيرا مثبتا لكل جغرافية الوجود الإنساني، ومكانا جامعا لكل لغات هذا الوجود وأعراقه علي امتداد الزمان، ويعود السر في وجود الوحدات الكبرى (لغة وثقافة) وفكرا إلى قيام هذه الوحدات علي التعدد واتخاذه أصلا لكل توحد ومعياراً لكل تفرد(١). من خلال الطرح السابق نطرح بعض التساؤلات الآتية هل مازالت الترجمة تساهم كإستراتيجية لتوليد الاختلاف – في تكريس لغة الثقافة ولغة الحوار بين الثقافات والحضارات المتنوعة، أم أن دورها في الوقت الراهن سلبي في ظل العولمة التي تلغي الخصوصية اللغوية والهوية الثقافية والشخصية الحضارية للأمم، وتدحض فكرة التوازن لصالح الهيمنة والاختراق وتكريس الثقافة الواحدة ؟ في ضوء هذه الأسئلة سنحاول تناول بعض الجوانب التي تثيرها الترجمة في علاقتها بالمثاقفة والعولمة.

الترجمة والمثاقفة (من الوحدة إلى التعدد):

من خلال ما تم عرضه حول ضرورة وأهمية الترجمة نستطيع القول بأنها كنتيجة حتمية لهذا التواصل الكوني، أصبح التفاعل والتبادل بين الثقافات القومية والحضارات المختلفة يعتمد علي الترجمة باعتبارها ضرورة إنسانية، فهي لا تهدف إلى أن تطابق الأصل وتحاكيه وتماثله، بل أن تكرس ثقافة الاختلاف، وأن تصبح إستراتيجية لتوليد الفوارق(٢) فهي انفتاح وغليان وتلاقح وحياة. ولنا في التراث

---

(١) المصطفي عمراني، الترجمة بين المثاقفة والعولمة،www.atida.org

(٢) محمود إسماعيل عمار، معايير متقدمة حول الترجمة في النقد القديم، مجلة علامات =

الإنساني شواهد مهمة لأشكال التلاقح والحوار الحضاري بين الأمم رغم التباينات العرقية والدينية واللغوية والمعرفية.

من هنا عدت الترجمة رديفة "المثاقفة Acculturation" لأن كلتيهما بحث وسعي نحو ارتياد آفاق مغايرة لأشكال الثقافة المختلفة و أسئلة الوجود المتعددة... في ظل التعايش الحضاري والتنوع الثقافي.

فالترجمة والمثاقفة كما حددها الباحث الاجتماعي الفرنسي "ميشال دوكستر Michel decoster" مجموع التفاعلات التي تحدث نتيجة شكل من أشكال الاتصال بين الثقافات المختلفة كالتأثير والتأثر والاستيراد والحوار والرفض والتمثل وغير ذلك مما يؤدي إلى ظهور عناصر جديدة في طريقة التفكير وأسلوب معالجة القضايا وتحليل الإشكاليات، مما يعني التركيبة الثقافية والمفاهيمية لا يمكن أن تبقي أو تعود بحال من الأحوال إلى ما كانت عليه هذه العملية[١].

ولنا في الحوار بين الحضارة العربية الإسلامية والحضارة الغربية علي مر التاريخ شاهد على دور الترجمة في هذا التلاقح والتواصل في ضوء الاعتراف بالتنوع الثقافي، فالحضارة العربية الإسلامية لم تتوقع على نفسها، بل عكفت على دراسة وتفسير وشرح وتصحيح العديد من المجالات العلمية كالفلسفة والمنطق والأدب والفلك والهندسة والكيمياء والطب وغيرها، بل وأضافت

= في النقد، جزء ٤٨، مجلد١٢، يونيه ٢٠٠٣، ص٨١.

(١) الجاحظ أبو عثمان، الحيوان، بيان فضل الكتاب، الجزء الأول، السندوبي، تونس، ب.ت، ص١٢٥.

إليها الكثير من الحقائق والاكتشافات وأسست في ضوء ذلك علوماً جديدة، ظلت مصدر العلم والمعرفة في العالم كله لقرون طويلة[١].

وكان لا بد من الحضارة الغربية في لحظات النهضة الحديثة إلا أن تتزود هي الأخرى من الحضارة العربية الإسلامية وتتكيف معه وتهضمه وتضيف إليه لتحوله فيما بعد لفصل إبداعي مغاير، وهكذا تبدو الترجمة ومع كل مثاقفة أو تلاحق ثقافي حضاري إضافة وليس استيلاباً.

فالحضارة العربية الإسلامية تواصلت وانفتحت علي الثقافات اليونانية والفارسية، وأدرك مؤسّسوا الحضارة العربية أن الوسيلة المثلى للالتحاق على هذه الثقافات هي الترجمة. ولقد أدرك الجاحظ[٢] مبكراً هذه الحقيقة إذ قال:" ولولا جياد الكتب لما تحركت همم العلماء لطلب العلم"ولو لم يكن الخليفة المأمون مدركاً لجدوى هذه المادة ما كان ليعطي من يترجم كتاباً وزنه ذهباً.....

---

(١) عبد الكريم ناصيف، الترجمة: أهميتها ودورها في تطوير الأجناس الأدبية، مجلة الوحدة، السنة السادسة،عدد٦١-٦٢، ١٩٨٩، المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط، المملكة المغربية، ص٥٧

(٢) محمد الهادي عياد، الترجمة في عصر العولمة، الواقع والإشكاليات والآفاق، مؤتمر الترجمة في الدول العربية وأهميتها ودورها في التواصل الحضاري بين الأمم، الجزء الأول، اللاذقية، جامعة تشرين ١-٣ جمادي الآخر ١٤٢٧ الموافق ٢٦-٢٨حزيران٢٠٠٦، الجمهورية العربية السورية، وزارة التعليم العالي، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، ص ١٦١

وهذا الدور الأساسي الذي تقوم به الترجمة كقيمة مضافة نراه واضحاً من خلال النظرية التي تقول إن للحضارة أطواراً ومراحل، وإن لكل مرحلة وطور مجتمعًا من المجتمعات يحمل مشعل الحضارة...فكل مجتمع يأخذ من مجتمع سابق ويسلمه إلى مجتمع آخر مستفيدا من مجمل الإنجازات التي توصلت إليها المجتمعات الأخرى قبله(١).

هكذا يتبين أنه لا مجال للحديث الذي تسهم فيه الترجمة عبر آلية المثاقفة عن محاكاة الأصل ومطابقة ثقافة الآخر كما هي، بل المسألة تتعدى إلى عملية التمازج والانصهار في إطار الإيمان بالاختلاف والتنوع الثقافي الذي ينتج عنه فعلاً ثقافياً جديداً، لقد فهم رواد النهضة الأوائل كالطهطاوي وخير الدين التونسي أهمية الترجمة ودورها في رقي الأمم فدعوا إلى تأسيس مدارس الألسن لتعليم الترجمة. لقد أدركوا أن علينا أن نكون فاعلين في الحضارة لا مجرد مستهلكين لمنتجات الغرب(٢).

في ضوء ما سبق نتساءل: هل الترجمة في الوقت الحاضر وأمام اكتساح العولمة على جميع الأصعدة، لا زالت تلعب دوراً طلائعياً في عملية المثاقفة؟ أم أن العولمة وإمام الرهان الذي تحمله والمتمثل في تقليص مجموعة من اللغات والثقافات ومحاولة صهرها داخل الثقافة العالمية المهيمنة، تؤدي بذلك إلى

---

(١) محمد أحمد السامرائي،العولمة السياسية ومخاطرها علي الوطن العربي، www.wahdah.net

(٢) محمد محمد داود،العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب ، القاهرة، ٢٠٠١،ص ص ٢٧٩-٢٨٠

تقليص دور الترجمة باعتبارها تمثيلاً لكل أشكال التعددية والتنوع الثقافي؟

الترجمة والعولمة (من التعدد إلى الوحدة):-

من المعروف أن المجتمعات غير متطابقة ثقافيا، ولكل مجتمع خصوصيته التي تميزه عن غيره، لكن التمايز الثقافي ليس امتيازا، والاختلاف لا يلغي وجود أواصر إنسانية مشتركة.

ففي ظل "العولمة Globalization" التي فرضت على المجتمعات النامية نظاماً عالمياً جديداً للثقافة والتبادل الثقافي، وهو نظام قادر على النفاذ إلى منظومة القيم والمبادئ والتراث الثقافي في هذه المجتمعات، ولأنه يملك قدرة النفاذ الصادم، فإنه يثير اهتزازات في الشكل والمضمون، ما يضعف فرصة التفاعل والاستجابة الممثلة والجزئية"فالعولمة باعتبارها حصيلة المستجدات والتطورات التي تسعى بقصد أو من دون قصد إلى دمج سكان العالم في مجتمع عالمي وأحد[١] تسعى إلى محاولة إلغاء خصوصيات الثقافات أي إلغاء الهوية والحضارة والفكر واللغة لصالح اللغة و الثقافة الإنجليزية أي لغة وثقافة القطب الأوحد الممثل في الولايات المتحدة الأمريكية"[٢] في ظل هذه العولمة فإن المعطيات الراهنة تشير إلى أن الوضع بات يتجه نحو ثقافة الهيمنة والاختراق في الوقت الذي كان فيه الوضع سابقا متجها إلى ثقافة المثاقفة والتعايش... وأصبحت الترجمة تنتقل هي الأخرى من التعريف بالثقافات

(١) نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، مرجع سابق، ص٢٣٦،ص٢٧٥

(٢) نهاد الموسى، قضية التحول إلى الفصحى، دار الفكر، ط١، ١٩٨٧، ص٣٠.

المتنوعة والمتعددة إلى الاقتصار فقط على تعميم ثقافة القطب الوأحد ولغته.

وإذا كان الوضع بهذه الصورة السلبية التي تهدد فيها بعض اللغات والثقافات الأخرى فإن الأمر بالنسبة للغة والثقافة العربية يزداد سوءا؛ نظرا لتقلص دورها في السياق الحضاري، ويعزى ذلك إلى ما هو مرتبط بالثقافة العربية ذاتها وعجزها عن مواكبة التراكم العلمي والفكري الإنساني؛ نظرا لتقلص الترجمة باعتبارها مفتاح المثاقفة في تطعيم اللغة والثقافة العربية بما يختزنه التراث الإنساني فقد أصبح شعارنا (دع لغتك وشأنها) متناسين قول شيخ العربية وعالمها "الفراهيدي": " اللغة شجرة لا حجرة" فواقعنا اللغوي يمكن إجمال مظاهره فيما يلي:

١-هناك أزمة لغوية في جميع المستويات تنظيرا وتعليماً ونحواً ومعجماً، استعمالاً وتوثيقاً وإبداعاً ونقداً[١].

٢-هناك فجوة لغوية تفصل بيننا وبين كثير من الأمم التي تولي لغتها القومية أقصي درجات العناية بوصف اللغة شرطا أساسيا علي عضوية (نادي المعلومات العالمية)، وقد اتخذت منظمة التجارة العالمية قرار بعدم اعتبار اللغة العربية ضمن لغتها الرسمية.

٣-غياب مبدأ التخطيط اللغوي الذي يقوم علي عمل منهجي لأحداث تغيير في النظام اللغوي أو لأحداث نظام لغوي عالمي أو قومي أو وطني مشترك[٢].

٤-ضعف مواكبة التطور العلمي في حقل اللغة والحاسوب، فهناك

---

(١) مازن الوعر، دراسات لسانية تطبيقية، دمشق، ط١، ١٩٨٩، ص٣٢١.

(٢) نهاد الموسى، قضية التحول إلى الفصحى، مرجع سابق، ص٢٥.

تطبيقات رحبة سبقتنا إليها أمم وشعوب مستفيدة من معطيات علم اللسانيات ، الحاسوبي، المعلوماتي[١].

٥-سياسة لغوية حبيسة الأدراج لا تجد طريقها إلى التطبيق ونذكر في هذا المقام النموذج المتمثل في رد العبرية إلى الحياة في فلسطين المحتلة، وهو نموذج يذكر كثير من اللغويين بإعجاب المنبهر[٢].

٦-ضعف العناية بالاستعمال الوظيفي في الحياة الواقعية، والتبادل والاتصال، يظهر ذلك جليا في ضعف مهارات الاتصال لدي الغالبية كتابة وقراءة واستعمالا فضلا عن سيطرة اللغة المكتوبة، إذ ليست هناك علاقة بالعلامات اللغوية والتداولية والمقامية التي تربط بين أدائنا الشفهي وأدائنا الكتابي[٣].

في هذا السياق أفادت دراسة لبرنامج الأمم المتحدة للبيئة في سنة ٢٠٠١ أن نصف اللغات المحلية في العالم في طريقها للزوال وحذرت الدراسة من أن تسعىن بالمائة من اللغات المحلية سوف تختفي في القرن الحادي والعشرين.

وإذا كانت اللغات في حد ذاتها تمثل وجهاً أخر لكل مظاهر الثقافة والهوية ورؤية العالم فإن تقليص دورها في عملية التواصل والتعايش الحضاري أو تهميشها هو بمثابة تهميش لثقافة ولهوية ولرؤية العالم، وهو ما

(١) نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، مرجع سابق، ص٢٦١.

(٢) رشيد برهون،درجة الوعي في الترجمة، مكتبة سلمي الثقافية، المغرب، ٢٠٠٣، ص٢٧.

(٣) محمد الهادي عياد، الترجمة في عصر العولمة، الواقع الإشكاليات الآفاق، مرجع سابق، ص١٦٦ ،ص١٦٧، ص٣٦٧.

يترتب عنه تقليص لدور الترجمة باعتبارها دفة التعددية والتنوع، التعددية بأوجهها المختلفة: التعدد الثقافي، تعدد اللغات، تعدد المعاني، والدلالات، تعدد التأويلات والقراءات، تعدد الترجمات....الخ. وعليه فإن الترجمة باعتبارها الوجه الآخر للمثاقفة نجدها علي طرفي نقيض من منطق العولمة الرامي إلى تأليف ثقافة ذات بعد وأحد(١)....

إن ضغوط العصر ومتطلبات الحضارة والتحديات السياسية المطروحة علي المجتمعات العربية تحتم علي تلك المجتمعات العربية إتباع منهجية صارمة في الترجمة تكون غايتها الأساسية الإطلاع علي معارف الأخر المتقدم واستيعابها في مرحلة أولى، ثم مسايرتها في مرحلة ثانية ثم تجاوزها في مرحلة لاحقة. ومعلوم أن مواكبة الحداثة أمر حتمي مفروض علينا انتهاجه. فقد ترجمت أوروبا وأمريكا سنة ١٩٩٠ (٣٠٠) مليون صفحة ترجمة بشرية،٢,٥ مليون صفحة ترجمة بالحاسوب(٢)، وترجمة اليابان ١٥٠ مليون صفحة ترجمة بشرية، ٣,٥ مليون صفحة ترجمة بالحاسوب. إذا كم ترجمنا نحن العرب مجتمعين؟ هم استعدوا للعولمة والنهضة العلمية الشاملة، ونحن لم نفعل ما فيه الكفاية ولقد أشار أحمد زويل في أحدى محاضراته إشارة عابرة إلى الترجمة والثقافة بوجه عام في مواكبة التغيرات التي طرأت علي العالم المعاصر(٣) لذلك إذا كان هناك اليوم "توجه لقيام ثقافة عالمية " فإن دعوة

---

(١) ثريا إقبال، الترجمة والمثاقفة، www.alriyadh.com

(٢) منذر المصري، المعلوماتية والانفجار المعرفي والشباب، مرجع سابق، ص ٩٠.

(٣) رفيق ليوجسيني، مرجع سابق.

كهذه قد تشكل خطراً في ظل عدم التكافؤ التكنولوجي والإعلامي والمعرفي، ولا يتحقق التفاعل الثقافي بين الحضارات المختلفة والمتنوعة إلا بقبول التكافؤ الثقافي وضمانه ورعايته[1] لأن ذلك كفيل بالنهوض بالترجمة لأن تلعب الدور المنوط بها في ضوء الاعتراف بالتنوع الثقافي الذي تحاول العولمة أن تحوله إلى ثقافة عالمية موحدة.

المحور الثالث: أثر الترجمة في حركة التفاعل والتبادل الحضاري:

سوف نقدم نموذجا مزيداً للتفاعل والتبادل الثقافي بين الحضارات وذلك من خلال عرض مضمون أحد الكتب التراثية الصينية، وكيف أن الترجمات المتلاحقة لهذا الكتاب إلى لغات العالم فد أفرز نموذجا رائعا للتبادل وللتفاعل الثقافي بين الحضارات أخذاً وعطاءً حيث ساهم هذا الكتاب في تكوين مفردات العقلية التفصيلية لدي قادة العالم وموجهي سياساته ثم عودة فكر هذا الكتاب مرة أخرى إلى لغته الأم في شكل تغذية مرتدة من لغات العالم تمثل دليلا علي أثر الترجمة في حركة التفاعل الثقافي بين الحضارات.

كتاب "فن الحرب":

إن كتاب فن الحرب كتاب فريد من نوعه، فعلي الرغم من أن تاريخ تأليفه يرجع إلى القرن الخامس قبل الميلاد، إلا أنه ظل يحتل مكانة بارزة في تاريخ الفكر العسكري العالمي حتى يومنا هذا،مؤلف الكتاب هو"سوين تزي

---

(١) أحمد الخطيب، نظرية الترجمة، مرجع سابق، ص ٢٩٥.

Sunzi " الشخصية العسكرية في تاريخ الصين القديم، والقرائن تؤكد أنه كان يعيش في نهاية عصر أسرة الربيع والخريف (حوالى٥٠٠ ق.م) وأنه كان معاصرا للمفكر الصيني "كوتقشيوس".

بعض مقتطفات من كتاب " فن الحرب ":

١-استقرار الوطن وسلامة الجيش:

يقول:"سوين تزي" إن اتخاذ القرار بشأن الحرب من أخطر الأمور المتعلقة بالدولة فالحرب هي الدمار وطريق الفناء، والخراب، فيجب الحذر وعدم الاستهانة بأمر الحرب، وبهذا المبدأ يتعين موقف"سون تزي" من الحرب ويتميز مفهوم "استقرار الوطن وسلامة الجيش" في كتابه بثلاثة مسلمات أساسية[١]:

أولاً: التأكيد الشديد علي ضرورة الحرص والحذر من قبل مخططي الحرب وواضعي سياساتها، فالحرب لا يمكن الاستهانة بأمرها، فهي مكروهة منذ أن عرفتها البشرية.

ثانياً: التأكيد علي أن الحرب ليست تحركاً عسكرياً منفصلاً فيقدم مجموعة من الخطط التي تضمن تحقيق النصر، فيدعو إلى توحيد الإدارة والعزيمة بين السلطة والشعب، وضرورة سياسة العامة وتوحيد عزيمتهم علي

(١) ووبن، الصينيون المعاصرون: التقدم نحو المستقبل انطلاقاً من الماضي، الجزء الأول، ترجمة عبد العزيز حمدي، مراجعة د.لي تشين تشونغ، عالم المعرفة، عدد٢١٠، المجلس الوطني للثقافة والعلوم والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٦، ص١٣٠-١٣٤

قلب رجل وأحد مع الحاكم، ويدعو إلى" إطلاق العنان للدهاء والوسائل الدبلوماسية"فيؤكد إلى ضرورة بين الصراع السياسي والدبلوماسي ناحية والحرب المسلحة من ناحية أخرى، والاستغلال الأمثل لنقاط التفوق لديك في مواجهة نقاط الضعف لدي العدو.

ثالثاً: التأكيد علي ضرورة تفعيل المبادرات الذاتية والاستعانة بكافة الوسائل لتجنب أو تقليل خسائر الحرب فعندما ناقش "سوين تزي" قضية الحرب أعطى اهتماما ًكبيراً للعلاقة بين الاقتصاد والحرب فيطرح بعض الحلول منها الاعتماد علي الجهود الذاتية لتوفير ضمانات الجيش وتحقيق النصر بأسرع وقت ممكن، واستعارة قوة الأعداء عن طريق جعل الحرب تنفق علي نفسها دون أن تتحمل الدولة أية نفقات إضافية.

٢- الاستعداد قبل الخطر:

فيقول لا تعتمد كثيراً علي عدم إمكانية تعرضك للــخـــطـــر، بقدر ما تعتمد علي انتظارك وتأهبك الدائم لمواجهته[١].

إن دعوة"سوين تزي"إلى عدم السكينة تؤكد أن الاستعداد يجهض الأخطار، وعلي سياسة الدفاع العسكري التي تعتمد علي الاستعداد الدائم الذي لا يتخلله تهاون أو فتور. إن الحرب ما هي إلا نتيجة لتصارع طرفين في الحصول علي المصلحة، وإن من يستعد يجنب نفسه الخطر، ومن يهمل الاستعداد يندم أشد الندم.

---

(١) أوراق مؤتمر الترجمة في الدول العربية، أهميتها ودورها في التواصل الحضاري بين الأمم، الجزء الثاني، ص ١١٢٣-١١٢٥.

٣- ردع الأعداء:

يقول "سوين تزي":- "إن الجيش القوي الذي يتمكن من الهيمنة والتفوق في الصراع مع الأعداء هو الجيش الذي يستطيع أن يفوت على جيش العدو فرص التجمع ويكثف قوته في ردع العدو، هو ذلك الجيش الذي يستطيع تفريق كافة التحالفات التي يقيمها العدو مع القوى الأخرى، وبناء على ذلك يفوت على العدو فرصة إقامة علاقة مع الدول المجاورة ويفقده القدرة على توسيع نفوذه داخل أمة دولة. ولن يمكنك أن تحطم مراكز القيادة لدى العدو إلا إذا قمت بعد أهدافك الإستراتيجية وركزت إمكاناتك الذاتية في تحقيق قوة رادعة لعدوك"

إن سياسة "ردع العدو" عند "سوين تزي" تعني توسيع نطاق القوة ليست العسكرية فقط وإنما تشمل القوة السياسية والاقتصادية وغير ذلك من عوامل قوة الدولة بصورة عامة للضغط على العدو وإرهابه، ومن ثم تستطيع الدولة إحراز النصر دون اللجوء إلى الحرب.

٤- إعطاء الأولوية للدهاء ثم الدبلوماسية[١]:

إن صناعة النصر عند "سون تزي" تعتمد على الدهاء أي "إخضاع العدو دون اللجوء إلى الحرب". إن مواجهة الأعداء تتم على عدة مراحل:-

أولاً: إخضاع العدو بصورة كاملة مع الحفاظ على قوة الجيش المحارب دون خسران بعير واحدة، بمعنى إطلاق العنان للدهاء والذكاء كأدوات لإحراز النصر من القوة العسكرية، واستبدال الحروب التي تعتمد على

---

(١) نفس المرجع ص ١١٢٦-١١٢٩.

السلاح والعنف عن طريق تصارع الذكاء بدلاً من تصارع القوى.
ثانياً: مواجهة العدو عن طريق برنامج شامل يعتمد على الحرب الدبلوماسية، والحرب الاقتصادية، والحرب النفسية ويتمثل ذلك في الضغط على العدو بالوسائل الدبلوماسية عن طريق تجميع الدول الصديقة في تحالف قوي ضد العدو من جهة وتفتيت التحالفات التي يقيمها العدو مع دول أخرى من جهة أخرى.

ثالثاً: الهجوم على العدو بالقوة العسكرية حيث إن اللجوء إلى الذكاء والدهاء يخضع العدو بصورة كاملة دون تعريض الجيش لأدنى خسارة لهو من الأعمال البطولية الحقة.

٥- اعرف نفسك واعرف عدوك تكسب مائه حرب:-

من أهم المبادئ الإرشادية - معرفة "الذات" ومعرفة "العدو" — حيث يقول "سوين تزي":- "من يعرف عدوه ويعرف نفسه يضمن النصر في مائه معركة، ومن يعرف نفسه ولا يعرف عدوه ينتصر مرة وينهزم مرة، أما من لا يعرف نفسه ولا يعرف فلن يعرف طريق النصر في أية معركة.

٦- اجعل عدوك سبباً في نصرك:-

إن إستراتيجية تسخير العدو ليكون سبباً في النصر تركز حول استخدام خطط حربية وفقاً لأحوال العدو أثناء المعركة. ولكن؛ كيف تجعل عدوك سبباً في نصرك؟ يعتبر "سوين تزي" أن هناك اعتبارين لذلك:-

أولاً:- معرفة العدو معرفة كاملة عن طريق معرفة حيله في الخداع والمكر والقاعدة التي تحكمه أثناء الحرب والسكون، وطبيعة الأرض التي

يمارس عليها الحرب وغير ذلك.

ثانياً:- الاحتفاظ بالسرية الكاملة للمعلومات التي تخصك، لأن أفضل ما يمكن الوصول إليه أثناء قيادة المعارك هو أن تفقد العدو القدرة على تمييز ملامحك ومعرفة صفاتك.

ما سبق كان ببساطة استعراض بسيط لبعض ما ورد في كتاب "فن الحرب" من قوانين ونظريات حربية، ولكن الأهم من ذلك هو ما حدث من استلهام لروح هذا الكتاب وأفكاره على مستوى العالم عندما ترجم إلى اللغات الأخرى عبر العصور ليذوب في ثقافات العالم ويتطور مكوناً مفردات العقلية النفعية في العالم.

أثر كتاب "فن الحرب" في التواصل الحضاري:-

انتقل هذا الكتاب خارج الصين عندما ترجم إلى اليابانية في عام ٦٠٧ م ثم انتقل إلى كوريا، وفي عام ١٧٧٢م نشرت الترجمة الفرنسية في باريس، وفي عام ١٧٩٠م ترجم إلى اللغة الإنجليزية ونشر في لندن وبعد ذلك توالت ترجمته ونشره باللغات الألمانية والإنجليزية والفرنسية والروسية واليابانية والتشيكية والعبرية وغيرها من اللغات، لدرجة أطلق على "سوين تزى" لقب " رسول المحاربين" وقيل عند اليابانيين " إن تأثير "سوين تزى" على الفكر العسكري وبناء الجيش الياباني قد تجاوز كافة إسهامات الشخصيات العظيمة في اليابان قديما وحديثاً. أما نابليون قائد الثورة الفرنسية فكان لا يكف عن قراءة هذا الكتاب حتى في غمار المعارك، أما الرئيس الأمريكي "روزفلت" فقد كان لا يكف عن قراءته مرات ومرات حتى وصل إلى

ما يقرب من مائة مرة دون ملل.

الأهم أن هذا الكتاب عندما ترجم إلى اللغات الأخرى لم يقتصر استخدامه فقط على المجال العسكري وإنما تجاوز ليدخل مجالات السياسة والدبلوماسية، والفلسفة، والرياضة، والاقتصاد والإعلام، وغير ذلك من نواحي النشاط الإنساني الحديث. فيرى العديد من منظري الاقتصاد ورجال الأعمال على مستوى العالم أن السوق مثل الحرب مليئة بالمخاطر والصراعات والمواجهات والتشابكات المعقدة، ولذلك فإن استخدام "فن الحرب" لهو أدعى لتحقيق المكاسب بمهارة دون خسائر. وقد ذهب البعض[١] إلى استخدام نظريات كتاب "فن الحرب" العسكرية في التخطيط لتنمية الاقتصاد والوصول إلى اقتصاد قوي متطور قادر على المنافسة. ومن هنا نجد ن كتاب فن الحرب قد تخطى الزمان والمكان ليصبح ملكاً للتراث الإنساني وكنزاً فكرياً يرثه البشر في كل زمان ومكان.

أثر كتاب "فن الحرب" في التنمية في الصين:-

نتيجة لذلك التفاعل الثقافي العالمي من كتاب "فن الحرب" أرادت الصين عندما قررت قيام نهضتها الحديثة أن يكون هذا الكتاب بمثابة اللبنات المكونة لتلك النهضة، والملفت للنظر هو ذلك المشهد العجيب الذي انصهرت فيه عناصر التبادل الثقافي أخذاً وعطاءً، فيما بين تفاعل قديم مع

(١) تشي جوانغ، ترجمة حديثة وتعليق علي كتاب فن الحرب، دار نشر بكين لكتب الترجمة،١٩٩٣،ص ص ٩٥-١٠٥.

الحضارة الصينية استطاع العالم من خلاله أن يقيم مفردات مصلحته على أصول فكرية نابعة من ذلك الشرق البعيد إلى استرداد لذلك الفكر في ثوب جديد، عندما حاولت الصين في العصر الحديث عبر قنواتها الثقافية أن تقدم لقراء الصينية كيف أن العالم أجمع قد استلهم ذلك الموروث الثقافي وألبسه ثوباً جديداً للحصول على المصلحة سواء كان ذلك في إدارة الحروب أو في السياسة أو الاقتصاد...الخ، وعلى أساس من فلسفة ذلك الكتاب الفني بمضمونه وأفكاره أصبحت دور النشر الصينية تتبارى في تقديم الشروح الحديثة لمتن الكتاب الأصلي مضافاً إليها تجارب العالم، وكأن الأمر بمثابة تغذية مرتدة تمثل دليلاً على أثر الترجمة في حركة التفاعل الثقافي بين الحضارات قدمها القائمون على الحركة الثقافية الصينية في محاولة فريدة لتحقيق معادلة ربط الأصالة بالمعاصرة.

ولنا أن نتحدث الآن عن بعض التطبيقات الحديثة لهذا الكتاب من خلال ما رصده الصينيون من كافة الثقافات كتطبيق معاصر يضاف إلى رصيدهم الأصيل من ذلك الفكر:-

(١) توحيد الإرادة بين الحاكم والمحكوم يضمن النصر[١]:-

إن هذا المبدأ لا يقتصر فقط على المجال العسكري بل يمتد إلى إدارة المشروعات وتحقيق النجاح وسط التنافس الشرس على الأسواق، والحل

(١) أوراق مؤتمر الترجمة في الدول العربية، أهميتها ودورها في التواصل الحضاري بين الأمم، الجزء الثاني، ص ١١٣٨-١١٤٤.

يكمن في تعديل حماسة العمال والموظفين في المؤسسة وهذا التعديل يتحدد على أساسه بدرجة كبيرة توحد الأهداف والمصالح بين أصحاب الأعمال أو "الإدارة" والعاملين لديهم.

(٢) قيمة المعارك تكمن في سرعة تحقيق النصر لا في طول أمد المعركة:-

وهذه السياسة تناسب أيضاً إدارة المشروعات وكافة أنشطة المنافسة، فأثناء المعركة تفصل الدقيقة بين النصر والهزيمة. فلكي تحرز المشروعات النصر وسط الصراع لا تدخر جهداً في بحث ودراسة التكنولوجيا الحديثة وتطوير المنتجات الجديدة وبذلك يتم إرضاء احتياجات المستهلك وتحقيق المصلحة. إن مبدأ الحرب الخاطفة وسرعة التحرك يمكن استخدامه في كافة مراحل الأنشطة الاستثمارية مثل مرحلة تحديد السياسات الاقتصادية، وفي مرحلة الإدارة حيث تتوجب السرعة والفعالية في ضخ الأموال وتخصيصها للإسراع بإخراج المنتج، وفي مرحلة التنافس على الأسواق حيث الاحتياج إلى السرعة في دفع المنتجات إلى الأسواق، فالسرعة دائماً وأبداً هي التي تحدد مستقبل المشروعات.

(٣) صناعة الظروف المهيئة للنصر:-

من يتمسك بالتفوق في مواصفات المنتج في حلبة الصراع على الأسواق هو من يمتلك الظروف المهيئة للنصر على خصومه ومنافسيه، وذلك كما فعلت أحدى شركات المشروبات اليابانية في نهاية الستينيات عندما وجدت أن صناعة منتج عإلى الجودة هو الطريق الوحيد للاحتفاظ بالسوق

على المدى البعيد ومواجهة تشبع الأسواق بالمنتج واستطاعت بذلك أن تحقق نجاحاً منقطع النظير في الوقت الذي كانت فيه العديد من الشركات تقلص أعمالها وتستعد لتقليل الإنتاج تمهيداً لتغيير نشاطها.

نحن وثقافة الشرق الأقصى:-

إن أزمتنا تتجسد في عزوفنا عن قراءة الآخر بما لديه من ذخائر للفكر والعلم أو أننا إذا قرأنا توجهت أنظارنا منبهرة بحضارة غربية أو ثقافة بعينها، مغفلين حق الحضارات الأخرى علينا في أن نعرفها أكثر وأكثر، وتشير بعض الكتب التي تناولت حركات الترجمة عند العرب قديماً وحديثاً أن تلك الحركات في القديم لم تتجاوز بلاد فارس والهند، أما في العصر الحديث فقد اتجهت بكل قوتها بأمر سياسي إلى الغرب سعياً وراء بناء النهضة العلمية والثقافية للبلاد وهذا يثبت لنا أن حركات الترجمة عند العرب لم تصل بأنظارها بالقدر الكافي إلى الصين لنقل تراثها القيم إلى اللغة العربية. وإن كنا قد حصلنا على نزر قليل من تراث تلك الحضارة فقد ترجم إلينا أيضاً عبر اللغات الغربية التي سبقتنا للتعرف على تلك الحضارة الغنية، بما فوت علينا أن نتفاعل بالقدر الكافي مع تلك الحضارة، وأن نكون مشاركين في هذه التجربة الثقافية الفريدة ومن هنا فقد أصبحنا بسبب عدم درايتنا بهذا الفكر نكتفي بأن نكون في موقف المفعول به، لا نعرف الطرق والوسائل المتعددة للحصول على المنفعة.

إن التفاعل مع المنجزات المعرفية أمر بالغ الأهمية ويحتاج إلى المسارعة إلى تعريب هذه المعارف لدمجها في لغتنا، ومواصلة مسيرة الإبداع ومن هنا

يتضح الدور الذي تقوم به الترجمة عموماً والترجمة العلمية بوجه خاص[١].

المحور الرابع: مستقبل اللغة العربية في عالم متغير وكيفية النهوض بها:

في مقال نشر بجريدة الأهرام بتاريخ ٢٠١٠/٩/٣٠م لفاروق جويدة تحت عنوان "اللغة العربية في إسرائيل"حيث أعلنت وزارة التربية والتعليم في إسرائيل أنها قررت تعليم اللغة العربية ابتداءً من الصف الخامس الابتدائي اعتباراً من العام الدراسي القادم وقررت زيادة عدد مدرسي اللغة العربية لسد حاجة المدارس حيث يوجد في إسرائيل ١٠٠٠ مدرس لغة عربية من اليهود وتسعى هذه الخطة في تعليم اللغة العربية.

توقفت كثيراً عند هذا الخبر الذي تناقلته وكالات الأنباء ووسائل الإعلام ودار في رأسي ما الذي يدفع المؤسسات التعليمية في إسرائيل إلى اتخاذ مثل هذا القرار وماذا يحمل من مؤشرات للمستقبل البعيد والقريب ولماذا يدرس الأطفال في إسرائيل اللغة العربية بينما يهرب منها أبناؤها الضائعون ما بين سراديب الأمية والمدارس الأجنبية والمسلسلات التافهة في العالم العربي. لا أعتقد أن المؤسسات التعليمية في إسرائيل اتخذت مثل هذا حباً في اللغة العربية أو تعاطفاً مع شعوبها ولكنها الأهداف والأدوار والمصالح والبحث عن جوانب القوة في مستقبل الصراع بين دول المنطقة. إن حاضر لغة الضاد لا يسر، حيث إن اللغة ليست ألفاظاً وتراكيباً وصيغاً وأساليب

---

(١) نفس المرجع ص ٥٨٨، ص٥٨٩.

ولكونها مكون من مكونات الأمة، ومقوم لوجودها المعنوي، وحجر الزاوية في بنائها الثقافي والحضاري والركن الرئيسي في الكيان القومي من جهة، ومن جهة أخرى هي صمام الأمان في ترابط العالم الإسلامي وتماسكه وتآلفه وانسجامه باعتبار أن اللغة العربية هي المقوم الثاني بعد العقيدة الدينية من مقومات العالم الإسلامي.

وحينما يتعرض أي مجتمع للغزو الذي يورث الهيمنة على مقدراته واختراق خصوصياته تمتد آثار ذلك كله إلى الهوية والثقافة والفكر والأدب والفنون، والى اللغة في المقام الأول والمجتمعات النامية التي تتعثر في خطواتها نحو استكمال شروط التنمية المتوازنة المتكاملة المستديمة هي أكثر من غيرها تضرراً من آثار هذا الغزو وهو الأمر الذي يؤدي إلى نشوء ظاهرة (التلوث اللغوي). إن فساد اللغة كما يقول فقهاء اللغة وعلماء الاجتماع مدخل لاستلاب الهوية ولإضعاف الشخصية، ولإكراه الأفراد والجماعات على الذوبان في الثقافة الأجنبية. ومن هنا يبدأ سريان الضعف في أوصال المجتمع، إذ بضياع اللغة أو بفسادها تضعف مقومات الكيان الوطني والقومي وتضعف بالتبعية الخصوصيات الثقافية والحضارية.

إن وضع اللغة العربية خطير على شتى المستويات والأمر الذي يستدعي المعالجة الحازمة والسريعة بقرارات ملزمة لحماية الهوية الثقافية والحضارية وللحفاظ على السيادة الوطنية والأمن القومي. والقضية في البداية والنهاية قضية إستراتيجية[١].

---

(١) فاروق جويدة ، الأهرام، ٣٠-٩-٢٠١٠م.

لقد اجتهد العديد من العلماء واللغويين والنحاة اجتهادات شتى في مجال إصلاح تعليم اللغة العربية حتى تواكب تغيرات العصر.

فطه حسين في كتابه "مستقبل الثقافة في مصر" أوضح مجيباً عن سؤال مهم طرحه على نفسه حول الدواعي والأسباب التي تدفع إلى تعلم اللغة العربية[١]. وما أظن أننا نستطيع أن نجيب عن هذا السؤال إلا بجواب وأحد وهو أن اللغة العربية هي لغتنا الوطنية، هي جزء من شخصيتنا القومية، هي أداة للتفكير والحس والشعور، هي ضرورة من ضرورات حياتنا الفردية والاجتماعية ووسيلة أساسية إلى منافعنا.

يقول "طه حسين":- "إن مسألة إصلاح علوم اللغة العربية قد أصبحت من الوضوح والجلاء بحيث لا يجادل فيها إلا الذين يحبون الجدال والمراء واعتقد أن هذا الإصلاح شرط أساسي لإصلاح التعليم كله"[٢].

لقد راج مصطلح "التنمية الشاملة" خلال العقود الثلاثة الأخيرة، وقد يتسع مدلول هذا المصطلح ليشمل:-"التنمية الثقافية" أو بعبارة أرحب مدلولاً "التنمية البشرية" ولم ينتبه أحد من الباحثين في حقول اللغة إلى توسيع مفهوم المصطلح ليدخل ضمنه "التنمية اللغوية" باستثناء البعض (مثل "الشاذلي القليبي" الأمين العام الأسبق لجامعة الدول العربية) الذين أشار إلى "أن عمد شعب من شعوبنا العربية في مسيرته الإنمائية إلى اقتباس العلوم والتقنيات اللازمة دون هضمها وتحويلها إلى لغته ليتم بذلك تملكها والاستيلاء عليها - حسب عبارة

(١) طه حسين، مستقبل الثقافة في مصر، دار الكتاب اللبناني ، بيروت، ١٩٧٣، ص٣١٤.

(٢) نفس المرجع، ص٣٠٥.

ابن خلدون — فمن الواضح أن عملية التنمية ستبقي عرجاء وبالتالي سيتولد عن ذلك جملة من العلل الاجتماعية منها هجرة العقول. وبذلك ندرك مدى أهمية الفصحى في سياق تنمية مجتمعاتنا."

ثم يقول "الشاذلي القليبي":- "إن تنمية الفصحى من شروط تنمية مجتمعاتنا لكن لما كانت الفصحى ملكاً مشتركاً بين كل شعوبنا – بمعنى أنها ليست لغة معزولة — فهذا يزيد من أهميتها وهذا يستلزم ضرورة تعاون شعوبنا في النهوض الثقافي والحضاري ويتضامن هذا مع أسباب اقتصادية تفرض على دولنا إقامة مشروع إنمائي عربي إذ إنّ التنمية الشاملة الحقيقية لم تعد في متناول الشعوب المعزولة، في عصر تسيطر فيه الكتل العظمى على الاقتصاد الدولي"(١).

وانطلاقاً من هذا الربط بين اللغة وبين أحوال المجتمع الذي نؤكد على ضرورته، فإن مستقبل اللغة العربية في عالم متغير مقرون بالتنمية المتكاملة المتوازنة. وهذا يستلزم إصلاح تعليم اللغة العربية في المؤسسات التعليمية عموماً، وفي وسائل الإعلام كافة.

إن التقدم العلمي المذهل في مجال العلم والمعرفة والذي نشهده في ثورة المعلومات والحاسبات وثورة الاتصالات والإلكترونيات والهندسة الوراثية والتكنولوجيا الحيوية وعلوم الفضاء والبيئة وغيرها، كل ذلك حمل معه سيل منهمر من المصطلحات الحديثة والمستحدثة. فإذا استعصى علينا أن نجد لها المقابلات العربية المناسبة لجأنا إلى التعريب باعتبار أن اللغة العربية كانت ولا

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية، نوفمبر، ١٩٩٨، القاهرة، جزء ٨٣، ص١٢٥.

تزال من الثراء بحيث يمكنها أن تستوعب الكثير مما تفرزه هذه الثورات العلمية الحديثة من المصطلحات[١].

وتقتضي حماية اللغة العربية وتأمين مستقبلها والنهوض بها من الوجوه كافة إلى جانب التعريب في جمع حقول المعرفة العلمية الدقيقة تكثيف العناية باللغة العربية في جميع مراحل التعليم، وبخاصة في مرحلة التعليم الجامعي وتطوير برامجها وطرق تدريسها، مع العمل على تأهيل أعضاء هيئة التدريس في الجامعات والمعاهد العليا للتدريس باللغة العربية.

- كذلك لابد من تفعيل قرار سياسي ملزم يوفر كل الإمكانات ويضع الخطة والبرنامج للعمل والتنفيذ والانطلاق باعتبار أن اللغة العربية قضية قومية ووطنية وثيقة الصلة بكياننا العربي ومستقبل التربية والتعليم والثقافة العربية الإسلامية[٢].

- كذلك ينبغي تحديد الهدف وتوضيح المقصود من التعريب فالمعنى الدقيق للتعريب هو استعمال اللغة الوطنية وإعطاؤها مترلتها الطبيعية كلغة مشتركة بحيث تكون لغة العمل في الإدارة وفي التعليم وفي الإعلام وفي جميع

---

(١)محمود حافظ، التعريب في مصر، مجلة اللغة العربية، الجزء٤٨، القاهرة، مايو ١٩٩٩، ص ٨٥.

(٢) عمار بوحوش، لغتنا العربية جزء من هويتنا، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة كتب المستقبل العربي، عدد ٤٦، بيروت ، لبنان، ٢٠٠٥، ص٢١-٢٢

٥٦-سلطان بلغيث، وسائل الإعلام واللغة العربية بين الواقع والمأمول، ٢٨ أيار (مايو) ٢٠٠٦، ص٤، www.diwanalarab.com

مؤسسات الدولة.

وباختصار فإن استعمال اللغة العربية في سائر مجالات التطور والحياة لا يعني الاستغناء عن اللغات الأجنبية بل إن هذه اللغات الأجنبية سوف تبقى مكملة للغة الوطنية في العديد من المجالات العلمية.

– توظيف اللغة لتحقيق أهداف المجتمع وتسهيل عمليات التفاهم والمراسلات ومواكبة روح العصر.

– فتح المجال أمام الإطارات الوطنية التي تقوم بالتدريس أو إجراء أبحاثها باللغة الوطنية(٥٦) بحيث تتحمل مسئولية نقل التكنولوجيا إلى أذهان الشباب العربي وتمكينه من التعرف على الواقع الاجتماعي المعيش ومواكبة التقدم العلمي الذي يحصل في الدول الصناعية. وبهذه الطريقة تستطيع الأقطار العربية أن تحذو حذو اليابان. حيث وضعت اليابان تحت تصرف علمائها جميع ما يفيد الياباني من الدول المتقدمة بشرط أن تحتفظ اليابان بشخصيتها وسيادتها وأن لا تكون تابعة لأي قوة أجنبية.

– إعطاء الاعتبار للإطار العربي الكفء الذي يعمل في داخل وطنه. فلست أدري لماذا يتم تفضيل الأجنبي على الوطني.

– استغلال الرسالة الإعلامية للفضائيات العربية بما يخدم اللغة العربية ويساهم في الارتقاء بها من خلال ضبط النشاط التليفزيوني وإخضاعه للسيادة التربوية الشاملة.

– استثمار الثورة الإعلامية، ومن خلالها موجة البث الفضائي العربي في تعزيز الوحدة العربية الإسلامية والعمل على إيجاد الانسجام للنسيج

اللغوي، وتجنب الدعوات الرامية إلى توسيع هوة الخلاف العربي من خلال تمزيق النسيج اللغوي إلى مجموعة من اللهجات المتنافرة.

المراجع

١-منذر المصري، المعلوماتية والانفجار المعرفي للشباب، المجلس الأعلى للشباب، عمان، ٢٠٠٤،ص٨٩

٢-المجلس الأعلى للثقافة، مؤتمر الترجمة٢٩/٥-١/٦/٢٠٠٤، www.alrafidlh.com

٣-محمد المشايخ،الأدب المترجم والتبادل الثقافي في عصر العولمة: www.atf.org.jo

٤-انظر البوابة،www.aljabriabed.net

٥-عبد الكريم غلاب،الفكر العربي بين الاستيلاب وتأكيد الذات، الدار العربية للكتاب ،طرابلس،ليبيا ،١٩٩٧، ص٤٥

٦-نفس المرجع،ص١٨٥

٧-نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، عالم المعرفة، الكويت، ٢٠٠١، ص٢٣٢

٨-نفس المرجع،ص٢٣٣

٩-عبد الغفور عبود وآخرون، التربية المقارنة والألفية الثالث، الأيدلوجية والتربية والنظام العالمي الجديد، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠، ص١٣١

١٠-نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، مرجع سابق،ص ٢٧٣.

١١-محمد المعموري وآخرون، تأثير تعلم اللغات الأجنبية في تعلم اللغة العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٨٣،ص٦٢

١٢- رفيق لبوحسيني، الأبعاد الرابطة بين اللغة العربية والتواصل، www.aljabriabed.net

١٣- See: M.H.Boehn, Nationlism:Theoretical Aspects, In: Encyclopedia of social science, N.Y, Macmillan, ١٩٤٨,Xi-Xii, PP.٢٣١-٢٤٠.

-بويد شيفر، القومية، ترجمة جعفر خصباك، وعدنان الحميري، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٩٩٠،ص٨

١٤-نفس المرجع،ص٨٧-١٤٤

١٥-ياسين خليل، منطق اللغة، نظرة عامة في التحليل اللغوي، مطبعة العاِلي، بغداد، ١٩٨٥،ص٩٣-٩٧

١٦- See: Charles William Momis, Foundations of the theory of signs, Chicago, III: International Encyclopedia of Unifled Science, ١٩٥٧,P.٢٥٥-٢٦٥

-فتحي علي يونس، التواصل اللغوي والتعليم، يناير ٢٠٠٩، موقع مصر أونلاين www.tantaoffline.com

١٧-حسين نصار، المعجم العربي: نشأته وتطوره، دار مصر للطباعة، القاهرة، ١٩٦٨،ص١٥

١٨-ياسين خليل، اللغة والوجود القومي، سلسلة كتب المستقبل العربي(٤٦) اللغة العربية، أسئلة التطور الذاتي والمستقبل، مركز دراسات الوحدة العربية ص ص ٤٥-٥٠

١٩-نفس المرجع ص ص ٥١-٥٣

٢٠-أحمد الخطيب، نظرية الترجمة،(دراسات وأبحاث الملتقي العربي

للترجمة)، مؤسسة الفكر العربي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥، ص ٢٩٠

٢١-سالم العيش، الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية، اتحاد الكتاب، ١٩٩٩، www.awndam.org

٢٢- انظر شحاذة الخوري، واقع الترجمة في الوطن العربي ووسائل النهوض بها، دراسات و أبحاث الملتقي العربي للترجمة، مؤسسة الفكر العربي، بيروت، ٢٠٠٥، ص ٨١

-انظر: منذر عياش، مؤتمر الترجمة، المجلس الأعلى للثقافة٢٩/٥-١/٦/٢٠٠٤، القاهرة، www.alrafidh.com

٢٣- عبد السلام بن عبد العإلى، الترجمة والمثاقفة، مجلة الوحدة، السنة الثالثة، عدد ٦١-٦٢/١٩٨٩، المجلس القومي للثقافة العربية،ص٨

٢٤-المصطفي عمراني، الترجمة بين المثاقفة والعولمة، www.atida.org

٢٥-محمود إسماعيل عمار، معايير متقدمة حول الترجمة في النقد القديم، مجلة علامات في النقد، جزء ٤٨، مجلد١٢، يونيه ٢٠٠٣، ص٨١

٢٦-الجاحظ أبو عثمان، الحيوان، بيان فضل الكتاب، الجزء الأول، السندوبي، تونس، ب.ت، ص١٢٥

٢٧-عبد الكريم ناصيف، الترجمة: أهميتها ودورها في تطوير الأجناس الأدبية، مجلة الوحدة، السنة السادسة،عدد٦١-٦٢، ١٩٨٩، المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط، المملكة المغربية، ص٥٧

٢٨-محمد الهادي عياد، الترجمة في عصر العولمة، الواقع والإشكاليات والآفاق، مؤتمر الترجمة في الدول العربية وأهميتها ودورها في التواصل

الحضاري بين الأمم، الجزء الأول، اللاذقية، جامعة تشرين ١-٣ جمادي الآخر ١٤٢٧ الموافق ٢٦-٢٨حزيران٢٠٠٦، الجمهورية العربية السورية، وزارة التعليم العالي، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، ص ١٦١

٢٩-محمد أحمد السامرائي،العولمة السياسية ومخاطرها علي الوطن العربي:

www.wahdah.net

٣٠-محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠١، ص ص ٢٧٩-٢٨٠

٣١-نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، مرجع سابق، ص٢٣٦، ص٢٧٥

٣٢-نهاد الموسى، قضية التحول إلى الفصحى، دار الفكر، ط١، ١٩٨٧، ص٣٠

٣٣-مازن الوعر، دراسات لسانية تطبيقية، دمشق، ط١، ١٩٨٩، ص٣٢١

٣٤-نهاد الموسى، قضية التحول إلى الفصحى، مرجع سابق، ص٢٥

٣٥-نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، مرجع سابق، ص٢٦١

٣٦-رشيد برهون، درجة الوعي في الترجمة، مكتبة سلمي الثقافية، المغرب، ٢٠٠٣، ص٢٧

٣٧-محمد الهادي عياد، الترجمة في عصر العولمة، الواقع الإشكاليات الآفاق، مرجع سابق، ص١٦٦ ،ص١٦٧، ص٣٦٧

٣٨-ثريا إقبال، الترجمة والمثاقفة، www.alriyadh.com

٣٩- منذر المصري، المعلوماتية والانفجار المعرفي والشباب، مرجع سابق، ص ٩٠.

٤٠- رفيق ليوجسيني، مرجع سابق.

٤١- أحمد الخطيب، نظرية الترجمة، مرجع سابق، ص ٢٩٥,

٤٢- ووبن، الصينيون المعاصرون: التقدم نحو المستقبل انطلاقاً من الماضي، الجزء الأول، ترجمة عبد العزيز حمدي، مراجعة د.لي تشين تشونغ، عالم المعرفة، عدد٢١٠، المجلس الوطني للثقافة والعلوم والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٦، ص١٣٠-١٣٤

٤٣-أوراق مؤتمر الترجمة في الدول العربية، أهميتها ودورها في التواصل الحضاري بين الأمم، الجزء الثاني، ص ١١٢٣-١١٢٥.

٤٤-نفس المرجع ص ١١٢٦-١١٢٩

٤٥-تشي جوانغ، ترجمة حديثة وتعليق علي كتاب فن الحرب، دار نشر بكين لكتب الترجمة،١٩٩٣،ص ص ٩٥-١٠٥

٤٦-أوراق مؤتمر الترجمة في الدول العربية، أهميتها ودورها في التواصل الحضاري بين الأمم، الجزء الثاني، ص ١١٣٨-١١٤٤

٤٧-نفس المرجع ص ٥٨٨، ص٥٨٩

٤٨-المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة، "إسسكو "، اللغة العربية والعولمة، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م

٤٩-منشورات المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة، نفس المرجع.

٥٠- فاروق جويدة ، الأهرام، ٣٠-٩-٢٠١٠م.

٥١-طه حسين، مستقبل الثقافة في مصر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٣، ص٣١٤

٥٢-نفس المرجع، ص٣٠٥

٥٣-مجلة مجمع اللغة العربية، نوفمبر، ١٩٩٨، القاهرة، جزء ٨٣، ص١٢٥

٥٤-محمود حافظ، التعريب في مصر، مجلة اللغة العربية، الجزء٤٨، القاهرة، مايو١٩٩٩، ص ٨٥

٥٥-عمار بوحوش، لغتنا العربية جزء من هويتنا، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة كتب المستقبل العربي، عدد ٤٦، بيروت ، لبنان، ٢٠٠٥، ص٢١-٢٢

٥٦-سلطان بلغيث، وسائل الإعلام واللغة العربية بين الواقع والمأمول، ٢٨ أيار (مايو) ٢٠٠٦، ص٤، www.diwanalarab.com

....

....

....

فهرس المحتويات

الأخطار المحيطة باللغة العربية في عصر العولمة وسبل تلافيها

إعداد

د/محمد جميل الوحيدي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين، وبعد،

لم يعد خافياً على أحد، أنّ اللّغة العربيّة، أصبحت تعاني من تراجعٍ ملحوظٍ، في المدارس، والجامعات، ووسائل الإعلام المسموعة والمرئيّة، وتكاد تكون معدومةً في البيت والشّارع والمعاملات اليوميّة في حياة النّاس، لا ينحصر ذلك في دولة عربيّة دون أخرى؛ بل هو ملموسٌ في الدّول العربيّة دون استثناء.

وهذا الواقع المؤلم للكثيرين، يفرض علينا جميعاً، التّنبّه لأسباب هذا التّراجع، والعمل على وقفه، لا سيّما أنّ اللّغة العربيّة تواجه أشكالاً متزايدةً من الأخطار في هذا القرن، وما يُعْرف بعصر العولمة، وتهديداً سافراً يهدف إلى إقصائها عن دوْرها في الحياة، كما يوجب علينا التّصدّي لهذا التّهديد، وإعداد أنفسنا للوقوف في وجهه ومقاومته؛ فإنّ دخول المعركة بدون سلاح لا بدّ أن يؤدّي إلى كارثة حقيقيّة. ولعلّ أوّل ما يجب علينا القيام به، هو وضْع تصوّرٍ واضحٍ لأبعاد هذه المشكلة، واقتراح الحلول المناسبة لمواجهتها، والحيلولة دون تفاقمها. وهذا هو ما نطمح إلى تحقيقه في هذا البحث إن شاء الله، وقد قسّمته إلى ثلاثة مباحث:

الأوّل: انحسار اللغّة العربيّة وتراجعها:

وقد أشرت فيه إلى حالتي الضّعف والانحسار اللتين باتتا ملحوظتين في اللّغة العربيّة، وهما من أكبر الأخطار؛ وإنّ ذلك يمثّل الخطر المحلّيّ الدّاخليّ ، وإن أسبابه وسبل علاجه بأيدي أهل اللّغة أنفسهم . وذكرت في هذا المبحث بعض مظاهر الضّعف، والأسباب المؤدّية إلى ذلك، فالسّبل المقترحة لمواجهة هذا الخطر والنّهوض باللّغة وإحيائها. وقد أكّدت على أنّ هذه المواجهة تتطلّب وقفةً جادّةً منا جميعاً، وإجراءاتٍ حازمةً، ومتابعةً حثيثةً، وتعاوناً تامّاً بين المؤسّسات في الدّول العربيّة، وأن يُدْعم كلّ ذلك بالقرارات الرّسميّة العليا، لإنجاحه وتنفيذه.

الثّاني: التّدريس بغير اللّغة العربيّة:

أوضحت فيه خطرَ الاستمرار في التّدريس باللّغات الأجنبيّة في المعاهد والجامعات العربيّة، وعددته نوعاً من الخطر الداخليّ؛ ذلك أنّه يتمّ بإرادة أبناء العربيّة واختيارهم، كما أنّ مواجهته في متناولهم، ولا تتمّ إلا بأيديهم. وقد بيّنت في هذا المبحث أنّ الاستقلال اللّغويّ قد أصبح ضرورةً ملحّة لمواجهة هذا الخطر، إذا ما أُريد لهذه الأمّة أن تتحوّل إلى شريكٍ عالميّ في الإبداع، والتّقدّم العلميّ في العالم، وأن تدفعَ عن نفسها شبهة كونها أمّةً مستهلكةً تابعةً؛ ذلك أنّ اللّغةَ هي وعاءُ الفكر والإبداع، والإنسان لا يبدع إلا بلغته، وما الاستمرار في التّدريس باللّغات الأجنبيّة إلا صورة من صُوَر التّبعيّة، وتحجيمٌ للعقل العربيّ، وحرمانٌ من الإبداع. وكان لا بدّ من الإشارة

السّريعة إلى بعض مظاهر الخطر المرتبطة بإحلال اللّغة الأجنبيّة في مجالات الحياة المختلفة، وفي النّهاية قدّمت عدداً من المقترحات لمواجهة هذا الخطر.

الثّالث: خطر العَوْلمة على اللّغة العربيّة:

بعد تقديم فكرةٍ عامّة عن مفهوم العولمة، قدّمت إجابةً وافيةً عن السّؤال الّذي يؤرّقنا جميعاً: لماذا تشكّل العولمة خطراً على اللّغة العربيّة؟ فبيّنت أنّ اللّغة العربيّة تعني للأمّة المسلمة: رسالة الإسلام الخالدة، والدّين، والإرث الحضاريّ العظيم، والتّاريخ، والهُويّة، والثّقافة، والخصوصيّة المميّزة، وأنّ من أهداف العولمة إقصاءَ اللّغة العربيّة عن مجالات الحياة كافّة، وحدوث ذلك يعني بكلّ بساطة إقصاء الأمّة، وتهديد وجودها وكيانها وهُويّتها، وليس مجرّد إقصاء اللّغة التي هي وسيلة التّخاطب. وختمت ذلك بحلول مقترحة لمواجهة هذا الخطر، والحفاظ على كيان الأمّة من التّلاشي والزّوال.

أسأل الله أن تكون في ذلك مساهمةٌ نافعةٌ للكشف عن مكامن الخطر، الّذي يهدّد لغتنا وديننا وهُوِيَّتنا، وعن سبل التّصدّي لها ومواجهتها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) انحسار اللغّة العربيّة وتراجعها

لعلّ من أشدّ الأخطار الّتي تواجهها اللُّغة العربيّة في عصرنا هذا، هو انحسار اللّغة العربيّة، وتراجُعها المتسارعُ الّذي لم يعد خافياً على أحدٍ، وبات ينذر بخطر قادم وقاتم. ويظهر هذا التّراجع بصورة ضعْفٍ عامّ يُرى واضحاً في جميع أرجاء الوطن العربيّ من المحيط إلى الخليج ، وتكمن خطورة هذا الواقع للعربيّة بأنّ أسبابه، ومظاهره، وسبل مواجهته كلَّها ذات مصدرٍ داخليّ أو محليّ ؛ فأبناء العربيّة هم المسؤولون عنه وليس غيرهم، ولا مجال أمامهم لاتّهام الآخرين بأنّهم السّبب وراء هذا الانحسار. إنّه الخطر الأكبر الّذي تسلّل إلى اللّغة بهدوء، وفي عقر دارها، وبأيدي أبنائها، لم يكن غريباً، ولا محتلاًّ قادماً من وراء الحدود. إنّه كمَنْ يمهّد الطريق لعدوّه، ويفتح له أبواب قلاعه وحصونه، ويدعوه لاقتحامها برداً وسلاماً، دون مواجهةٍ أو مقاومة. وممّا لا شكّ فيه أنّه كلّما كانت اللّغة ضعيفةً، كلّما كان افتراسها سهلاً، وكلّما كان المتحدّثون فيها ضعفاء، كانت مقاومتهم ضعيفةً كذلك، وانقيادهُم سريعاً ويسيراً.

ولا أعتقد أنّ من الصّواب أن نختلق لأنفسنا أعذاراً، أو أن نبرّر التّراجع في لغتنا، بغير إهمالنا لها، وتقاعسنا عن إيجاد الحلول الّتي تعيد لها هيبتها الّتي كانت لها زمن الأجداد.

لقد بات كثيرٌ من أبناء العربيّة أشبه بالغرباء عن لغتهم، وباتت هي غريبةً عليهم، وربما أصبحت لدى بعضهم رمزاً للتّخلّف، فهجرها إلى لغة

أخرى، واكتفى من عربيّته بما يمكنه من قراءة القرآن الكريم في صلاته —إن كان مسلماً—. بل نراه لا يتحرّج من تبرير هذا التّحوّل عن لغته الأمّ، فيزعم أنّها لغة الصّحراء، والقرون الخالية، وأنّها لم تعد مناسبةً لعصرنا هذا، عصر الثّورة المعرفيّة، وتطوّر العلوم، وأدوات المعرفة. ومن المتوقّع أنّ مثل هذه النّظرة، قد تنتقل من بعض الآباء إلى الأبناء، كما تنتقل العدوى بسبب ضعف المناعة، وبذلك تزداد غربة الأبناء عن لغة الأجداد، وتتهدّم الجسور الّتي تربطهم بأمّتهم واحداً تلو الآخر.

لا عجب، وهذه الحال، أن تحظى مسألة الضّعف في اللّغة العربيّة، باهتمام المفكّرين، والغيورين عليها، وأن تكون موضوعاً لكثير من الدّراسات والأبحاث، وأن ترتفع الأصوات مناديةً بالإصلاح الشّامل، عبر وسائل الإعلام، ومنابر المؤتمرات[1]، ومحذّرةً من العواقب الوخيمة التّي قد تنجم عن استمرار ظاهرة الضَّعف هذه، وتفشّيها في كلّ رقعة من أرجاء الوطن العربيّ الكبير، مهدّدةً تاريخ الأمّة بالانقطاع بين ماضيها وحاضرها،

(١) ومن بينها: ندوة " بحوث ندوة ظاهرة الضّعف اللّغويّ في المرحلة الجامعيّة" الّتي عقدت برعاية جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة، الرّياض، سنة ١٤١٨هـ ، وندوة "بناء المناهج: الأسس والمنطلقات"، التّي عقدت في جامعة الملك سعود، كلّيّة التّربية خلال الفترة من ١٩-٢٠/٣/١٤٢٤هـ الموافق ٢٠-٢١/٥/٢٠٠٣م، ومنها "الملتقى الأوّل لحماية اللّغة العربيّة بعنوان: معاً نحمي اللّغة العربيّة، الّذي عقد في الشّارقة، برعاية جمعيّة حماية اللّغة العربيّة، عام ٢٠٠١م.

وضياع مستقبلها، والانصهار بغيرها، وفقْد هُوِيّتها، ممـــــّا قد يمهّد لزوالها. وهذا هو أحد أهداف العولمة، دمج المجتمعات في بوتقةٍ واحدة، والنــَّـــــيْل من الخصوصيّات الثّقافيّة لتلك المجتمعات، وتذويبها في غيرها.

وفي اعتقادي أنّ هذه الأصوات الغيورة، بما تحمله من الحبّ والتّحذير، ما لم تؤيّد، وتُدْعم بالقرار الرسميّ

(السّياسيّ) فإنّها ستظلّ حبراً على ورق، مكدّسة على رفوف المكاتب، وقد يطول انتظارها، ويتقادم العهد عليها حتّى يصبح أمر تنفيذها عسيراً.

والحقيقة أنّ ظاهرة الضَّعف هذه، والّتي تُلاحظ على امتداد الوطن العربيّ الكبير، ليست وليدة الفترة الرّاهنة، وإنّما بدأ ظهورها منذ وقت طويلٍ جدّاً، فقد تنبّه إليها ابن الجوزيّ المتوفّى عام ٥١٠هـــــ، حيث لاحظ شيوع اللّحن في عصره، ممّا دفعه إلى تأليف كتابه (تقويم اللّسان). كما تنبّه إليها ابن منظور المتوفّى عام ٧١١ هـــــ، حيث ذكر أنّ السّبب وراء تأليف معجمه (لسان العرب)، هو ما لحظه من شيوع وتفشّي اللّحْن في عصره، إلاّ أنّها في وقتنا هذا قد أصبحت همّاً كبيراً، تجاوز اللّحْن بمراحل كثيرة، ممـــــّا يستدعي التّوقّف، والمراجعة، وأخذ الحيطة والحذر، وعدم التّسويف في اتّخاذ الإجراءات المناسبة لمواجهتها.

كما أشارت الدّكتورة بنت الشّاطئ، في كتابها (لغتنا والحياة) ، إلى هذه الظّاهرة؛ حيث قالت: "الظّاهرة الخطيرة لأزمتنا اللّغويّة هي أنّ التّلميذ كلّما سار خطوةً في تعلّم اللّغة العربيّة زاد جهلاً بها، ونفوراً منها، وصدوداً

عنها، وقد يمضي في الطّريق التّعليميّ إلى آخر الشّوط، فيتخرّج في الجامعة وهو لا يستطيع أن يكتب خطاباً بسيطاً بلغة قومه، بل قد يتخصّص في دراسة اللّغة العربيّة حتّى ينالَ أعلى درجاتها، ويعييه مع ذلك أن يملك هذه اللّغة التّي هي لسان قوميّته ومادّة تخصّصه".(٢)

ويصف الدّكتور هادي نهر، النّاطقين بالعربيّة في أيّامنا هذه بالقول "إنّ لغتنا أصبحت اليوم كمئذنة يلفّها الغبار، فالنّاطقون يضيقون بها، ويهربون من قواعدها وتراكيبها، بل إنّ بعض المتعلّمين العرب لا يعرفون تركيبَ جملةٍ عربيّةٍ سليمةِ السّكنات والحركات، ومما يؤلمنا أكثر من ذلك أنّنا نرى بعض طلبة الجامعات في أقسام اللّغة العربيّة وآدابها لا يدركون فصاحة القول؛ لسانهم يلحن، ومعارفهم اللّغويّة على المستويات كلِّها لا تتناسب وشهادتهم الجامعيّة"(٢).

من مظاهر الضَّعف في اللّغة العربيّة:

حدّد الدّارسون لظاهرة الضَّعف في العربيّة، عدداً من مظاهر هذا الضَّعف، من خلال الأبحاث الميْدانيّة، منها:

١- الجهل بقواعد الإملاء ومصطلحاته.

---

(١) بنت الشّاطئ، لغتنا والحياة، دار المعارف، ١٩٦٩م، ص١٩١.

(١) هادي نهر، أشغال ندوة اللّسانيّات واللّغة العربيّة. ط٤، الجامعة التّونسيّة، سلسلة اللّسانيّات، ص١٢٢.

٢- الجهل بقواعد النّحو والصّرف، الّتي يتلقّاها المتعلّم في المراحل الدّراسيّة الأولى.

٣-كثرة الأخطاء الشّائعة.

٤- الجهل بمعاني مفردات اللّغة، ومرادفاتها.

٥- الجهل بعلامات التّرقيم، وإهمالها في المكتوب.

٦- هَجْر الفصحى واستعمال العامّيّة في مجالات الحياة كافّة ، حتّى بات حديث أحدهم بالفصحى في الوسط الشّعبيّ مدعاة للسّخرية.

٧- البعد عن جماليّات اللّغة، والرّكاكة في الأسلوب.

٨- استعمال المفردات الأجنبيّة والإكثار منها بلا داعٍ، في الحياة العامّة.

٩- إلغاء الإعراب في أواخر الكلمات، ونطقها بالتّسكين.

١٠- نطق الأعداد باللّهجات العامّيّة.

ويمكننا أن نضيف إليها فيما لمسناه — لدى الطّالب الجامعيّ-: عدم القدرة على التّعبير لدى المتحدّث عمّا في نفسه، بلغة عربيّة سليمة، وعدم الشّعور بالحاجة إلى معالجة هذا الخلل، وضعف شعور الاعتزاز بهذه اللّغة.

أسباب ظاهرة الضَّعف:

وتكاد أسباب الضَّعف في اللّغة العربيّة تكون واحدة في مختلف الدّول العربيّة، وإن تباينت قليلاً بين قطر وآخر، حسب ما توصّل إليه الباحثون، ومن تلك الأسباب:

١- غلبة اللّهجات العامّيّة على الفصحى، في أرجاء الوطن العربيّ

كافةً، وتعدّدها، واختلافها حتّى في الدّولة الواحدة.

٢- الانفصام بين لغة البيت، ولغة الشّارع، ولغة المدرسة.

٣- القصور في المناهج المدرسيّة، وعدم ملاءمتها لحاجات المتعلّم.

٤- كثرة موادّ اللّغة العربيّة، وعدم الرّبط بينها في التّدريس، وقلّة الحصص المخصّصة لها، وازدحام الطّلبة في الفصل الواحد، وقلّة الوسائل التّعليميّة.

٥- عدم ملاءمة أساليب التّدريس وطرائقه، بما يتناسب مع العصر.

٦- ضعْف معلّم اللّغة العربيّة، وعدم إعداده إعداداً مناسباً، لمهمّة التّعليم الموكولة إليه؛ فقد جرت العادة على إسناد التّعليم في الصّفوف الأولى إلى الخرّيجين حديثاً، عديمي الخبرة، وممّا لا شكّ فيه أنّ المعلّم الضّعيف، سينتج طالباً ضعيفاً.

٧- الدّوْر السَّلبيّ الّذي تؤدّيه وسائل الإعلام المختلفة، بابتعادها عن الفصحى، وشيوع العامّيّة فيها، ممّا يؤدّي إلى ترسيخ العامّيّة، ونبذ الفصحى.

٨- الهبوط في المستوى الثّقافيّ العامّ، والعزوف عن القراءة والمطالعة، وغلاء الكتاب بما لا يتناسب مع دخل الفرد في كثير من الدّول العربيّة.

٩- غياب التّشجيع من قبل المؤسّسة الرّسميّة بصورة فعّالة، نحو إجراء المسابقات الأدبيّة، ومكافأة أوائل المطالعين، وتقديم الحوافز للمبدعين من الطلاب.

١٠- منافسة اللّغات الأجنبيّة للّغة العربيّة في مجالات العمل المختلفة، فقد بات الكثيرون يفضّلون الخرّيج من جامعة غربيّة على نظيره من جامعة عربيّة، حتّى وإن اشتركا في التّخصّص نفسه.

١١- اهتمام المدارس الأهليّة باللّغات الأجنبيّة اهتماماً يفوق اهتمامها باللّغة العربيّة، دون رقيب أو حسيب.

وبناء عليه فإنّه ذلك يؤدّي إلى الانفصال التّدريجيّ للطالب عن لغته الأصيلة، ويتمّ هذا الانفصال بالكامل إذا تابع الطّالب دراسته في دولة غير عربيّة، أو في دولة عربية ولكن الدراسة بلغة غير عربيّة.

ولا عجب أن يكون ناتجُ هذه الأسباب مجتمعةً، جيلاً غريباً عن لغته الأصيلة، يعاني صعوبةً في قراءتها، وفهمها، ولا يتقن الحديث بها، ولا الكتابة. ولعلّ الأهمّ من ذلك ألا يشعر هذا الجيل بخسارته في فقد الصّلة باللّغة العربيّة، لغة القرآن الكريم، اللّغة الّتي اصطفاها سبحانه لتحمل رسالته إلى العالمين كافّة.

وممّـــا لا شكّ فيه أنّ تفاقم هذه الحالة المَرَضيّة، قد يؤدّي إلى اضمحلال الدّور الّذي تؤدّيه اللّغة في حياة أبنائها؛ ذلك أنّ تفشّي العامّيّة، والتّحلّل من القيود الّتي تحكم اللّغة الفصحى، من حركاتٍ وإعرابٍ، سيجعل منها عرضة للفوضى والتّخبّط، والتّفكّك، فالتّلاشي.

مواجهة الخطر والنّهوض باللّغة:

ولمـــّا كانت ظاهرة الضَّعف غير محصورةٍ في بلد عربيّ دون آخر — وإن تفاوتت-، فإنّ مواجهة هذا الخطر الدّاخليّ، يتطلّب منا جميعاً؛ أفراداً، ومؤسّساتٍ، ودُوَلاً، وقفةً جادّة، وإجراءاتٍ حازمةً، فعّالةً، لدرء هذا الخطر، قبل فوات الأوان، وترجمةَ ما يتمّ اتّخاذه من قرارات وتوصيات إلى واقع

ملموس، ومتابعةَ كلّ ذلك متابعةً حثيثةً وجادّةً.

وفي اعتقادي أنّ مواجهة هذا الخطر، هي ممّا لا يقوم به فردٌ، أو مؤسّسةٌ، أو دولةٌ، وإنّما هو واجبٌ نشارك فيه جميعاً بكلّ إخلاصٍ وأمانة. وهنا لا بدّ من التّعاون البنّاء، والتّواصل الدّائم بين المؤسّسات الرّسميّة، في الدّول العربيّة كافّة، لوضع السّبل الكفيلة بتلافي هذه الظّاهرة، والتّقليل من خطرها، مع مراعاة الخصوصيّة لكلّ دولة؛ ذلك أنّ الهمَّ العربيّ واحدٌ، والمصيرَ واحدٌ، والهدفَ واحدٌ، والخيَر لنا جميعاً.

وممّا يمكن عمله في هذا الاتّجاه، الأمور التّالية:

١- إنّ على المؤسّسة الرّسميّة أن تقوم بدورها بصورة فاعلة، وواضحةِ المعالم والأهداف، فالمسؤوليّة الأولى تقع على عاتقها، بدءاً بالطّالب، فالكتاب المدرسيّ، فإعداد المعلّم، فتقديم الحوافز، فإنشاء المكتبات الوطنيّة والمدرسيّة، وغير ذلك من المهامّ الّتي تتطلّبها عمليّة التّعليم.

٢- إعدادُ المعلّم، وتأهيله تربويّاً، للقيام بواجباته على أحسن وجه. وهنا تجدر الإشارة إلى أنّ من الخطأ إسنادَ التّعليم في الصّفوف الأولى إلى المعلّمين الجُدد، الّذين تخرّجوا حديثاً من المعاهد أو الجامعات؛ ذلك أنّ هذه المرحلة هي الأساسُ الّذي ستبنى عليه المراحل التّالية، فإن كان غير متين، فلن يصلحَ للبناء عليه، ولذلك فإنّ إسناد التّعليم في هذه المرحلة يجب أن يُسند إلى متخصّصين أَكْفاء، من ذوي الخبرة، ومن حملة الشّهادات العليا. ولإنجاح هذا التّوجّه، يجب تخصيص علاوةٍ خاصّة، ومجزيةٍ، لمعلّمي هذه

المرحلة، وإبطالُ ذلك الاعتقاد الشّائع بأنّ تعليم الصّفوف الأولى يُسند —غالباً– إلى ضعاف المعلّمين، وحديثي التّخرّج، حتّى بات ذلك عيباً في المفهوم السّائد.

٣– الاهتمام بالجانب الوظيفيّ للنّحو العربيّ، وتيسير دراسته، من الأمور المطلوبة لجعله مفهوماً مقبولاً من قبل المتعلّم، وهو ممّا يجب أخذه بعين الاعتبار؛ من أجل توثيق الصّلة بينه وبين الطّالب. فأمّا تلك التّفاصيل التّي تحشى بها كتب النّحو، والّتي لا ضرورة لها، فإنّها تعني تقديم قواعد اللّغة بصورة تنفّرُ الطّالب منها، وما يقال في علم النّحو يُقال في علم الصّرف، وعلم البلاغة.

٤– الاهتمام بالكتاب المدرسيّ، من خلال اختيار النّصوص الأدبيّة الرّاقية، الّتي تنمّي الذّوق لدى الطّالب، وتحبّب إليه المطالعة مسألةٌ يجب إعادة النّظر فيها؛ من أجل بناء علاقة طيّبة بين الطّالب والكتاب، تمهّد لعلاقة دائمة مع الكتاب، حيث يصبح الصّاحبَ والرّفيقَ، وتصبح القراءةُ عادةً راسخةً.

٥– اتّباع الأساليب التّربويّة الحديثة في التّدريس، الّتي تهتمّ بفهم الطّالب وعقله، وتنمّي عنده التّفكير والإبداع، والابتعاد عن أسلوب التّلقين والحفظ واستظهار المعلومات؛ فالطّالب هو شريكٌ في العمليّة التّعليميّة، وليس مجرّد آلة للاستماع والتّسجيل والحفظ.[1]

(١) كثيرة هي الدّراسات التّي تناولت هذا الموضوع، منها: دراسة حسن شحاتة، =

٦- إنّ ما يأخذه الطّالب عن معلّمه، قد يكون أكثر ممّا يأخذه عن الكتاب؛ فالطّالب – عادةً- ينظر إلى معلّمه على أنّه القدوة والمثال، وغالباً ما يبدأ بتقليده، والمشي على خطاه، فيأخذ عنه مِنْ لغته، وطريقة حديثه، الكثير. وأمام هذه الحقيقة، فإنّ اعتماد اللّغة العربيّة الفصحى في التّدريس يصبح أمراً لازماً، وضروريّاً، ويصبح إتقان المدرّس – بخاصّة مدرّس اللّغة العربيّة- الحديثَ بالعربيّة الفصحى، ضروريّاً أيضاً. ومن المؤسف أنّ لغة التّعليم الشّائعة في مدارسنا اليوم، هي اللّهجات العامّيّة، ومما هو أشدّ إيلاماً، أن تكون العامّيّة، لغة التّدريس لدى بعض أساتذة الجامعة.

٧- استخدام وسائل التّقنية الحديثة في التّعليم، بمراحله جميعها، ومواكبة التّطوّر في أساليب التّعليم ووسائله، والاستفادة من تجارب الآخرين في تعليم اللّغة، ومن تلك الوسائل، مختبرات اللّغة، وأجهزة التّسجيل، والحاسوب.

٨- نشر قرارات المجامع اللّغويّة العربيّة، وما يصدر عنها من بحوث على أوسع نطاق، وتعميمها من خلال وسائل الإعلام المختلفة، والدّعوة إلى استخدامها في المدارس والجامعات، ووسائل الإعلام المسموعة والمرئيّة.

٩- الاهتمام في وسائل الإعلام المختلفة بسلامة اللّغة، فلا يتمّ عرض

= "مفاهيم جديدة لتطوير التّعليم في الوطن العربيّ"، و دراسة رشدي أحمد طعيمة، "الأسس النّفسيّة والتّربويّة والاجتماعيّة لبناء مناهج اللّغة العربيّة".

مادّة ثقافيّة، أو إخباريّة، إلا بعد التّدقيق، والمراجعة، والضّبط، من قبل مختصّين، يتمُّ تعيينهم لهذه الغاية.

١٠– الإفادة من شبكة المعلومات "الأنترنتّ" في خدمة اللّغة العربيّة. فقد دخلت هذه التّقنيّة الحديثة البيوت، وبدأت تنافس الكتاب، في التّأثير والتّوجيه، وعرض المعلومة. وهذا مجال واسع، حيث يمكن لمجامع اللّغة العربيّة –تحديداً– الاستفادة من هذه التّقنيّة، وتوظيفها في خدمة اللّغة العربيّة، من خلال فتح مواقع خاصّة لها، تقدِّم فيها للقارئ العربيّ، كلّ ما من شأنه أن ينهض باللّغة، ويعالج مشاكلها، ويدفع عنها الأخطار الّتي تواجهها.

١١– ولا غنىً عن الكتاب. ورحم الله شوقي القائل:

أنا من بدّل بالكتب الصّحابا *** لم أجد لي وافياً إلا الكتابا

فالكتاب يأتي في مقدّمة مصادر المعرفة، وله دوره في صقلِ شخصيّة الفرد وبنائها، وتشكيلِ وعيه، وتثقيفه، وبالتّالي إعداد جيلٍ مؤمن بلغته، وقيمه، وتاريخه؛ ومن هنا فإنّ مسؤوليّة نشر الكتاب وتوفيره بأسعار معقولة، تقع بالدّرجة الأولى على الدّولة، وليس كثيراً أنّ نطالب الدّولة بدعم الكتاب، كما تدعم الخبز، ومشتقّات البترول، إذا أرادت أن تنشئ جيلاً واعياً بقضايا أمّته، حريصاً على الانتماء إليها، فخوراً بلغتها، وذلك من خلال إنشاء المكتبات العامّة، ودعم الباحثين والمؤلّفين، وتحمُّل نسبة مقبولةٍ من تكاليف طباعة الكتب.

(٢) التّدريسُ بغير اللّغة العربيّة:

ومن الأخطار الّتي تواجه اللّغة العربيّة، التّدريسُ باللّغات الأجنبيّة[(١)]، ويمكننا اعتباره من نوع الخطر الدّاخليّ، ذلك أنّه يتمّ بأيدي أبنائها، وباختيارهم، فما زال تدريس العلوم الطّبّيّة، وغيرها من العلوم-في الجامعات، والمعاهد العلميّة- يتمّ بلغات أخرى غير العربيّة، ولا يخفى أنّ الاستمرار على هذا الحال، يشكّل خطراً كبيراً على العربيّة؛ حيث يهدّد بطمس هذه اللّغة وزوالها، وجعلها في النّهاية لغةً ثانويّةً، وليس لغة علمٍ وفكر، وهذا على العكس ممّا يحدث في دول كثيرةٍ تحرص على أن تُدرّس هذه العلوم بلغتها. وبالتّالي فإنّ التّدريس بالعربيّة يُعَدُّ حاجزاً منيعاً أمام محاولات طمس هذه اللّغة وإضعافها، والتّشكيك في قدرتها على مواكبة العصر.

ولا يعني هذا الكلام الدّعوة إلى عدم تعلّم اللّغات الأجنبيّة، إذ إنّ

---

(١) تدرّس العلوم الطّبّيّة في معظم كلّيّات الطّبّ في الوطن العربيّ بغير العربيّة؛ فالمشرق العربيّ يدرّس بالإنجليزيّة باستثناء سوريّا الّتي تدرّس بالعربيّة، والكلّيّة اليسوعيّة في بيروت، الّتي تدرّس بالفرنسيّة، ويعتمد المغرب العربيّ اللّغة الفرنسيّة في التّعليم، كما تعتمد الصّومال الإيطاليّة، والسّودان بدأ يدرّس الطّبّ منذ أكثر من سنتين بالعربيّة، وهناك كلّيّتان تدرّسان الطّبّ بالعربيّة في الجماهيريّة اللّيبيّة، وقد اتّخذت كلّيّة طبّ جامعة الأزهر قراراً بتدريس الطّبّ الشّرعيّ والصّحّة النّفسيّة بالعربيّة.

تعلّمها واجبٌ حضاريّ لا يجوز التّهاون فيه، وقد حضّ الإسلام على تعلّم لغات الأقوام الآخرين، فمَن تعلّم لغة قوم أمن شرّهم.[(١)]

وقد أصبح هذا المطلب – في عصرنا هذا – ضروريّاَ لا بدّ منه، إذ إنّه يفتح المجال للاطّلاع على ثقافات الآخرين ومنجزاتهم، والاستفادة منها، ولكن ليس إلى الحدّ الّذي تصبح فيه اللّغة الأجنبيّة غالبةً على العربيّة، تحظى من الاهتمام بما لا تحظى به اللّغة القوميّة.

وممّا لا شكّ فيه أنّ اللّغة هي وعاء الفكر، وليس مجرّد وسيلةٍ للتّخاطب، وأنّ الإنسان يفكّر ويبدع بلغته، وبذلك يُعَدُّ النّهوض باللّغة نهوضاً بالفكر والإبداع.

ويربط بعض الأكاديميّين بين التّدريس باللّغات الأجنبيّة، والتّخلّف العلميّ والتّقنيّ في البلاد العربيّة، يقول الدّكتور محمّد يونس الحملاويّ، أستاذ الحاسبات بكلّيّة الهندسة، جامعة الأزهر : "إنّ اللّغة الانجليزيّة أقلّ كفاءة من اللّغة العربيّة في التّعبير عن المعارف والعلوم".[(٢)]

ودعا الحملاويّ إلى تعريب التّعليم في الجامعات العربيّة، مشيراً إلى أنّه يقوم بتدريس مادةٍ شديدة التّخصّص وهي الحاسبات بكلّيّة الهندسة، باللّغة

---

(١) اشتهر على الألسنة كونه حديثاً، وليس كذلك فهو ليس بحديث ولا أصل له؛ إنّما هو مثل سائر سائغ.

(٢) ندوة (التّعريب ما له وما عليه)، الجمعيّة العلميّة الطّبّيّة، جامعة الأزهر، القاهرة. http://www.moheet.com/show_files.aspx?fid=٣٥٨٦٨٠

العربيّة. كما استنكر إصرارَ بعض أساتذة الجامعات على الاستمرار في التّدريس بغير العربيّة، لافتاً الانتباه إلى أنّ كلّ دول العالم لا تدرّس العلومَ إلا بلغاتها الوطنيّة. كما أشار إلى التّجربة السّوريّة في التّدريس بالعربيّة، قائلاً: " إنّ سوريّا منذ أن طبّقت التّعريب زادت براءات الاختراع والسّبْق التّقنيّ عندها بمقدار ثلاثة أمثال الموجود في مصر، وأصبح عدد الأطبّاء السّوريّين الّذين درسوا الطّبّ بالعربيّة، ويعملون خارج سوريّا ضعف عدد الأطبّاء المصريّين الّذين يعملون بالغرب"[١].

وفي دراسة للدّكتور هاني مرتضى رئيس جامعة دمشق عن" التّجربة السّوريّة في تدريس الطّبّ بالعربيّة " توصّل إلى أنّ الوطن العربيّ يواجه اليوم مشكلة إقصاء اللّغة العربيّة عن مجال تدريس العلوم الطّبّيّة في معظم أقطاره، وأنّ حلّ المشكلة ليس "على قدر من الصّعوبة، لو توافر العزم الصّحيح على حلّها، ولن يكون العرب بدعاً بين الأمم، إن أرادوا اتّخاذ اللّغة العربيّة لغة تعليم جامعيّ"[٢].

وقال: إنّ الأمم المتقدّمة سلكت هذا السّبيل، بعد أن أيقنت أنّ الطّالب، الّذي يتلقّى علومه بلغة غير لغته الأمّ، يُصاغ فكراً وثقافةً من خلال هذه اللّغة الغربيّة. وأضاف : "نحن العرب حينما ننادي بالتّعريب، فأملنا هو السّعي إلى الاتّصال بالعلوم المعاصرة، وتمثّلها ضمن إطارٍ من لغتنا العربيّة، وفي هذا أخذٌ عن

(١) المصدر السّابق نفسه.

(٢) www.tartoos.com

الغرب دون الانصهار فيه، حفاظاً على هويّتنا من الضّياع"[١]

كما حذّر الدّكتور مرتضى، من أنّ تعليم الطّبّ والعلوم الدّقيقة الأخرى في الوطن العربيّ، بلغاتٍ أجنبيّةٍ من شأنه أن يصيب أجيال الأمّة من الطّلاب بالفصام الفكريّ، ويهدّد هويّتها، فضلاً عن تسبّبه في ضحالة التّحصيل العلميّ، وحرمان الطّالب من الفهم الصّحيح للمعاني، في ظلّ القصور عن تمثّل اللّغات الأجنبيّة وإدراك دقّة تراكيبها، وذلك بخلاف اللّغة العربيّة الّتي ينشأ الطّالب معها، ويتشرّبها على امتداد مراحل عمره التّعليميّ[٢].

ومن الجدير بالذّكر هنا، أنّ مجلس التّعليم العالي في القطر السّوريّ، قد وافق على تعديل المادّة ٥٣ من قواعد الاعتماد العلميّ للجامعات الخاصّة بحيث تصبح اللّغة العربيّة هي لغة التّدريس فيها، عدا التّدريس في أقسام اللّغة الأجنبيّة ومقرّرات اللّغات الأجنبيّة[٣].

ويرى الأستاذ زيد عسّاف مدير المركز العربيّ للتّعريب والتّرجمة والتّأليف والنّشر بدمشق، أنّ "تعويض اللّغة العربيّة بلغات أجنبيّة أخرى في التّعليم، يضعف إمكانيّة توظيفها بشكل خلاق[٤] ومبدع، ويتسبّب في

---

(١) www.tartoos.com

(٢) المصدر السّابق نفسه.

(٣) قرار صادر بتاريخ ٦/١٠/٢٠١٠م عن مجلس التّعليم العالي:
http://www.fikr.com/?Prog=article&Page=details&linkid=١١٣١

(٤) لفظة غير مستساغة.

تغريب اللّغة العربيّة في بلدها الأصليّ، فالتّعليم باللّغة القوميّة ركيزةٌ لبناء المجتمع، كما أنّ التّفكير المنطقيّ يفترض أن تنشر علوم التّقنيات الحديثة معرّبة، لأنّ قضيّةَ التّعريب قضيّةٌ جوهريّةٌ في تفعيل التّنمية البشريّة، ولا بدّ أن نبرز هنا أنّ دعوتنا لتعميم استخدام اللّغة العربيّة لا يعني التّقوقع ونبذ الانفتاح على الدّول الأجنبيّة، وإنّما التّركيز على أنّ تهميش اللّغة العربيّة خاصّة في التّعليم يعني الاندماج من دون هُويّة"[1].

ويرى آخرون أنّ تدريس العلوم باللّغات الأجنبيّة، ليس مواكبةً للعلم –كما يظنّ بعضهم– وإنّما هو تكريسٌ للاحتلال، والتّبعيّة له، ويرى آخرون في ذلك حرباً على الإسلام، فإقصاء اللّغة العربيّة عن واقع الحياة، وإحلال الأجنبيّة محلّها، مماسيؤدّي إلى إقصاء القرآن، وزعزعة الإيمان، بتأثير ما تنشره اللّغة الدّخيلة من قيمٍ ومبادئَ، لا تتّفق مع تعاليم الإسلام ومبادئه.

مظاهر أخرى من الخطر:

ومن أسفٍ، فإنّ صُور هذا الخطر – إضافة إلى الاستمرار في التّدريس باللّغات الأجنبيّة في الجامعات العربيّة- باتت تُلاحَظ في مجتمعنا العربيّ، بأشكال مختلفة، دون اعتراض عليها، بل لعلّها أصبحت ممّـــــا يُتباهى به ويُفتخر، ومن تلك المظاهر:

١- شيوع ظاهرة الأسماء الأجنبيّة، في المحلات التّجاريّة، والماركات، والمنتجات الصّناعيّة، وتفضيلها على الأسماء العربيّة ، واعتبار ذلك التّوجّه

---

(١) http://www.mostaghanem.com/montada-f٤١/topic-t١٨١٨٥.htm

من أسباب الرّقيّ والتّقدّم، وهي ظاهرة غير محصورة في بلد عربيّ دون آخر؛ ممّـــــا يعني أنّ أحداً لم يَسْلم من هذا التّأثير.

٢- شيوعُ كثير من الألفاظ الأجنبيّة في الحياة اليوميّة، والتّعامل بها بين فئات من النّاس،كألفاظ التّحيّة، وعبارات المجاملة، واعتبار تلك الألفاظ علامةً على ثقافة المتكلّم بها، أو على رقيّ الطّبقة الّتي ينتمي إليها.

٣- حرصُ بعض الآباء على إلحاق أبنائهم بالمدارس الأجنبيّة، واعتبار ذلك مفخرةً ودليلاً على الرّقيّ.

٤- مجاهرةُ بعض المتعلّمين والمثقّفين بأنّ اللّغة العربيّة، لم تعد مناسبةً لهذا العصر، وغير قادرة على مواكبة المصطلحات العلميّة، وأنّ التّخلّي عن هذه اللّغة إلى اللّغات الأجنبيّة، هو الحلّ لمواكبة التّطوّر العالميّ.

٥- صدورُ الدّعوات من قبل بعض أبناء العربيّة باستبدال اللّهجات العاميّة بالفصحى، مقارنة بما كان من أمر اللّغات الأوروبّيّة الحديثة الّتي انبثقت عن اللاتينيّة.

٦- التّمييزُ في المؤسّسات بين الخرّيج الّذي درس تخصّصه بالعربيّة، عن مثيله الّذي درس بلغة أجنبيّة، لصالح اللّغة الأجنبيّة.

وإذا كنّا نرى أنّ اللّغة العربيّة قادرةٌ على الوقوف والصّمود في وجه هذه التّحدّيات، وأنّ ما تحقّق من أهداف الطّامعين بالنّيل منها ليس بذي خطرٍ كبير؛ ذلك أنّها لغة القرآن الكريم، الّذي تعهّد الله سبحانه بحفظه، حيث قال:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[١] ، فلا يعني ذلك أن نترك هذه المظاهر تتفاقم، وتزداد، وتعلن عن ظهورها بصُور شتّى، بل يجب التّنبّه لها، ووضع الحلول المناسبة، ابتداء من التّوعية بالخطر، وأهمّيّة الاعتزاز باللّغة العربيّة، وإعادة الثّقة إلى أبنائها، الّذين جرفهم التّيّار، بقوّتها وكفاءتها، وانتهاء بالقرار الصّادر عن الدّولة، الّذي يعيد للعربيّة مكانتها، وهيبتها، نحو إلزام المحلات التّجاريّة باستخدام اللّغة العربيّة للتّعريف بأسمائها، أو بمنتجاتها.

وممّا يمكن فعلُه في مواجهة هذا الخطر:

١- أن ينهض المفكّرون والمثقّفون بالدّور المرتقب منهم في معالجة حالة الضَّعف العامّ في اللّغة العربيّة، والنّهوض بها لمواكبة التّطوّرات والمعارف في هذا العصر، ولهم في أسلافهم – في هذه النّاحية- القدوة الحسنة، فقد مرّ على هذه اللّغة زمنٌ وُجدت فيه في مواجهة علومٍ لم يكن للعرب بها سابقة علم، وكان ذلك في العصر العبّاسيّ، فقد استطاع مفكرو ذلك العصر، أن يستوعبوا علم الفلسفة، والمنطق، والطّبّ، والرّياضيّات، والفلك، والهندسة، وغيرها من العلوم، بل لقد استطاعوا أن يطوّروا ما تمّ نقله من الحضارات الأخرى، وأن يضيفوا إليه الجديد، الّذي انتقل بعد ذلك إلى أوروبّا، ومازال الكثير منه ملاحظاً في لغاتها الحديثة، وهذا الدّور هو ممّا يمكن أن يقوم به مفكرو هذا العصر.

٢- ويتطلّب هذا الدّور من المفكّرين والمثقّفين، دوراً موازيا من قبل

---

(١) سورة الحجر ١٥ : ٩ .

الدَّولة، والجهات الرّسميّة، ذلك أنّ مثل هذا العمل يتطلّب نفقاتٍ كثيرة، ولا يمكن أن يتمّ بدونها؛ ومن هنا يأتي دور المؤسّسة الرّسميّة في تشجيع البحث، وتقديم المكافآت المجزية للباحثين، وتبنّي الأبحاث الجيّدة، ونشرها، دون عوائق، وتخصيص ميزانيّات خاصّة للبحث في هذا الاتّجاه، ونشر كلّ عمل إبداعيّ، أدبيّ أو فكريّ، يخدم هذه الغاية.

٣- اعتماد اللّغة العربيّة للتّدريس في المعاهد، والجامعات، والكلّيّات المتخصّصة. وهذا يتطلّب من الدّولة اهتماماً بالتّرجمة، وتشجيع المتخصّصين، على نقل العلوم المختلفة إلى العربيّة، ووضعها بين أيدي المتعلّمين. وقد أكّد عدد من الباحثين، وممّن لهم تجارب فرديّة في هذه النّاحية، أنّ اعتماد العربيّة في التّدريس يحول دون طمس اللّغة، ويحميها من الزّوال، وأنّ التّعريب ضرورة لا غنى عنها للنّهوض باللّغة. والحقيقة أنّه قد خصّصت ندوات ومؤتمرات كثيرة، بيّن فيها المؤتمرون الأخطار الّتي تترتّب على استبعاد العربيّة كلغة لتدريس هذه العلوم، ودعوْا فيها إلى التّعريب، وبيّنوا ما يترتّب عليه من فوائد مستقبليّة.

ففي حلقة نقاشيّة للجنة التّعريب بنقابة الأطبّاء في مصر:

أكّد الدّكتور حمدي السّيّد نقيب الأطبّاء — في مصر- أنّ معوّقات التّعريب وهميّة، وأنّ أساتذة الطّبّ غير راغبين في بذل الجهد، وإحجامهم عن التّدريس بالعربيّة لا مبرّر له. وأشاد بمستوى أطبّاء سوريّا وطلاب الدّراسات العليا في مجال العلوم الطّبّيّة الّذين درسوا باللّغة العربيّة وتفوّقوا

على أقرانهم الّذين درسوا بالانجليزيّة.

وأشار د.مجدي عبد الخالق، مقرّر اللّجنة إلى أنّ ما طرحته نقابة أطبّاء الأردنّ من مشروع عربيّ للتّعريب يبشّر بالخير، وكذلك ما تقوم به مصر من خلال تدريس أربع مواد طبّيّة بالعربيّة بجامعة الإسكندريّة وما قام به د.محمّد توفيق الرّخاويّ من إنجاز موسوعة كاملة عن تشريح الإنسان ثنائيّة اللّغة.

وأوضح د.محمّد توفيق الرّخاويّ، رائد التّعريب الطّبّيّ في الوطن العربيّ والرّئيس الفخريّ لجمعيّة "لسان العرب" أنّه بدأ حياته معارضاً التّعريبَ، وسرعان ما تحوّل إلى أشدّ المناصرين إلى التّدريس بالعربيّة؛ ذلك أنّ الكثير من المصطلحات اللاتينيّة والإغريقيّة في مجال الطّبّ لا يفهمها الطّلاب، ومن الصّعب تذكّرها واستعمالها بشكل صحيح، فهم يستمعون إليها أكثر ممّا يفهمونها، وأضاف أنّه لم تعد قضيّة التّعريب قضية أمن قوميّ فقط؛ بل أصبحت شرطاً أساسيّاً لتنمية أدوات التّفكير والقدرات الذّهنيّة، وفي ظلّ غياب التّعريب ستظلّ أفكارنا متأثّرةً بالفكر الغربيّ؛ حيث إنّ من يتعلّم باللّغات الأجنبيّة يختزن في عقله وذاكرته ما يتعلّمه.. وبدون التّعريب سوف تتخلّى لغتنا مرغمة عن مكانتها العالميّة والرّسميّة وتصبح ثانويّة وتابعة.

وحذّر من أنّ الهجمة على اللّغة العربيّة بوجه عامّ هدفها النّيل من القرآن الكريم.. واختتم كلمته بقوله: دوافع التّعريب كثيرة؛ منها: الحفاظ على الهويّة المميّزة للأمّة العربيّة خاصّة وسط سيطرة ثقافة القطب الأوحد، وتحقيق المعاصرة الحضاريّة بالإسهام العلميّ..وهنا نجني العديد من الفوائد في مقدّمتها

عقلنة المنطق العربيّ، وتعميم الثّقافة العربيّة، وتحقيق السّيادة للّغة العربيّة على المستوى العالميّ مثلما كانت في العصور الوسطى، وإزالة الصّورة النّمطيّة السّيئة عن العرب بأنّهم أمّةٌ مستهلكةٌ للحضارة وليست منتجةً لها[١].

٤- الاهتمام بالأبحاث العلميّة، والكتب الّتي يؤلّفها الباحثون المتخصّصون، أو يقومون بترجمتها، وطباعتها، وتيسير وصولها إلى المتعلّم بأسعار معقولة.

٥- تبادل الخبرات بين الجامعات العربيّة، وتعميم التّجارب النّاجحة على الجامعات الأخرى، بحيث يؤدّي ذلك في النّهاية إلى موقف موحّد من مسألة التّدريس، والتّعريب.

---

(١) المصدر:

http://kenanaonline.com/users/azazystudy/posts/١٢٢٠٩٢

http://www.algomhuria.net.eg/algomhuria/today/ehna/detail٠٨.asp

(٣) خطر العَوْلمة على اللّغة العربيّة:

لقد أصبحت العولمة أهمّ ملامح هذا العصر، حيث تحوّل العالم إلى قريةٍ صغيرةٍ بفضل ثورة الاتّصالات (الانترنتّ)، ووسائل الاتّصال الحديثة (الأقمار الصناعية)، وشغلت المفكّرين، ما بين مؤيّد، نظر إلى الجانب الإيجابيّ فيها، وذهب إلى القول بأنّ في وسعنا أن نأخذ ما هو مفيد فيها، وأن نترك ما هو ضارّ حتّى لا نخسر هويّتنا وإرثنا، مستشهداً بالتّجربة اليابانيّة، ومعارضٍ لا يرى فيها إلا الجانب السّلبيّ، وأنّها تشكّل خطراً كبيراً يهدِّد ثقافات الشّعوب، والدّول النّامية، ومنها الدّول العربيّة.

ويعرّف بعضهم العولمة بأنّها "نظام عالميّ جديد؛ يقوم على العقل الإلكترونيّ، والثّورة المعلوماتيّة القائمة على المعلومات، والإبداع التّقنيّ غير المحدود؛ دون اعتبار للأنظمة، والحضارات، والثّقافات، والقيم، والحدود الجغرافيّة والسّياسيّة القائمة في العالم"[(١)].

وهناك مَن يرى بأنّ العولمَة ظاهرةٌ قديمةٌ وليست وليدة العصر، غير أنّ الجديد المصاحب لها هو الإيقاع السّريع الخاصّ وسرعة انتقال المعلومات. ومن هنا يرى بعضهم بضرورة التّعامل معها حتّى لا نخرج من التّاريخ، ذلك أنّنا لا نستطيع أن ننعزل عنها تماماً، لأنّنا لو رفضناها سنكون خارج العالم.

ويرى كثير من المراقبين أنّ تأثير العولمة سيطال الثّقافة والفكر

---

(١) محمّد سعيد أبو زعرور، العولمة، ط١، دار البيارق، عمّان، ١٩٩٨م، ص ١٦١

والهويّة، ممّا يشكّل خطراً على العالم العربيّ والإسلاميّ، حيث يتمثّل هذا الخطر بحالة الاستلاب الفكريّ، والقطيعة مع الخصوصيّة الثّقافيّة، والتّراث الفكريّ والحضاريّ.

ولا شكّ أنّ "تكنولوجيا الاتّصال وثورة المعلومات قد ساهمت في إحداث تغيّرات جذريّة في المجتمع والثّقافة، بحيث أصبحت وسائل الإعلام تقوم بدور كبير في نقل الأفكار والخبرات من ثقافة إلى أخرى، وبشكل يسهم في تغيير أساليب الحياة، وأنّ التّطوّرات الحديثة قد حوّلت الثّقافة إلى سلعة تباع وتشترى، حيث أصبحت مهدّدة بالخضوع للقواعد نفسها الّتي يخضع لها سوق البضائع".(١)

ما يعنينا هنا: ما الخطر الّذي تشكّله العولمة على اللّغة العربيّة؟ وما مستقبل هذه اللّغة في ظلّ هذا النّظام؟ وكيف نواجه العولمة، وندخل فيها دون أن نفقد هُويّتنا وخصوصيّتنا الثّقافيّة وتراثنا الفكريّ ولغتنا العربيّة الّتي هي الوعاء الّذي يحفظ لنا هذا التّراث؟

في الوقت الّذي تطلّع فيه العرب إلى استعادة أمجاد أمّتهم، ومكانة لغتهم الّتي تبوّأتها في القرن الثّامن الميلاديّ، جاء الاحتلال فعمل على إجهاض تلك التّطلّعات، وبذل كلّ استطاعته في إحلال لغته محلّ اللّغة العربيّة، وهو ما نشاهده حتّى الآن بصورة واضحةٍ في دول المغرب العربيّ.

---

(١) عبد الفتّاح رشدان، دور التّربية في مواجهة تحدّيات العولمة، المنظّمة العربيّة للتّربية والثّقافة والعولمة، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص٤٢.

وها هو يعود اليوم بثوب جديد، وباسم جديد، يقال له "العَوْلمة". وبغضّ النّظر عن الاختلاف في تعريف هذا المصطلح، والمواقف منه، فإنّ من أهداف "العوْلمة" القضاء على الهويّة العربيّة والإسلاميّة، من خلال إقصاء اللُّغة العربيّة عن دوْرها الطّبيعيّ في الحياة، وحصرها في الطّقوس الدّينيّة. كما أنّ من أهدافها – الواضحة– تشويه صورة الإسلام وإظهاره بمظهر الخطر الّذي يهدّد العالم المتمدّن، ونشر الفتن الطّائفيّة بين الشّعوب، ونشر الثّقافة الإباحيّة الّتي يحرّمها الإسلام، من خلال القنوات الفضائيّة الّتي لا حصر لها، ولعلّ هذا هو خطر العولمة الأكبر، ذلك أنّه يستهدف العقيدة، واللّغة المعبّرة عنها، وإنشاء ثقافة جديدة بديلة.

ولما كانت اللّغة في أيّة أمّة، تُعتبر المرادف للهُويـــّة، فلغة الأمّة هي هُويّتها، وضعف اللّغة المؤدّي إلى زوالها وفَقْدها، يعني فَقْد الهُويّة، فزوال الأمّة، أو تحوّلها إلى تابع يجري في فلك الآخرين، وإذا كان عالمنا اليوم قد تحوّل إلى قرية صغيرة، بفضل وسائل الاتّصال، وتطوّر المعرفة والعلوم، ووسائل الاتّصالات، وأصبحت السّيطرة فيه للقوّة، والعزْلة غير ممكنة، والتّأثّر بالثّقافات صار باباً مفتوحاً، فإنّ التّهديد الّذي تتعرّض له اللّغة (الهُويّة) صار أشدّ من ذي قبل، ممّا يتطلّب دوراً موازياً من قبلنا يفوّت على الطّامعين تحقيق غاياتهم، وذلك بالقيام بعمليّة إصلاح شاملة، تطال الجوانب المختلفة من سياسيّ، واقتصاديّ، واجتماعيّ، وتربويّ.

وممّا يمكن عمله في الجانب التّعليميّ والتّربويّ:[١]

١- إصلاح العمليّة التّعليميّة، من مدارس ومناهج وكتب.

٢- إعداد المدرّسين والمعلّمين على نحو يجعلهم أكثر كفاءةً وعطاءً.

٣- الاهتمام بالتّلاميذ أنفسهم وإعداد البرامج لمساعدتهم وتشجيعهم وتأهيلهم من أجل بناء جيل عربيّ يحترم العلم ويسعى له ويبدع فيه، وتعزيز القيم التّربويّة والأخلاقيّة والإسلاميّة لديهم.

٤- إشاعة الحرّيّة الفكريّة وعدم وضع القيود على المفكّرين والمبدعين بل رعايتهم وتشجيعهم.

٥- الاهتمام باللّغة العربيّة ومنجزها الحضاريّ بوصفها لسان العرب ودليل وحدتهم.

٦- العمل على تعزيز الهويّة القوميّة والإسلاميّة والاعتزاز بالماضي العربيّ المجيد وتراثه التّليد.

وليست اللّغة العربيّة هي الوحيدة المهدّدة في ظلّ نظام العولمة هذا، حيث يرى باحثون أنّ الخطر من قبل نظام العولمة، يهدّد الكثير من لغات العالم القائمة اليوم[٢]، ومن ضمنها اللّغة العربيّة، ويتوقّعون أنّ أربعة آلاف

(١) http://www.almolltaqa.com/vb/showthread.php?t=٥٦١٨٦&page=٢٢
مقالة للدّكتور سعد العتابيّ.

(٢) أشارت منظّمة اليونسكو إلى أنّ القرن الحادي والعشرين قد يشهد انقراض اللّغة العربيّة كغيرها من خمسين لغة شهد القرن العشرين انقراضها. جاء هذا الكلام =

لغة منها (وأكثرها من اللّغات غير المكتوبة) ستندثر وتختفي في هذا القرن. ويرى آخرون أنّ هناك ثلاث لغات ستقتسم العالم بحدود عام ٢٢٠٠م، هي الإنجليزيّة، والصّينيّة، والعربيّة، ويعلّل الباحثون صمود اللّغة العربيّة، وقوّتها إلى العامل الدّينيّ، والعامل القوميّ، ممّا يجعل هذين العاملين مستهدَفَين تحديداً من قبل نظام "العولمة"، فهما العقبة الكبرى في طريقه[1].

في عالم اليوم، لا بدّ من التّواصل مع الحضارات والثّقافات المختلفة، من خلال تعلّم اللّغات، فالحياة تتطلّب مواكبة التّقدّم العلميّ، والتّطوّرات العالميّة، إلا أنّ ذلك يجب أن يتمّ وفق أسس مدروسة ومخطّط لها، بحيث لا يكون ذلك على حساب اللّغة الأصيلة، وإنّ في وسعنا أن نتعرّف إلى غيرنا، وأن نتعلّم لغته، ونتفاعل معه، دون أن نفقد هُويّتنا دون أن نتحوّل إلى تابعين له.

ويجب أن ندرك أنّ اللّغة، في أيّة أمّة، هي تاريخ تلك الأمّة، ورمز حضارتها وكيانها، وحلقة الوصل بين ماضيها وحاضرها ومستقبلها، ولا يعني الانقطاع عن الماضي سوى التعثّر في الحاضر، والسير إلى مستقبل

= على لسان: أ.د. محمّد عبد المجيد الطّويل، عميد كلّيّة دار العلوم- جامعة القاهرة، في أحد المؤتمرات.

http://www.almolltaqa.com/vb/showthread.php?t=٢١٨١٠

(١) اللّغة العربيّة هي إحدى اللّغات الإحدى عشرة الأكثر انتشاراً في العالم، حسب ترتيب عدد المتكلّمين بها: الصّينيّة، الإنجليزيّة، الإسبانيّة، العربيّة، الهنديّة، الرّوسيّة، البرتغاليّة، البنغاليّة، الألمانيّة، اليابانيّة، الفرنسيّة.

مجهول، وإنّ التّفريط باللّغة هو تفريطٌ بالتّاريخ والكيان الثّابت.

ولم يعد خافياً على أحد، أنّ من أهداف العَوْلَمة تفكيكَ عالمنا العربيّ والإسلاميّ، وتقطيعَ كلّ أواصر التّرابط الّتي تُمْسكه من الانفلات، وفي مقدّمة تلك الرّوابط، اللّغة العربيّة الّتي تشكّل حاجزاً منيعاً أمام تلك الأهداف؛ وبالتّالي فإنّ تحقيق تلك الأهداف لا يمكن أن يتمّ إلا من خلال إضعاف هذه اللّغة (لغة القرآن) بأيّة وسيلة ممكنة.

كما لا يخفى أنّ الغرب قد ربط بين اللّغة العربيّة والإسلام، فاللّغة العربيّة هي لغة القرآن الكريم، وبها يقرأ المسلمون كتاب ربّهم ويتعبّدون بها، ولا يجوز التّعبّد بغيرها، قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾.[1]

ولمـّا كان الغرب يرى أنّ الإسلام هو العدوّ الجديد له، بعد أفول النّجم السّوفياتّيّ، فالطّريق إلى محاربته تمرّ من خلال تهميش العربيّة، وإضعافها، وإحلال اللّغة الأجنبيّة محلّها، وما عليه إلا أن يضع الوسائل، الّتي تضمن له تحقيق هدفه هذا. وبناء عليه، فقد تمّ عقد المؤتمرات تحت أسماء مختلفة، علانية وسرّاً، غايتها تفكيك هذا الرّابط القويّ الّذي يجمع الأمّة العربيّة، ويربط الأمّة الإسلاميّة بها، وتمّ تشكيل المؤسّسات والجمعيّات، الّتي أوكلت إليها هذه المهمّة، وبدأت تعمل تحت مظلّة نشر العلم، والدّيمقراطيّة، والشّعارات البرّاقة.

وعلى النّقيض من ذلك، ما يراه كثير من باحثي الشّرق

(١) سورة يوسف ١٢ : ٢ .

ومفكّريهم، كما يقول الدّكتور سعيد حارب:

"إنّ كثيراً من باحثي الشّرق ومفكّريهم لا ينظرون إلى العولمة إلاّ بمنظار "المنقذ"من التّخلّف، فقد عجزوا عن تحقيق النّهوض لمجتمعاتهم وشعوبهم، وباتوا ينتظرون من يأتي من الخارج لينقذهم، ولذا تعلّقوا بقشة العولمة"[1] ، ويعلّق على ذلك محذّراً أنّ العولمة: "لن تخرجهم من التّخلّف، بل ستقذف بهم في قعره"[2].

ولعلّ السّؤال الّذي يراود الكثيرين:

إذا كانت العولمة تحمل فيما تحمله خيراً، فكيف نَفيدُ من هذا الخير؟ وإذا كانت نذير خطر، فكيف نتجنّب شرّها وخطرها، ونحن نعلم أنّه لا مفرّ لنا من الدّخول فيها؟

لمـــّا كانت فكرة العولمة تقوم على صهر الجميع في بوتقة واحدة؛ اقتصاديّاً، ودينيّاً، وثقافيّاً، واجتماعيّاً، وفق ما تقرّره القوّة العظمى، والهيمنة الأمريكيّة، وأنّه ما من أحدٍ يمكنه إغلاق بابه في وجه رياحها العاتية، فإنّ علينا أن نعدّ أنفسنا لدخول هذا العصر بما يحفظ لنا ما نؤمن به من قيمٍ روحيّة سامية، وموروثٍ دينيّ، وثقافيّ، ورؤية مستمدّة من تعاليم إسلامنا القائم على التّسامح والمحبّة والتّعاون.

وممـــّا لا شك فيه أنّ ثقافتنا المستمدّة من تعاليم الإسلام، مختلفةٌ

---

(١) د. سعيد حارب، الثّقافة والعولمة، ط. دار الكتاب الجامعيّ، العين، ٢٠٠٠م، ص٢٤.

(٢) المصدر السابق

تماماً عن تلك الثّقافة الّتي تسعى العولمة إلى ترسيخها، ومن غير الممكن أن نقبل بأيّ بديل عنها، بل نؤمن إيماناً مطلقاً بأنّ الرّؤية الإسلاميّة للحياة والإنسان أكثر ثباتاً وصدقاً من أيّ تصوّر بشريّ.كما نؤمن بأنّ اللّغة العربيّة هي أكرم وأعظم اللّغات على الإطلاق؛ ذلك أنّها اللّغة الّتي اصطفاها سبحانه وتعالى لتكون لغة القرآن الكريم، رسالته إلى العالمين كافّة.

وانطلاقاً من هذه القناعة الرّاسخة في وجداننا، فإنّ علينا أن نعدّ أنفسنا لدخول عصر العولمة، بإرادتنا، وعلى نحوٍ فاعل ومؤثّر، وليس كتابعين، لا وزن لنا ولا قيمة. ولتحقيق هذا الهدف يجب علينا:

١- تعريبُ التّدريس في الجامعات أُسوة بدول العالم الأخرى، والتّوجّه إلى التّرجمة العلميّة، وأن يتمّ ذلك بقرار رسميّ، حيث يتوحّد ذلك القرار بجهود العلماء والمفكّرين والباحثين، نحو الهدف المنشود.

٢- النّهوضُ باللّغة العربيّة، ومعالجة كلّ أسباب الضّعف فيها، لتكون قادرةً على الصّمود في وجه تحدّيات العصر، حيث لا يمكن الدّخول إلى عصر العولمة، بلغة ضعيفة، لا تعبّر عن العصر. ذلك أنّ اللّغة القويّة هي لغة الأمّة القويّة. واللّغة الّتي تتكلّمها الأمّة، هي في الواقع الطّريقة الّتي تفكّر بها.

٣- الإفادةُ من تجارب الدّول الّتي حقّقت نجاحاً ملحوظاً في مناحي الحياة المختلفة، وأصبح لها وزنها في هذا العصر، مثل: اليابان، وماليزيا، وسنغافورة، وكوريا، وغيرها.

٤- التّواصلُ مع الدّول الّتي يشكّل الدّين الإسلاميّ فيها قاسماً

مشتركاً بينها وبين الدّول العربيّة، وحقّقت تقدمّاً علميّاً ملحوظاً؛ مثل: الباكستان، وإندونيسيا، ذلك أنّها الأقرب إلينا من الغرب، في القيم والمبادئ، والظّروف.

٥- تخصيصُ نسبة مقبولة، من النّاتج القوميّ، للبحث العلميّ، شأن دوَل العالم الأخرى.

٦- الاهتمام بالإنسان العربيّ، تربويّاً، وصحّيّاً، واجتماعيّاً، واقتصاديّاً، ذلك أنّ الدّخول إلى عصر العولمة بإنسان ضعيف، يتقاسمه الفقر والجهل والمرض لن يؤدّي إلى نتيجة مقبولة.

٧- إيجادُ طرح إسلاميّ، يقدّم الحلول لمشكلات العصر، قادرٍ على الإقناع والمنافسة، ويتصدّى للعولمة.

٨- تعريفُ العالم بحقيقة الإسلام ديناً، يدعو للمساواة، والعدل، واحترام الإنسان، وينبذ العنف والتّطرّف والإرهاب. وممّا لا شكّ فيه أنّ اللّغة العربيّة مرتبطة بالدّين، وفي هذه الحالة فإنّ كلاًّ منهما يتأثّر بالآخر.

٩- المساهمةُ بتطوير العلوم، والتّحوّل من مستهْلكٍ إلى شريكٍ في إنتاج المعارف وتطويرها، وبغير هذه المساهمة فإنّ العالم سينظر إلينا على أنّنا عالةٌ على غيرنا..

١٠- القبول بالتّعدّديّة، ووجود طرف آخر مخالف لنا، وقبول الحوار معه، والتّواصل بعيداً عن التّعصّب والانغلاق،

واعتماد قوّة الفكرة، لا فكرة القوّة، في تقديم ما لدينا له؛ انطلاقاً من

قوله سبحانه : (... لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحدة وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ.....)[1]

(١) سورة المائدة ٥ : ٤٨ .

التّوصيات

١- إصلاح النّظام التّعليميّ في البلاد العربيّة، ويشمل ذلك الاهتمام بالكتاب المدرسيّ، وإعداد المعلّم المؤهّل، واتّباع الأساليب التّربويّة الحديثة، واستخدام التّقنيّات المعاصرة.

٢- الإفادة من تقنيّة " الانترنت " في كلّ ما يخدم اللّغة العربيّة، والإنسان العربيّ.

٣- إنشاء قناة فضائيّة متخصّصة باللّغة العربيّة، تعمل على ربط ابن العربيّة بلغته، وتحميه من تأثير الفضائيّات المنتشرة، البعيدة عن هموم العربيّة، وهموم الإنسان العربيّ.

٤- توحيد الجهود الرّامية لإحياء اللّغة، والتّعاون التّامّ بين المؤسّسات المختلفة المعنيّة في الدّول العربيّة.

٥- دعم المفكّرين والباحثين من قبل الدّولة، بتقديم المكافآت المجزية، وتبنّي الأبحاث الجادّة، ونشرها.

٦- اعتماد اللّغة العربيّة في التّدريس في المعاهد والجامعات.

٧- الاهتمام بالتّعريب والتّرجمة، من خلال جهود موحّدة بين المؤسّسة الرّسميّة، والمفكّرين ذوي الكفاءات العلميّة.

٨- الاهتمام بالكتاب العربيّ، ونشره، وتيسير وصوله إلى القارئ العربيّ بسعر معقول يتناسب ودخله.

كلمة أخيرة

ولعل السّؤالَ المُؤَرِّقَ لنا في نهاية هذا الحديث: ما مستقبل اللّغة العربيّة في ظلّ عصر العولمة، والهيمنة الأمريكيّة؟ وهل هي حقّاً مهدّدة بالانقراض؟

إنّني مطمئنّة تماماً إلى أنّ اللّغة العربيّة باقيةٌ خالدةٌ بخلود كتاب الله الكريم، محفوظةٌ بحفظه، وهذا وعدٌ من الله سبحانه، والله لا يخلف وعده، بها يُقرأ ويُتلى إلى أن تقوم السّاعة، وإن كان هناك ما هو مهدّد بالانقراض، فهو أمريكا نفسها، وهذا هو مصير كلّ قوى الظُّلم والطّغيان على وجه الأرض. وسبحان الّذي يُمْهل ولا يهمل، وما من شكّ لديّ بأنّ العقاب الإلهي قادمٌ ولو إلى حين.

وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (١٠٥) إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ (١٠٦) وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ (١٠٧) قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٨) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ (١٠٩) [الأنبياء ١٠٥-١٠٩] .

يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٩) [الصف ٨-٩]

المراجع

١- بنت الشّاطئ، لغتنا والحياة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩م.

٢- جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة، بحوث ندوة ظاهرة الضّعف اللّغويّ في المرحلة الجامعيّة، الرّياض، (١٤١٨هـ).

٣- جامعة الملك سعود، كلّيّة التّربية، ندوة "بناء المناهج: الأسس والمنطلقات"، عقدت خلال الفترة من ١٩-٢٠/٣/١٤٢٤هـ - الموافق: ٢٠-٢١/٥/٢٠٠٣م.

٤- جمعيّة حماية اللّغة العربيّة، الملتقى الأوّل لحماية اللّغة العربيّة بعنوان: معاً نحمي اللّغة العربيّة، الشّارقة، ٢٠٠١م.

٥- حسن شحاتة، مفاهيم جديدة لتطوير التّعليم في الوطن العربيّ، مكتبة الدّار العربيّة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٦- رشدي أحمد طعيمة، الأسس النّفسيّة والتّربويّة والاجتماعيّة لبناء مناهج اللّغة العربيّة في التّعليم ما قبل الجامعيّ، المجلّة العربيّة للتّربية، المجلّد الخامس، العدد (٢)، ١٩٨٥م.

٧- رشدي أحمد طعيمة، الأسس العامّة لمناهج تعليم اللّغة العربيّة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٨م.

٨- سعيد حارب، الثّقافة والعولمة، دار الكتاب الجامعيّ، العين، ٢٠٠٠م.

٩- عبد الفتّاح رشدان، دور التّربية في مواجهة تحدّيات العولمة،

المنظّمة العربيّة للتّربية والثّقافة والعولمة، القاهرة، ٢٠٠٢م.

١٠- محمّد سعيد أبو زعرور، العولمة، الطّبعة الأولى، دار البيارق، عمّان، ١٩٩٨م.

فهرس الموضوعات

اللغة العربية رهينة المحبسين

الكتاب وقاعة الدرس

الظاهرة وضرورات فك القيد

(أزمة لغة أم أزمة وجود)

إعداد

الدكتورة/ ليلى شعبان شيخ محمد رضوان

مقدمة

إنّ الحديث عن أزمة اللغة العربية وعزلتها في محبسين، حديث عن نتيجة آلت إليها اللغة بعد انكفاء متكلميها الذين لم يكونوا أكثر حرية منها؛ بل كانوا وجها للأزمة اللغوية بكل تعقيداتها، لأن اللغة هي الإنسان بتقدمه وتخلفه، بانتصاره وانهزامه، وهي ليست حروفاً وأصواتًا فحسب، بل هي نظام لغوي مشحون بعواطف وانفعالات وثقافات وتجارب شعوب في قرون متتابعة، فالتعبير اللغوي مرتبط بالمحيط الاجتماعي، وإذا ما عجز متكلمها عن استيعاب مقوماتها، أفقدها طاقاتها التعبيرية. لذلك نرى أن المسألة أعمق من عزلة اللغة وتواريها في محبسيها، فاللغة ودلالاتها يكتسبها الإنسان من تجاربه الحياتية، ومع هذه التجارب تتشكل الدلالات، وتتلون بتلون ما يمر به الإنسان من حب وفرح، وانتصار وانهزام، وتفوق وفشل، حتى تغدو جزءاً من عقله، فينمو الإنسان ويكبر حاملا لغته التي اكتسبها، وعلى هذا يكون "البحث في اللغة بحثاً في الإنسان نفسه"[(١)]. في وعيه القومي والديني، وما أن يتكلم هذا الإنسان حتى تشيع لغته بفكره، و ما لم يحصن الفرد نفسه بإتقان اللغة العربية فهما واستخداما، مهما حفظ من عبارات، فإن لغته الأولى تطفو على السطح بكل ما تحمل من عثرات، ويُشْكَل عليه

(١) علم اللغة الاجتماعي: د. كمال بشر، القاهرة، دار غريب، ١٩٩٧.ص:٢٨

وفي بحثنا هذا نناقش هذا الطوق الذي يلف عنق العربية، لنقف على الأبعاد الحقيقية للمشكلة، وأسبابها في عمقها التاريخي، ثم ننظر بعد ذلك في الحلول المتاحة وتقويمها للاطمئنان إلى مدى فعاليتها.

فهم النص ببعديه الديني واللغوي، فالإنسان العربي ينمو وتنمو معه لغة مزدوجة ـــ فصيحة وعامية ـــ على اختلاف المساحة التي تشغلها كل منهما في حياته، والنتيجة لصالح العامية، لأن العربية الفصحى حوصرت في مواقع الحياة المختلفة، وعدت لسان المتخلف مقارنة باللغات الأجنبية؛ حوصرت في وسائل الإعلام؛ فضيعها أشخاص غير مؤهلين ليكونوا رموزاً لها، وحوصرت في الشارع والبيت والمحافل الدولية، وحوصرت في المدارس والجامعات، وخُصص لها وقت معين، فعانت أزمة، أدت إلى تدهور أساليب الحديث والكتابة والتعبير بشكل ينذر بالخطر سواء في المدارس أو المعاهد والجامعات، لذلك تقهقرت إلى محبسين؛ قاعة الدرس ومدرس غابت الفصحى عن لسانه، وكتاب مثقل بالخطل والتلفيق، فشاع الخطأ وكأنه الصواب، واضطرب على ناطقيها تذوقُها.

الظاهرة:

لن أكرر القول بقدسية اللغة العربية، فهو تعبير مبتذل، فُرِّغ من محتواه، يردده كثيرون، ويدنسونه، فغدت القدسية معنى مجرداً، يخالَف عند التطبيق. بل سأكتفي ببيان علاقة اللغة العربية بالشخصية العربية المسلمة بشكل خاص وبالشخصية العربية بشكل عام، نظراً لكون اللغة العربية آخر معاقل العرب. نتيجة لتفتت الانتماءات وخروجها عن مفهوم العروبة.

لاشك في أن علاقتنا باللغة العربية علاقة وجود وتاريخ وهوية ومصير، إنها إشكاليتنا في الوحدة والتجزئة، في الحضور والغياب، في الأصالة والمعاصرة، إنها رمز وجودنا وتقدمنا وتخلفنا، وهي على أهميتها، تراجع بها

مستخدموها، واختصروا وجودها في حياتهم، وأهملوها بوصفها أداة تعبير، وطريقة تفكير، ووسيلة توصيل، لذلك توارت، وغلِّقت عليها الأبواب، ترسف في أغلالها، يعضها القيد، وتنتهك حرماتها.

فالأزمة إذن أزمة حامل اللغة؛ فرداً ومجتمعاً، لارتباط ظاهرة العجز اللغوي بالواقع وأزماته الكبرى، فاللغة "يسقط أكثرها ويبطل بسقوط دولة أهلها ودخول غيرهم في مساكنهم أو بنقلهم عن ديارهم واختلاطهم بغيرهم، فإنما يفيد لغةَ الأمة وعلومها وأخبارها قوةُ دولتهم ونشاط أهلها وفراغهم، وأما من غلب عليهم عددهم وانشغلوا بالخوف والحاجة والأجل وخدمة أعدائهم، فمضمون منهم موت الخواطر، وربما كان ذلك سببا لذهاب لغتهم ونسيان أنسابهم وأخبارهم، وبيود علومهم، وهذا موجود بالمشاهد معروف بالعقل ضرورة"[١] فالأزمة إذن ليست أزمة اللغة في ذاتها، لأن اللغة العربية في حقيقتها مرنة طيعة، وسعت العلوم قديماً، وعبرت عن حياة الإنسان في عصوره المختلفة، فقد اعتمد ناشرو الدين الإسلامي على الحجة والمناقشة وتبادل الأفكار بين أمم ينتمون إلى أعراق مختلفة ولغات متباينة، بلغة عربية مبينة، فتلازَم نشر الدين واللغة، مما جعل اللغة العربية لغة الحضارة الإسلامية، امتدت امتداد الرقعة التي أنارها الإسلام العظيم، فكانت لغةَ الدعوة الإسلامية، ولغة الفتوحات، ولغة العلم والترجمة والإبداع الأدبي والفني، مما جعل المسلمين يتسنمون مكانة مرموقة بين المجتمعات العالمية، وهذا يعني وجود علاقة طردية بين النمو والازدهار من جهة وبين رقي اللغة من جهة أخرى، هذه العلاقة الجدلية تفضي إلى القول بأن اللغة العربية أزكت

(١) الإحكام في أصول الأحكام:ابن حزم، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبة الخانجي، مكتبة السعادة، مصر، ١٣٤٥ ص:١٨٢.

حضارة عظيمة، وكانت الأداة الفعالة في تكوين الفكر الديني. فكانت مرآة الفكر في كل عصر، وعت تجارب الأمم والشعوب، وتميزت بتعدد مصادرها الثقافية والفكرية، فعبرت عن كل ذلك الفيض الفكري بكفاءة نادرة، فكانت مهمة للمعرفة الإنسانية.

لقد كانت الحضارة الإسلامية عربية الروح والجوهر والبنية لأن العربية لسانُها الذي عرفت به، ونقلت عنها الحضارة الغربية باللسان نفسه. هذا بالإضافة إلى أن العرب استطاعوا بعد أقل من قرن على بداية العصر العباسي أن يدونوا خلاصة الحضارات اليونانية والهندية والفارسية باللغة العربية (مثل ترجمات أرسطو وأفلاطون، وكليلة ودمنة، والمؤلفات الفلسفية وغيرها) فلو لم يكن أهل اللغة جديرين بهذا الفضل، ولو لم تكن العربية قادرة على النقل والترجمة ومتمكنة منه، لما أتيح لهذه الثقافات أن تنتقل إلى تراثنا، فأقام المترجمون جسوراً بين العلوم والأدب والفلسفة الوافدة، وتخلصوا من حاجز اللغة، ومزجوا هذه العلوم المختلفة بالحضارة العربية، فتجاوز العرب إسار اللغة، وانطلقوا إلى آفاق الابتكار والتجديد والتعديل والإضافة، فكانت حركة الترجمة إلى العربية، ونقل ثقافات الأمم المجاورة، ووجود مراكز علمية تنشر المعرفة والفن في بيئات العراق والشام (قنسرين، جنديسابور، الرها،حران) من أهم مظاهر حيوية هذه اللغة في الماضي(١).

---

(١) مقال للدكتور أحمد دهمان، مجلة التراث العربي- مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد١٠٢ السنة السادسة والعشرون، نيسان ٢٠٠٦، ربيع الثاني ١٤٢٧. ص: ٩٠.

وبتقدم الزمن، نال التغير مناحي المجتمع، وحدث صراع بين القديم والجديد، ولكن اللغة العربية ازدادت ازدهاراً، إذ إنّعكس التطور الاجتماعي وتغيُّر البيئة من البداوة إلى الحضارة عليها، وما جرّ هذا الانتقال من أثر على مفرداتها واستعمالاتها خير مثال على ذلك، فليس شعر القدماء كشعر المحدثين رقة وعذوبة، وذلك لأن " اللغة ليست شيئاً قاراً ثابتاً على حال واحدة، أو على شكل بسيط، أو على نمط منعزل عن حياة المجتمعات البشرية وتغيراتها، إن اللغة منظومة تعيش في تاريخ جارف من الأحداث والعواطف، والسلم والحرب، والموت والحياة، فالأمم تحيا بتحولات متعاقبة في تاريخها. واللغة هي التي تخلق وأحدية الحياة المشتركة، رغم التعدد والتطور، ورغم الامتداد الزماني. اللغة وحدها تنفرد بهذه الواقعية المثآلية التي تكوّن حقيقة محايدة إن صح هذا التعبير سواء نظر إليها من الداخل أو من الخارج، فلغتي هي لي بمقدار ما أستطيع أن أنتسب إلى أمة تربطني بها تعابير مشتركة، نتوارثها جيلاً عن جيل من الرضاع إلى اللحد"[١] واللغة التي نقصد ما تشحن به من عواطف وانفعالات وثقافات وتجارب في قرون متتابعة، " فكلما اتسعت حضارة الأمة وكثرت حاجاتها ومرافق حياتها، ورقي تفكيرها، نهضت لغتها"[٢].

هذه حال اللغة العربية في تاريخنا الزاهي، أما ما آلت إليه في عهود

---

(١) اللغة والثقافة:مقال للدكتور محمد عزيز الحبابي، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ج٣٠ شوال ١٣٩٢.ص: ٩٥

(٢) اللغة والمجتمع: د. علي عبد الوأحد وافي، دار نهضة مصر، ١٩٧١. ص:١٠– ١١.

الانحطاط فإنه يتخذ شكلا آخر، يحاكي الانحطاط العام الذي أحاق بالأمة، فانكماش العرب في عصور الانحطاط والرواسب التي خلفتها، كرست التخلف والفئوية الضيقة، فانكمشت اللغة تسليماً بمقولة العلاقة الطردية بين اللغة والتخلف، أو بين اللغة والتقدم[١].

وفي عصرنا الحالي تعقدت المسألة، وطفا صراع من نوع آخر؛ إنه صراع قيم، لم يتخذ شكل الصراع بين جديد وقديم ذلك الذي ألمحنا إليه، وقصدنا منه بيان موقف اللغويين من التطور اللغوي، بل اتخذ شكلاً خطيراً؛ رسم ملامحه صراع بين أحقية الفصحى في الاستخدام وبين لهجات محلية، تمثل انقطاعاً عن الدين والهوية والتراث، وهنا مكمن الخطورة؛ لأن الأفكار المنحرفة تجد صداها عند الأفراد المفرغين من الأصالة لضحالة ثقافتهم، فيغيرون قناعاتهم بين عشية وضحاها، مما يفرض حالاً من التشويش الذهني الذي يتجلى في طريقة التعبير.

إن ازدواجية الفصحى والعامية اتخذت في عصرنا طابع العجز اللغوي، فمن يركن إلى العامية من المدرسين والطلاب، يركن إليها عجزاً، فهو غير قادر على استخدام الفصحى فيما لو أراد، وهنا مكمن الخطورة، وليس في ظاهرة الازدواج نفسها؛ لأنها ظاهرة قديمة، فرضتها الحياة العربية منذ فجر العربية، فكانت لهجات القبائل واللغة الأدبية المشتركة تسيران معاً؛ إذ شكلت الأولى لغة التفاهم، في حين شكلت الثانية لغة الأدب والعهود

---

(١) سوسولوجيا اللغة: بيار أشار، ترجمة: عبد الوهاب ترو، دار عويدات، بيروت،١٩٩٦، ص:٢٤.

والمواثيق، وكانتا متقاربتين؛ " لأن اللهجات ليست لغات مستقلة، بل هي اختلافات صوتية وصرفية بين القبائل تتعلق بظواهر الإمالة والفتح والهمز والتسهيل والإدغام والوقف والتصحيح والإعلال والقصر والمد وما إلى ذلك من أمور لم تكن عائقا أمام التواصل، كما أنها لم تكن، منفردة ومجتمعة، بعيدة عن اللغة الأدبية التي اصطفيت منها"(١).

إن هذه الازدواجية – مستوى التعبير الفصيح والعامي – لم تمنع من دخول الفصيحة معركة الحضارة، وفوزها فيها، وتألقها، إبان عصر الازدهار.

أما في عصرنا الحإلى، فكانت المشكلة أعمق؛ لابتعاد الشقة بين الفصحى والعامية نتيجة تراكمات عصور الانحطاط والاستعمار ونفوذ الأجنبي الذي شكل تربة خصبة لنمو العاميات. فكانت الحروب، وما جرت من احتلال، واستباحة ثقافة الغالب للمغلوب والهيمنة عليها، وقد تركت هذه العمليات آثارها على ثقافات الشعوب والأمم؛ ذلك أن المحتل يسعى دائماً من أجل إطالة عمر الاحتلال لفرض النمط الثقافي الذي يسهم في ترسيخ احتلاله.

هذا كله يدفع بنا إلى النظر إلى مسألة الازدواج على أنها خطب، وربما تجلى هذا الخطب بصورة قاتمة لدى القائمين على العملية التربوية الذين لم يتقنوا الفصحى سليقة، ولم تترسخ تقاليدها في أذهانهم، لذلك كله تسارع العامية إلى لسانهم فيما لو أرادوا التعبير عن موقف ما، وفيما لو أتقن هؤلاء اللغة الفصيحة، لعصفوا برياح العامية الهوجاء.

---

(١) قضايا اللغة العربية في العصر الحديث: سمر روحي الفيصل، نشر وزارة الثقافة، الإمارات،٢٠٠٩. ص:٧.

ولعل هذه الظاهرة، تمثل معضلة عصية على الإصلاح الجزئي؛ لأنها تتطلب إصلاحاً شاملاً يتناول الشخصية العربية من المهد. فالمشكلة إذاً مشكلة الإنسان العربي الذي استسهل كل شيء؛ استسهل العامية التي واكبت حياته منذ الطفولة الأولى، فاكتسبها، وحلت محل الطبع، فالطفل يحاكي محيطه، فيتعلم لغته،[1] ومعلوم أن الاكتساب الذي يتم في غيبة الإرادة والوعي قوامه التقليد، " تقليد من حوله، فيسمع الطفل التفاصيل الصوتية الدقيقة (الخاطئة)التي ستصبح جزءاً من معرفته التي لن يكون باستطاعته الإحساس بها عندما يكبر"[2] إلا إذا قُيض له من يتعهد لغته، وينمي لديه دوافع التعلم[3].

هذا الطفل عندما يدخل المدرسة، يحتاج إلى أن توظف مهاراته ومواهبه توظيفاً صحيحاً، يخدم مستقبله، ولكن يُدفَع به إلى مدرس اتخذ التعليم مهنة، يفشل في تقويم لسانه، ويكرس العامية واعوجاج اللسان، فيصاب الطفل بالإحباط كلما تدرج في صفوفه؛ لأنه يجهل العربية، فينفر منها، وقد يمضي في طريقه التعليمي إلى آخر الشوط، ويتخرج، ولكنه يعجز

(١) اللغة والحياة والطبيعة البشرية: روي هجمان، ترجمة داود حلمي وأحمد السيد، ط١٩٨٩،١.ص:١٢٤

(٢) اللغة ومشكلات المعرفة: نعوم تشومسكي، ترجمة:حمزة قبلان المزيني، دار توبقال، الدار البيضاء، ط١ ١٩٩٠.ص:٥٣

(٣) أثر الجامعة في التعريب والتعليم العالي: د.عبد السلام ألتونجي، مؤتمر التعريب، جامعة دمشق، ١٩٨٦. ص: ٦.

عن التحدث بلغة عربية سليمة، أو أن يعبر عما يريد بوضوح. فكيف يمكن أن يعلم الطلاب ؟ أو أن يربي أبناءه علي القيم الدينية والعربية وهو يجهل ماهيتها لجهله فهم النص، فتتحول القيم إلى مسميات مجردة مفرغة من معناها، ونتيجة لذلك برزت ظاهرة اللفظية لدينا، وكثر تذمر الشباب من واقع الحياة في أوطانهم، وتصاعد المد الغربي في الملبس والمأكل والعلاقات الاجتماعية ولغة الحديث والمحادثة، وكثرت المقارنات بين الشرق والغرب، وظهرت ردات الفعل غير المتروية، وعدم الثقة بما هو عربي، وغذى هذه النزعات مستعمر وجد في اللغة العربية تمثيلا لأهم خصائص الوجود العربي؛ تشد العربي إلى دينه ووطنه، وتغذي مشاعر الانتماء، فعمل على تحطيمها وتعزيز اللهجات العامية فاتهم العربية بالقصور، وعدم القدرة علي مواكبة العصر، ونفث سمومه على تراثنا العربي الديني، واتهمه بالإرهاب والتخلف، وحاول تدنيس المقدسات الإسلامية.

إن الحاضن الرئيس لهويتنا ووجودنا هو اللغة، والتنكر لها، هو تنكر للشخصية العربية في بعديها الإسلامي والعربي.

هذه هي الظاهرة بكل أبعادها؛ لغة عربية فصيحة تحمل خصوصية تاريخية ودينية، تمثل فكر الأمة وثقافتها، نمت خلايا غريبة على جسدها، وصاحبتها علل مرضية أصابت الأمة العربية، لم تكن تعرفها إبان عصور ازدهار اللغة.

واللغة العربية التي سحب البساط من تحتها في كل مكان، اعتقدنا أن آخر معاقلها: قاعة الدرس والكتاب، فهل كانا ملاذين آمنين؟

وهل اللغة تحيا بمحبسها؟

ألا تحمل القاعة الدرسية صورة المجتمع ؟

أسئلة نحاول الإجابة عليها، لنوصِّف الحال، ونضع الحلول المتاحة.

قاعة الدرس:

قامت الجامعات العربية –بمعناها المجازي – في عصورنا الخالية على حيوية المعرفة(١)، وهو مبدأ إسلامي، إذ انتشرت اللغة العربية مع انتشار الدين الإسلامي، ودرّست العلوم المختلفة باللغة العربية، فسايرت التقدم، بابتكار أهلها كلمات ومصطلحات، وسعت العلوم الجديدة التي انتهت إليها من أصقاع الدنيا. كان العرب أقوياء، فقويت لغتهم بهم، لأنهم فهموها، وآمنوا بها، فطوعوها لمستجدات الحياة والعلم، وكان لهم ما سعوا إليه. إن مبدأ الانتشار وعدم التخصيص، كفل للعربية الحرية، فكانت صالحة لكل زمان ومكان.

وفي عصرنا الحإلى، لاقت اللغة العربية العنت منذ المرحلة الأولى للتعليم إلى أرقاها، حيث حوصرت في مدة لا تزيد عن خمسين دقيقة، يفترض أن تكون لغة التدريس فيها العربية الفصحى، ولكن المدة تلك لم تكن خالصة للعربية فقد "رسخت المؤسسات التربوية قاعدة خطيرة هي أن العمل اللغوي مهمة القائمين على تدريس مادة اللغة العربية. أما المواد الأخرى فلا علاقة لها باللغة العربية"(٢) وبقيت هذه المواد رهن إرادة المعلم، الذي يكيف نفسه

---

(١) قضايا اللغة العربية في العصر الحديث:د: سمر روحي الفيصل، جامعة الإمارات، العين، ٢٠٠٩.ص:١٤-١٥.

(٢) فلسفة اللغة:د. كمال يوسف الحاج، دار النهار، بيروت، ١٩٦٧.ص: ٢٨٢.

مع لهجته كيفما يريد، وإذا ما اضطر تحت رقابة من موجهي التربية إلى الحديث بالفصحى، فإنه يتعثر، ويصعِّب الممرات ويلف ويدور حول الفكرة، فيعجز، ويقع في مهاوي اللفظية الخطرة. وتزداد الصورة قتامة في المواد الدراسية الأخرى كالعلوم، فالنص عادة يكون فصيحا، والمدرس يدرسه بالعامية واللغة العربي بطبيعتها " لا تتجزأ ولا تكون صالحة للأدب دون أن تكون صالحة للعلوم، ولا تكون صالحة في الشارع دون أن تكون صالحة في التعليم، ولا تكون صالحة في المرحلة الابتدائية دون أن تكون صالحة في المرحلة الجامعية"(١).

إن مسألة التخصص أضرت باللغة العربية، فأُعفيت أقسام العلوم من الفصحى، وأُعفيت تلك الأقسام في جامعات لا يستهان بها من العربية – الفصحى والعامية – وغدت لغة التعليم فيها الإنكليزية.

لقد نسي كثيرون أن اللغة سلوك وعمل، وقصور العربي لغويا، يعني قصوره فكريا؛ لأن امتلاك الإنسان للغته يطلق لسانه، فاللغة حاملة الفكر والعاطفة، وإذا ما تفككت البنية الفكرية للإنسان غدا أكثر استعدادا للأفكار الوافدة، مما يؤدي به إلى حالة من القلق على مستوى الانتماء. لذلك عندما يتعرض المجتمع لتغيرات ثقافية، تحدث هزات عنيفة فيه، فتتغير طرق التفكير، وتختلف النظرة إلى الموروث.

لذلك كله تراجعت اللغة العربية عن مكانتها لعجز أبنائها وقصورهم في التعبير، وجهلهم بخصائصها. ووصل العجز بأبنائها إلى درجة أن طالب

---

(١) مقال للدكتورة مها خير بك ناصر: مجلة التراث العربي، ص: ١١٩.

اللغة العربية يعجز عن التعبير عما يريد بلغة صحيحة، ولا يشعر بالذنب إزاء قصوره شعوراً يدفعه نحو التزود بزاد المعرفة.

وبناء على ما تقدم، تتحدد أبعاد المشكلة التي تعانيها اللغة العربية في قاعة الدرس بـــ المدرس أولا، وبـــ الكتاب، أو المناهج المقررة ثانياً.

المدرس:

لا يخفى على أحد أثر مدرس اللغة العربية – والمدرس بشكل عام – على النشء، فهو المربي أولاً، والمعلم ثانياً، وتشمل التربية: تبصير الطالب بأمور دينه، وتربية حسه القومي، و تنمية شعور بالاعتزاز بانتمائه العربي؛ وبيان صلة الإسلام بالعروبة والعربية، وتخصيص ساعات لتربية روحه وفكره، واكتشاف ملكاته، وتنميتها(١).

وتتلازم العملية التربوية هذه مع العملية التعليمية. ولكن المدرس يعاني من مشكلات تحول بينه وبين القيام بمهامه الموكولة إليه، منها تكوينه العلمي، واستعداده الخاص ومدى تفاعله الثقافي، إضافة إلى ضغوط الحياة وتعقيداتها(٢).

مشكلات المدرس:

أولى مشكلاته: (العجز اللغوي)

---

(١) قضايا اللغة العربية في العصر الحديث:د: سمر روحي الفيصل، جامعة الإمارات، العين، ٢٠٠٩.ص:١٤-١٥. في فقه اللغة: عبده الراجحي، دار النهضة، بيروت ١٩٧٢، ص: ١٥٣-١٥٤.

(٢) في فقه اللغة: عبده الراجحي، دار النهضة، بيروت ١٩٧٢، ص:١٥٣-١٥٤.

المدرس هو الشخص ذو التأثير الحاسم في عملية التعليم، وهو المتكلم الفاعل في القاعة الدرسية، الذي يستطيع أن ينهض باللغة العربية وإن لم يتوافر الكتاب الجيد والمنهج المتوازن، فالمنهج المتوازن والكتاب الجيد لا يخلقان مدرسا في حال ضعفه، وضعف المدرس ينعكس سلبا على العملية التربوية برمتها، والأنموذج الذي نتحدث عنه هو المدرس الذي امتهن التدريس وسيلة للعيش، فهو بعد تخرجه، انقطع عن القراءة التي تربطه بحركة الثقافة التي تفتح أمامه السبيل إلى النظريات التربوية وما استجد فيها، فتضمر معارفه، وتضمحل لغته، وهو لم يخلق مدرساً، بل كان طفلا درج في محيط يتحدث العامية، ويستخف باللغة العربية، في مجتمع يفاجأ كل يوم بالاختراعات المذهلة، التي لم يعد قادراً على التعبير عنها من خلال اللغة العربية الفصيحة – لضعف قدرته – التي هي بآلياتها الداخلية تتوافر فيها مقومات الكتابة والتفكير ودرجات عآلية من الرقي البنيوي، وتتبلور الإشكآلية في بعد أكثر خطورة باستعمال اللهجة العامية التي لا يستطيع أن يتعامل معها فكرياً لعدم احتوائها على الأدوات والإلىيات الضرورية للتفكير لكونها ليست لغة ثقافة وفكر. ومن ثم أصبح المدرس يعيش تناقض اللغة الفصيحة المثال واللغة العامية بوصفها واقعاً، هذا التناقض أحدث خلخلة في الشخصية العربية وتوازنها، فهذه الازدواجية في اللغة العربية كانت ولا تزال تشطر أفكار التلاميذ وأحاسيسهم وحياتهم نصفين.

فالعامية والجهل بخصائص اللغة العربية الفصيحة أولى مشكلات المدرس، وينتج عنها جمود المعرفة؛ لأنه لا يستطيع نقل أفكاره إلى تلاميذه،

فيكبرون وهم يعانون " من قصور في التعبير عن الابتكارات العلمية والتطور التكنولوجي، ويقفون عاجزين عن الدخول في حقول المعرفة العلمية، والتعبير عن خبراتهم بألفاظ عربية، لأن الملكة اللغوية، التي تشكل العامل الأهم في استثمارات مبتكرة إبداعية، غير قادرة على مواكبة متطلبات العصر".[١] فالمؤسسة التعليمية دفعت أبناءها للجوء إلى لغة أخرى لنقل أفكارهم، لأنها لم تهيىء لهم " اتصالا وثيقا باللغة العربية، ليس لأن اللغة العربية عاجزة عن استيعاب هذه الألفاظ، ولقد استطاعت العربية في فترة مبكرة من تاريخها أن تستوعب من هذا القبيل ما هو أكبر – في زمانها – مما هو في زماننا، وقد كان ذلك ميسورا لدى العلماء العرب؛ لأنهم كانوا يعرفون خصائص لغتهم "[٢].

وهذا القصور عن التعبير، يرتبط بكيفية إنتاج اللغة الذي يرتبط بالفكر الذي يستوعب الشكل والمعنى الجوهري، ثم يحول هذه المرئيات ألفاظاً تشير إلى المعنى الحاصل في العقل[٣] أي " الصورة الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان، فكل شيء، له وجود خارج الذهن، فإنه إذا أدرك، حصلت له صورة في الذهن تطابق لما أدرك منه، فإذا عُبر عن تلك الصورة

---

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: حازم القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، ط١ ١٩٨٦.ص:٨٠

(٢) من مقال للدكتور سمر روحي الفيصل في الأسبوع الأدبي، العدد ١١٢٢، تاريخ ١١/ ١٠/ ٢٠٠٨.

(٣) الثقافة والعولمة: د. سعيد حرب، دار الكتاب الجامعي، العين، ٢٠٠٠. ص: ١٥.

الذهنية الحاصلة من الإدراك أمام اللفظ المعَبر به عن هيئة تلك الصورة الذهنية في أفهام السامعين وآذانهم، فصار للمعنى وجود آخر من جهة دلالة الألفاظ." [١].

وهذا الجهل لا يقف بالإنسان العربي عند حد استخدام لغة أجنبية،كما ذكرنا، بل المسألة أخطر من ذلك؛ وهي الانقطاع الفكري عن الماضي – التراث – فيضل في الحاضر، لأنه قلد الحداثة تقليداً شكلياً زائفاً من دون هضم القيم التي بنيت عليها. وهذا ما دفع أحد الباحثين في علوم اللغة العربية وقضاياها إلى الكشف عن خشيته مما أحاق بالمجتمع العربي وترك أثراً فاضحا على اللغة بالقول " أعتقد بأنني خائف في الوقت الراهن على الفكر العربي وعلى هوية المجتمع العربي التي تجسده، وقد أشرع أخاف على اللغة العربية في العقد القابل. أما مسوغ الخوف الراهن على المجتمع العربي؛ فهو غزو الحياة الحديثة والعولمة. أما الحياة الحديثة فقد دخلت المجتمع العربي في الثاني من القرن العشرين دون أن يكون معدا للاندماج فيها، فالسيارة على سبيل المثال لا الحصر، آلة لم تأت إلينا جامدة، بل جاءتنا وهي تحمل معها فكر صانعها الحديث، بما يضمه هذا الفكر من حاجة إلى سلوكيات وعادات جديدة، وإلى نبذ السلوكيات والعادات القديمة، ولكننا ركبنا الآلة الجامدة، ولم نتحل بالفكر العلمي الذي صنعها، أو مهد لصناعتها وبناء حضاراتها الحديثة. وما إن شرع المجتمع العربي يتكيف مع الأشكال الأولى البسيطة للحياة الحديثة في ثمانينات القرن العشرين وتسعيناته حتى عصفت به رياح العولمة بفضائياتها واقتصادها وأفكارها الغربية المسيطرة المناهضة للفكر العربي، النابذة للمجتمع القديم الآمن

(١) تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي، د.أسعد علي، ص: ٣٣.

والحديث الآخذة بالتشكل، الراغبة في أن تجعل الإنسان تابعا ذليلا لها..... أما اللغة العربية فموقفها أكثر قوة في مواجهة الحياة الحديثة، لأنها أثبتت، طوال القرن العشرين قدرتها على ابتداع المصطلحات في العلوم والفنون والآداب كلها، ونجاحها في تدريسها وغرس مهاراتها والتاليف فيها، وقد أثبتت الدراسات غنى اللغة العربية ومرونتها وطواعيتها في العصر الحديث، ولا أظن بأن شيئاً من ذلك كله يمكن أن يتغير في أثناء مواجهتها رياح العولمة، بيد أن ذلك لا يعني الاطمئنان، بل يعني القلق، تبعا لتوافر الارتباط بين هوية المجتمع العربي واللغة العربية "[١].

إن مواجهة العرب قديما لعلوم الآخر ومخترعاته، شكل تجربة سابقة، جديرة بأن تتخذ قدوة مع التمعن في اختلاف الوضع العربي بين الماضي والحاضر. فما تعانيه الشخصية العربية من أزمات التردي الاجتماعي والتجزئة السياسية، جعل كل قطر يواجه التحدي منفردا، وهذا ما جعل كثيرين ينظرون إلى اللغة العربية على أنها عاجزة لا تقوى على استيعاب الابتكارات الحديثة، والحقيقة خلاف ذلك؛ فالعجز يكمن خارج اللغة، إنه يكمن في الوضع العربي، وعندما نعيد بناء الشخصية العربية ونصوغها من جديد، فإننا نقف على العتبة الأولى في البناء.

وصوغ الإنسان يكون بتحديد هويته العربية، تكون اللغة العربية أبرز مميزاتها[٢]. إن عجز المجتمع العربي عن مواجهة التحديات نابع من انفصاله

---

(١) نظرية الأدب: رينيه ويليك وأوستن وارين، ترجمة: المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، دمشق، ص:٢٢

(٢) الثقافة والعولمة: د. سعيد حرب، دار الكتاب الجامعي، العين، ٢٠٠٠. ص: ١٥.

عن لغته، وإعجابه بالشخصية الغربية، فهو إما منفتح إلى أبعد الحدود، أو منغلق إلى أبعد حدود الانعزال، متأرجح بين التراث والمعاصرة، يوظفهما حيث يشاء. إن تفكك المجتمع وعجزه بهذا الشكل لا حل له إلا" بصوغ الإنسان من جديد"[(١)].

فالجهل بالعربية يدفع المدرس إلى تكرير عبارات جاهزة يدور في فلكها، وقد لا تعبر عن المعنى الذي يريده، ولا تتسق مع السياق الذي يتحدث فيه، فيغرق في **ظاهرة اللفظية**، وتصبح كلماته خاوية المعنى، فيقتل حيوية اللغة، ويبتعد عن المطابقة بين الموقف والمقال، ويتحجر تعبيره لاستخدامه ألفاظ مجردة من مدلولها، عندئذ يعجز التلميذ عن متابعة المدرس، فيشغل نفسه، ويلهو، ويفقد الصلة مع مدرسه، ويبتعد عن لغته التي لا يفهمها.

وهذا العجز اللغوي الذي يعانيه المدرس، ينعكس على **طريقة توضيحه الكلمات**، فإذا أراد شرح مفردة، حام حول المعنى، ولم يحققه، وفي أحسن حالاته يستعين بالشرح بمفردات أكثر غموضاً وإبهاماً، أو يلجأ إلى عبارات رنانة لتي لا يمكن أن تعبر إلا عن خوائها.

ولاشك في أن عقابيل الضعف اللغوي تتغلغل في فكر المدرس، وتنعكس على ما يقوم به داخل القاعة، فتقل ثقته بالطالب، لذلك يغيب البحث الذاتي والتعلم الذاتي، فتذوي رغبة البحث عند الطالب، ويدب الكسل في نفسه، ويكتفي بأخذ المعلومة جاهزة، التي قد تكون خاطئة.

أما الواجبات، فلن يكون حالها أفضل، ما دام المدرس الخاص

(١) الثقافة والعولمة: د. سعيد حرب، دار الكتاب الجامعي، العين، ٢٠٠٠. ص: ١٥

موجوداً، لأنه هو الذي يقوم بحل الواجب، ولا يكلف نفسه مسؤولية إفهام الطالب أهمية الواجب، وضرورة أن يبحث الطالب عن الجواب الصحيح، ويعرف أبعاده، وماذا أكسبه، وماذا أضاف إلى معارفه، وكيف يربط بين معارفه والمحيط، لأن المدرس الخاص مرتبط بوقت محدد، سيلحق بطالب آخر. علاوة على أن المدرس لا يهتم إلا بتأدية الطالب للواجب، ولا يكلف نفسه عناء التصحيح، ليعيد الطالب النظر في أخطائه.

وقد أسهم هذا الوضع المتسم باللامبالاة، وغياب المنهجية، وعدم وجود إليات التراكم المعرفي، أسهم في انحطاط اللغة العربية، لأن اللغة موات بلا استخدام، واللغة " مترل الكائن البشري ومرآة فكره، يلجأ إليها لتأكيد وجوده، وينطلق بها لتحقيق رغباته، ولكن المنازل تغنى بسكانها، والمرايا تصفو وتجمل بالعيون الناظرة إليها، والوجوه المصورة عليها، فإذا هاجر السكان، أو ماتوا خلت المنازل، وافتقر غناها، فهم روحها التي بها تحيا"[٢].

اللغة العربية ليست مجرد مادة هامدة كالحجر[٣]، بل كائن حي، ينمو، ويتطور، وهذا توكيد لصلة التعبير اللغوي بالمحيط الاجتماعي، الذي يوضح الوظيفة التواصلية للغة.

وتتجاوز الآثار المترتبة على هذا الوضع اللغة العربية بحد ذاتها إلى ما ترتبط به من الوعي الديني والوعي القومي، واللحاق بركب الحضارة، فالتردي اللغوي تابع للتردي الثقافي الذي حطم الروح الوطنية للفرد في مجتمعنا، وجعل انتماء الفرد لأضيق الدوائر المحيطة بالذات، وهي المصالح الشخصية، مما أضعف إمكانات تنامي الشعور الوطني، واستعدادات التصدي الجماعي للهجمات الكبرى وهنا الطامة

الكبرى، لذلك لابد من تصور حلول لعلها تنهض بلغتنا، لننهض بها، ألم تكن اللغة العربية ملاذاً للعرب في ظل محن التاريخ؟ ألم يلوذوا بها لحماية هويتهم وأصالتهم[١]؟ علينا أن نربي روح المواطنة والانتماء لدى الفرد التي تؤهله للتصدي للمعضلات، وتجعله يدافع عن وطنه. فاللجوء إلى العامية "دليل تفكك فكري لغوي منحدر"[٢]، يحول الأفراد إلى مجموعة بشرية وليس إلى مجموعة ثقافية مترابطة. ولاتخفى خطورة هذا الأمر على التجانس الثقافي للعرب، والمحافظة على قوام الشخصية العربية. لقد انشغل الفرد العربي بأشيائه الصغيرة، وتناسى واجباته، وهذه أحدى 'معضلات المدرس التي تغافل عنها، أو التي لم يعها أصلاً.

هذا يبين أن الضعف اللغوي يؤدي إلى انعدام الوعي القومي وعدم المسؤولية والاستهانة باللغة العربية والمجتمع العربي، فقد درج بعض المدرسين على ترديد عبارات من مثل:

(من يعمل، ومن لا يعمل نفس الشيء)

(من يفهم ومن لا يفهم لست مسؤولا مادمت قد شرحت الدرس)

(أين تصرف كلمات الشكر)

(لو قضينا العمر بتثقيف أنفسنا لما ازداد الراتب)

إنها غيض من فيض العبارات التي يرددها بعض المدرسين مستندة إلى مواقف مختلة، تولد سلوكيات معتلة، تنعكس

---

(١) – تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي، د.أسعد علي، ص: ٣٣.

(٢)– من حاضر اللغة العربية: سعيد الأفغاني، دار الفكر، ط٢، ١٩٧١.ص:١٦.

على طريقة تعامل المدرس تربوياً مع الطالب، فتضيق مهمته، وتنحصر في تلقين المعلومة باللغة التي تتناغم مع هذا السلوك الانهزامي. فينشأ الطالب و لم يع أهمية اللغة العربية، ووظيفتها التواصلية، وأثرها في تكوين الذات وتكاملها وتوازنها. وتزداد المشكلة تعقيداً عندما يرفض هذا المدرس النقد، ويعده موقفاً شخصياً عدائياً، تترتب عليه مواقف كيدية، تدفع بمن يريد تقويم الاعوجاج أن يصمت خشية العداوة الشخصية إلا في حال دعم المؤسسة التعليمية له.

الكتاب:

المحبس الثاني للغة العربية: الكتاب، الذي لا تمتد إليه يدًا الطالب للمطالعة والثقافة، لا لأنه لا يحب القراءة فقط، بل لأنه لا يفهم ما يقرأ، ويجهله لأنه انقطع عن توليد ما يقرأ، لا يستثيره سؤال من القراءة، ولا يفتح شهيته للقراءة، ولأن الثقافة آخر اهتماماته، و لم يعد منها كبير فائدة في نظره. لذلك نناقش مسألة الكتاب بشكل عام والكتاب المقرر في معاهد التعليم بشكل خاص، الذي يأتي ضمن سيل من كتب، تصعّب الممرات، وتضيقها، وتحجر علوم اللغة العربية، وتعجز عن الوفاء بما تقتضيه القيم الروحية للعصر الذي يعج بكل جديد. فالمناهج تخاطب القارئ بما يعجز عن فهمه، مما يؤدي إلى ضياعه أو ضلاله.

وكلامنا هذا لا نقصد به تلك العلامات المضيئة في ثقافتنا المعاصرة، فكتب هؤلاء مستثناة من حديثنا، وإنما قصدنا الكتاب الذي يؤلف وينشر ويوزع لأهداف تجارية في معظم الدول العربية على غير قاعدة أو ضابط، فالتخصص فيه منعدم، والترجمات تتكرر للكتاب الوأحد من دون أدنى

مراجعة أو مقارنة بين مختلف الترجمات والأصل الذي نقلت عنه. والكتب القديمة، نشرت ويعاد نشرها بلا تحقيق في الأعم الأغلب، وبتحقيق غير واف مما يسيء إلى الأمانة العلمية، ويشوه الثقافة، فضلا عن الأخطاء الأخرى في الطباعة.

إن الكتاب العربي يعاني ما يعانيه المجتمع العربي من اضطراب، فيطغى عليه الأسلوب الصحفي والإذاعي، والسطحية في مناقشة الفكرة، والتكرار الممل لأفكار عالجها كتاب آخرون، فكرروا النتائج ذاتها من دون تمحيص أو نقد وتقييم سليم، علاوة عما يشوب اللغة من أخطاء لغوية تعزى إلى المطبعة أو إلى استعمالات لغوية، وهي في حقيقتها استعمالات لم تعرفها اللغة على امتداد تاريخها الطويل.

أما الكتاب المدرسي، فهو مادة تلقين لا تثقيف لانقياد مؤلفه إلى المناهج المقررة انقيادا أعمى. ولكننا لانعدم بعض محاولات التجديد في دول عربية متعددة في السنوات الأخيرة.

وما إن نصل إلى الكتاب الجامعي حتى نجد أنفسنا أمام أخطر الأسباب التي تنفر الطالب من الإقبال على اللغة العربية، فالمقرر الجامعي يتم تقريره طوال سنوات متعددة، ولا يخضع للتقويم المستمر لاستبداله بكتاب آخر يحقق الأهداف المتوخاة من التعليم الجامعي الذي يستند في أساسه إلى البحث الذاتي عن المعلومة في مظانها.

وهناك جامعات تشترط للترقية إلى مرتبة علمية أعلى أن يؤلف عضو هيئة التدريس كتابا جامعيا، فيأتي الكتاب تلفيقا في مجمله، لا يقدم

رؤية واضحة، بل يأتي تكريسا لنتائج سابقة، وردت في كتب سابقة، بلا ضابط ولا حسيب ولا رقيب، واللغة في هذه الكتب بما فيها من ركاكة وعدم وضوح مغفلة الضبط، دفعت بالطالب إلى العزوف عنها لأنها لا توصل المعلومة بشكل جيد، ولا تلامس قضايا حياتهم وواقعهم.

والضعف الذي ابتلي به الكتاب الجامعي لا يعود إلى خلل في المؤلف، بل يعود إلى جملة من العوامل يحددها المناخ العام للثقافة في المجتمع العربي.

لقد تفاقمت أزمة متكلم اللغة العربية، وأرخت بظلالها على مظاهر الحياة المختلفة من اجتماعية وسياسية واقتصادية، فالإنسان المأزوم يتذمر من حياته ووطنه وأهله وهويته ووجوده. وهذه مسألة تحتاج إلى نظر عميق في حلول بعد أن بسطنا المشكلة بأبعادها المختلفة، التي ألفيناها تتمحور حول المدرس والكتاب وما يتصل بهما من مسائل فرعية، تعيق تقدم اللغة ونموها وتطورها. فاللغة لا تحيا في محابس، وإنما تحيا في المجتمع بوصفها ظاهرة اجتماعية بامتياز. لذلك ربطنا التردي اللغوي بالتردي الثقافي الذي حطم الروح الوطنية للفرد في مجتمعاتنا، وجعل انتماء الفرد لأضيق الدوائر المحيطة بالذات، وهي المصالح الشخصية، مما أضعف إمكانات تنامي الشعور الوطني، واستعدادات التصدي للهجمات الكبرى على الأمة العربية.

الحلول:

لطالما اكتسبت اللغة العربية بعداً دينيا، وكذلك الثقافة العربية – بشكلها الموروث السائد – كانت ذا منحى ديني، فالحل لن يكون إلا بما يتوافق مع هذه النظرة التي توجهه، فالدين متداخل ومندمج بالظواهر الثقافية

الاجتماعية بشكل يصعب الفصل بينهما، وهنا لابد لنا أن نبسط حلولا للمشكلات التي عرضنا لها، وأعاقت حرية اللغة العربية وقيدتها، وذلك بفك قيدها، بتقديم حلول، تتناول المدرس والكتاب.

قد يقال إن اللغة العربية رثّ حبلها، ووَهَى نسجها فمالكم ولهذه الدعوات ؟ لماذا لا يكون البديل لغة حية ولتكن العامية أو اللغة الإنكليزية؟؟

هذه دعوات مرفوضة لأن منطلقنا يبدأ من قدرة العربية على الحياة والوفاء بمتطلبات العصر بكل ما يحمله إلينا من اختراعات عظيمة.

ننطلق بداية من مفهوم يرى أن المجد اللغوي لا يقل عن المجد السياسي للأمة الصاحية من سباتها العميق كأمتنا العربية[١]. فلسان " كل أمة معدود من جملة مفاخرها التاريخية بلا منازع، وعليه فلسان كل أمة جزء من مفهوم وطنها.... وإن جانبا كبيرا من مفاخر الأمة تم على الدين، أي إن الدين كان أكبر عامل في حصول تلك المفاخر لها، وإذا كان جانب من مفاخرها قائما على الدين، فالدين داخل في مفهوم وطنها "[١]. ومن الارتكاز على التلازم الديني واللغوي، ارتأينا حلا يبدأ من صميم الدين الإسلامي بعد تهاوي كثيرا من الدعوات العلمانية للإصلاح. فتلازم العروبة والإسلام يفرض حلولا للغة العربية من مفهوم إسلامي، يخدم اللغة العربية وما يتصل بها من قيم تتعلق بالشخصية العربية وهويتها وانتمائها.

ومنذ القدم إبان فجر الإسلام، انتشرت العربية بفضل القرآن الكريم وبفضله " بلغت اللغة العربية من الاتساع مدى لا تكاد تعرفه أي لغة أخرى من لغات الدنيا، والمسلمون جميعا يؤمنون بأن العربية وحدها اللسان الذي أحل لهم أن

يستعملوه في صلواتهم، وبهذا اكتسبت العربية منذ زمن طويل مكانة رفيعة، فاقت جميع لغات العالم الأخرى التي تنطق بها شعوب إسلامية"(٣).

فالمسلم يكرر في اليوم كلمات إنما هي مفاتيح الإسلام فضلا عما يردده في الصلاة خمس مرات في اليوم والليلة، وهي درر من القرآن والسنة، وتعد علامات ناصعة في النظام التواصلي الذي أرساه الإسلام. لقد حدد الإسلام علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، وحض على المعاملة الحسنة وحسن السلوك، ومادام الكلام فعلا وسلوكا، فالكلام ينبغي أن يكون إسلاما.

إن من مآسينا اندثار النظام التواصلي في مجتمعاتنا، فالعبارات تلفظ مجردة عن قيمها، لذلك انفصل القول عن العمل، واستنادا إلى الصلة العميقة بين اللغة والدين الإسلامي، فإن البعد التواصلي بين المسلمين، يرتبط باللغة والدين، ولاحل لأزمة العربية خارج نطاق الدين، لأن تحرر اللغة من قيودها يزيد من فهم المسلمين لدينهم. فالحج تجربة مثآلية على هذا التواصل بين أمم وشعوب، يربطهم الإسلام واللغة العربية، والحل يكون بنمذجة السلوك الإسلامي الذي يقرن القول بالعمل، ولنعلم الطالب أن اتجاهه نحو

---

(١)- معجم الأخطاء الشائعة:محمد العدناني،مكتبة لبنان ناشرون، ط٢، ٢٠٠٣،ص:٥.

(٢)- من حاضر اللغة العربية: سعيد الأفغاني، ص:٢١.

(٣)- فلسفة اللغة العربية: عثمان أمين، مجلة الأصالة الجزائرية السنة السابعة، أيار ١٩٧٨، ص: ١٠٤.

العامية يقود إلى القضاء على الدين الإسلامي(١).

إننا عندما نزاوج بين الأحكام الدينية ومضامينها وبين الأساليب التي قدمت بها هذه الأحكام، نصل إلى نتيجة إيمانية صحيحة وممارسة لغوية سليمة.

هذه خطوة أولى لكي يعي المتعلم قدسية اللغة وأثرها في تكوين الذات وتكاملها وتوازنها، وإمعانا في توضيح أهمية اللغة، نُفهم الطالب أن المستعمر في كل زمان ومكان، كان يعمد إلى إحلال لغته محل اللغة الأم، وتشجيع العاميات مستنداً إلى صعوبة الفصحى ومرونة العامية وقدرة لغته وسهولة، وهو في زخم دعوته لم يكن ليهتم براحة العرب، بل كان يدرك ارتباط اللغة بالفكر، فحاول إضعاف الفكر من خلال عبثه باللغة.

فمن لم ينشأ على حب لغته وإدراك قيمها، استخف بتراث أمته، ومن لم يبذل الجهد في إتقان ما يعمل، يحدث خللا في الشخصية من أهم مظاهره التقاعس والسطحية.

إننا عندما نغرس هذه المبادئ في نفس العربي، نعده ليواجه تحديات الحداثة. فالجديد يقتحم حياتنا، فلا بد أن نعد جيلا يكون قادرا على مواجهة المستقبل بكل طغيان الحضارة المدنية والتلاؤم مع ما يستجد من تطورات وابتكارات، وتتطلب ممن يعايشها المرونة والانفتاح والقدرة على تحصيل المعلومات، وحل المشكلات والابتكار والمشاركة في الجديد من بوابة الاختراع والمواجهة بدلا من السلبية والتلقي السلبي والإذعان للظروف

---

(١) لغتنا والحياة: د. عائشة عبد الرحمن، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١.ص: ١٢٢-١٢٣.

الجديدة، وهذا يستلزم استراتيجيات متعددة في التدريس، تشيع الحياة في اللغة بدلا من تقييدها.

هذه هي مسؤولية المعلم الواعي بالعملية التربوية، فكيف نعد معلما قادرا على الاضطلاع بمهمته؟

إعداد المدرس:

نريد المدرس المتعلم المثقف العارف بطرق التدريس التي تثير اهتمام الطلاب، وتدفعهم للتعلم، وتشوقهم للمعرفة، وتدفعهم للمشاركة مع المعلم، وتساعد في تحقيق أهداف المنهج. " فعلى يدي مدرس اللغة الغربية تحيا اللغة أو تموت، وفي استطاعته أن يفتح شهية الطلاب أو يسدها، فمدرسٌ يجعل ساعة الأدب ساعة تعذيب واحتضار، ومدرس يجعل المادة التي يدرسها بين نزهة روحية ونفسية، ويحول النصوص الجامدة إلى جداول متدفقة بالأنغام والمشاعر"[١].

فالمدرس الناجح يتعامل مع الممكن أو الواقع في المدارس والجامعات، وألا نلقي المسؤولية على المناهج التقليدية، فبإمكان المدرس المتمرن أن يعدد طرقه التدريسية من حيث التشويق.

ينطلق المدرس في مهمته بأسئلة:

ماذا نعلم؟

من نعلم؟

---

(١) الرؤية النقدية في الأدب والنقد: د. محمد زكي العشماوي، دار النهضة العربية، بيروت. ١٩٨٣.ص:١٢٩.

لماذا نعلم؟

كيف نعلم؟

بماذا نعلم؟

واللغة العربية قادرة على القيام بهذه المهمة بما تمتلكه من قدرات هائلة، لما تمتاز به خصائص الترادف والنحت والاشتقاق والتوسع المجازي وقابليتها للمعرب والدخيل والمصطلحات. وما نريده المعلم القادر على الإجابة عن هذه الأسئلة وتمثلها سلوكيا.

الحل يبدأ بمرحلة اختيار المدرس في مجال تعليم اللغة العربية:

– **اختيار المدرس** بعناية بعد سبر ثقافته، والتحقق من مقدرته اللغوية، وولعه باللغة العربية، وحرصه عليها، وحبه لوطنه، واهتمامه برفعته، ومعرفته الواعية بعلوم اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة وعروض، وأن يعي أن اللغة العربية عنصر جمع الأمة، ودليل فهم النص الديني.

ثم تبدأ مرحلة إعداد المدرس:

– **إعداد المدرس** إعدادا جيدا، فليست معايير اختياره تؤهله للتدريس على امتداد زمن طويل، فلابد من إخضاعه للتدريب المستمر، والدورات التدريبية التي تطلعه على أخر المستجدات في مجال التربية وطرق التدريس، إضافة إلى حضور ندوات تربوية تهتم بالتعليم واللغة العربية.

– **أن يبقى على صلة بالمؤسسات التربوية،** وأن يستعين بكتب توضح طرق تدريس كل مادة.

- أن يوضح طرق التدريس المستخدمة مع محتويات المناهج الحآلية[١].

- القيام بدراسة تحليلية لبعض محتويات المناهج الدراسية في مختلف مراحل التعليم العام، واختيار الطرق الملائمة لتدريس هذه المحتويات.

- إجراء دراسة لمعرفة أسباب عزوف المعلمين عن التنوع في استخدام طرق التدريس.

- تشجيع المدرسين على التأليف وإعداد كتب تلخص تجاربهم الناجحة.

- تنمية قدرة المدرس على تنظيم المقررات الدراسية وتطويرها، وأساليب تدريسه وعلاقته بطلابه.

طرق التدريس:

إن مدرس اللغة العربية يركز على القاعدة النحوية بوصف النحو عماد العربية، ويهمل تطبيق المعارف النحوية في كلامه وتدريسه، وهذا هو الخطأ الفادح الذي يقع فيه المدرس، وهو ما يخرج الأزمة من اللغة إلى طرائق التدريس، " فعقدة الأزمة ليست في اللغة ذاتها، وإنما هي في كوننا نتعلم العربية قواعد صنعة وإجراءات تلقينية وقوالب صماء، نتجرعها تجرعا عقيما بدلا من أن نتعلمها لسان أمة ولغة حياة. وقد تحكمت قواعد الصنعة بقوالبها الجامدة، فأجهدت المعلم تلقينا والتلميذ حفظا، دون أن تجدي عليه شيئا ذا بال في ذوقة اللغة ولمح أسرارها في فن القول، وانصرف همنا كله إلى تسوية إجراءات الصنعة اللفظية بعيدا عن منطق اللغة وذوقها، وكان الخطأ

(١) الرؤية النقدية في الأدب والنقد: د. محمد زكي العشماوي، دار النهضة العربية، بيروت. ١٩٨٣.ص:١٢٩.

الأول أن الأصل في الأعراب أن يضبط المعنى ويدل عليه، ولكن اللغويين فصلوا النحو عن المعاني، ووضعوا بينهما الحدود والأسوار، فأنت تتعلم في النحو مثلا حكم الصنعة في نائب الفاعل، أما لماذا تصرف العربية النظر عن الفاعل، وتأتي بما ينوب عنه، فذلك ما لا شأن للنحو به، وإنما مكانه في علم آخر هو علم المعاني"(١).

إن ما بسطناه يشكل جوهر المشكلة في الكتب وطرائق التدريس التي تنظر إلى اللغة بوصفها حالة جامدة، تفصل علوم اللغة عن بعضها على الرغم من تكاملها، فالنحو يعين في فهم المعنى وإيضاحه وضبط الحديث وفهم الشعر وغيره لذلك ينبغي أن يكون الاهتمام بإصلاح اللغة شاملا يتناول الغرض والمناهج والأساليب. فالتدريس ينبغي أن يشمل إلىمات تضمن للمتعلم إتقانها حديثا وكتابة.

والمعلم هو العنصر الفاعل في عملية التعليم كما ذكرنا، وهو القادر على النهوض باللغة العربية، وهو المثال الذي يندفع الطفل إلى تقليده، ويكتسب التقليد أهمية كبيرة لأن الطفل يكون في مرحلة اكتساب المهارات الأساسية في اللغة التي هي منطلق أساسي لاكتساب المعارف والمهارات في المواد الأخرى.

والتدريس الفعال ينبغي أن يظهر فيه عمق معرفة المدرس – في المراحل التعليمية المختلفة – بمادته، وامتلاكه لطرق واضحة، وقدرته على الاتصال بطلابه، وإثارة دافعيتهم إلى العلم، وعدالته في تقويمهم.

إن اتباع المدرس طرق تدريس متعددة، تمكنه من تحويل القيم الوعظية

(١)– لغتنا والحياة: د. عائشة عبد الرحمن، ص: ١٩٦.

إلى سلوك، وتمكنه من مد جسور معرفية بين الدين واللغة، لأن تلقين الطلاب أحكام القرآن وآياته وتعاليم الإسلام، حوَّل تلك المبادئ إلى قيم مجردة، يحفظها الطالب من دون أن يتحلى بأخلاقياتها.

إن إدراك المعلم فداحة الخطأ اللغوي الذي يقع الطالب في شركه، يجعله يقف عنده، ويصححه، ويقدم الصورة الصحيحة له. وأن يعيد ويكرر في بداية كل درس أهمية اللغة العربية في توثيق العلاقات العربية، وألا يقطع بصعوبة العربية، وأن يؤكد أنه مازال في اللغة ذخيرة غير مستعملة. وأن يربط بين ما ينقله المدرس لطلابه وأهداف المادة، وتنمية الفكر الناقد لطلابه وقدرتهم الإبداعية.

والمدرس ينجح في عمله إذا اتسم بما يأتي:

- الضمير الحي، الذي يشكل الرقيب والحسيب له، والوعي القومي، والمواطنة الصالحة.

- إتقان اللغة العربية الفصحى، والاعتزاز بها.
- حب المادة وجعلها شيقة، ومراعاة الفروق الفردية، واستخدم طرق تدريس واضحة، والنظر إلى الطلاب نظرة احترام، وتشجيع آرائهم الصائبة، واستخدام معايير تقويم ملائمة، واستخدام تغذية راجعة عآلية الجودة، وتقبَّله النقد.

- امتلاك المادة التي يدرسها، فامتلاك المدرس المادة يبعده عن ظاهرة اللفظية، فتتضح طرق عرض المادة في ذهنه، فيشرح بالصفة والصور والإشارة، ويترك التلميذ ليعبر عن الإشارة، ووضع الكلمات في جمل،

فيفهم التلميذ المعنى من خلال السياق.

- القدرة على إعداد الدرس إعدادا جيدا.
- امتلاك مقدرة عآلية على اجتذاب انتباه الطلاب وإثـــارة تفكيرهـــم، وامتلاك المهارة في شرح المادة، والحماسة لها، والقدرة علـــى تنظـــيم وقت المحاضرة.
- اللجوء إلى طريقة الأسئلة والأجوبة، وخلق جو من المنافسة الشريفة، وذلك بطلب تحضير الدرس قبل إعطائه وتشجيع القراءة، والقيام بدور النصح والإرشاد للتلاميذ والإشراف على أعمالهم.
- تعليم الطلاب طرق البحث، ونقد ما يُقرأ، فلا يقبل شيئا من العلـــوم الإنسانية على أنه مسلمات، وينمي هذا الاتجاه لدى طلبته.
- الربط بين خبرات الطالب السابقة وما اكتسبه من معلومات جديدة.
- أن تشمل الأسئلة المقرر، والاعتماد في تقويم الامتحانات على المـــادة العلمية التي يصبها الطالب بعيدا عن العناية بأساليـــب التـــعـــبـــير أو منهجيته، وعرف الطالب خطأه.
- الاستمرار في تطوير ذاته.
- عدم البحث عن إرضاء الطالب، والجـــري وراء الـــدعوات لتيـــسير الأسئلة، وتبسيط المادة بشكل يسيء إليها ويخل بها.
- تشكيل فرق متعددة من التلاميـــذ والطـــلاب في المرحلـــة الثانويـــة والجامعية، تكلف بإحصاء الأخطاء في لوحات الإعلان، وفي نـــشرات

الأخبار، وفي قراءة الطلاب، ويعد هذا من قبيل الواجبات التي تحسب ضمن العمل التطوعي لنشر ثقافته في مجتمعاتنا.

ولكن هذه الحلول لا تكتمل إلا بحماية اللغة بقرار سياسي من الدولة لأن " البناء اللغوي للإنسان العربي الجديد مهمة حضارية، يعمل على تجسيدها الأفراد والمؤسسات والحكومات بغية قيادة المجتمع إلى هدف وأحد هو تجديد الهوية الثقافية"(١). فالعمل على رفع مستوى الوعي باللغة العربية، وآدابها بوصفها الممثلة لفكر الأمة وحضارتها وذوقها، إضافة إلى أن الوعي بأهميتها وقيمتها والحرص على سلامتها، والنهوض بها وتطورها، يعد مطلباً قوميا من الدرجة الأولى لا ينبغي التهاون فيه (٢).

عمل المؤسسات التعليمية

لاشك في أن بعض المؤسسات التربوية قامت بجهود جبارة في سبيل إحاطة العربية بسياج يحميها، واتخذت خطوات في سبيل الارتقاء باللغة العربية في المدارس والجامعات، ومن تجربتها هذه استوحينا بعض التي الحلول التي رأيناها ناجعة.

تعمل المؤسسات التربوية على تنفيذ مقررات الدولة من مثل:

- اختيار الطلاب الذين يرغبون في دخول أقسام اللغة العربية. (ولعل تجربة المملكة العربية السعودية في إخضاع الطلاب لاختبارات قبول،

---

(١)- الدور الحضاري للعربية في عصر العولمة: بن عيسى باطاهر، جمعية حماية اللغة العربية، الشارقة، ٢٠٠١،ص:٥٨.

(٢)- الرؤية في الأدب والنقد: د. محمد زكي العشماوي، دار النهضة العربية، بيروت،١٩٨٣. ص: ١٣١.

تؤهل مجتازيها إلى الدخول إلى الجامعة، ثم إضافة سنة تحضيرية، يتم فيها فحص مؤهلات الطلاب التي تؤهلهم لدخول قسم بعينه، وهي تجربة رائدة تستحق الوقوف عندها).

- تشجيع الإبداع باللغة العربية ومكافأة المبدعين، وذلك من خلال الإعلان عن مسابقات.
- إقامة الندوات والمؤتمرات التي تحتفي باللغة كتابة وإبداعاً.
- استضافة الأدباء الكبار، والاستماع إلى إبداعاتهم، والإفادة من تجاربهم.[1]
- الاهتمام بمجامع اللغة العربية، وتوثيق الصلة بينها وبين المؤسسات التعليمية للوقوف على ما أجازته من استعمالات لغوية ومصطلحات، وتوسيع صلاحيات هذه المعاجم.
- إصدار المجلات الأدبية.
- جعل اللغة العربية مادة أساسية للنجاح.
- الإسراع في تكوين قواعد معلومات باللغة العربية في مختلف المجالات، ووضعها على الشبكات الحاسوبية، وتكون في متناول كل مدرس.

الكتاب(المناهج):

ينبغي أن نعرف أن اللغة تحول الأفراد من مجموعة من الأفراد، من

---

(١)– هذا القول لعبد الله بن سعود، أحفظه، ولا أعرف مصدره.

(٢)– اللغة والمجتمع: د. علي عبد الوأحد وافي، دار نهضة مصر، ١٩٧١، ص: ١٩٨.

مجموعة بشرية إلى مجموعة ثقافية مترابطة، وفضيلة اللغة العربية أنها تجمع إلى ذلك صلتها بالقرآن والدين والتراث.فيكون الكتاب وفق هذا المفهوم عامل ألفة وتقارب بين أبناء اللغة الواحدة.وهذا الأمر ينبغي ألا يغيب عن أذهان القائمين على المناهج والكتب.

فالمناهج التي تخاطب القارئ بما يعجز عن فهمه يؤدي إلى ضياعهم أو ضلالهم " وما من رجل يحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم"[١]. فالأمر يتطلب إصلاح المناهج وتوظيفها من أجل غاية الإتقان في العمل، وهو مبدأ إسلامي.

ولابد من تغيير النظرة إلى المناهج والاهتمام بها وتطويرها مع ما يستجد في الحياة. واللغة العربية لها خاصة لابد من مراعاتها في هذا الأمر، وعلى من " يحاول إصلاحها لغويا أن يعمد قبل كل شيء إلى دراسة حياة اللغة ومناهج تطورها، وما تخضع له في حياتها من قوانين حتى يتميز له الممكن من المستحيل، ويستبين له ما يتفق مع السنن الكونية، وما يتنافر مع طبيعة الأشياء وحتى تأتي إصلاحاته مسايرة لهذه الطبيعة، فتؤتي أكلها، وتكلل بالنجاح"[٢]. ولهذا لا يعني أن نغفل عن جمالية اللغة، ومعرفة نحوها وصرفها وبلاغتها على أساس أن تكون هذه مُعِينة لها في وظيفتها التواصلية.

إننا نعلم أن حفظ القاعدة شيء وتطبيقها شيء آخر، ومن يحفظ القاعدة قد يعجز عن تطبيقها. فعلينا أن نضمن الكتاب مهارات اللغة، ليتعلم الطالب الأسلوب الصحيح ليستنتج القاعدة فيما بعد. والطريق السليم أن نجعل القاعدة وسيلة لإتقان اللغة وليس غاية في ذاتها، ووسيلتنا في ذلك

الإتيان بنصوص من محيط الطالب وما يستجد في هذا العالم من اختراعات، فمُقرر المناهج الماهر يستطيع أن يخضع العلم لمنطق اللغة.

فالكتاب بحاجة إلى ضوابط من حيث الموضوع والهدف، ومن حيث الشكل، أي ما يتعلق بضبط الكلمات بشكل سليم، ليكون من غاياته تحقيق هدف القراءة الصحيحة. وألا يعاد تصويره لغايات تجارية بحتة. وأن ينظر في مناهج اللغة العربية بين فترة وأخرى، وطرق تدريسها والتنسيق بين وزارة التربية والتعليم وأساتذة الجامعات في هذا الشأن، وتشكيل لجنة للبحث فيما يقرر على التلاميذ من نصوص شعرية أو نثرية، وما يودع في المكتبات من كتب، يقصدها الطالب للاطلاع والثقافة، ومحاولة تطويرها، بما يتفق ومتطلبات العصر.

فالحل يستلزم أن تكون لغة الكتاب ملائمة للحياة منسجمة مع ما ألف الناس من ضروب الحياة، وأن يُؤَلَّف معجم يستوعب مفردات الحياة الجديدة، وأن يستمر التاليف المعجمي، فنحن بحاجة إلى معجم جديد، لأن لغتنا " العربية تواجه العصر الحديث بحضارته الخطيرة، وقد فرض علينا هذا العصر لغة جديدة كما كان الأمر في جل اللغات الحية المتطورة، ومن ثم كان علينا أن نملك المعجم الجديد. فهل تم شيء من ذلك ؟ لم نفعل كثيرا في هذا السبيل. إن عربية اليوم غيرها بالأمس، وأنها حفلت بالجديد الذي يفرضه منطق العصر وحاجاته الكثيرة، وهذا الجديد يدخل في باب تطور الدلالة في الكلمة، والكلمة في تطور مستمر، ولا يحسبن أحدنا أن اللغة العربية الفصحى في عصرنا هي الفصيحة العريقة في مادتها ونظامها ونحوها

وصرفها، إن شيئا كثيراً قد تبدل، وإن مادة لغوية كثيرة قد انطوت آثارها، ولم يكن من حاجة بالمعربين إليها. إن الدارس الحديث للعربية لا يعرف دلالة الألفاظ وما آلت إليه في العصر الحديث، وذلك لعدم وجود معجم جديد لهذه اللغة. ثم إن المعجم القديم لا يسعف طالب الحاجة الجديدة بما يتوق إليه من معرفة لغوية يفرضها عصرنا الحاضر ولعله بسبب من عدم وجود هذه المعاجم الجديدة، تسرب الخطأ، وانزلقت الدلالة مما وضعت إليه إلى شيء أخر، فكان ذلك لونا من ألوان التطور السلبي، ولو تهيأ لنا معجم جديد لضبطت الدلالات، واستطاع الباحث عن المادة اللغوية أن يجد الصحيح، فيتجنب الخطأ" [١].

فكل معجم هو استجابة لثقافة عصره وخصائصه واهتماماته، والمادة المعجمية هي مادة احتياطية، يلجأ إليها لإعادة صياغتها في منهج جديد ملائم لحاجات الثقافة المتداولة. بهذا نرفع الحيف عن اللغة العربية، ونفك قيدها، فاللغة بتكوينها لا تحيا في محابس، ولا تتطور وراء الجدران، التي لا بد من تحطيمها، لنخلق لغة متطورة، تتوافر لها الصحة والحياة، فاللغة تحيا بفضل اتجاهها المستمر إلى المستقبل، وتذوي عندما يتوقف انفتاح أصحابها على الجديد الذي تذخر به حياتنا [٢]. ولكن مع الحفاظ على القديم

---

(١)- حاجتنا إلى معجم جديد: إبراهيم السامرائي، مجلة الطليعة الأدبية، العدد السابع، السنة الرابعة، يوليو، ١٩٧٨. ص: ١٣.

(٢)- لغتنا الجميلة: فاروق شوشة، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، القاهرة، ١٩٧٣. ص: ١٣.

والمواءمة بينه وبين الجديد، وإقامة جسور تواصل بين ماض عريق وحاضر مترقب، ومستقبل نأمل من الله أن يكون مشرقا.

" ففي اللغة قديم لابد منه إذا أردنا أن تحيا، وأنصار الجديد في اللغة والأدب لا يريدون إلا هذا النوع من الحياة. ليس من الجديد في شيء أن تفسد اشتقاق اللغة وتصريفها، وأن تعدي الأفعال بالحروف التي لا تلائمها، وأن تقلب المجاز وضروب التشبيه، كل ذلك ليس تجديدا وليس إصلاحا للغة ولا ترقية لها، وإنما هو مسخ وتشويه، ليس أنصار الجديد بأقل كرها له من أنصار القديم"[١].

هذه حلول ارتأيناها، ونأمل من الله العلي القدير أن يعيننا على تجسيدها في مدارسنا وجامعاتنا بمؤازرة مع أولى الأمر الساهرين على رفعة العربية كونها جوهر ثقافتنا وعنوان هويتنا الثقافية ببعديها الوطني والقومي والديني.

---

(١)– حديث الأربعاء: د. طه حسين، دار المعارف، القاهرة، ط٣. ج٣ / ٣٥.

الخاتمة

هل هي نهاية المطاف ؟

إنها العتبة الأولى للولوج في إصلاح ما عبثت به أيدي العابثين، وتناولت إرثنا الثقافي، فعلينا أن نعيد الثقة إلى نفوسنا بقدرتنا على الحلول بوصفنا معلمين مؤتمنين على أجيال، نمتلك القدرة على بناء الإنسان بناء متكاملا، لا ينفصل فيها اللغوي عن الديني عن الوطني، لأن الحل يبدأ ببناء الإنسان وترسيخ المواطنة الصالحة.

لقد حاولنا في هذه الدراسة وصف ما آلت إليه اللغة العربية في قاعة الدرس والكتاب بعد أن حوصرت في مواقع الحياة المختلفة، فهل كانا محبسين آمنين؟

لقد حوصرت اللغة العربية، وانحسرت عن مظاهر الحياة المختلفة؛ في الشارع، وفي وسائل الإعلام، وفي الخطاب الرسمي، فتوارت في قاعة الدرس وفي الكتاب، يفترض أن تحيا فيهما، وغاب عن ذهننا أن هذين المحبسين نتاج مناخ ثقافي عام، أصابه ما أصاب المجتمع العربي من تراجع. مما لا يخفي ارتباط العربية بالهوية والثقافة والدين والتاريخ، علاوة على ارتباطها بطريقة التفكير والتواصل. من هنا كان ارتباط أزمة العربية بأزمة الواقع العربي، كون العلاقة بينهما علاقة طردية، وهذا ما أثبته التاريخ إبان عصر الازدهار والانحطاط، فقد انتشرت اللغة العربية متلازمة مع الدين في عهد الفتوحات، ووعت العلوم في عهود الاستقرار، فكانت لغة الحضارة الإسلامية، ولغة الفتوحات، وكانت الأداة الفعالة في تكوين الفكر الديني.

وهذا التلازم بين حال العربية وحال الحياة العامة، يوضح أن اللغة لا تحيا إلا على ألسنة متكلميها، وتذوي إذا هجرها أهلها إلى لغات أخرى أو إلى لهجات إقليمية ضيقة، وما تكريس العامية إلا انقطاع عن الدين والهوية والتراث، وهنا مكمن الخطورة، فالطالب الذي اعتاد العامية، ليس بقادر على فهم الفصحى، لذلك ينشغل عن الدرس، ويقلع عن القراءة لأنه لايفهم ما يقرأ، والأمر الأكثر خطورة هو تقبله الأفكار الضالة التي تجد صداها لديه لأنه مفرغ من الأصالة خاو من الثقافة مما يعرض تفكيره للتشويش، فيعتنق أفكارا هدامة تحيق بالوطن والدين.

فبعض المدرسين يدرِّسون النص المكتوب بالفصحى بعامية بغيضة، فيقتل النص، ويلقن تلامذته المعلومات تلقينا بطريقة تريحه، ولكنها تبعدهم عن امتلاك اللغة حديثا وكتابة، وتنأى بهم عن قراءة أي نص قراءةً صحيحة واعية.

لذلك كله غرق المدرس بمشكلات كثيرة، وخلق أجيالا تعزف عن اللغة العربية وتعلمها، وأنتج شخصيات تعاني الازدواجية في التفكير، فانعدم توازنها، وضعف انتماؤها الديني سلوكا وفعلا، وليس عبادة، ورق ارتباطها بتراثها، وعدته تراثاً متخلفاً.

إن الحل الأساسي يبدأ من بناء المواطنة الصالحة التي تنتمي إلى أوطانها قولا وفعلا، تبني ولا تهدم، قادرة على رد دعوات الخارج على أعقابها، تعرف واجباتها قبل حقوقها. حل يستند إلى مبدأ إسلامي: إتقان العمل ونمذجة السلوك الإسلامي.

وهذا يتطلب إعداد المدرس إعدادا جيدا، وإعادة تقويمه وفق معايير الكفاءات

المهنية؛ المهارات التدريسية والثقافة الشاملة التي يزاوج فيها بين التراث والمعاصرة. ومراجعة محاضراته ودروسه ومدى تحقيقها للأهداف، والتنويع في الأساليب التي يتبعها في التدريس.ومتابعة تطوير نفسه. والمؤسسات التربوية وحدها القادرة على الاضطلاع بهذه المهام وهي لم تألُ جهدا في دعم المدارس والجامعات والنوادي الأدبية، لذلك نقول إن المسؤولية جماعية، يكون فيها عمل المدرس – في مراحل التدريس المختلفة – عملا وطنيا بامتياز، وليس مهنة تقف عند حد التلقين. عندما يُعد المدرس جيدا، تسهل الأمور الأخرى لأن المعلم القادر يحيل الدرس إلى متعة، ويدفع الطلاب إلى البحث إرضاء لنزعة البحث عن الحقيقة. والمعلم المعد جيدا يعرف الكتاب الجيد، فلا يقبل أيّ كتاب يقرر، بل يخضع الكتاب للنقد والتقويم المستمر.

مصادر البحث ومراجعه

(**١**)– الإحكام في أصول الأحكام: ابن حزم الأندلسي، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبة الخانجي، مطبعة السعادة، مصر. ١٣٤٥ هـــ.

(**٢**) – تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي، د. أسعد علي، دار السؤال للطباعة والنشر، دمشق، ط٣، ١٩٨٥.

(٣)– الثقافة والعولمة: د. سعيد حرب، دار الكتاب الجامعي، العين، ٢٠٠٠.

(**٤**)– حديث الأربعاء: د. طه حسين، دار المعارف، القاهرة، ط٣.

(٥)– الرؤية النقدية في الأدب والنقد: د. محمد زكي العشماوي، دار النهضة العربية، بيروت. ١٩٨٣.

(٦)– سوسولوجيا اللغة: بيار أشار، ترجمة: عبد الوهاب ترو، دار عويدات، بيروت،١٩٩٦.

(٧) —علم اللغة الاجتماعي: د. كمال بشر، القاهرة، دار غريب، ١٩٩٧.

(٨)–فلسفة اللغة: كمال يوسف الحاج، دار النهار بيروت، ١٩٦٧.

(٩)– في فقه اللغة: عبده الراجحي، دار النهضة، بيروت ١٩٧٢.

(١٠)– قضايا اللغة العربية في العصر الحديث: سمر روحي الفيصل، نشر وزارة الثقافة، الإمارات. ٢٠٠٩.

(١١)– لغتنا والحياة: د. عائشة عبد الرحمن، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١.

(١٢)– لغتنا الجميلة: فاروق شوشة، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، القاهرة، ١٩٧٣.

(١٣) —اللغة والمجتمع: د. علي عبد الوأحد وافي، دار نهضة مصر، ١٩٧١.

(١٤)- اللغة والحياة والطبيعة البشرية: روي هجمان، ترجمة داود حلمي وأحمد السيد،ط١ ١٩٨٩.

(١٥)- اللغة ومشكلات المعرفة:نعوم تشومسكي، ترجمة: حمزة قبلان المزيني، دار توبقال، الدار البيضاء، ط١

(١٦)- معجم الأخطاء الشائعة: محمد العدناني، مكتبة لبنان ناشرون، ط٢، ٢٠٠٣.

(١٧)—من حاضر اللغة العربية: سعيد الأفغاني، دار الفكر، ط٢، ١٩٧١.

(١٨)- منهاج البلغاء وسراج الأدباء: حازم القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، ط١ ١٩٨٦.

(١٩)— نظرية الأدب: رينيه ويليك وأوستن وارين، ترجمة: المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، دمشق.

الدوريات

(١)- أثر الجامعة في التعريب والتعليم العالي: د. عبد السلام التونجي، مؤتمر التعريب، جامعة دمشق، ١٩٨٦.

(٢)- الدور الحضاري للعربية في عصر العولمة: بن عيسى باطاهر، جمعية حماية اللغة العربية، الشارقة، ٢٠٠١.

(٣)- فلسفة اللغة العربية: عثمان أمين، مجلة الأصالة الجزائرية السنة السابعة، أيار ١٩٧٨.

(٤)- اللغة العربية الصلة الحية بين حاضر الأمة وتراثها الزاخر: الدكتور أحمد دهمان، مجلة التراث العربي- مجلة فصلية تصدر عن اتحاد

الكتاب العرب، دمشق، العدد١٠٢، السنة السادسة والعشرون، نيسان ٢٠٠٦، ربيع الثاني ١٤٢٧.

(٥) – اللغة والثقافة:مقال للدكتور محمد عزيز الحباني، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ج٣٠ شوال ١٣٩٢.

(٦)– اللغة العربية والعولمة في ضوء النحو العربي: د.مها خيربك ناصر، مجلة التراث العربي مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد١٠٢ السنة السادسة والعشرون، نيسان ٢٠٠٦، ربيع الثاني ١٤٢٧.

(٧)– حاجتنا إلى معجم جديد: إبراهيم السامرائي، مجلة الطليعة الأدبية، العدد السابع، السنة الرابعة، يوليو، ١٩٧٨.

فهرس الموضوعات

مخاطر تواجه اللغة العربية في الوقت المعاصر

إعداد

د/محمد فوزي يوسف

تمهيد

الحمد لله رب العالمين على نعمة الإيجاد والإنشاء، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أوحد الفصحاء والبلغاء، وعلى آله وأصحابه الذين هم لحقيقة كلامه ومجازه كفلاء، أما بعد،

فإن العصر الذي نعيشه حاليا هو "عصر العولمة" حيث أصبحت العولمة فلسفة تملأ الدنيا وتشغل الناس. وليست العولمة بجديدة في ذاتها، بل إنها ظاهرة تاريخية مستمرة منذ فجر التاريخ على الرغم من اختلاف مسمياتها وأهدافها وأدواتها. وقد اختلفت تعريفات العولمة على أساس الترجمة العربية للمصطلح الإنجليزي (Globalization) فقيل إنها: الكونية، أو الأمركة، أو الوجه الآخر للرأسمالية، أو إنها المقابل للخصخصة. [١] وإذا نزِّل مفهوم العولمة على العالم الإسلامي، فيعنى به التدخل المباشر في ثقافات الشعوب الإسلامية.

والعولمة لغة: لفظ ثلاثي مزيد، يقال :عولمة على وزن قولبة، وكلمة" العولمة "ترجع إلى العالم- بفتح اللام - أي الكون، وليس إلى العلم- بكسر العين وسكون اللام– وهذه الكلمة بهذه الصيغة الصرفية لم ترد في كلام العرب، لكن مجمع اللغة العربية بالقاهرة قرر إجازة استعمالها بمعنى جعل الشيء عالميًّا.[٢]

واصطلاحًا: لم يتفق العلماء على تعريفها، لكن على الرغم من اختلافهم في التعريف الاصطلاحي يكاد الجميع يتفقون على حد أدنى، ألا وهو اصطباغ عالم الأرض بصبغة واحدة شاملة لجميع من يعيش فيه،

---

١ فلاح القريشي، أثر العولمة في المجال التعليمي والتربوي، ٢٠١٠م.

٢ صالح الرقب، العولمة : الجامعة الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ– ٢٠٠٣ م.

وتوحيد أنشطتهم الاقتصادية والاجتماعية والفكرية من غير اعتبار لاختلاف الأديان والثقافات، والجنسيات والأعراق" [١] ومصدر الإشكالية في عدم إيجاد تعريف شامل لظاهرة العولمة يتحدد- كما يراه البروفيسور ناصر بن سليمان العمر - في المتناقضات والمتنوعات التي تشملها العولمة "فطالما أن الأعراق متنوعة، والثقافات متعددة، والأديان مختلفة، والأهواء متباينة، فمن يحكم هذه الصبغة الواحدة؟ من يضع ضوابطها ويحدد قوانينها؟ [٢] " بمعنى أن أية محاولة لتحديد مفهوم العولمة يجب أن تنطلق من عملية تذويب الفروق بين الجماعات والثقافات وتمييعها، بحيث يتسّنى للقائمين بأمر العولمة - إعادة تشكيل العالم وصياغته من جديد. وعلى هذا الأساس تحددت ثلاث عمليات جوهرية لابد منها في إيجاد هذه الصبغة الكونية فـــ"إذا أردنا أن نقترب من صياغة تعريف شامل للعولمة فلا بد من أن نضع في الاعتبار ثلاث عمليات تكشف عن جوهرها: العملية الأولى تتعّلق بانتشار المعلومات بحيث تصبح مشاعة لدى جميع الّناس، والعملية الثانية تتعّلق بتذويب الحدود بين الدول، والعملية الثالثة هي زيادة معدلات الّتشابه بين الجماعات والمجتمعات والمؤسسات، وكلّ هذه العمليات قد تؤدي إلى نتائج سلبية

١ ناصر بن سليمان العمر :رسالة المسلم في حقبة العولمة، ضمن الأوراق المقدمة إلى مركز الدراسات الإسلامية بقطر والتابع لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ربيع أول /١٤٢٤ ص -١

٢ المرجع السابق.

بالنسبة إلى بعض المجتمعات، وإلى نتائج إيجابية بالنسبة إلى بعضها الآخر"[1] ومن هنا وعلى أن هذه العمليات غير مأمونة العواقب لجميع المجتمعات انقسم الكّتاب عن هذه الظاهرة بين متشائم ومتفائل ومـــحـــايـــد، وهـــو ما ينعكس من تعاريفهم للظاهرة وإن كان أكثرهم يميل إلى التشاؤم، وسنورد في هذا الصدد بعضًا من أقوالهم[2] كما يلي:

العولمة" آلة عجيبة نتجت عن الثورة الصناعية والتجارية العالمية، وأنها قادرة على- الحصاد وعلي التدمير، وأنها تنطلق متجاهلة الحدود الدولية المعروفة، وبقدر ما هي منعشة، فهي مخيفة، فلا يوجد من يمسك بدفة قيادتها، ومن ثم لا يمكن التحكم في سرعتها ولا في اتجاهاتها." العولمة" نظام عالمي جديد يقوم على العقل الإلكتروني، والثورة المعلوماتية القائمة على المعلومات والإبداع التقني غير المحدود، دون اعتبار للأنظمة والحضارات والثقافات والقيم، والحدود الجغرافية والسياسية القائمة في العالم." العولمة "حرية حركة السلع والخدمات والأيدي العاملة ورأس المال والمعلومات عبرالحدود الوطنية والإقليمية."

العولمة" محاولة لفرض الفلسفة النفعية المادية العلمانية، وما يتصل بها من قيم وقوانين ومبادئ وتصورات على سكان العالم أجمع." العولمة هي" العمل على تعميم نمط حضاري يخص بلدًا بعينه هو الولايات المتحدة الأمريكية بالذات على

---

١ مركز دراسات الوحدة العربية :العرب والعولمة، بيروت، ط ٢، ١٩٩٨م، ص ٢٧

٢ أورد هذه التعاريف الدكتور :صالح الرقب، مرجع سابق، ص ٨، وما بعدها.

بلدان العالم أجمع "وهي أيضًا أيديولوجيًا تعبر بصورة مباشرة عن إرادة الهيمنة على العالم وأمركته ."أية محاولة الولايات المتحدة إعادة تشكيل العالم وفق مصالحها الاقتصادية والسياسية، ويتركز أساسا على عمليتي تحليل وتركيب للكيانات السياسية العالمية، وإعادة صياغتها سياسيا واقتصاديا وثقافيا وبشريا، وبالطريقة التي تستجيب للمصالح الإستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية. العولمة: منظومة من المبادئ السياسية والاقتصادية، ومن المفاهيم الاجتماعية والثقافية، ومن الأنظمة الإعلامية والمعلوماتية، ومن أنماط السلوك ومناهج الحياة، يراد بها إكراه العالم كلِّه على الاندماج فيها، وتبنيها، والعمل بها، والعيش في إطارها.

هذه التعريفات ساقها الدكتور: صالح الرقب ثم قال: وبعد دراسة متأنية لظاهرة العولمة وأهدافها ووسائلها وتأثيراتها في واقع المجتمعات والشعوب يمكن أن تعرف العولمة بما يلي: "العولمة هي الحالة التي تتم فيها عملية تغيير الأنماط والنظم الاقتصادية والثقافية والاجتماعية ومجموعة القيم والعادات السائدة وإزالة الفوارق الدينية والقومية والوطنية في إطار تدويل النظام الرأسمالي الحديث وفق الرؤية الأمريكية المهيمنة، والتي تزعم أنها سيدة الكون وحامية النظام العالمي الجديد[١] "

من هذه التعريفات تظهر الرؤى المختلفة، والتّجليات المتعددة حول ظاهرة العولمة، ويمكن إجمال ذلك بالقول" إن العناصر الأساس في فكرة العولمة هي: ازدياد العلاقات المتبادلة بين الأمم، سواء المتمثلة في تبادل السلع والخدمات، أو في انتقال رؤوس الأموال، أو في انتشار المعلومات والأفكار،

---

١ المرجع السابق.

أو في تأثر أمة بقيم وعادات غيرها من الأمم"[١]

وهنا نشير إلى بعض من تلك التجليات خصوصًا في الجوانب الثقافية والتربوية من العولمة، وقد ساق جملة منها أحد الباحثين التربويين:[٢]

- التدخلات الخارجية في النظم التربوية والتعليمية، فكانت هناك خطة واشنطن لتغيير المناهج التعليمية في مصر والعالم العربي من قِبَل مجموعة من السياسيين الأمريكيين. والهدف منها تكوين ناشئة عربية مسلوبة الهوية والانتماءات الوطنية والقومية، كي تؤمن بنموذج الحياة الأمريكي، وتدعم مصالحه وأساليب هيمنته.

- استهداف الهوية الثقافية، وذلك من خلال التحديات القديمة والمتجددة (التبشير والاستشراق والاستغراب) والتي تتجدد باستمرار في صورها وأثوابها ووسائلها، وما يتولد عنها من تحديات.

- زحف المدارس التبشيرية: ويلاحظ ازدياد قيام هذه المدارس والتوسع في إنشائها في ظل العولمة.

-التسلل المتواصل للمفاهيم المغلوطة :فلم يخفت صوت الاستشراق

---

١ عبد العزيز بن عثمان التويجري :اللغة العربية وتحديات العولمة، رؤية لاستشراف المستقبل، من منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، ١٤٢٩ هـ-٢٠٠٨ م- .ج

٢ د .مصطفى يوسف منصور: تحديات العولمة التربوية المتعلقة بالمدرسة وسبل مواجهتها، بحث مقدم إلى مؤتمر" الإسلام والتحديات المعاصرة "المنعقد بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية ٢٠٠٧م.

يوما من الأيام في بث المفاهيم المغلوطة والتشكيك في العقيدة، بل تزايد في ظل هيمنة العولمة وأدوات الاتصال المتاحة، وما زال يشكل تحديا كبيرا للبلاد الإسلامية فهو من التحديات القديمة الجديدة.

– الابتزاز التربوي بالمنح والمعونات الخارجية : إذ تمثل المنح والمعونات الخارجية المقدمة للجهات الحكومية أو الأهلية عامل ابتزاز، وضغط وتوجيه لإنفاذ كثير من المخططات المشبوهة مما يجعل كثيرا من الجمعيات الأهلية المدعومة من الغرب أداة لمحاربة التربية الإسلامية والعمل على طمس الهوية.

– استـــدماج القيم العالمية في مناهج التعليم (التربية الشاملة) :(مثل ما تحاول منظمتا اليونسكو واليونيسيف من استدماج القيم العالمية في مناهج التعليم وترسيخ الأفكار الداعية للنظام العالمي الجديد.

– الدور الإعلامي المناقض للدور التربوي المدرسي: الإعلام وسيلة للتعبير والتوجيه، وظيفته التثقيف والتعليم والإرشاد، لكن ماذا تفعل المدرسة أمام الإعلام الذي يشيع الفاحشة وينشر الأفكار الغربية المنحلة، فبدلا من أن يساهم الإعلام مع المدرسة ويأخذ دوره الحقيقي في بناء الأجيال وغرس القيم الأصيلة، تراه ينشئ جيلا فارغا من العقيدة محطم الشخصية مزعزع الثقة بتاريخه وأصالته.

– مادية ثقافة العولمة وخطرها على البناء الروحي : إن ثقافة العولمة ثقافة مادية بحتة لا مجال فيها للروحانيات والعواطف، مما يجعل تحدي المدرسة في هذا المجال الحفاظ على ديمومة المجال الروحي الصحي السليم للطلبة ببث مفاهيم التكافل والتعاطف والتواد والإيثار وكل القيم النبيلة.

– تهديد واكتساح الخصوصية الثقافية عبر الانترنت : حيث تعد شبكة الإنترنت من أهم وسائل العولمة الثقافية التي تسعى إلى إحلال التبعية لثقافة الغرب محل الأصالة النابعة من عقيدة الأمة، فما تنقله من أفكار يمثل حروب أدمغة لا أسلحة، بالإضافة إلى ما تمثله مِن تحدٍّ معلوماتي.

هذه الإشارات من آثار العولمة على الّثقافة والتربية نستجلي منها أن الهدف التربوي أو الّثقافي للعولمة ما هو إلا صياغة ثقافة عالمية لها قيمها ومعاييرها التي تهدف إلى ضبط سلوك الدول والشعوب، وتؤدي إلى العدوان على الخصوصيات الّثقافية، مما يهدد هويات المجتمعات المعاصرة.

والمعلوم أن الثقافة عند بعض العلماء يقصد بها تعبير عن الحياة وسيلته اللغة. وهذا يبين لنا أن العلاقة بين اللغة والثقافة وطيدة، فاللغة هي الوعاء الذي يحتضن الثقافة وينقلها من مكان إلى آخر، ومن جيل إلى جيل...[١] ومن أهداف العولمة الخطيرة التي تخفى على الكثيرين: تشويه الثقافة الذاتية للأمة الإسلامية فيما يتعلق باللغة والدين والتاريخ، وبث الشبهات في أساسيات هذه الثقافة من خلال التشكيك في مرجعيها الأصليين (الكتاب والسنة)، ومحاولة تغيير المناهج التعليمية في البلاد الإسلامية، وطمس هوية الشعوب الإسلامية.[٢]

من أكبر المخاطر التي تواجه اللغات الحيّة– ولا سيما اللغة العربية لغة

---

١ علي أسعد وطفة، ومحمد عبد الغفور، الثقافة العربية الإسلامية إزاء تحديات العولمة وفرصها، ٢٠٠٣م.

٢ محمود زقزوق، الإسلام في عصر العولمة، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٢م.

القرآن- في العالم المعولم اليوم، خطر العولمة التي تندفع في اكتساح جارفٍ للخصوصيات اللسانية واللغوية والثقافية التي هي وتواجه اللغة العربية اليوم، باعتبارها وعاء للثقافة العربية وللحضارة الإسلامية، أخطاراً تَتَفَاقَمُ باطراد، تأتي من هيمنة النظام العالمي الذي يرفض صياغة العالم الجديد متعدّد الأقطاب والمراكز والثقافات، والذي يسعى لفرض اللغة الأقوى، بحكم قوة الفعل السياسي والثقل العلمي والتقاني والاقتصادي، على المجتمعات الإنسانية التي تقصر وسائلها الدفاعية الثقافية -والسياسية والاقتصادية أيضاً- عن التصدّي لهذه الهجمة اللغوية الشرسة التي تهدّد الأسس الثقافية والخصائص الحضارية .

ويطيب لي في هذا المقام أن أستلهم المعاني الرائعة الواردة في قصيدة شاعر النيل حافظ إبراهيم المعنونة بـــــ"**اللغة العربية تنعى حظها**" شارحًا لمحتوياتها. قال هذه القصيدة حافظ إبراهيم بيك ذائدًا ومنافحا عن اللغة العربية التي يفتخر بها العرب والمسلمون ويعتزون بها، فهي تحفظ قرآنهم وتشريعهم، وتعبر عن علومهم وآدابهم. حين تعالى الهمس واللمز حولها في أوساط رسمية وأدبية، وعلى مسمع ومشهد من أبنائها واشتد الهمس وعلا، واستفحل الخلاف وطغى، فريق يؤهلها لاستيعاب الآداب والمعارف والعلوم الحديثة، وفريق جحود ، يتهمها بالقصور والعجز، وبالضيق عن استيعاب العلوم الحديثة. ولكن حافظاً الأمين على لغته الودود لها المعتز بها يصرخ بوجوه أولئك المتهامسين والداعين لوأدها وهي في ربيع حياتها بأن يراجعوا عقولهم ويدركوا خزائن لغتهم ومكنوناتها وخفاياها، فنظم هذه القصيدة يخاطب بلسانها قومه، ويستثير ولاءهم لها، وإخلاصهم لعرائسها وأمجادها،

فيقول:

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي ** وناديت قومي فاحتسبت حياتي

رموني بعقم في الشباب وليتني ** عقمت فلم أجزع لقول عداتي

ولدت فلما لم أجد لعرائسي** رجالاً وأكفاءً وأدت بناتي

لقد شخَّص الشاعر اللغة العربية حيث جعلها شخصا يتكلم عن نفسه، بل جعلها أما تنعى عقوق أبنائها لها ، وتعلن دهشتها من أبنائها الذين يخوضون في هذا الحديث الظالم ضدها فتقول:بعدما سمعت الضجة الكبرى والحملة الجائرة ضدي رجعت لنفسي واتهمت عقلي ولكن تبين كذب ما يقولون ، فعلمت أنهم يريدون وأدي، فناديت قومي واحتسبت حياتي عند الله فيما يدخر، فهم قد اتهموني بالعقم " ــ وهو مرض يصيب المرأة والرجل "ــ في شبابي وليتني حقيقة عقمت فلم أجزع لقول أعدائي، ولكنني أنا الودود الولود تتجدد في كل عصر وزمان.. فقد ولدت الكلمات والعبارات ولكن لم أجد لها الرجال الأكفاء " الجديرين بها الحريصين على إظهار مكنوناتها فوأدتها وهي حية.

وسعت كتاب الله لفظاً وغاية ** وما ضقت عن آيٍ به وعظات

فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة ** وتنسيق أسماءٍ لمخترعات

أنا البحر في أحشائه الدر كامن ** فهل ساءلوا الغواص عن صدفاتي !

وما زالت اللغة تتحدث عن نفسها وتتعجب ممن اتهمها فتقول أنا التي وسعت كتاب الله لفظاً وغايةً، فكيف لي اليوم أن أضيق عما دونه كالتعبير عن وصف لآلة أو تنسيق أسماء لمخترعات التي لاتساوي شيئا أمام ما جاء به

القرآن من معان وألفاظ، فأنا البحر الذي كَمُن في جوفه الدر فهل سألوا أهل اللغة العالمين بها عن صدفاتي

فيا ويحكم أبلى وتبلى محاسني ومنكم وإن عز الدواء أساتي

أيطربكم من جانب الغرب ناعب ينادي بوأدي في ربيع حياتي؟ !

أرى كل يوم في الجرائد مزلقًا من القبر يدنيني بغير أناة !

وأسمع للكتاب في مصر ضجةً فأعلم أن الصائحين نعاتي !!

في هذه الأبيات توبخ اللغة العربية أبناءها بقولها ويحكم أفنى وتفنى محاسني ومنكم وإن قلّ الدواء أطبائي!، ثم تستفهم مستنكرة أيهزكم ويفرحكم من جانب الغرب صوت الغراب الذي ينادي بدفني حية وأنا في ربيع حياتي ؟ ، فأنا أرى في كل يوم في الجرائد زلة وخطأ يدنيني للقبر بغير حلم ولا رفق ، وأسمع للكتاب في مصر ضجة " وتقصد الحملة الجائرة التي قامت في مصر وهي الدعوة إلى العامية فأعلم أن هؤلاء الصائحين والمنادين هم الذين ينقلون خبر وفاتي.

أيهجرني قومي عفا الله عنهم إلى لغة لم تتصل برواة؟

سرت لوثة الإفرنج فيها كما سرى لعاب الأفاعي في مسيل فرات

فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة مشـــكـــلة الألوان مختــــلفات

ثم عادت إلى عتاب أبنائها باستفهام استنكاري يحرك القلوب فتقول أيهجرني قومي ــ عفا الله عنهم ــ إلى لغة غريبة لاتمت ولم تتصل برواة. هذه اللغة التي سرت فيها لوثة الإفرنج أي ما داخلها من ألفاظ أجنبية كما سرى لعاب الأفاعي في مسيل الماء الشديد العذوبة، وهنا تشبيه ضمني حيث

شبه سريان ودبيب لوثة الأفرنج " الألفاظ الأجنبية " في اللغة وتلويثها لها كسريان ودبيب سم الأفاعي في مجرى الماء الشديد العذوبة فجاءت هذه اللغة التي يريدونها مثل الثوب الذي ضم سبعين رقعة مشكلة الألوان مختلفة.

إلى معشر الكتاب والجمع حافل *** بسطت رجائي بعد بسط شكاتي

فإما حياة تبعث الميت في البلى*** وتبنت في تلك الرموس رفاتي

وإما مـــمـــات لا قيـــامـــة بـــعده*** ممـــات لعـــمري لم يقس بممات

وفي نهاية القصيدة، وبعد أن بسطت شكواها هاهي تبسط رجاءها وتقول: إلى معاشر الكتاب والعالمين بها، عليهم أن يؤمنوا بلغتهم العربية، وأن يلجوا أبوابها الواسعة المفتوحة؛ ليجدوا فيها السعة والرحابة بكل جديد وعتيد، ويعودوا إليها فيبعثوا حياتها وإمّا ممات لاقيامة بعده وتقسم أن هذا الممات لم يقس بممات، فموت اللغة العربية ليس كموت أي لغة، فموتها هو موت للأمة الإسلامية والمسلم يعرف ذلك

بالنسبة لشرح قصيدة حافظ إبراهيم " اللغة العربية تنعي حظها " هاكم شرحا مختصرا للأبيات العشرة الأولى:

يتحدث الشاعر بلسان اللغة العربية وكأنها إنسان متهم يدافع عن نفسه وقد أصيب بالذهول لما اتهم به من التهم، فتقول:

لقد عدت لنفسي وفكرت بعقلي وشككت بما اتهمت به وراجعت نفسي وعند ذلك ناديت قومي لطلب المساعده ولما لم أجد دفاعا منهم عني ووقوفا إلى جانبي احتسبت حياتي وعددت ذلك عند الله أجرا عظيمًا.

وتقوم بإيراد ما اتهمت به وتوضيحه، فتقول: لقد اتهمت بأني عقيم غير قادر

على الإنجاب والعطاء مع أنني مازلت في ريعان شبابي وكم أتمنى لو كنت عقيما و لم أُبق بقية لقول أعدائي. لقد أعطيت وأنجبت ولكنني عندما لم أجد لألفاظي وكلماتي رجالا قادرين على حمايتي والدفاع عني رأيت من الأفضل أن أحتفظ بكلماتي وأدفنها وهي حيّة خوفًا من أن يؤثر عليّ. وهنا تبدأ اللغة العربية بالدفاع عن نفسها فتقول: لقد شملت بـألفاظي كلمات القرآن ببلاغته واعجازه ومعانيه و لم أشعر بعجز أو ضعف في التعبير عن آياته وعبره وحكمه العظيمة .

وهنا تستنكر اللغة العربية ما وجه إليها من تهم باطلة فتقول: إن كنت شملت بألفاظي معاني القرآن وبلاغته فكيف أعجز أو أضعف عن التعبير عن وصف آلة استحدثها الإنسان أو مخترَع اكتشفه. وهنا تفخر اللغة العربية بثرائها وغناها فهي بحر واسع قد ضم في جوفه اللؤلؤ والمرجان والنفائس والدرر، وما هذه الدرر إلا ألفاظها وتعابيرها فهل اتجه هؤلاء الذين يتهمونني إلى أولئك العلماء الذين تفهموها وغاصوا في أعماقها واكتشفوا قدرها وسألوهم عما تحويه صدفاتها. وتستنكر اللغة وتوبخ أبناءها العرب الذين يعملون على فنائها والقضاء على جمالها ومحاسنها مع أن فيها الكثير من أبنائها العرب من يستطيع أن يدافع عنها على الرغم من صعوبة الحالة التي هي فيها، فهو كالطبيب الذي يساعد على الشفاء وإن صعب وجود العلاج . وتستنجد اللغة أبنائها طالبة منهم ألا يتركوها لغدر الزمان. فهي تخاف أن يقضى عليهم بفنائها لأنهم المسؤولون عنها، وعن الدفاع عنها. وتعقد مقارنة لطيفة بين حال أبناء الغرب، وكيف صاروا أصحاب قوة

ومنعة وحضارة. وما حصل ذلك بطريقة عشوائية، وإنما تحضّروا، وامتنعو عن الهوان أمام غيرهم من الشعوب، وقويت شوكتهم فلا يهنون ولا يضعفون بسبب تمسكهم بلغتهم وحرصهم عليها، واعتنائهم بها، وحمايتها من كيد الماكرين.

لقد حاول الغرب أن يتمسكوا بلغتهم عن فنوهم وعلومهم. فكم تتمنى اللغة العربية من أبنائها أن يحافظوا على لغتهم وكلماقم وحضارقم .

التحليل الأدبي للنّصّ: الأسلوب والمعنى:

أسلوب الشاعر في هذه القصيدة سهل واضح، استخدم فيه أسلوب الحض، وذلك لاستخدامه كثيرا من الجمل الإنشائية من أمر وهي وتعجب واستفهام ورجاء في مثل قوله " وليتني عقمت " " فكيف أضيق اليوم " فيا ويحكم " أيطربكم " أيهجرني " وغير ذلك. كما أن معانيه جاءت واضحة مترابطة سطحية لاغموض ولا عمق فيها، وهذا أمر طبيعي؛ إذ إنّه يتحدث عن موضوع يهم الأمة الإسلامية، وهو الحملة الجائرة على اللغة العربية وصمود هذه اللغة أمام هذه التحديات

الألفاظ والعبارات:

عبر الشاعر عن تلك المعاني بألفاظ وعبارات قوية موافقة للمعنى، سهلة لا تحتاج إلى الرجوع للمعاجم، استخدم اللفظة المعبرة للمعنى.

العاطفة:

عاطفة الشاعر في هذه القصيدة عاطفة دينية تموج بالحب والغيرة على

الأمة الإسلامية، فلا غرو ولا عجب أن تكون صادقة.

الصور الخيالية:

لايخلو النص من الصور الخيالية التي تقرب المعنى وتجسده فاستخدم أسلوب التشخيص من بداية القصيدة، حيث جعل اللغة العربية إنسانا يتحدث عن نفسة، فيقول "رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي" كما أنه استخدم الاستعارة المكنية في قوله: " ولدت فلما"فقد شبهها بامرأة تلد فحذف المشبه به " المرأة " وصرح بالمشبه على سبيل الاستعارة المكنية وقوله: " رموني بعقم في الشباب.

والاستعارة التصريحية كما في قوله: " " لعرائسي " حيث شبه ألفاظها بالعرائس وحذف المشبه وصرح بالمشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية، وقوله: " وأدت بناتي"

والتشبيه البليغ في قوله: أنا البحر في أحشائه الدر كامن والتشبيه الضمني في قوله:

سرت لوثة الافرنج فيها كما سرى*** لعاب الأفاعي في مسيل فرات.

واستخدم البديع كالطباق في قوله: ولدت، وأدت. وغيرها من الصور البلاغية

إنّ من مقومات الأمة القوية اللغة، فلا أمة بلا لغة، والأمة بدون لغة كالجسد بلا روح. هيا ننظر إلى النماذج الواقعية في عالمنا المعاصر، ألا وهو المجتمع الياباني حين زلزلت الهزيمة في الحرب العالمية الثانية كيانه، لجأ إلى تربية خاصة به، وكان من دعائم تلك التربية الاعتناء بلغتهم اليابانية واستخدامها في كل المجالات الحياتية، وبها كوّن أجيالا نقلته إلى منصة

التقدم العلمي والتقني الذي يشار إليه بالبنان بين أمم العالم أجمع. [١]

والحقيقة التي لا بد من ذكرها عن اللغة العربية أنها لغتنا المسلمين، وهي جزء من ديننا، بل لا يمكن أن يقوم الإسلام إلا بها، ولا يصح أن يقرأ المسلم القرآن إلا بالعربية، وقراءة القرآن ركن من أركان الصلاة التي هي ركن من أركان الإسلام، ولذا فإن العناية بتعلمها وإتقانها مطلوبة مرغوب فيها من أجل إقامة شعائر الإسلام وفهم نصوص الكتاب والسنة.

أعداء اللغة العربية:

يتكون أعداء اللغة العربية من عرب ومن عجم: من العرب: **رفاعة الطهطاوي** من صعيد مصر، و**جميـــل صدقي الزهـــاوي:** من جنوبي كوردستان، و**أحمد لطفي السيد:** من محافظة الدقهلية بمصر، و**الأب أنستاس الكرملي** بطرس جبرائيل يوسف عواد اللبناني العراقي، و**قاسم أمين** من الإسكندرية، و**عيسى إسكندر معلوف** من "كفر عقاب" من قرى لبنان، و **سلامة موسى:** من مصر، و**عَبْد العَزِيز فَهْمي:** من كفر المصيلحة بمصر، و لا ننسى **طه حسين:** من عزبة "الكيلو" بمحافظة المنيا بالصعيد الأوسط، وكان أول وأهم وأشد معول هدم طرق جسد الأمة الإسلامية، ولم يدع عنصرًا من عناصر الأمة أو مقوماتها إلا طعن به أو حاول النيل من صفائه، فتعرض للقرآن الكريم، عقيدة وشريعة، وتعرض للغة العربية، والتاريخ الإسلامي، إن أشد وجه العداء للغة العربية من قِبل طه حسن لم يكن في الدعوة إلى العامية أو إلى

---

١ محمود أحمد شوق، أساسيات المنهج الدراسي ومهماته، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩٥م.

الكتابة بالحروف اللاتينية، بل في دعوته المستميتة في فصل اللغة العربية على القرآن، **ولويس شيخو** من ماردين بتركيا. **ولويس عوض** من أقباط مصر، وسعيد عقل من محافظة البقاع بلبنان، **وأنيس الخوري فريحه** من نصارى لبنان. ومن العجم مصطفى كمال أتاتورك.

ومن الذين دافعوا عن اللغة العربية، وناصروها، وواجهوا الأعداء الكاتب والأديب مصطفى صادق الرافعي الذي يرى أن ذُل الشعب ينتج عن ذل لغتها: وما ذلت لغة شعب إلا ذل، ولا انحطت إلا كان أمره في ذهاب وإدبار ومن هنا يفرض الأجنبي المستعمر لغته فرضا على الأمة المستعمرة ويركبهم بها، ويشعرهم عظمته فيها، ويستلحقهم من ناحيته، فعليهم أحكاما ثلاثة في عمل وأحد، أما الأول فحبس لغتهم في لغته سجنا مؤبدا، وأما الثاني فالحكم على ماضيهم بالقتل محوا ونسيانا، وأما الثالث فتقييد مستقبلهم في الأغلال التي يصنعها فأمرهم لأمره تبع.

إن الأمة الحريصة على لغتها ، الناهضة بها المعتزة بها المكبرة لشأنها هي الأمة التي لديها نزعة المقاومة والغلبة والاعتزاز بتراثها وفكرها، وقد أدرك أن معاول الهدم من الداخل أخطر وأشد أثرًا، فأنشد قصيدة قال فيها:

أمٌّ يكيدُ لها من نَسْلِها العــــــَقِبُ ... ولا نقيصةَ إلاَّ ما جنَى النَّســــــَبُ

كانتْ لــــــهم سببًا في كلِّ مكرمةٍ ... وهمْ لنكبــــــتها من دهرِها سببُ

لا عيبَ في العَربِ العَرْباءِ إنْ نَطَقوا ... بين الأعــــــــاجمِ إلاَّ أَنَّهُم عَرَبُ

والطيرُ تصدحُ شـــــتَّى كالأنامِ وما ... عنـــــد الغراب يُزَكَّى البُلبلُ الطَّرِبُ*

أتى عليها طَوال الدهـــــــرِ ناصعةً كطلعةِ الشمس لم تـــــَعْلَقْ بها الرِّيَبُ

ثم اســـــتفاضتْ دَياجٍ في جَوانِبِها كالبأدرِ قد طَمَسَتْ مِن نورِه السحبُ

ثم اســتضاءَتْ، فقالوا: الفجرُ يَعْقُبُهُ صـــــبحٌ، فكانَ ولكنْ فجرُها كَذِبُ

ثم اخــتفتْ وعلينا الشمس شاهدةٌ كأنَّـــــــــها جمرةٌ في الجوِّ تلتهبُ

ســَلُوا الكواكبَ كم جيلٍ تَدَاولَها ولم تَـــــــزَلْ نَيِّراتٍ هذه الشهبُ

وسائلوا الناسَ كم في الأرضِ من لغةٍ قـــــديمةٍ جدَّدت من زهوها الحِقَبُ؟

ونحـــــنُ في عَجَبٍ يلهُو الزمانُ بنا لم نَعْتَبِرْ ولَبِئْسَ الشـــــيمةُ العَجَبُ!

إنَّ الأمـــــــورَ لمن قدْ باتَ يَطْلُبُها فكيـــــــف تبقى إذا طلاَّبُها العَجَبُ!

إنَّ الأمـــــــورَ لمن قدْ باتَ يَطْلُبُها فكـــــيف تبقى إذا طلاَّبُها ذَهبوا؟

كانَ الـــــزمانُ لنا واللِّسْنُ جامعةٌ فقـــــــد غـــدونا لهُ والأمرُ ينقلِبُ

وكانَ مَـــــن قَــبْلَنا يرجوننا خَلَفًا فاليـــــــوم لو نَظَرُوا من بعدهمْ نَدَبُوا

أَنـــــتركُ الغربَ يُلْهِينَا بزُخْرُفِهِ ومَشْـــــرِقُ الشمسِ يَبْكِينا ويَنْتَحِبُ؟

وعـــــندنا نَهَرٌ عـــــذْبٌ لــشاربهِ فكـــــيفَ نتركهُ في البحرِ ينسربُ؟

وأَيُّـــــما لـــــغةٍ تُنْسِي أمرأً لغةً فإنـــــهـــــا نــكبة من فيهِ تنسكبُ

لكَم بكَى القولُ في ظلِّ القصورِ على أيـــــامَ كـــانتْ خيامُ البيدِ، والطُّنُبُ

والشـــــمسُ تلفحُهُ والريحُ تنفخُه والــظلُّ يعـــــوزهُ والماءُ والعشُبُ

أرى نفـــــوسَ الورى شتى، وقيمتُها عنـــــدي، تــأثُّرها لا العزُّ والرُّتبُ

ألم ترَ الحَطَب استعلى فصــارَ لظًى لَمَّا تأثَّر مِن مَــــسِّ اللــظى الحَطَبُ؟

فهـــل نُضــيِّعُ ما أبقى الزمانُ لنا ونَــــنْفضُ الكفَّ لا مجدٌ ولا حَسَبُ؟

إنَّا إذًا سُــبَّةٌ في الشـــرقِ فاضحةٌ والشـــــرقُ منا، وإنْ كنا به، خَرِبُ

هيهاتَ ينفعُنا هذا الصـــياحُ، فما يُجدي الجبانَ، إذا روَّعْتَه، الصَّــخَبُ؟

ومنْ يكنْ عاجـــزًا عن دفعِ نائبةٍ فقــــــصرُ ذلك أن تلقاهُ، يَحْتَسِبُ

إذا اللغاتُ ازدهت يومًا فقد ضَمِنَتْ للــــــعُــرْب أيَّ فخارٍ بينها الكتبُ

وفي الـــمــعــادنِ ما تمضي برونقهِ يدُ الصــــدا، غيرَ أنْ لا يَصْدأ الذهبُ

أما المخاطر التي تواجه لغتنا، فكثيرة ومتنوعة ومتعددة، ويمكن تقسيمها إلى قسمين:

أولا المخاطر الداخلية: من قبل أبناء اللغة العربية:

هذه أخطر المخاطر؛ إذ هي بمثابة المنافق الذي يظهر الإسلام ويكن في نفسه النفاق، وكيف لا وهو يضر اللغة العربية من الداخل كالسوس التي تدمر القصب من الداخل، وتتمثل في:

- ميل أبناء اللغة العربية إلى اللغات الأجنبية (الإنجليزية، الفرنسية، وغيرهما) والاعتزاز بها، وتفضيلها على لغتهم الأم العربية، هذه اللغات الأجنبية التي تزاحم العربية وتهددها في عقر دارها.

- تقديم اللغات الأجنبية في الأقطار الإسلامية على اللغة العربية، مما أدى إلى ظهور أحداث غريبة كمخاطبة الإخوة العرب من يخاطبهم بالعربية

من العجم باللغة الإنجليزية أو الفرنسية معتزين ومفتخرين بها. ولم يتوقف الخطر عند هذا الحد، بل تجاوزه إلى ازدراء من يكلمهم بالعربية، وتفضيل من يحدثهم باللغات الأجنبية الغربية. ينبغي أن نعي أن كرامة الأمة جزء من الانتماء إلى الأمة ، وبقدر اعتزازنا بكرامتنا يكون اعتزازنا بلغتنا، ولا ينقذ اللغة العربية في مؤسسات الدولة ومعاهدها إلا أولياء الأمور من الرؤساء والعلماء، والأمة مطالبة بتحرير مؤسساتها من هيمنة اللغات الأجنبية والثقافات الدخيلة. وإن اللغة العربية لأهم ركيزة من ركائز الوحدة العربية والإسلامية، وقد تغلبت هذه اللغة على كل الصعاب التي واجهتها في تاريخها، وهي لغة قومية ودينية في آن وأحد، كما أصبحت لغة العلم والأدب والفكر والترجمة، وعملت على توطيد العلاقات وتعميق الأواصر بين العرب والمسلمين، ولا تزال تقوم على الرغم من كل الصعاب التي تواجهها بدورها التاريخي، ولكن لأسباب تاريخية ناصبتها أوروبا العداء، فلجأت إلى سياسة مرسومة لمحاربة العربية والقضاء عليها، وما تم ذلك إلا بتشجيع الأجيال على المبالغة في الاهتمام باللغات الأجنبية، وكذلك تعظيم شأن العاميات واعتبارها لغات رسمية، وهذا من العوامل التي جعلت العرب يحجمون عن لغتهم. تناقش المخاطر التي تواجه اللغة العربية في مواجهة اللغات الأخرى التي تدفقت وبشكل مسيطر على الحياة في الوطن العربي بعد أن أصبح شرط العمل في كثير من الوظائف إتقان لغة أجنبية تحدثا وكتابة في الوقت الذي نعاني فيه من ضعف شديد في إتقان اللغة العربية التي هي لغتنا الأصيلة مما يبعث على القلق .

ويرى الدكتور علي فهمي خشيم[١] أن المدارس الأجنبية والتي أصبحت منتشرة الآن بشكل كبير في العالم العربي أدت إلى ضعف المستوى التعليمي العام وانحطاطه، حيث لا تعطي هذه المدارس النشء ما يكفي من تعلم الدين واللغة العربية، مما يزيد الهوة بينه وبين لغته الأم، وكأنه لم يعد عربيًّا، بالإضافة إلى عدم استخدام الجامعات اللغة العربية في العلوم والطب والهندسة والصيدلة حيث يعزون السبب إلى عجز اللغة العربية عن استيعاب العلوم.

– ازدراؤهم لمتكلمي اللغة العربية من غير العرب، والاستخفاف بهم، ومخاطبتهم بها عند الحديث معهم على الرغم من أنهم كلموهم بالعربية أساسًا...

– كثرة أسماء أجنبية مستوردة للمحلات التجارية أو المطاعم في البلاد العربية، اعتقادًا من أصحابها أنها أكثر جذبًا للزبائن، أو أنها أفضل وأعجب وألذّ من الأسماء العربية لها، حتى أخذت هذه الألفاظ تغزو وسائل الإعلام أمثال (هاي، أوكي، ميرسي، باي، مدام، برافو...)، ومنها تتسلل إلى البيوت، ثـمّ إلى الشوارع. ولا يغيب عن بالنا تلك الإعلانات التلفزيونية الكثيرة التي تقدم باللهجة العامية دون الفصحى المبسطة. ولا يغيب عن بالنا تلك الإعلانات التلفزيونية الكثيرة التي تقدم باللهجة العامية دون الفصحى المبسطة. ومن المؤسف أننا نرى الكثيرين من الناطقين بالعربية أو أبناء العربية الخلَّص يميلون إلى اختيار الأسماء الأجنبية لأطفالهم عند ولادتهم ربما عن جهل منهم أن هذه الأسماء غير عربية، وما أكثرها في مجتمعاتنا (جوزيف–لولا–نيفين...)، متناسين أن للكثير من الأسماء العربية وقعًا أجمل ومعنى أفضل.

---

١ http://linata٣alam.alafdal.net/t٢٢١٣-topic

– توجد بعض شركات الدعاية والإعلانات ومؤسساتها في البلاد العربية ما لا يلتزم أصحابها باللغة الفصيحة، أو حتى تراكيبها، أو أساليبها اللغوية في إعلاناتهم، ومما يلفت الأنظار ما الأغلاط اللغوية الكثيرة الواردة في الإعلانات، وما نجم كل هذا إلا بسبب الضعف اللغوي للقائمين على شؤون الدعاية والإعلان. وقعت عيني ذات مرة على لافتة مكتوب عليها " دكان الأسرار" على الرغم من كونه دكانًا للأسرّة....

– اللّغة العربيّة في تطوّر مستمرّ عبر العصور وهي ليست ببدعة من اللغات، ونحن نعلم أنّ كثيرًا من ألفاظها الجاهلية أصبحت مهجورة لانعدام الحاجة إليها،كما أنّ اللّغويين انصرفوا إلى اشتقاق ألفاظ جديدة ملائمة لحاجة التّطوّر الذي يشهده هذا العصر، فقد عمد الكثيرون إلى ترجمة العلوم والمعارف عن اللّغات الأجنبيّة، ومن هنا عرفت اللّغة العربيّة كثيرًا من المصطلحات الجديدة، والتّراكيب غير المألوفة، والألفاظ ذات المدلولات المغايرة لما وُضعت له، ويعود ذلك إلى أسباب عديدة أهمّها:

١–عدم تمكّن من يتصدّى لترجمة النّص الأجنبيّ من ملكة اللّغة العربيّة، والأخذ بناصيتها، والإلمام بقواعدها النّحويّة، وجهله بالفصيح من ألفاظها، وعدم تقصّي اللّفظ الأجنبيّ ومدلوله، بل نقل هذا اللّفظ كما هو إلى لغتنا العربيّة لجهله بمرادفه في العربيّة، خاصّة فيما يخصّ المصطلحات العلميّة.

٢–كثرة العنصر الأعجميّ في بعض المجتمعات الموجودة في أطراف الوطن العربيّ كما هو الحال في الدول القريبة من أوربا أو جنوبي شرق آسيا، حيث نلمس بوضوح أثر اللغات الأوربية كالإنكليزية والفرنسية

والإسبانية، وبعض لغات جنوبي شرق آسيا في مفردات اللغة العربية المتداولة في هذه المجتمعات، ومن هنا فقد نشأت لغة تحوي مفردات عربية ممزوجة بمفردات من اللغات الدخيلة. وتأثر كثير من العرب بلغات مستعمريهم، أو لغات البلاد الأوروبية التي تعلموا فيها.

- اللحن والأغلاط اللغوية المنتشرة بين الناطقين بالعربية حتى الناطقين الأصليين بها في اللغة الفصحى التي يؤديها الخطباء والكتاب والمذيعون وغيرهم.

وفيما يلي أورد موجزا بجوانب من الأغلاط الشّائعة على ألسنة أبناء اللغة العربية الأقحاح:

١-في الأساليب والتّراكيب: كثيراً ما يعمد المترجمون إلى نقل الأسلوب الأجنبي كما هو دون التّأكّد من موافقته للعربية وأساليبها وطرائق تعبيرها.

يقال مثلاً: (لعب هذا البلد دورًا هامًّا في السياسة الدولية)، وهو أسلوب منقول حرفيًّا عن اللّغات الأوربيّة التي تستعمل مجازاً المصطلحات المسرحية غير المعروفة في اللّغة العربيّة، حيث لم يكن المسرح معروفًا في عصور العربية القديمة، والصحيح: (يؤثّر هذا البلد في السّياسة العالمية).

ويقال: (لم أفعل ذلك إطلاقًا)، والصحيح: (لم أفعل ذلك قطّ) فالإطلاق ضدّ القيد.

ويقال:(قابلته وجهاً لوجه)، والصحيح:(قابلته) وتعني لقيته بوجهه، وعبارة وجهاً لوجه حشو زائد.ومثلها قولهم:(ليل أسود) أو(ثلج أبيض)، فالليل لا يمكن أن يكون غير ذلك، وكذلك الثّلج. ومثلها قولهم: (عضّه بأسنانه)، فالعضّ لا يكون بغير الأسنان.

ويقال: (فلانٌ عاطل عن العمل)، والصحيح: (عاطل من العمل) أي:خال منه وليس له عمل.

ويقال: (استقلّ فلان السّيارة)، والصحيح: (استقلّت السيارة فلاناً) أي: رفعته وحملته.

ويقال: (غطّى المراسل الحدث)، والصحيح: (ذكر المراسل الحدث) لأن غطى تعني أخفى.

ويقال: (تفوّق المتسابق على زملائه)، والصحيح: (فاق المتسابق زملاءه) أي غلبهم، بينما تعني تفوق ترفّع عليهم. ويقال: (قدّم له الكتاب)، والصحيح: (أعطاه الكتاب) لأن قدّم فيها معنى السّبق والتعجيل.

ويقال: (حضر مدرسو وطلاب المدرسة) والصحيح: (حضر مدرسو المدرسة وطلابها) لأنه لا يجوز في اللغة العربية الفصل بين المضاف والمضاف إليه، بينما ذلك شائع في اللغات الأجنبية.

٢- مخالفة قواعد اللغة العربية: كتأخير الاسم المؤكَّد مثل قولهم: (حدث نفس الشيء)، أو تدوين الطلاب أسماء الغائبين في أوراق الغياب بعد الحصّة الأولى بعبارة (نفس الغائبين)، والصحيح (حدث الشيءُ نفسُه، أو: الغائبون أنفسهم).

-ومن مخالفتهم قواعد اللغة العربية تعريف كلمة (بعض)،كقولهم: (جمعت الطلاب إلى بعضهم البعض)، أو(جاء البعض منهم) والصحيح: (جمعت الطلاب بعضهم إلى بعض، وجاء بعضهم).

-ومن مخالفتهم قواعد اللغة التّعدية بحرف الجرّ،كقولهم: (فعلته بالرّغم

منه) والصحيح: (فعلته على الرغم منه، أو على رغمه) فحرف الجر الباء يفيد الالتصاق بالشيء أو الإمساك به، وهو غير مناسب لهذه العبارة.

٣- الخطأ في ضبط بعض المفردات: كقولهم:

وبَطّيخ، والصحيح: بِطّيخ.

والحُنجُرة، والصحيح: الحَنجَرة.

وسوّاح، والصحيح: سُيّاح.

وبنادق، والصحيح بندقيّات؛ لأن مفردها بندقية اسم ينتهي بتاء زائدة للتأنيث فيجمع جمع مؤنث سالماً.

٤-ألفاظ أجنبية تستعمل بلفظها على الرغم من وجود الكلمات العربية الموضوعة لذلك:

كقولهم: الشنطة، وفي العربية الأصيلة الحقيبة

وقولهم: القشطة، وفي العربية الأصيلة القِشْدة.

وقولهم: الراديو، وفي العربية الأصيلة المذياع.

وقولهم: التلفزيون، وفي العربية الأصيلة الرائي.

وقولهم: التليفون، وفي العربية الأصيلة الهاتف.

وقولهم: البنك، وفي العربية الأصيلة المصرف.

وقولهم: كمبيوتر، والصحيح الحاسوب.

وقولهم: أوتوبيس، والصحيح الحافلة، وغير ذلك كثير...

- ولذا وجدنا أبناء اللغة العربية يقعون في أغلاط كان من المتوقع أن لا يقعوا في مثلها وهي أغلاط لغوية أو أسلوبية. ومن أمثلة ذلك ما يلي:

كتب أحدهم معلنًا عن الحقائب "لدينا جميع أنواع الشنط"، أو محل... لبيع وشراء جميع أنواع السيارات)، فلماذا –يا ترى– نستخدم الشنط بدلا من الحقائب الكلمة العربية الأصيلة!!! والصواب في المثال الثاني كما هو معلوم: (محل...لبيع جميع أنواع السيارات وشرائها)، لأنه لا يجوز الفصل بين المضاف والمضاف إليه، إذ المضاف والمضاف إليه متلازمان، بل هما كالكلمة الواحدة، وما هذا إلا من حصاد التأثر بأسلوب اللغة الإنجليزية الذي يجيز ذلك، فلماذا نحمل العربية ما لا طاقة لها به!!! أما آن أن ننصفها!!!

– كثير من العرب يميلون إلى تسمية أطفالهم بأسماء أجنبية ويعتزون بذلك كل الاعتزاز، فلست أدري ولست إخال أدري أعن جهل منهم أن هذه الأسماء غير عربية! لعل مردّ كل ذلك وجود عقدة الميل– عند بعضهم– إلى التجديد أو التأثر بطابع العصر ومعطياته الجديدة في ظل العولمة، أو أمركة العالم، وهذا –في الحقيقة– ما يعرف بالغزو الثقافي، حيث يجعل الإنسان غير معتز بما لديه، بل ينظر إلى ما عنده نظرة دونيّة إحباطية.

– ظهر أفراخ الغرب وعملاؤه في بلاد المسلمين من أبناء اللغة العربية، والمن المسلمين ليقوموا بذات المهمة بطريقة غير مباشرة، عن طريق إحياء اللغات البائدة من الفرعونية، والكردية...وغيرهما، وتمجيد اللهجات العامية وتقديسها، وبث الشعر العامي وروايته، وإفساد الذوق العربي بهدم أوزان الشعر(الشعر الحر)، باسم التجديد، والدعوة إلى إلغاء الإعراب والحركات، وتسكين أواخر الكلمات في أي موقع وقعت (سَكِّنْ تسلم)، وأية محاولة منها تفشل تلو الأخرى، ويُقَيِّضُ الله – تعالى– رجالاً يذودون عن لغة

القرآن، ويَرُدُّونَ كَيْدَ الأعادي الغاشمين.

- ومن المخاطر التي تمهد طريق موت اللغة العربية ظهور اللغة الوليدة التي لـــمّا يبلغ عمرها عشر سنوات العاشر لحد الآن، وهي لغة هجينة تمتاز بكتابة كلمات عربية بحروف إنجليزية (لغة الفرانكو أراب).وتعرف بأنها أبجدية مستحدثة غير رسمية ظهرت منذ بضعة سنوات، أصبحت تستخدم على نطاق واسع بين الشباب في الكتابة عبر برامج الدردشة (chat) على الإنترنت في المنطقة العربية، وتنطق هذه اللغة مثل العربية تماما إلا أن الحروف المستخدمة في الكتابة هي الحروف والأرقام اللاتينية بطريقة تشبه الشفرة، وتعتبر الأوسع انتشارا في الكتابة على الإنترنت،[١]إن أغرب الغرائب فى هذا الأمر ليس انتشار هذه اللغة الهجينة فحسب، ولكن تحولها إلى ما تشبه اللغة الرسمية، حيث أصبح بعض الشباب يستخدمونها فى كتابة المقالات والمأثورات الدينية، حتى إننا فوجئنا في مرة من المرات بمقال كامل عن شهر رمضان مكتوب بهذه اللغة.

إن قضية تقديم اللهجات واللغات المحلية وتشجيع الناس على استخدامها بدلا من اللغة العربية الفصحى، والدعوة إلى كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية، وهذا الأمر لا يقل خطورة من سابقه في أن العرب صاروا يستخفون بمن يكلمهم باللغة العربية الفصيحة. وهذه العاميات المحلية التي يروج لها كثير من الناس، والتي أصبحت تنتشر الآن حتى في أجهزة الإعلام، والتي يطالب البعض بأن تكون لغة تعليمية ورسمية.

---

١ http://٣lom-mans.montadalhilal.com/t٧٥٦٩-topic

-إن هناك عقوقا واضحا من قبل أبناء العربية تجاه لغتهم على مختلف مستوياتهم.

والذي ينبغي أن يعلم أنّ تعليم العربية الفصحى في المدارس لا يعني بالضرورة أننا أصبحنا في أمان؛ لأن هناك قطيعة بين التلاميذ واللغة الفصحى فهُم لا يستخدمونها بعد خروجهم من الدرس سواء في المدرسة أو في البيت أو في الشارع وإنما يتعلمون العربية كما يتعلمون اللغات الأجنبية. وأؤكد أن من يحارب العربية ويحاول أن يبعدها عن العلم وعن التعليم خطر علينا وعلى أمتنا وعلى علمنا ولن تقوم للعرب قائمة إذا لم يدخلوا ميادين العلم بلغتهم، مشيرا أن للمرة الأولى في سوريا يحدث أن تأتي جامعات خاصة تدرس في بلادنا بغير اللغة العربية، واعتبر الدكتور مازن أن هذا الخطر الداخلي هو الأخطر، مؤكدا أن لا قومية بلا لسان، ولا وحدة بلا لسان.. وقوميتنا عربية ولساننا عربي.

إننا لسنا ضد العامية فلها موضعها في بعض الأعمال الدرامية أو غيرها، وإن مدرسي اللغة العربية في مدارسنا أنفسهم لا يتكلمون اللغة الفصحى، لابد من إعادة تأهيلهم.

– ابتعاث الطلاب إلى الغرب لدراسة لغاته، وكان ذلك إيمانًا من العرب بأن اللغة هي الوجه الثاني للفكر، وأن من يجيد لغة لا بد أن يعجب بتاريخها وفكرها ويصير له انتماء من نوع ما إلى هذه الأمة، فقد كانوا يعتقدون أن الرجل الأوروبي، ولا سيما المتكلم بالإنجليزية أو الفرنسية هو المتقدّم.

– الهجمة التي تتعرض لها اللغة العربية هي ذاتها التي تتعرض لها الأمة

العربية والأمة الإسلامية، وليس مصادفة أن الغرب بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م في الولايات المتحدة الأمريكية بدأ يتصيد من يتحدث اللغة العربية لكي يخيف أبناء اللغة أن يتحدثوا بلغتهم، وينقلوها إلى أولادهم، و هذا المخطط لم يأت فعلا بعد أحداث سبتمبر، وإنما هو مخطط قديم يستهدف حضارتنا وهويتنا وديننا. وأن سكان أستراليا الأصليين كان لهم ٢٠٠ لغة وذابت كلها بفضل الإنسان الغربي، والحرب ضد اللغة ليست منفصلة عن الحرب السياسية والعسكرية بل هي الأولى. والدعوة إلى العامية من قبل المستشرقين دعوة حقيقية وممولة من أطراف مشبوهة، وكانت هناك —كما سمعنا من بعض العلماء– امرأة أوروبية تعيش في الغرب تطبع مجلة باللغة العامية، وتوزعها مجانا في كل من المغرب العربي، وكذلك الأمر في الجزائر، وحتى في مصر. والحقيقة المرة هي أن العامية خطر.

– إن الكيان الصهيوني أطلق اسم لغته العبرية على أهم جامعاته (الجامعة العبرية) مما يدل على أنه يحترم لغته، فكيف نترك نحن لغتنا ونهجرها، وتعتنق لغات الأخرىن!؟ ومما لا مفر منه أننا في أمس الحاجة لثورة عارمة تهدف إلى تغيير النظام التعليمي من جذوره، والعودة إلى التعليم القديم.

– أولا لا بد من الاعتراف بأن اللغة العربية لغة عالمية وقد جاء تصنيفها الخامس في العالم بالنسبة لعدد السكان الناطقين بها، وإنها اللغة الأقدر في العالم على الاشتقاق. وهناك ضرورة ملحة لإيجاد تمويل، لدعم بعض التجارب مثل تجربة الدكتور عبد الله الدنان في تعليم اللغة الفصحى للأطفال. وكذلك إلى ضرورة تعليم الفصحى وتعلنها في الروضة، إذ إنّها

المرحلة الأهم لتعلم اللغة العربية الفصحى.

- العدو الصهيوني يحاربنا لغويا قبل أن يحاربنا عسكريا، والدليل على ذلك كلمة مستوطنات حيث كان الحديث يدور عن تفكيك المستوطنات، وبعدها أخذ الحديث يدور عن بؤر استيطانية، ومن ثم وصل إلى بناء بيوت في مناطق عربية، وهكذا فالعدو هو الذي يطرح المصطلح، ونحن نتبعه دون أن نعي ذلك الانزياح اللغوي لحق العربي، فهي معركة لغوية، ونحن مقصرون ومخفقون في تعليم اللغة، فكيف يمكن للمراكز الثقافية الأجنبية تعليم العربية في بلادنا للأجانب، ولا نقوم نحن بهذا الدور، أي دور نشر اللغة العربية في البلاد الأوروبية!!!

ثانيا المخاطر الخارجية: من قبل أعداء اللغة العربية:

هذه أقل خطورة، إذ هي بمثابة الكافر الذي يكفر بالإسلام ويعلن ذلك، فيسهل اتقاء شره نوعًا ما، وتتمثل هذه المخاطر في:

- محاولة القضاء على العربية من أفواه أبنائها بتشجيعهم على اللغات الأجنبية، وإكرامهم، وإغداق العطايا عليهم، وتقريبهم بوظائف ومناصب...

- محاولة المستشرقين أيام الاستعمار الأجنبي للبلاد الإسلامية إلغاء اللغة العربية، واستبدالها بلغات أجنبية إلا أن محاولاتهم لم تحظ بالنجاح، بل باءت بالفشل والخيبة، إلا في إحلال الحرف اللاتيني محل الحرف العربي.

- تحويل أبجدية اللغات الإقليمية إلى اللاتينية وكانت تكتب أساسًا بالحروف العربية، كما حدث في إندونيسيا، وغيرها من البلاد الإفريقية والآسيوية. (تترانيا، نيجيريا، ماليزيا، تركيا...).

وكانت الحملة على اللغة العربية الفصحى من خلال حجج ضعيفة واهية ما أنزل الله بها من سلطان، منها: صعوبة اللغة، ومنها التفاوت بينها وبين العامية. كما كان فرض اللغات الأجنبية في مختلف أقطار الأمة الإسلامية عاملاً هامًّا في فرض ثقافاتها ووجهة نظر أهلها وفي الوقوف موقف الإعجاب بالغاصب والعجز عن مواجهته.

- دعوات العامية التي وجهت إلينا منذ عصر النهضة، مشيرا إلى دعوات العامية التي ابتدعتها وزارة المستعمرات الإنكليزية، وكان شعارهم آنذاك أن تخلف العرب العلمي هو بسبب لغتهم الفصحى، وللأسف فقد استجاب عدد من الناس لهذه الدعوات وخاصة في لبنان وفي مصر، أيضا من الأخطار الخارجية الدعوة إلى نبذ الإعراب وتسهيل اللغة، فضلا عن ترك الحرف العربي واستبداله بالحرف اللاتيني أسوة بالأتراك.

العلاج المقترح

هذه القضية لا تهمّ العرب فحسب، بل تهم المسلمين جميعًا في مشارق الأرض ومغاربها، لأنها تمس جوهر كيانهم، وتتناول صميم وجودهم. بالنسبة للعرب فهي لغتهم الأمّ التي اختارها الله تعالى لهم دون غيرها من اللغات، وهي لغة المسلمين التي نزل الله بها القرآن الكريم آخر الكتب السماوية الذي تكفل الله تعالى بحفظه من كل تحريف وتبديل وتزوير وتحويل، كما حدث لغيره من الكتب السماوية التي نزلت على الأنبياء السابقين، ومصداق ذلك قوله تعالى في

محكم تنـــزيله:{إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون}[1]، وهذا بالتالي يتضمن حفظ هذه اللغة التي بها نزل الذكر، فحفظ الذكر يقتضي حفظ الوعاء الذي يحمله، ولكن هذا الأمر يتطلب جهودًا من قبل العرب والمسلمين!!! عملا بالمبدأ السامي"اعقلها وتوكل" فاللغة كائن حي، وحياتها استخدامها، وموتها عدم وجود من يستخدمها، حيث تبقى الآيات القرآنية مكتوبة باللغة العربية، ولا يوجد من يستخدم اللغة العربية في الحياة اليومية. ولا شك أن رأي مفتي الديار المصرية الشيخ الدكتور علي جمعة في البحث الذي قّدمه في الجلسة الأولى لمؤتمر "لغة الطفل العربي في عصر العولمة "في مقر جامعة الدول اللغة العربية في المدّة من ١٧- ٢٠٠٧/٢/١٩ م حيث فاجأ الحضور بتصريحه الذي لا يكاد كثير من المسلمين يَعُونَه أن الله تعالى لم يتعهّد بحفظ اللغة العربية التي يقدر عمرها بحوالى ألفي عام، وإنما الذي تعهد به سبحانه هو حفظ القرآن الكريم (الذكر)، ولهذا ينبغي أن نعلم أنها أيضًا عرضة للتغيير كغيرها من لغات العالم، إذ العربية ليست ببدعة من هذه اللغات! فقد خيب هذا التصريح الصريح آمال من كان يظن أنها لغة مقدّسة، ولا يمكن أن تنقرض كبقية اللغات[2]. وهذا أيضًا محرك لهمم المسلمين إلى أن لا يتكلوا، فيهملوا الاعتناء بلغتهم!

ولعل ما زاد الحدة لدى البعض أن اللغة العربية ربما تكون من بين اللغات التي ستنقرض بناء على ما أشار إليه تقرير لليونسكو في العام ٢٠٠٦م والذي أورد أن اللغة العربية من بين اللغات التي ستموت. وهو ما

---

١ الحجر:٩

٢ http://linata٣alam.alafdal.net/t٢٢١٣-topic

جعل أكثر الغيورين على لغتهم في قلق متواصل، خصوصا إذا ارتبطت بالهوية والحضارة التي ربما تندثر هي الأخرى.

حتى إن الدكتور عبد الوهاب المسيري ومجموعة من المثقفين والمهتمين بالهوية السياسية العربية[١] رفعوا دعوى ضد الرئيس المصري ورئيس وزرائه بعدم التزامهما باستعمال اللغة العربية ومخالفتهما بذلك نص الدستور المصري الذي ينص على أنها هي اللغة الرسمية للبلاد.

ومن هنا يتقرر أن من أول الأمور وأهمها بالنسبة للأمة العربية والإسلامية، المحافظة على هذه اللغة من كل ما يشوبها في هذا العصر من شوائب وسموم شرعت تنهش أوصالها، وصونها من عبث العابثين وخدش الخادشين الذين يحاولون ليل نهار النيل منها، ويبذولون قصارى جهودهم في سبيل القضاء عليها. فعلى أولى الأمر منا الذين يقع على عواتقهم وضع الخطط والسياسات التعليمية، وتنفيذها صون هذه اللغة، والتصدي لهذا التدهور الخطير والانهيار الشامل الذي يصيب الناطقين بها ليس من غير العرب فحسب، وإنما من أبنائها الأقحاح الذين يكادون يطمسون معالمها ويحولوها إلى لغة أخرى تختلف في خصائصها عما نعرفه عنها من الأسلوب البليغ، والتعبير الناصع، والبيان الساحر، واللفظ الموجز غير المخلّ، إلى لغة لا تمت إلى العربية بصلة إلا صلة الاسم، وهم يسعون من وراء ذلك – في إطار الهجمة الشرسة والسموم الناقعة على الإسلام– إلى النيل منه من خلال النيل من لغته، وبالتالي يتم قطع الصلة بينه وبين انتمائه العربي والإسلامي، ولا تقل هذه الهجمة خطورة عن خطورة نسبة كل من يدين

١ المرجع السابق

بالإسلام إلى الإرهاب.

يتهم أعداء العربية اللغة العربية بأنها بعيدة عن مواكبة هذا العصر المتطور، ومجاراته في اكتشافاته المذهلة، وعدم استيعابها لمفردات العلوم ومصطلحاته، وأنها لا تصلح للتعبير عن الجانب العلمي من حضارة العالم المعاصرة بسبب قصورها، ويؤيد هؤلاء في آرائهم من يعبر عن مصطلحات العلوم المعاصرة بلغتها الأجنبية دون الأخذ بما يقابلها من اللفظ العربي الذي اعتمدته مجامع اللغة العربية في الأقطار العربية.

هذه الادعاءات بعيدة كل البعد عن الواقع العملي، فقد تصدت له مجامع اللغة، والمؤسسات المشتغلة بالترجمة في عدد من الدول العربية (كالمجلس الوطني للآداب والعلوم في الكويت في دورياته) حيث أطلقت تسميات جديدة مناسبة على أهم المكتشفات المعاصرة، أو أنها اشتقت لها هذه المسميات من جذور اللغة العربية.

- العلاج اللغوي يجب أن يبدأ من المدرسة، ومع المراحل الأولى من حياة الطفل، حيث يتم تلقينه اللغة العربية الفصحى سليمة من الشوائب، ومن هنا ندرك الدور الكبير الذي يجب على التربية أن تقوم به في سبيل معالجة هذه الآفة التي تنهش جسد اللغة العربية، ولذلك يجب على وزارات التربية في الدول العربية أن تولي اهتماما خاصًّا إلى وضع المناهج التربوية التي تنسجم مع هذا الهدف، بالعمل على تبسيط قواعد اللغة التي يشكو أكثر طلابنا ضعفًا عامًّا فيها، وأن توجّه اهتمامًا خاصًّا إلى تيسير دراسة قواعد اللغة العربية النحوية والصرفية في المدارس.

- الاهتمام بتقنيات التعليم ليتسنى لنا جعل العملية التعليمية والتعلُّمية أكثر جذبًا، والاهتمام بإدخال عنصر التشويق في إجراءات تطبيقها، والتأكيد من مراقبة استخدام التقنيات المختلفة -وخاصة الحاسوب- في المدارس خاصة في تعليم اللغة العربية بطريقة فعّالة ومنظمة.

- الاهتمام بتقنيات التعليم لجعل عملية التعليم أكثر جاذبية،وإدخال عنصر التشويق إليها،والتأكيد على مراقبة استخدام التقنيات المختلفة -وخاصة الحاسوب- في المدارس خاصة في تعليم اللغة العربية وقواعدها، والاهتمام بتدريب المدرسين على استخدامه،على أن يكون استعمال الحاسوب واحداً من شروط تعيين المدرسين.

- الاهتمام بدراسة مفردات العامية القريبة من الفصحى، أو الاهتمام بما فيها من فصيح الألفاظ، وتهذيبها بالتدرج حتى تصبح أقرب إلى اللغة الفصيحة بحيث يؤدي ذلك إلى تضاؤل الفروق بين العامية والفصحى، مما يؤدي إلى انتشار الفصحى المبسطة المناسبة للحديث اليومي بعيدًا عن الإغراق في التقعر اللفظي، وهذه مسؤولية وزارة الإعلام إضافة إلى الوزارات المختصة، بحيث يتم التوجيه إلى العاملين في حقل الإعلام سواء في وسائله المقروءة والمسموعة بالابتعاد عن اللهجات العامية سواء في الحديث الإذاعي أو الدعايات أو التمثيليات الإذاعية والاهتمام بالفصحى أو الفصحى المبسطة للعمل على انتشارها بدلاً من اللهجات العامية، والسير أبعد من ذلك بلفت نظر العاملين في هذا المجال إلى أن مقياس درجة نجاحهم في عملهم سيقاس استناداً إلى مدى حرصهم على الالتزام بهذا الجانب اللغوي، ومحاسبة المقصرين بشدة.

- اهتمام الجامعات العربية بتدريس اللغة العربية الفصحى في جميع كلياتها ومعاهدها، وتفعيل دورها إضافة إلى دور مجامع اللغة ليس في رفد لغتنا بالجديد من المصطلحات والأساليب والمفردات فحسب، وإنما العمل من قبل الوزارات ذات العلاقة على التأكيد على مبدأ محاسبة المقصرين والمخالفين لتوصيات المجامع، والمؤسسات صاحبة الرأي في مجال اللغة العربية، ليكون لها الدور الفاعل والفعال والمؤثر في مواجهة الخطر الدّاهم.

قيل قديماً: درهم وقاية خير من قنطار علاج، فلنعمل كلنا على بذل هذا الدرهم،أو الانتفاع بما يوازيه من الفائدة قبل أن يستعصي الأمر على العلاج.

- وضع الخطط وتنفيذها لصون اللغة، ووقف هذا التدهور الخطير في التعاطي مع الناطقين بها الذين يكادون أن يطمسوا معالمها ويحولوها إلى لغة أخرى تختلف في خصائصها عما نعرفه عنها من بلاغة الأسلوب، ونصاعة التعبير، وسحر البيان، وإيجاز اللفظ، إلى لغة لا تمت إلى عربيتنا بصلة إلا صلة الاسم، وهم يسعون من وراء ذلك -في إطار الهجمة الشرسة على الإسلام-إلى النيل منه من خلال النيل من لغته، ومحاولة القضاء عليها، وبالتالي قطع الصلة بينه وبين انتمائه العربي، ولا تقل هذه الهجمة خطورة عن وسم كل من ينتمي إلى الإسلام بسمة الإرهاب، فكأن العالم خلا تمامًا من الإرهاب والإرهابيين، واقتصر هذا الأمر على المسلمين فقط دون سواهم.

إن مرد كل ما ذكرناه سابقاً يعود إلى وجود عقدة الميل عند بعضهم إلى التجديد أو التأثر بطابع العصر ومعطياته الجديدة في ظل العولمة، أو أمركة العالم، ومن هنا ندرك الميل إلى إطلاق الأسماء الأجنبية على الكثير مما

حولنا في إطار البيئة والمجتمع، وهو ما تسعى إليه العولمة بالضبط من محاولة العزوف عن اللغات الوطنية واستبدال الإنكليزية بها، ومن ثم العمل تدريجيًّا على القضاء عليها قضاء مبرمًا، وهذا ما يعرف بالغزو الثقافي الذي راح يطال اللغات القومية في محاولة لبسط الهيمنة الأمريكية على شعوب العالم، وجعل الإنكليزية لغة مهيمنة.

- يجب أن تتم إعادة النظر في مناهج اللغة العربية وفي طرق التدريس، وفي القائمين علي عملية التدريس ذاتها، فمحتوى المناهج بوضعه الحالي لا يجعل من اللغة العربية لغة محببة إلى المتعلمين فالشعر والنثر والبلاغة وقواعد النحو والصرف ومدارس الأدب والخط العربي والإنشاء والتعبير كل فرع من هذه الفروع يمثل عبئاً على دارس اللغة العربية مما يولد في نفسه ضيقاً وضجراً شديداً ليس من هذه الفروع فحسب بل من اللغة ذاتها، بيد أن تطويرًا، وتيسيرًا، وإضافة بعض المشهيات والمقبلات سوف يجعل من دراسة اللغة العربية شيئًا محببًا إلى دارسيها...هذا من ناحية .

- إن على وسائل الإعلام دورًا مهمًّا جدًّا في ترسيخ احترام اللغة العربية وحبها حبًّا جمًّا من خلال البرامج والفنون والثقافة، فلو تم استثمار الدراما التليفزيونية والإذاعية بشكل ينحاز إلى اللغة العربية سوف تحدث طفرة حقيقية في المستوى العام، وبالنسبة للإعلانات سواء كانت إعلانات ثابتة في الشوارع أو الطرق السريعة يجب أن يتم كتابتها باللغة العربية ولا مانع أن تتم كتابتها باللغة الأجنبية بجانب اللغة العربية، وبالنسبة لعناوين المحلات وأسماء الشركات يجب أن تتم كتابتها باللغة العربية مع ضرورة

مواجهة كل الخروقات التي تحدث في هذا الصدد.

– ينبغي أن تكون المراسلات اليومية بين الشركات والأشخاص في البلاد العربية باللغة العربية الفصحى أيضًا.

– كما يجب أن تكون العربية الفصحى هي اللغة المستخدمة في التعامل اليومي بين الموظفين .

– أن يكون الشرط الأساس في التوظيف في البلاد العربية والإسلامية هو إجادة اللغة العربية، إذ إنّنا نرى هذا الكم الهائل من الإعلانات عن طلبات التوظيف المختلفة ونجد أن الشرط الأساسي هو إجادة اللغة الأجنبية ولم نجد في يوم ما شرط إجادة اللغة العربية، كما أن هناك دوراً وواجباً على حملة الفكر والإعلاميين بضرورة احترام اللغة العربية أثناء حواراتهم ومقابلاتهم عبر وسائل الإعلام المرئية والمسموعة، بيد أن النقطة الأكثر خطورة هي هذا الهجران الكارثي للغة العربية على مستوى القاعدة الطلابية للغالبية العظمي من أبناء الطبقة الميسورة .

– توعية الآباء بضرورة اعتناء أبنائهم باللغة العربية في المقام الأول، ثم اللغة الأجنبية أيًا كانت في المقام الثاني. حيث يهتم ويتباهى الآباء بأن أبناءهم لا يجيدون العربية إطلاقاً حيث إن مدارسهم مدارس أجنبية، وهنا تكمن الكارثة الحقيقية فهؤلاء التلاميذ تشبعوا بالثقافة الأجنبية ودرسوا تاريخ اللغة التي تعلموها وباتت اللغة العربية بالنسبة لهم ضرباً من التخلف والرجعية، أنني ومن خلال معايشتي وتعاملاتي الدائمة مع طلاب الجامعات أجد ما يحزن ويؤلم حقاً .

فاللغة العربية لا مكان لها على الإطلاق في حياة هؤلاء الطلاب فقط يدرسون لغات أجنبية ويتكلمون بها ويحترمونها ويتباهون أمام أقرانهم باستخدامها، إن الأمر خطير ويحتاج إلى وقفة جادة وحاسمة وفورية ومن الجميع، فهل آن لنا أن نفيق؟

أجريت بحوث عديدة حول المخاطر التي تهدد حاضر اللغة العربية ومستقبلها منها ما يلي[١]:

– البحث الأول حول (مستقبل اللغة العربية في عالم متغيّر) ألقي أمام المؤتمر الثالث والسبعين لمجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ٢٠٠٧ م، والبحث الثاني حول (اللغة العربية ووسائط الاتصال (وكان في الأصل محاضرة ألقيت في المعهد العالي للإعلام والاتصال في الرباط عام ٢٠٠٧ م، والبحث الثالث حول (اللغة العربية وتحدّيات العولمة: رؤية لاستشراف المستقبل) وقد ألقي أمام الدورة الرابعة والسبعين لمجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ٢٠٠٨ م. أما البحث الرابع الذي فقد قدم إلى المؤتمر الثاني والسبعين لمجمع اللغة العربية بالقاهرة في عام٢٠٠٦ م، بعنوان:" المعجم التاريخي للغة العربية في ضوء متغيّرات الألفية". ويجمع بين البحوث اللغوية الأربعة قواسم مشتركة، وتدور جميعها حول محاور متقاربة، وإن اختلفت طرق التناول والعرض، فهي تدرس الوسائل التي تساعد في مواجهة المخاطر الكبرى التي تفرضها

١ التويجري، عبد العزيز بن عثمان :اللغة العربية وتحديات العولمة، رؤية لاستشراف المستقبل من منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، ١٤٢٩ ه-٢٠٠٨ م .

العولمة على لغة الضاد، فتحاصرها وتضيق عليها الخناق، وتعزلها عن مجرى الحياة، وتحكم عليها بالخضوع لضغوط لسانية ولغوية ذات مضامين ثقافية وفكرية، فتضعف اللغة، وتقصر عن الوفاء بحاجات المجتمع، وتعجز عن مسايرة التقدّم المذهل الذي يعرفه العالم اليوم في ميادين العلوم والتقانة والمعلومية، ومواكبة ما يشهده مجتمع المعرفة من تطوّر مدهش يحير العقول . تواجه اللغة العربية مخاطر كثيرة بسبب تدني مستويات تعلمها داخل المدارس والجامعات العربية، وأهل اللغة العربية يواجهون مشاكل في التحدث بها ومع ذلك تبقى اللغة العربية ببقاء القرآن الكريم كما حفظه الله .

– ونحذر من تأثير عاميات الفضائيات وفنوها على المتحدثين باللغة العربية خاصة الأغاني التي تتصف بمستوى رديء بحيث تؤدي إلى إتقان المجتمع العربي للهجات العامية والتي تبعده عن اللغة الفصحى . ضرورة محاصرة شيوع اللهجات الدارجة في البلاد العربية وحماس المواطن العربي لتداولها مما يهدد بحدوث تفرقة بين الشعوب العربية بسبب تباين هذه اللهجات بين دولة وأخرى. مؤكدا أنها تشكل خطرا على اللغة العربية الفصحى والتي تشكل الرباط الأساسي بين هذه الشعوب والتي يعتبرها الكثيرون الموجه الحقيقي لهجمات اللغات الأجنبية على الدول العربية وغزوها لثقافاتها خاصة اللغة الإنجليزية التي تزحف ثقافيا واجتماعيا واقتصاديا وتفرض نفسها بالإغراءات المالية لتعلمها والعمل بها في مجالات متقدمة خاصة شركات الاستثمار والاستيراد والتصدير وتكنولوجيا المعلومات مما يهدد بقدوم خطر على أصول اللغة العربية .

- ضرورة تعليم الصغار بالدول العربية اللغة الفصحى الأصيلة والتحدث بها والاستفادة بشكل أو بآخر من تعلم لغة أجنبية للتعرف على ثقافات الآخرين، وعمل مقارنات بين الثقافات مع حوار الحضارات .

- ندعو إلى تفعيل دور مجمع اللغة العربية من حيث تعريب المصطلحات الأجنبية ووضعها تحت أعين الدارسين في مختلف المدارس والمعاهد والالتزام بقرارات مجمع اللغة العربية لصالح اللغة الفصحى.

- محاربة من ينادي بتعليم اللغات الأجنبية في مراحل عمرية مبكرة في عصرنا الحاضر.

- محاربة من يغزو الشوارع بالإعلانات والمفردات الأجنبة لتسمية المحلات التجارية، وكتابة الكلمات الأجنبية على الملبوسات والمنسوجات، وإن كان لا محالة، فالأحسن أن تكون اللغة العربية هي الأولى، ثم تليها الأجنبية.

- محاربة أبناء العربية الذين يحلو لهم أن يعبروا عن أنفسهم، ويتواصلوا مع أحبابهم أبناء لغتهم باللغات الأجنبية!

- محاربة من يفتخر بالزواج بالأوروبيات؛ لأنه سيتعلم اللغة الإنجليزية أو الفرنسية، أو ما شابههما، ولا يفكر في أن يعلم الزوجة لغته العربية، لأنه يعتقد بدونية اللغة العربية.

- محاربة من يسمون أنفسهم بأسماء أجنبية، أو يسمون أولادهم بها!

إن اللغة العربية لغتنا ولغة القرآن، ونحن اليوم في عصر العولمة والتكنولوجيا، في عصر تريد الدول الكبرى أن تهيمن وتسيطر لغتها على الشعوب التي تستورد صناعاتها -ومن بينهم العرب- و للأسف الشديد

اليوم نحن نرى الكثير من العرب يعلمون أبناءهم لغات أجنبية كاللغات الأوروبية الأكثر تداولاً عالميا مثل الإنجليزية والفرنسية على حساب العربية، ونسُوا أو تناسوا أن اللغة العربية أغنى لغة على وجه الأرض نعم أنها الأغنى عالميا، وأتحدى أي شخص يخالفني في ذلك ونسُوا أو تناسوا أيضا أن اللغة الإنجليزية والأسبانية والفرنسية والألمانية، وغيرها من اللغات التي جعلتهم ينسون لغتهم ويزدرونها لم تكن إلا لهجات لاتينية وتناسيتم أيضا أن اللغة العربية لها الفضل في تطور هذه اللغات ولا سيّما الأسبانية والإيطآلية . من الجدير بالذكر أنني لست بصدد منع العرب والمسلمين من تعلم اللغات الأجنبية، كلا ثم كلا، ولكن يجب علينا أن لاننسى أن لغتنا هي الأغنى حتى إن لم تكن مهيمنة كالإنجليزية وغيرها وستبقى هي اللغة التي خاطب الله بها البشر ولغة القرآن ولغة نبي الإسلام ولغة العرب اليوم، تحدثوا باللغات الأجنبية عندما تتخاطبون معهم أو لوقت الضرورة أما أن تتحدثوا بها وتقولون لاداعي لها فهي لغة المتخلفين العرب كما يدعي بعضهم، فهذا هو التخلف بعينه؛ لأن حال العرب اليوم لا يعكس طبيعية اللغة هذه اللغة عمرها يزيد عن آلاف السنين، أما اللغات الأجنبية المذكورة آنفًا، فلا يزيد عمرها عن حوالى ١٠٠٠ سنة.

مما يزعج في بعض الأحيان أن أرى بعيني عربًا يتحدثون مع عرب بالإنجليزية، وكأنهم تحضروا كما يدعي الغرب لهم ،كفاكم ذلك غباوة!!! تفاخروا بلغتكم ولغتكم مستهدفة من قبل الأعداء، فمثلا اللغة العربية في عدة مدن من الدول العربية لاتكاد تستعمل إلا قليلا جدًّا! فوا عربيتاه!!! إنه

لعار عظيم! ياعرب أقولها وفي حلقي غصة تختقني غيرةً على لغتنا الأم. فالدول التي ازدهرت اليوم اُحترِمَت لغتها كما احترمها الغرب اليوم، فهو سبب من أسباب تقدمهم اعتزوا بلغتكم يا عرب! ولا تتشدقوا إلا بها لكي يحترمكم العالم، فإذا لم تحترموا لغتكم، ولم تعتزوا بها، فسيحتقركم غيركم، وستُزْدَرَوْنَ من قبل جميع شعوب العالم يحتقرونكم..

وثمة محاولات عديدة من قبل أعداء اللغة العربية في طمسها والإطاحة برأسها، ولكنها -بفضل الله ورعايته- باءت بالفشل والخيبة والخسران، فلم تندثر اللغة العربية على الرغم من تلك المحاولات والمكائد في الدول العربية المستعمرة مثل مصر والمغرب العربي واليمن... وفشلوا في محاولاتهم الجادة بغية تحويل حروف اللغة العربية إلى لاتينية كما حدثت للغة التركية والأندونيسية والكثير من اللغات التي تحولت لحروف لاتينية. وقد فشل اليهود في تحويل اللسان العربي في إسرائيل إلى عبري، على الرغم من عدم رضاهم بذلك حيث إنهم يتحدثون في منازلهم بلغتهم الأم أي العربية، وفي الخارج بالعبرية. أضف إلى ذلك فشل الإيرانيين في تحويل اللسان العربي في الأحواز إلى فارسي على الرغم من الضغوط المستمرة والمتواصلة عليهم إلى عصرنا هذا. وهناك الكثير من العرب المهاجرين إلى بلاد أخرى، والمولودون خارج الوطن العربي يتحدثون بلغتهم الأم (العربية) في منازلهم، والقليل منهم تنازل عنها وحاد بحجة العولمة والتطوّر والحداثة والمعاصرة.

يتوقع بعض الخبراء الغربيين اقتراب موعد وفاة اللغة العربية لأسباب تالية:

ضعف الإقبال عليها من مستخدميها، وضعف الاستثمارات العربية

في قطاع التعليم وفي حقل نشر اللغة العربية، وعدم مواكبة القائمين عليها للتقدم التكنولوجي والعلمي وتوافر المصطلحات اليومية .

ومما يستدل به الخبراء على ذلك أن استخدام اللغة العربية الفصحى في الإعلام أو التربية، أو في خطابات المناسبات العامة بين الفينة والأخرى لا يعني أنها اللغة الأم للمتحدث بها، خصوصًا في دول خليجية مثل قطر والإمارات التي تعتمد على اللغة الإنجليزية بقوة، في كل المجالات الاقتصادية والتجارية، وحتى على صعيد الحياة العامة، وشراء الاحتياجات العائلية اليومية الضرورية .

ويرى بعض أساتذة اللغة العربية في الجامعات الأوروبية أن غالبية الطلبة العرب يعتقدون أن تعلم اللغة العربية شيء غير منطقي، وغير مُـــجْدٍ بالنسبة لهم، ولا يمت للواقع العملي بصلة، خصوصًا في الأجواء العالمية المتاحة حإلىا، حيث يتم تفضيل الإنجليزية على العربية. وما يزيد من صعوبة الأمر وتعقيده أن تعلم اللغة العربية نفسها، يعد مهمة مستحيلة لدى غالبية هؤلاء الطلبة لصعوبتها من ناحية، وقلة وجود استثمارات عربية في التعليم، تزيد من كفاءة الوسائل التعليمية وتقدمها في المنطقة التي تتحدث بها. إن قلة استثمار الحكومات العربية يعني أن تعليم اللغة سيكون سيئًا دون أن ننسى أن في دول الخليج عدد الغربيين والآسيويين يفوق بكثير عدد الناطقين باللغة العربية.

كما يرى بعض الغربيين أن اللغة العربية على الرغم من كل ما تقدم ما زالت قوية، بظهور مسابقات تشهد إقبالاً شديدًا مثل "شاعر المليون"

الذي ينتج أشعاره في عاصمة الإمارات العربية المتحدة، على الرغم من كونها عاجزة عن التعامل مع كلمات تستخدم دائمًا باعتبارها أحدى الاصطلاحات التي تشير إلى ضغط الملفات لإرسالها كوحدة واحدة بدل إرسالها مجموعة مقسمة على ملفات منفردة. لكن مثل هذه التغيرات والاستعارات لا مفر منها، وقد تكون مفيدة، وأن وجود مفردات جديدة في اللغة العربية والتخلص من مفردات عفا عليها الزمن دليل على التطور والحيوية وليس في أي حال من الأحوال بدليل أفول.

وقد نوّه الكاتب والأديب المصري إبراهيم فرغلي في مقال له بمجلة العربي الكويتي (عدد نوفمبر ٢٠١٠م) إلى خطورة الشبكة العالمية للمعلومات بكونها وسيلة فعالة لتدمير اللغة العربية، حيث إن انتشارها الكبير الآن بين الشباب أفرز مئات المدونات الشخصية ومئات الآلاف من النصوص الأدبية والنثرية المكتوبة بلغة الفرانكو أراب والتي تحول بعضها إلى كتب وأعمال درامية.

كما ساعدت هذه النصوص المكتوبة "الفرانكو أراب" بحسب فرغلي على انتشار هذه اللغة الجديدة التي بدأت مع ظهور برامج المحادثة على الإنترنت "الدردشة"، وتضخمت الظاهرة بشكل أكبر مع ظهور فضائيات وصحف عربية تدعم اللغة العامية على حساب العربية. إن هذه اللغة الجديدة تبعها استغلال تجاري، من خلال نشر عدد كبير من هذه المدونات على شكل كتب مطبوعة دون أي محاولة لتغيير اللغة المستخدمة، واستغلال درامي عبر تحويلها إلى أعمال درامية مثل "عايزة أتجوز"، وإعلامي عبر عدد

كبير من الفضائيات والصحف التي لا تراعي اللغة العربية وتفضل العامية الخالية من القواعد والجودة كبديل عنها.

مستقبل مشرق للغة العربية

على الرغم من ظهور تلك المحاولات الهدمية المضادة للغة العربية، فقد ظهرت محاولات بنائية مناصرة لها حيث شهد العامان ٢٠٠٧م – ٢٠٠٨م اعتناءا كبيرا باللغة العربية من قبل مؤسسات عديدة أبرزها ساقية الصاوي[١] بالقاهرة التى يديرها المهندس محمد عبد المنعم الصاوي، ويقول الصاوي إن اهتمام الساقية باللغة العربية مستمر ولن يتوقف.

ويرى الصاوي أن ظهور هذه اللغة الجديدة عرض من أعراض مرض اللغة العربية الآن نتيجة عدم اهتمام المفكرين والسياسيين العرب بها.

وأشار الصاوي خلال إلى أن الحكام العرب والمفكرين لهم دورا كبيرا فى ذلك، فالمفكرون قد سطحوا أفكارهم بشكل كبير، وكذلك فعل الحكام الذين لم يهتموا باللغة العربية على حساب أمور أخرى، مؤكدا فى الوقت نفسه على أن للتكولوجيا الحديثة تأثيرًا على اللغة، فربما لجأ بعض الناس إلى هذه اللغة الهجينة لسهولة استخدامها.

غير أن بعض الباحثين في العلوم الاجتماعية والسياسية يرى أن هذه اللهجة الجديدة لم تتعد كونها تقليعة بهدف كسر المألوف. نعم، لم تتجاوز هذه اللغة بعد كونها تقليعة شبابية بهدف كسر المألوف، ولكنها لن تستمر

١ http://www.culturewheel.com

لأنها بلا قواعد، وأنى يتسنى للغة التي لا قواعد لها أن تعيش؟! كما أنها مرتبطة إلى حد كبير بالمدن الرئيسة الكبرى، ولكن في الضواحي والأقاليم فهي غير منتشرة.

اللغة العربية بخير، ولن تؤثر عليها هذه اللهجة الجديدة أبدًا، فمثلها مثل اللهجات القديمة التي انتصرت عليها اللغة العربية، كما أن هناك بعض الكتاب حاولوا الكتابة بهذه اللهجة، ولكنهم فشلوا.

ومستخدمو اللغة الجديدة –وأغلبهم من طلاب الجامعات– يبررون استخدامها قائلين إنها أصبحت لغة العصر، كما أنها سهلة الاستخدام.

ويقول أحد خريجي كلية التجارة: إنها لغة شيك والكل يعرفها، لذلك فهي سهلة الاستخدام... أستخدم هذه اللغة...، ولكن في أحيان كثيرة أستخدم اللغة العربية العادية.

ويروي أحد الآباء العرب قصته مع هذه اللغة الجديدة قائلا: يتعامل أبنائي بهذه اللغة بشكل كبير خاصة فى الكتابة على الإنترنت ورسائل المحمول، ويبررون ذلك بأن هذه اللغة أصبحت شائعة ومستخدمة."

والحقيقة هي أنّ المشكلة لن تكون في الجيل القادم أو الذي يليه، ولكن الآن أدركت تمام الإدراك أنها أصبحت مشكلة الجيل الحالي، وبالتحديد بعض الفئات داخل هذا الجيل، الذين احتلت الإنجليزية أو «الفرانكو أراب» محل اللغة العربية لديهم.

ويكمل الأب حديثه أن أبناءه ليسوا الوحيدين على هذه الحال، فتقريبا كل أصدقائهم كذلك، حتى إن كتابتهم على مواقع التواصل

الاجتماعي (twitter&facebook) صارت بهذه الطريقة، كلمات عربية بحروف إنجليزية.

اللغة العربية هي اللغة الوحيدة التي بها صوت «الضاد» لذلك يميزها الجميع بأنها لغة الضاد، وتحت هذا الاسم ظهرت على موقع فيس بوك – الذي يعد "معقلا للغة الجديدة"– العديد من الحملات والصفحات التي تقاوم اللغة الهجينة.

أبرز هذه الحملات هي حملة [اكتب عربي] التي يتجاوز عدد أعضائها ثلاثة آلاف وخمسمائة عضو، ويقول مؤسسو هذه الحملة: كلنا نعرف الدولة العثمانية ..الغالبية منا تعلم أن اللغة التركية كانت تكتب بحروف عربية خالصة، لكن بعد تحويلها إلى جمهورية على يد مصطفى كمال أتاتورك تحولت الأحرف العربية إلى أحرف لاتينية تكتب بها اللغة التركية، هذه كانت بداية المأساة.

وما الكتابة بطريقة الفرانكو أراب إلا استبدال للأحرف العربية بأحرف لاتينية للتحدث بكلام عربي نفهمه، ما الذي سيحدث بعد عشر سنين إذا استمرت الحال على هذا االنمط، سيتخرج جيل بأكمله لا يكتب إلا بتلك اللغة الممسوخة، لذا يجب الحفاظ على لغتنا، وعدم الاستهانة بها فقط يكفي أنها لغة القرآن الكريم، فلننطلق في هذه الحملة ولننشر الوعي بين الشباب للحفاظ على لغتنا لغة الضاد.

كما أن هناك صفحة تربط بين العربية والرجولة [استرجل واكتب عربي]: الرجولة هي التمسّك بالهوية.

وقد قابلت أستاذة عربية فلسطينية في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا كانت تردد شعارًا عظيما رائعًا، ألا وهو: " كن قرآنيًّا، وتكلم العربية"، فيا له من شعار!!!

و يوجد عدد من الصفحات المهتمة باللغة العربية، أبرزها صفحة [اللغة العربية] الغرض منها ليس تشجيع الناس على الكتابة والتحدث بالعربية فحسب، وإنما بأن يفتخر بها وتاريخها العريق، ويحافظ عليها من خطر الانقراض، ومساوئ الاستخدامات المنحرفة التي صارت سمة.

يقول الشاعر حليم دموس:

لغةٌ إذا وقعت على أسماعنا *** كانت لنا بــرداً علـــــى الأكبادِ

ستظلُّ رابطةً تــؤلف بيننا *** فهي الرجـــــــاءُ لناطقٍ بالضّادِ

اللغة العربية لغة غنيّة متجدّدة دائمة العطاء، وهي أشبه بشجرة خضراء شامخة، وجذورها ضاربة في أعماق التاريخ. وهذه اللغة هي التِي وحدتِ العرب عبر تاريْخهم الطويل، وكانت قديماً لغة الحضارة عبر الأزمانِ والآبادِ، وتعدّ أحدى أهم اللغات العالمية، وتتجلى عظمتها في كونها لغة القرآن الكريم. والعربيّة هي لغة الضاد. وإنَّ ما يميز اللغة العربية عن اللغات العالمية الأخرى هو غناها بالمفردات، وقدرتها على مواكبة عجلة التقدّم العلمي، واستيعاب كلّ جديد، وكذلك قدرتها على التعبير بمخارج حروفٍ ليست موجودة في لغات عالمية أخرى مثل حرف الضاد، ورغم كل مميزات اللغة العربية الفصحى وأهميتها، فإننا نجد البعض مازال مصراً على إلغاء التكلم باللغة العربيّة الفصحى أو الكتابة بها، بل ويدعو مراراً وتكراراً إلى

التحدّث عبر وسائل الإعلام باللهجة العامية بدعـــوى أنها لغة العصر، وعنوان التطوّر، وهذه الدعوات المشبوهة انتشـــرت كثيراً في العصر الحديث متناسية أهميّة العربية الفصحى ودورها العظيم في التاريخ العربي والإنسانيّ؛ وفي الواقع أنّ اللهجة العامية ليست لغةً بل هي طريقة شعبية أو أسلوب للتعبير، وهي تطورت مع الزمن، ونتيجة لاختلاط الشعوب العربية بغيرها نتيجة التجـــارة أو نتيجة الاستعمار والاحتلال، حيث دخلت العديد من المصطلحات الأجنبية على هذه اللهجات حتى غدت لغة التداول اليومية؛ ورغم كل المبررات التي يسوّق لها البعض للهجة المحلية العاميّة، لكـــنـــهـــا لا يمكن أن تحلَّ -ولا بشكلٍ من الأشكالِ- مكان اللغة الأم؛ لأنّ هذه اللهجات أشبه بفروع للشجرة الأصلية. يتحتم على العرب والمسلمين أن يعوا هذا الخطر المحدق بهم وبلغتهم، وأن يدركوا حجم الكارثة التي تنتظرهم إن لم يعدّوا للأمر عدّته، وهذا يفرض عليهم أن يتمسّكوا بلغتهم الأم، وأن يحافظوا عليها، وأن يصونوها من الضياع والتشتت والزوال من خلال التكلم والكتابة بها في مدارسهم، وجامعاتهم، وفي جميع مراكزهم ودوائرهم الرسميّة، وفي وسائل إعلامهم المختلفة ليعزّزوا الاهتمام بلغتهم العربيّة الأصيلة باعتبارها سبيلاً للتقارب بين الإخوة العرب والمسلمين، ومقوّماً أساسيّاً من مقوّمات الوحدة العربيّة والإسلامية، وهل يمكن أن تنهض الوحدة المنشودة إلا بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ!!!

توصيات

أختم هذه الورقة المتواضعة بإيراد عدة توصيات وخطوات وإجراءات هادفة

إلى رفع مستوى اللغة العربي،ة والتحصُّن من هجمات العولمة اللغوية والثقافية، وأطالب بشنّ حملة ضارية من قبل العلماء وقادة الفكر لإعادة ثقة أبناء هذه الأمة بلغتها، واستنهاض هممهم للذود عنها تطبيقا للإجراءات التالية:

- العناية بنشر اللغة العربية الفصحى في أكبر رقعة جغرافية ممكنة، وهذا الأمر تؤيده وتسهل القيام به

مسوغات شرعية وواقعية، ولا بد للقيام بهذه المهمة العظيمة من اتباع قنوات عدة، منها: نشرها بين الأقليات غير العربية التي تعيش في البلاد العربية (المغرب) ونشرها في البلاد الإسلامية الناطقة بغير العربية (إندونيسيا، وباكستان، وبنغلاديش) فسكان تلك البلاد لهم دافعية قوية تجاه الإسلام، وتعلم اللغة العربية. وكذلك في البلاد الغربية، بين الجاليات المسلمة التي تعيش فيها، أو بين الغربيين أنفسهم، هم ينشرون لغاتهم بيننا ونحن نعتنقها ونقدسها، فلماذا — يا ترى- لا ننتهز هذه الفرصة السانحة!!!.

- نشر اللغة العربية الفصيحة بين المتحدثين بالعامية في جميع الأقطار العربية. وحتى يكون هذا الهدف واقعيًا، فلنقل: لنقترب من الفصحى بقدر الإمكان، وذلك بمعالجة بعض الظواهر السلبية في البلاد العربية، مثل: استخدام العامية في الإعلام المرئي والمقروء؛ وفي بعض خطابات مسؤوليها.

- الحد من توسع اللغات الأجنبية كالإنجليزية والفرنسية في البلاد العربية.

- محاربة الاعتقاد السائد لدى السواد الأعظم من الناس أن تعلم اللغة الإنجليزية مفتاح للمستقبل المشرق والوظيفة المرموقة وذلك بتوفير وظائف ورواتب مغرية لمن يجيد اللغة العربية الفصحى.

– على أهل التعليم، لاسيما مدرسي المراحل الابتدائية والمتوسطة، ومديري الجامعات، والمشايخ في حلقات المساجد، والموجهين في القنوات الإعلامية، إتقان اللغة العربية الفصحى، كي تنتقل للأجيال التي تقع بين أيديهم.

– تكثيف الأنشطة والمسابقات اللّغوية؛ كمسابقات للخطابة والإلقاء، وكذاال مطارحات الشعرية، ومسابقات للقصة القصيرة، وغيرها من صنوف الأدب واللغة باللغة العربية الفصحى.

– تحفيز من يتميز على غيره في استخدام اللغة العربية الفصحى من الطلاب والموظفين.

وفي الختام أؤكد أن اللغة العربية تملك من المؤهلات ما يحميها ليس من الاضمحلال فحسب، بل ما يجعلها منافسة للغة الإنجليزية، وفائقة عليها، ولكن لا يتم ذلك إلا إذا ما وجدت ألسنًا تفخر بالتحدث بها، والدفاع عنها، ونشرها، وتحويل العولمة الإنجليزية إلى العولمة العربية الأصيلة.

فعلينا إذًا أن نحلو باللغة العربية الفصحى، ونودها، ونعتز بها، ونفتخر بها، وننشرها بيننا، وبين من ينطق بغيرها من الشعوب والأفراد، وأن ندافع عنها من سهام الأعداء المسمومة...

فليتك تحلو والحياة مريرة   وليتك ترضى والأنام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر   وبيني وبين العالمين خراب

إذا صح منك الود فالكل هين   وكل الذي فوق التراب تراب

أولا: مراجع

- التويجري، عبد العزيز بن عثمان :اللغة العربية وتحديات العولمة، رؤية لاستشراف المستقبل من منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، ١٤٢٩ ه-٢٠٠٨ م .

- الجريوي، عبد الرحمن: سبل النهوض باللغة العربية د.ت.

- الرقب، صالح: العولمة :الجامعة الإسلامية، الطبعة الأولى :١٤٢٤ ه -٢٠٠٣ م.

- السليم، فرحان: اللغة العربية ومكانتها بين اللغات د.ت.

- القريشي، فلاح: أثر العولمة في المجال التعليمي والتربوي، ٢٠١٠م.

- القرني، عائض: اللغة العربية في خطر د.ت.

- زقزوق، محمود: الإسلام في عصر العولمة، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٢م.

- شوق، محمود أحمد: أساسيات المنهج الدراسي ومهماته، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩٥م.

- منصور، مصطفى يوسف: تحديات العولمة التربوية المتعلقة بالمدرسة وسبل مواجهتها، بحث مقدم إلى مؤتمر" الإسلام والتحديات المعاصرة " المنعقد بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية ٢٠٠٧م.

- مركز الدراسات الإسلامية بقطر والتابع لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ربيع أول /١٤٢٤ه ص -١

- مركز دراسات الوحدة العربية : العرب والعولمة، بيروت، ط ٢، ١٩٩٨م، ص ٢٧

- ناصر بن سليمان العمر: رسالة المسلم في حقبة العولمة، ضمن الأوراق المقدمة إلى

- وطفة، علي أسعد، ومحمد عبد الغفور: الثقافة العربية الإسلامية إزاء تحديات العولمة وفرصها، ٢٠٠٣م.

مواقع على الشبكة العالمية للمعلومات

-http://maktab-sy.net/vb/index.php

http://www.alfaseeh.com/vb/archive/index.php/t-٥١٢١٦.html-

http://www.awda--
dawa.com/pages/Articles/default.aspx?id=١٠٣٧

http://٣lom-mans.montadalhilal.com/t٧٥٦٩-topic-

http://www.culturewheel.com-

فهرس الموضوعات

واقع اللغة العربية الفصحى اليوم

إعداد

الدكتورة/ مطيعة بنت محمّد شويط الحربي

المقدّمة

الحمد لله الّذي جعل معجزة الرّسالة الخاتمة الخالدة كتاباً وقرآناً، وبدأ الوحي بقوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ﴾ العلق:١؛ بحيث تعتبر القراءة والتّعلّم والتّعليم هي مفتاح الدّين الجديد، وسبيل الحضارة الإنسانيّة الّتي انتهى إليها عطاء الـــحضارات السّابــقة، والصّلاة والسّلام على المبعوث في الأمّيين رسولاً منهم، يتلو عليهم آيات الله، ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين.....وبعد

فإنّ اللّغة العربيّة هي لغة القرآن الكريم، ولغة العقيدة الصّحيحة، وهي لغة فكر وأخلاق الأمّة الإسلاميّة، وقد اختارها الله سبحانه وتعالى لهذا الدّين؛ لما لها من التّعبير والبيان، والمرونة والاتّساع بحيث استطاعت أن تحمل الرّسالة السّماويّة، وأن تؤدّيها للنّاس كافة، وكان فضل الله تعالى عظيماً على العرب حينما أنزل آخر كتبه بلغتهم.

إنّ السّر الكامن وراء خلود اللّغة والحفاظ عليها من الاندثار هو القرآن الكريم، بما له من أثر بالغ في حياة الأمّة العربيّة، وتحويلها من أمّة تائهة إلى أمّة عزيزة قويّة بتمسّكها بهذا الكتاب الّذي صقل نفوسهم، وهذّب طباعهم، وطهّر عقولهم من رجس الوثنيّة وعطن الجاهليّة، وألّف بين قلوبهم وجمعهم على كلمة واحدة توحّدت فيها غاياتهم، وبذلوا من أجلها مهجهم وأرواحهم، ورفع من بينهم الظّلم والاستعباد، ونزع من صدورهم الإحن والضّغائن والأحقاد، فقد كان القرآن الكريم ولا يزال كالطّود الشّامخ يتحدّى كلّ المؤثّرات والمؤامرات الّتي حيكت وتحاك ضدّ لغة القرآن، يدافع عنها، ويذود عن حياضها.

إنّ اللّغة العربيّة لم تكن لها تلك القوّة أو تلك المنعة، وليست لغة حضارة وصناعة، إنّما كانت لغة صحراء وأميّة، بكلّ ما تفرضه بيئة الصّحراء من بساطة وضيق عيش، وبعد عن العلوم والمعارف، ثمّ إنّ العرب قد تعرّضوا للحروب والدّمار كغيرهم، ولكن ما زالت لغتهم قويّة ساطعة تنبض بالحيويّة والنّشاط، وما ذلك إلاّ بفضل القرآن الكريم، الّذي تكفّل الله بحفظه.

يقول عباس محمود العقاد: "فإذا قيس اللّسان العربيّ بمقياس علم الألسنة، فليس في اللّغات لغة أوفى منه بشروط اللّغة في ألفاظها، وقواعدها، ويحق لنا أن نعتبر أنّها أوفى اللّغات جميعها بمقياس بسيط واضح لا خلاف عليه، وهو مقياس جهاز النّطق في الإنسان؛ فإنّ اللّغة العربيّة تستخدم هذا الجهاز الإنسانيّ على أتمّه وأحسنه، ولا تهمل وظيفة واحدة من وظائفه، كما يحدث ذلك في أكثر الأبجديات اللّغويّة"(١).

ويقول ابن فارس: "قال بعض الفقهاء: كلام العرب لا يحيط به إلاّ نبيّ، وهذا كلام حريّ أن يكون صحيحاً، وما بلغنا أنّ أحداً ممّن مضى ادّعى حفظ اللّغة كلّها"(٢).

وليس هو فحسب، بل اعترف أعداء العربيّة من المستشرقين وغيرهم بقوّة اللّغة العربيّة وحيويّتها وسرعة انتشارها.

يقول "أرنست رينان": "من أغرب ما وقع في تاريخ البشر، وصعب حلّ سرّه، انتشار اللّغة العربيّة، فقد كانت هذه اللّغة غير معروفة بادئ بدء،

---

(١) بحوث في اللّغة والأدب،ص٤٥

(٢) مقاييس اللّغة،ابن فارس،٥٤

فبدأت فجأة في غاية الكمال، سلسة أيّ سلاسة، غنيّة أي: غنى، كاملة بحيث لم يدخل عليها إلى يومنا هذا أيّ تعديل مهمّ، فليس لها طفولة ولا شيخوخة، ظهرت لأوّل أمرها تامّة مستحكمة. من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللّغة القوميّة وتصل إلى درجة الكمال وسط الصّحارى عند أمّة من الرّحل، تلك اللّغة الّتي فاقت أخواها بكثرة مفرداها ودقّة معانيها، وحسن نظام مبانيها، وكانت هذه اللّغة مجهولة عند الأمم، ومن يوم علمت ظهرت لنا في حلل الكمال إلى درجة أنّها لم تتغيّر أيّ تغيير يذكر، حتى إنّه لم يعرف لها في كلّ أطوار حياها لا طفولة ولا شيخوخة، ولا نكاد نعلم من شأها إلاّ فتوحاها وانتصاراها الّتي لا تبارى..."[١].

ويقول جورج سارنوت: "ولغة القرآن على اعتبار أنّها لغة العرب كانت بهذا التّجديد كاملة، وقد وهبها الرّسول مرونة جعلتها قادرة على أن تدوّن الوحي الإلهيّ أحسن تدوين بجميع دقائق معانيه ولغاته، وأن يعبر عنه بعبارات عليها طلاوة وفيها متانة، وهكذا يساعد القرآن على رفع اللّغة العربيّة إلى مقام المثل الأعلى في التّعبير عن المقاصد"[٢].

ويقول بروكلمان: "بفضل القرآن بلغت العربيّة من الاتّساع مدى لا تكاد تعرفه أيّ لغة أخرى من لغات الدّنيا، والمسلمون جميعاً مؤمنون بأنّ اللّغة العربيّة هي وحدها اللّسان الّذي أحلّ لهم أن يستعملوه في صلواهم، وبهذا اكتسبت اللّغة العربيّة منذ زمان طويل مترلةً رفيعةً فاقت جميع لغات

(١) فقه اللّغة وسر العربيّة، الثعالبي،ص٣٥

(٢) اللّغة العربيّة بين حُماها وخصومها. أنور الجندي، ص٢١٠

الدّنيا الأخرى الّتي تنطلق بها شعوب إسلاميّة"[١].

وهذا كلّه يدعونا لأن نفخر بلغتنا، وبخاصّة أنّها لغة دين؛ حيث حملت لنا آخر الرّسالات، وأريد لها أن تكون لسان الوحي، وقدر لها أن تستوعب رسالة الإسلام وأن تختزل مضامين الرّسالات السّابقة، وأن تطوي المنهج الّذي ارتضاه الله لخلقه إلى يوم الدّين، فهي وعاء ثقافتنا وعنوان هويتنا.

(١) من قضايا اللّغة العربيّة المعاصرة،المنظمة العربيّة للتربيّة والثقافة والعلوم،ص٢٧٤

المبحث الأوّل: إبراز صلة اللّهجات المعاصرة بالفصحى، وأثرها فيها:

اللّهجة هي مجموعة من الصّفات اللّغويّة الّتي تنتمي إلى بيئة خاصّة، ويشترك في هذه الصّفات جميع أفراد هذه البيئة. وبيئة اللّهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضمّ عدّة لهجات لكلّ منها خصائصها[١]، أمّا قديماً فكان يطلق عليها اللّغة و لم تستعمل اللّهجة بمعناها الاصطلاحيّ السّابق إلاّ حديثًا، فكان يقال: "لغة" القبيلة بدلاً من لهجة قبيلة، فيقال: لغة قريش، ولغة طيء، ولغة تميم، وهكذا.

ودراسة العلاقة بين العاميّة والفصحى ليست أمراً جديداً، أو طارئاً، فلطالما كان الاختلاف بين اللّهجات قائماً قبيل الإسلام، حتى راح اللّغويّون العرب يجمعون اللّغة من بعض القبائل العربيّة الّتي كانت تقطن في الجزيرة العربيّة.

وكان تعدّد اللّهجات واقترابها أو ابتعادها من الفصحى مدعاة إلى اهتمام علماء العربيّة بالتّصنيف والتاليف؛ لحصر هذه اللّهجات.

فقد عقد ابن جني باباً في الخصائص أسماه:"باب اختلاف اللّغات وكلّها حجة".[٢] وهذا الّذي أشار إليه الثّعالبي في "فقه اللّغة" تحت عنوان: "في حكاية العوارض الّتي تعرض لألسنة العرب، فيقول: "الكشكشة تعرض في لغة تميم؛ كقولهم في خطاب المؤنث:ما الّذي جاء بش؟ يريدون: بكِ.

---

(١) في اللّهجات العربيّة. إبراهيم أنيس، ص١٥

(٢) ينظر: الخصائص. ابن جني،١٢/٢

وقد قرأ بعضهم: "قد جعل ربش تحتك سريا"........والعنعنة تعرض في لغة قضاعة؛ كقولهم: ظننت عنك ذاهب؛ أي: أنّك ذاهب"[(١)]

وامتدّ اهتمام العلماء بدراسة اللّهجات في العصر الحديث، فيقول العقاد: "تفيدنا دراسة اللّهجات في معرفة التّاريخ، ففي إقليمي "أسوان" يبدلون الميم باء، فيقولون: "البكان" بدل "المكان"، ويقولون: "البسمار" بدلاً من "المسمار". فقد نفهم من هذا أنّ أصول القبائل الّتي نزلت في هذا الإقليم ترجع إلى القبائل العربيّة الّتي كانت تقلب الميم باء"[(٢)].

وهذا المؤرّخ حمد الجاسر يقول: "لا شكّ أنّ لهجات سكان الجزيرة العربيّة تضرب بجذور عميقة لأصول اللّهجة الفصحى الأمّ، لغة القرآن الكريم، ولهذا، فإنّ العناية بتلك اللّهجات ممّا تقوى به الفصحى، وتنتشر وتتغلّب على غيرها من اللّهجات الأعجميّة الّتي وفدت إلى هذه الجزيرة مع من وفد إليها من مختلف الأجناس"[(٣)].

إلاّ أنّ ربط اللّهجة المتداولة حإليا الموغلة في العاميّة بلهجات بعض القبائل العربيّة في العصور الأولى ربط مبتور؛ لأنّ تلك اللّهجات كانت محصورة في بعض الحروف من النَّاحية الصّوتيّة، وفي بعض الاستعمالات اللّفظيّة، مع محافظتها على قواعد اللّغة الفصحى، أمّا اللّهجات الحديثة، فقد أصابها تصحيف نطق الحروف، وتحريف الألفاظ، وتعطيل المعاني، وتهميش قواعد النّحو العربيّ.

---

(١) فقه اللّغة. الثّعالبي، ص١٠٨

(٢) مجلة المجمع، الجزء السابع،ص٣٧٩

(٣) الصّلة بين اللّهجات العاميّة وبين اللّغة الفصحى. مجلة المنهل، العدد ٥٠٤، المجلد: ٥٤

ناهيك عن كثرتها وتشعّبها فاللّهجة العاميّة نفسها متعدّدة الصّور على مستوى الأقطار العربيّة، فهناك اللّهجات العراقيّة واليمنيّة والتّونسيّة والمغربيّة والخليجيّة وغيرها، هذا على مستوى القطر العربيّ، أمّا على مستوى الدّولة الواحدة، فإنّنا نجد التّعدّديّة نفسها، ولكن بصورة أو بشكل آخر مختلف بعض الشّيء، يقول الأمير مصطفى الشّهابي: "إنّ اللّهجات العربيّة تعدّ بالعشرات بل بالمئات، وكلّها اليوم لا ضابط لها من نطاق أو صرف، أو نحو، أو اشتقاق، أو تحديد لمعنى الألفاظ، فهي كلام العامّة يستعمل في الأغراض المعيشيّة، وفي علاقات النّاس بعضهم ببعض، وهذا الكلام وقتيّ لا يثبت على مرور الأيام، وموضعيّ لا يتجوّل من قطر عربيّ إلى قطر عربيّ آخر؛ ومعناه أنّ اللّهجات العاميّة لا يمكن أن تكون لغات علم وأدب وثقافة، وليس في مقدورها أن تعيش طويلاً، وأن يعمّ بعضها أو كلّها الأقطار العربيّة كافّة".

لذلك فإنّ كثيراً من العلماء عارضوا دراسة اللّهجات العاميّة، فيقول الأستاذ علي الجارم: "لسنا في حاجة إلى مثل هذه البحوث؛ لأنّ لغتنا الفصحى لم تستكمل دراستها، ولم تستوف خصائصها، فأولى بنا أن نوجّه عنايتنا إلى اللّهجات العربيّة الفصحى الّتي تتّصل بلغتنا، أما البحث في اللّهجات العاميّة، فلا يجدي؛ فإن كان الغرض إثبات تعدّد اللّهجات، فهذا أمر بدهي لا يحتاج إلى إثبات، وإن كان الغرض الإحصاء فإنه غير ممكن"(١).

وللاطمئنان أقول: إنّ علماء اللّغة المحدثين قرّروا أنّ اللّغات الّتي يُظنّ

(١) ينظر: مؤتمر الجلسة الخامسة عشرة للمجمع اللّغويّ العربيّ بالقاهرة، ١٩٤٩م

بها السّيادة اليوم – مهما بذل أهلها من جهد– لا تملك أن تدفع عن نفسها عادية التّغيُّر؛ حتى إنّها لتصير بعد فترة وجيزة كأنّها لغات جديدة، أمّا العربيّة فارتباطها بالقرآن الكريم النّاسخ لما قبله والمهيمن عليه، جعل لها ظرفاً خاصّاً لم يتح لأيّ لغة من لغات العالم كلّها، ولولا أنّ الله شرّف الفصحى فأنزل بها كتابه، وقيّض لهذا الكتاب من خلقه من يتلوه صباحاً مساءً، ووعد بحفظه على تعاقب الأزمان.. لأمست كغيرها.. لغة أثريّة، ولسادت اللّهجات العربيّة المختلفة في نواحي الأرض العربيّة، ولازدادت على مرّ الزّمان بُعداً عن الأصل الّذي انسلخت منه(١).

---

(١) ينظر: فصول في فقه العربيّة.د. رمضان عبد التّواب، ص ٤١٤، وفضل العربيّة للشيخ محمّد سعيد رسلان، ص: ٣٥

المبحث الثّاني: التّصحيح اللّغويّ وأثره في مقاومة لحن العامّة:

ظهرت بوادر اللّحن على قلّة وندرة أيام الرّسول -صلى الله عليه وسلم-فقد روي أنّ رجلاً لحن بحضرة الرّسول -عليه السّلام-، فقال النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-: "أرشدوا أخاكم فقد ضلّ"(١). وقد بدأ اللّحن يتسرّب ويتّسع، ويسري إلى لغة كثير من العرب مع اتّساع الفتوحات، واختلاط العرب بالشّعوب الفارسيّة والرّوميّة، ومحاولة هؤلاء العـــجم تعلّم ما استطاعوا من العربيّة.

كلّ ذلك كان مدعاة لأهل اللّغة أن يأمروا بضبط اللّغة لضبط الألسن، وتدوين القواعد؛ لحفظ كتاب الله من اللّحن والتّحريف في اللّفظ أو المعنى، فبدأت بواكير الجهود في التّصحيح اللّغوي إلى رصد ما يقع فيه العامّة من الجنوح عن السّبيل القويم في اللّغة، وتوالت الكتب الّتي ألّفت في ذلك ومنها:

-"لحن العامة" للكسائي (ت١٨٨)

-البهاء فيما يلحن فيه العامّة" للفراء (ت٢٠٧)

- ما يلحن فيه العامّة) لأبي عبيدة (ت٢٠٨)

-ما يلحن فيه العامّة "للأصمعيّ (ت٢١٦)

- ما يلحن فيه العامّة لأبي نصر الباهليّ (ت٢٣١)

---

(١) روي في إرشاد الأريب عن عبد اللّه بن مسعود، ١: ٨٢.

-"إصلاح المنطق" لابن السّكيت (ت٢٤٤)

-" ما يلحن فيه العامّة" لأبي حاتم السّجستانيّ (ت٢٥٥)

- "أدب الكاتب" لابن قتيبة (ت٢٧٦)

ولا يمكن إغفال ما للمعاجم ولا سيما الموسّعة منها من الأثر الكبير في مجال التصحيح؛ إذ هي الموارد والمصادر الّتي منها يعرف ما يصح وما لا يصحّ، وما نبهت على صحّته، وما أنكرت استعماله، وذلك يرجع لاستيعابها كلّ ثمار جهود التّصحيح على مرّ العصور[1].

وقد مضى التّصنيف في التّصحيح اللّغوي في القرون اللاّحقة على هذا النّحو من التّتابع والاستمرار، وكثر التّصنيف اللّغويّ في القرنيْن الماضييْن كثرة ظاهرة، وكلّ ذلك بدافع الغيرة على اللّغة، واستجابة لمقتضى الحاجة بسبب ما يطفو على الأساليب من الأخطاء[2] فألّف الأب انستاس ماري الكرملي "أغلاط اللّغويين الأقدمين"، وألّف كمال إبراهيم "أغلاط الكتّاب"، وألّف الدّكتور مصطفى جواد "قل ولا تقل"، وألّف الدّكتور إميل يعقوب "معجم الخطأ والصّواب في اللّغة"، وألّف محمّد علي النّجار "الأخطاء اللّغويّة الشّائعة"، وغيرها من الكتب الّتي ظهرت في أماكن متفرّقة.

وإذا كانت هذه الحاجة في عهد الفصاحة والبلاغة، فإنّها في زماننا هذا ألزم وأوجب؛ إذ غدا الوقوع في الخطأ أفشى وأوسع ممّا كان عليه في كلّ العهود السّابقة.

---

(١) التّصحيح اللّغوي، د. خليل بنيان الحسون، مجلة اللّغة العربيّة وآدابها، العدد السّادس: ٧٦

(٢) ينظر:المرجع السّابق

فالتّصحيح اللّغويّ مطلوب دائماً، ومحتاج إليه في كلّ زمان ومكان، وله الفضل في تنقية أساليبنا ممّا يشوبها من الاستعمالات غير الصّحيحة.

ولا شكّ أنّه لا بدّ من وضع ثمّة أصول وضوابط يلزم التّقيّد بها ومراعاتها في مجال التّصحيح اللّغوي، يقول الدّكتور أحمد مطلوب رئيس المجمع العلميّ العراقيّ: "إنّ إعادة النّظر فيما قيل: إنّه خطأ مهمّة العاملين في حقل اللّغة الّتي يجب أن تكون أكثر تدقيقًا، والاستفادة من وسائل نمو اللّغة المعروفة؛ لتستوعب العربيّة المستجدّات، على أن لا يخرج الباحثون عن الأصول الّتي هي الضّابط الأصيل للغة، فضلاً عن قراءة التّراث قراءة مستوعبة والخروج بما يكفل النّموّ والازدهار"[١].

(١) /التّصحيح اللّغويّ، د. خليل بنيان الحسون، مجلة اللّغة العربيّة وآدابها: ٧٠

المبحث الثّالث: أثر اللّغات الأجنبيّة على العربيّة المعاصرة:

اللّغة كائن حيّ اجتماعيّ يتغذّى بالمجتمع، والمجتمع لا يقوم إلاّ بها، وقد يقدّر أن تقوم لغتان في مجتمع فتتأثّر كلّ واحدة منها بالأخرى، ويحدث ما يسمّى بالصّراع اللّغوي الّذي على أثره تكون هناك لغة منتصرة، ولغة مغلوبة، وليس شرطاً على كلّ حال، بل قد تعيش اللّغتان كلتاهما جنباً إلى جنب، ولكن هذا لا يمنع من الاحتكاك والتّأثّر، وحتّى في اللّغة المنتصرة لا تسلم من تأثيرات اللّغة المغلوبة؛ فلا بدّ وأن تنفذ إليها كثيراً من ألفاظ وتراكيب وصور اللّغة المغلوبة [١].

لقد أتِيْحَ للّغة العربيّة من قبل الإسلام ومن بعده فرص كثيرة للاحتكاك بلغات أخرى من فصيلتها وغير فصيلتها، وقد توثّقت العلاقات الماديّة و الثّقافيّة بين العرب وجيرانهم قبل الإسلام، فكان من الطّبيعيّ أن تتأثّر اللّغتان إحداهما بالأخرى وفقًا لنواميس علم اللّغة، وكان الصّراع الدّائم بين الآراميّة والعربيّة والّذي انتهى بانتصار الأخيرة، غير أنّ اللّغة المغلوبة تركت أثراً واضحاً في اللّغة الغالبة[٢].

أمّا بعد الإسلام وفي المجتمع الحديث الّذي كثر فيه الاتّصال بين الأمم وسهل، نتيجة للانقلاب الصّناعي، والمخترعات الحديثة وسرعة المواصلات وازديادها، ولسوى ذلك من العوامل، نجد أنّ اللّغة العربيّة ظلّت في صراع محتدم مع غيرها من اللغات[٣].

---

(١) ينظر: علم اللّغة، د. وافي، ص: ١٩٠، والمدخل إلى علم اللّغة. د. رمضان عبد التّواب، ص١٧١،

(٢) ينظر: المرجعان السّابقان.

(٣) ينظر: الفصحى لغة القرآن.أنور الجندي،ص ٩٧.

غير أنّه يمكن القول بأنّ اللّغة العربيّة لم تتأثّر باللّغات المجاورة كثيراً رغم الاختلاط بين العرب والشّعوب الأخرى، وذلك من حيث القواعد والبنية، فبقيت قواعد اللّغة العربيّة وبنيتها كما هي.

وظهر أثر هذه اللّغات في ناحيتين:

النّاحية الأولى: حدثت حركة استعارة من اللّغات الأخرى مثل اللّغات الفارسيّة واليونانية لبعض المفردات الّتي لم يعرفها العرب. فهناك العديد من الاستعارات الحديثة، سواءِ المكتوبة أم المحكية من اللّغات الأوربيّة، تعبِّر عن المفاهيم الّتي لم تكن موجودةً في اللّغة سابقاً، مثل المصطلحات السّياسيّة (الإمبريالية، الأيديولوجيا، إلخ.)، أو في مجال العلوم والفنون (رومانسيّة، فلسفة، إلخ.) أو التّقنيات (باص، راديو، تلفون، كمبيوتر، إلخ.). إلاّ أنّ ظاهرة الاستعارة هذه ليست حديثة العهد، حيث قامت اللّغة العربيّة باستعارة بعض المفردات من اللّغات، فمثلاً دخل في لهجات المغرب العربيّ بعض الكلمات التّركيّة، والبربريّة (مثل فكرون = سلحفاة) وخاصّةً من اللّغة الفرنسيّة نتيجة الاستعمار الفرنسيّ.

-النّاحية الثّانية: الإعجاب باللّغات الأجنبيّة والإنجليزيّة خاصّة، وإقامتها بديلاً عن الفصحى في الحديث، فنجد أنّ العربيّ لايكاد ينطق بكلمة عربيّة إلا ويردفها بكلمة أجنبيّة، مع أنّه في كثير من الأحيان يجهل الكثير عن لغته، وعن أساليبها، بل إنّه قد ينظر إلى المتحدّث باللّغة الفصحى نظرة ازدراء واستغراب، وينظر إلى المتحدّث باللّغة الأجنبيّة نظرة إعجاب وانبهار.

إنّ هذا الإعجاب أدّى إلى تنحّي اللّغة العربيّة الفصحى عن الحديث

والمحاورة، وهذا التّخلّي إنّما هو تخلٍّ عن ثقافة الأمّة، ومجدها وشخصيّتها.

إنّ اللّغات الأوربيّة حين تخلّت عن اللّغة اللاّتينيّة إلى اللّهجات القوميّة انقطعت عن تراثها القديم، فأوروبا لا تستطيع أن تقرأ شكسبير أو ملتون، أو غيرهما من أعلام الأدب إلا بواسطة القاموس، وليس بين اللّغات الإنجليزيّة والفرنسيّة والألمانيّة وبين هذا التّراث أكثر من أربعمائة عام، بينما يقرأ العرب والمسلمون اليوم امرؤ القيس وبينهم وبينه أكثر من ألف وخمسمائة عام، ولو أن إنساناً عربيّاً من الجاهليّة بعث اليوم لاستطاع أن يتحدّث إلينا ونتحدّث إليه ويفهم منّا ونفهم منه[١]

(١) ينظر: "المؤامرة على الفصحى لغة القرآن"، ص: ٣

المبحث الرّابع: لغة التّعليم بين الفصحى والعاميّة:

إنّ النّاظر في حال اللّغة العربيّة اليوم في مجتمعاتنا وبلادنا العربيّة والإسلاميّة يشعر بألم عميق، وحسرة شديدة؛ لكونها لا تحظى بما تستحقّه من احترام، وليست عندهم في المكان اللاّئق والموضع المناسب. ومؤلم جدّاً أن تكون هذه النّظرة، وذلك الموقف من أحبائها لا من أعدائها.

إنّ لغتنا تتعرّض لألوان من الهجر والإقصاء، والمضايقة والتّشويه من أكثر أبنائها، وفي عقر دارها ، يتمثّل ذلك في ناحيتين:

– الأولى: إنّ العاميّة تحتلّ المكانة العظمى في التّدريس، حتّى أنّ أساتذة اللّغة العربيّة أنفسهم يستخدمون العاميّة في إلقاء دروسهم داخل قاعات الدّرس، ففرضت اللّهجة العاميّة نفسها على الشّارع العربيّ من ناحية، ومن ناحية أخرى تغلغلت في قاعات الدّرس وفي لغة التّعليم والتّعلّم.(١)

فالنّاظر إلى المعلّمين بكلّ تخصصّاتهم ومستوياتهم التّعليميّة، يجدهم يطرقون باب اللّهجات العاميّة أثناء التّدريس بصورة كبيرة، وربّما يعود ذلك إلى أنّهم لا يستطيعون التّحدّث باللّغة العربيّة الفصحى، ولا يجدون ما يسعفهم من التّعبير عند شرح دروسهم، فهم لم يدرّبوا أنفسهم على التّدريس باللّغة العربيّة الفصحى، وعوّدوا أنفسهم أنّ لهجة الشّارع هي لهجة التّدريس(٢)، ومن هنا زرعوا في تلاميذهم البعد عن اللّغة الفصحى استماعاً

(١) ينظر: لغة التّدريس بين الفصحى والعاميّة. عبد الرّحيم فتحي إسماعيل، ص: ٢

(٢) ينظر:المرجع السابق

وتحدّثاً، وقراءة وكتابة، وترتّب على ذلك عدّة أمور[١]:

-ضعف التّحصيل العلميّ، نتيجة اختلاف الشّرح والتّوضيح عن لغة الكتب الّتي دوّنت بها المادة العلميّة بالفصحى.

-ضعفت صلة الطّلاب بالمراجع والمصادر؛ لما يجدونه من الصّعوبة في قراءتها وفهمها.

-شاعت الأخطاء اللّغويّة في إجابات الطّلاب التّحريريّة بشكل يندى لها الجبين، وضعفت ملكة التّعبير والخيال لدى الطّلاب، بالإضافة إلى تعثّر ألسنتهم عند القراءة.

-ترسّخت في نفوس الطّلاب الادّعاء الّذي حرص أعداء ديننا على إشاعته بيننا، وهو صعوبة اللّغة العربيّة.

النَّاحية الثانيّة: إنّ اللّغة الأجنبيّة هي لغة التّعليم الجامعيّ في الأقسام العلميّة في كثير من جامعاتنا بل في جامعات الدّول العربيّة، فالطّبّ والهندسة والعلوم وغيرها من العلوم التّجريبيّة كلّها لا تدرّس إلا باللّغة الأجنبيّة مع قدرة اللّغة العربيّة وسعتها، فالعدول عنها إلى الأجنبيّة وعدم وجود محاولات جادّة لتعريب تلك العلوم أمر مؤلم ومحير.

يقول الدّكتور عبد الله المهيدب: "إنّ تدريس العلوم باستخدام اللّغة العربيّة ممكن؛ لأنّ اللّغة العربيّة لغة حيّة غنيّة بالمفردات والاشتقاقات ممّا يمكنها من استيعاب جميع الألفاظ المعرّبة من لغات أخرى، كما أنّ ترجمة الكتب والأبحاث العلميّة سيؤدّي إلى التّواصل مع المستجدّات العلميّة. وخير

---

(١) ينظر:"ندوة اللّغة العربيّة بين الواقع والمأمول". فائزة سالم صالح، ص: ٢

مثال على ذلك الوضع في دولة اليابان حيث يتمّ ترجمة الأبحاث العلميّة إلى اللّغة اليابانية بعد فترة وجيزة من صدروها ونشرها، وكذا في الصّين وألمانيا وإلىونان وكوريا الجنوبيّة، وغيرها من الدّول الّتي تدرّس العلوم بلغاتها المحليّة، ولم تنعزل هذه الدّول عن التّقدّم العلميّ الّذي يجري في العالم، خاصّة وأنّ أسس وقواعد العلوم الأساسيّة والرّياضيات ثابتة لا تتغيّر."[١]

ولا يعني ذلك نبذ اللّغة الأجنبيّة، أو الدّعوة إلى عدم تعلّمها، بل إنّ تعلّم اللّغات الأجنبيّة في غاية الأهميّة، ويجب أن يكون تعلّمها لزاما في الجامعات؛ ذلك أنّ تعلّم مختلف اللّغات والعلوم ومعرفتها شيء ضروري في عصرنا الحإلى، ولكن لا بدّ أن يكون ذلك بشيء من الاحتراس، وبالقدر الّذي لا تذوب فيه هويّة العربيّ، بحيث تبقى اللّغة الأجنبيّة في مكانها الطّبيعيّ دون المبالغة، فلا تنازع لغتنا الأمّ أو تفرض نفسها عليها.

(١) تعريب التّعليم الهندسيّ في المملكة. عبد الله المهيدب،ص٥٥

المبحث الخامس: مظاهر أزمة العربيّة الفصحى في الخطاب الإعلاميّ المعاصر:

إنّ تطوّر وسائل الإعلام والثّقافة وتنوّعها ما بين المكتوبة والمسموعة والمرئيّة قد أثّر تأثيراً عظيماً على وعي النّاس وثقافتهم في مناحي الحياة جميعها. وهذا التّأثير الكبير لوسائل الإعلام والثّقافة قد يكون إرشاداً للعقول وتصحيحاً للمفهوم في بعض الأوقات، وقد يكون تضليلاً للعقول وتحريفاً في أوقات أخرى.

فوسائل الإعلام تمثّل الواجهة الّتي تعكس مختلف التّفاعلات الثّقافيّة والقيميّة في أيّ مجتمع. ولأنّها كذلك فإنّها تؤدّي أخطر الأدوار في الارتقاء باللّغة العربيّة، أو الحطّ من شأنها. ذلك أنّ التّأثير الهائل الّذي أخذت تلك الوسائل تمارسه في حياة النّاس أصبح يضعها في مقدّمة العوامل المؤسِّسة والمشكلة للإدراك العامّ. ولا سيما الإذاعة والتّلفاز فقد استطاعا اجتياز حاجز الأميّة، وتمكّنا من التّفاعل مع بيئات لا يستطيع الإعلام المطبوع فكّ عزلتها. فهي متداولة يوميّاً يسمعها ويشاهدها الأمّيّ والملمّ والمثقّف[(١)].

"لقد كانت الطّباعة قوّة فعّالة في نشر التّعليم، أمّا الآن، فأمامنا أداة أعظم شأناً لتعليم الشّعب لغة بلاده، وهي المذياع، فالمذياع عامل قويّ من عوامل التّقدّم ومكافحة الأمّيّة والفقر ونشر المعرفة والتّرفيه عن النّفس، وهو عامل لم يسبق له مثيل في الأزمنة الماضية"[(٢)].

---

(١) لغة الإعلام العربيّ بين الفصحى والعاميّات. فريال مهنا، مجلة الإذاعات العربيّة، العدد ٢، ص: ٥٤

(٢) بحوث في اللّغة والأدب. العقاد، ص: ٤٢

إنّ محنة اللّغة العربيّة في وسائل الإعلام له ثلاثة مظاهر، هي:

- شيوع الأخطاء النّحويّة في العربيّة الفصحى المستخدمة، والّتي هي ركيكة في الأساس.

- شيوع الكتابة بالعاميّة في الإعلانات، وفي تقديم البرامج التّلفزيونيّة والإذاعيّة.

- كثرة استخدام المفردات الأعجميّة في ثنايا الخطاب الموجّه إلى المتلقّي العربيّ.

يقول مسعود بوبو: "ينبغي ألاّ يغيب عن بالنا أنّ الظّاهرة اللّهجيّة لا تقف عند حدّ النّطق كما كان الحال قديماً؛ بل تتعدّاه إلى الكتابة المرئيّة الواضحة على شاشات التّلفاز، والكتابة اللّهجيّة تنطوي على الخطأ الإملائيّ، والخطأ النّحويّ، ورؤيتها على هذه الصّورة المتكرّرة يرسخها في أذهان أجيالنا قبل معرفتهم السّلامة اللّغويّة، وهذا يجعل من العسير محوها من أذهانهم"(١).

إنّ الضّعف اللّغويّ المتفشي في الوسائل المقروءة والمسموعة يؤثّر تأثيراً بالغاً في القارئين والسّامعين، وينقل إلى هؤلاء المتلقّين ضعفه وعيوبه ونقصه، وخاصّة الصّغار الّذين هم في مراحل تكوينهم اللّغويّ والفكريّ، ويستوعبون بسرعة ما يلقى إليهم من غثّ وسمين.

ولا شكّ بعد ذلك في أنّ اللّغة العربيّة الفصحى هي الّتي تمكّن وسائل الإعلام من أداء وظيفتها بصورة مثالية، وذلك لما تمتلكه الفصحى من مفردات تمكّن من دقّة الوصف، ودقّة التّعبير، ودقّة الإخبار.

---

(١) ينظر: حضور الفصحى في وسائل الإعلام، ص: ١١

ومن ثمّ فالقناعة بأهمّيّة الفصحى وسيطرتها على وسائل الإعلام رغبة لا تقاوم من أجل الإجادة والتّميّز؛ لأنّ اللّغة الفصحى تمتلك إمكانات عديدة تفتقد إليها العاميّة.

إنّ الفصحى درجات، وإنّ المطلوب تعميمه في وسائل الإعلام أبسط درجات الفصحى الّتي تستمدّ مدادها من لازمات العصر التّعبيريّة، وهو أمر يمكن المثقّف وغير المثقّف والمتعلّم وغير المتعلّم من الفهم والمتابعة والاستمتاع[1].

ويمكن تقنين الإعلام لخدمة الفصحى عن طريق:

-تكثيف موادّ اللّغة العربيّة في مناهج كلّيّات الصّحافة والإعلام؛ لأنّ اللّغة العربيّة الفصحى هي لسان رجال الصّحافة والإعلام، ويستطيعون به التّأثير على المتلقّي، وتلقّينه أصول الفصحى بطريقة غير مباشرة.

- تشجيع إعداد وعرض البرامج الإعلاميّة بالفصحى المقروءة منها، أو المسموعة حسب أغراضها، وإعادة عرضها في أوقات مختلفة مع تكرار الجيّد منها مدّة طويلة.

-الإكثار من برامج القرآن والسّنّة، والعلوم الشّرعيّة؛ لما فيها من ثروة لغويّة لعامّة النّاس الّذين يحترمون شريعتهم، ويقدّسون دينهم، ويتشوقّون لمعرفة الإسلام. كما ينبغي دائماً عرض مختارات لروائع الشّعر العربيّ المقفى الموزون في جميع وسائل الإعلام؛ لما له من قيمة سماعيّة على الأذن العربيّة.

---

(١) ينظر: الفصحى لغة القرآن. أنور الجندي ، صـــ ٦٥.

الخاتمة

إذا نظرنا إلى ما يفعل أصحاب اللّغات الأخرى لخدمة لغاتهم لوجدنا أنفسنا مقصّرين كثيراً، فهم يفعلون العجب في تعميم لغتهم ويبتكرون الحيل لتحبيبها إلى النّفوس حتّى أصبحت اللّغة الإنجليزيّة لغة العالم ولغة التّقدم والعلم. ومن أجل ذلك، فقد خرجت هذه الدّراسة بعدد من التّوصيات:

-إعادة النّظر في طريقة تعليم اللّغة الفصحى في المدارس؛ لتحبيبها في نفوس أبنائها، واستخدام الوسائل التّعليميّة المختلفة الّتي قد تساعد في ذلك.

-إلزام المعلّم أو المعلّمة التّحدّث باللّغة الفصحى الميسّرة في كافّة التّخصّصات، وليس فقط معلّمي اللّغة العربيّة.

-الاهتمام بتعليم اللّغات الأجنبيّة، في إطار حدود وضوابط معيّنة، وإلاّ يكون ذلك في المراحل التّعليميّة الأولى، وأن يكون مقتصراً في المرحلة الجامعيّة.

-الاهتمام بترجمة الكتب والبحوث العلميّة؛ للاستفادة منها في المجالات المختلفة، بما يسهّل ويساعد على تدريس هذه العلوم -الطّبيّة والهندسيّة وغيرها- باللّغة العربيّة.

-ضرورة التّدريب العمليّ المنتظم للإعلاميّين إعداداً، وتقديماً، وكتابة، وعقد دورات تدريبيّة مختلفة، يتولاّها أساتذة متخصّصون في اللّغة العربيّة الفصحى.

وفي الختام أسأل الله العليّ العظيم أن يكون العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يكون لبنة صالحة في خدمة لغتنا الجميلة.

لغة إذا وقعت على أسماعنا *** كانــت لنا برداً على الأكباد

ســتظل رابطة تؤلّف بيننا *** فهي الرّجاء لنــاطق بالضّــاد

المراجع والمصادر

-أولا: المجلات والدّوريات:

- مجلة الإذاعات العربيّة (مجلة يصدرها اتّحاد الدّول العربيّة)، العدد ٢ العام ٢٠٠٢م.

-مجلة اللّغة العربيّة وآدابها، العدد السّادس، ٢٠٠٨.

-مجلة المجمع، الجزء السّابع

-مجلة المنهل، العدد ٥٠٤، ذو القعدة، ١٤١٣هـ.

-ندوة اللّغة العربيّة بين الواقع والمأمول، د. فائزة سالم صالح أحمد.

ثانيا: الكتب والمطبوعات:

-بحوث في اللّغة والأدب، العقاد.

-الخصائص، ابن جنّي (بيروت: دار الكتب) د.ط، د.ت

-في اللّهجات العربيّة، إبراهيم أنيس (مكتبة الأنجلو المصريّة)

-الفصحى لغة القرآن، أنور الجنديّ (دار الكتاب العربيّ للطّباعة والنّشر) د. ط، د.ت

-فصول في فقه اللّغة، د. رمضان عبد التّواب (القاهرة: الخانجي) ط، الثّالثة، ١٤١٥هـ.

-فضل العربيّة ووجوب تعلّمها، الشّيخ محمّد سعيد رسلان. ط، الثّانية،١٤٢٦هـ.

-فقه اللّغة وسرّ العربيّة، الثّعالبي، تحقيق: مصطفى السّقا، (القاهرة: ١٩٣٨)

-اللّغة العربيّة بين حماتها وخصومها، أنور الجنديّ (بيروت: مطبعة الرّسالة)

-المدخل إلى علم اللّغة، د.رمضان عبد التّواب (القاهرة: مكتبة الخانجي) ط، الثّالثة

-مقاييس اللّغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السّلام هارون، د.ط، د.ت

فهرس المحتويات

اللغة، الفكر والهوية زمن عولمة القيم

إعداد

أ. د. نواري الحاج سعودي

المقدمة:

في البداية نجد أنفسنا مجبرين على مساءلة مقولة ظلت تحتل مكانا متقدما ضمن المعتقدات أو المصادرات في العلوم الإنسانية، ونعني بذلك مقولة: إن الإنسان اجتماعي بطبعه، كما يقول عالم الاجتماع ابن خلدون، فلا يمكن تصوره بأي شكل من الأشكال يأتي ويذر دون أن نتصور البعد الآخر، الحاضر الغائب، في تركيبته العقلية والنفسية والتاريخية، وحتى الاقتصادية والسياسية: البعد الاجتماعي، وهي رغبة يميل دائما إلى إشباعها، ولا يتصور إنسان سوى إلا وهو يتوق باستمرار إلى تلبية تلك الحاجة، وانطلاقا فتولده لا يكون من فراغ، باستثناء حكاية الخلق الأولى (خلق آدم)، واكتسابه مختلف الخبرات الحياتية يحتاج إلى احتكاك دائم بنظائره، ويسهم معهم، بما أتيح، في بناء تلك الخبرات، ليعزز من ثم مختلف النظم الاجتماعية التي تحقق له ولغيره الشعور بالأمن، وذلك التواصل متعذر هو الآخر من غير توفر وساطة تؤدي دور الناقل لما يختزنه الضمير الجمعي إلى الفرد، ولما يعتمل في دخيلة الفرد إلى الجماعة، من أجل ذلك كانت اللغة، تلك الوسيلة التي شغلت أهلها من الفلاسفة والمفكرين واللغويين، فحاولوا أن يفكوا لغزا لا يفكر فيه إلا ذوو الألباب، كما يصف القرآن الكريم [وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ] {الروم:٢٢}، وعليه تأتي هذه الدراسة لتجيب عن إشكالية مركبة: كيف تتحول الأفكار من حيزها العقلي المجرد، والمشاعر النفسية والانفعالات، التي لا يطلع عليها إلا صاحبها، إلى طرف آخر مستقبل، بمجرد أن تأخذ طبيعة صوتية؟ وما حظها في بناء نفسيات وتصورات

وخبرات الأفراد والجماعات؟ وإذا كان الأمر كذلك، كيف نحمي تلك المكونات في ظل اندفاع تيار الحداثة العولمي إلينا، من خلال حماية اللغة ذاتها؟.

في اللغة: إن معالجة مثل هذه القضية ليبدو مهما وخطيرا في الوقت نفسه، فهو مهم لنعرف سر هذه الأداة العجيبة المنعقدة عليها وظيفة التواصل، وخطير لأن المفهوم الذي يعطى للغة ستنجر عنه نتائج في مجال البحث اللساني من جهة، وفي مجال علمي النفس والاجتماع من جهة ثانية، إلى جانب آثاره على مظاهر تطويع اللغة في جملة العلوم الأخرى. فمرة تحد اللغة، من زاوية ارتباطها بالإنسان، بأنها خاصيته اللسانية، ذات الخلفية العقلية التي تميزه عن سائر المخلوقات، أي إنها تمثل "المحور الفقري الذي تتولد عنه مجموعة الفوارق التمييزية على الصعيد الوجودي والفلسفي عامة، ولا يكاد يخلو تعريف الإنسان سواء على نهج الفلاسفة والمتكلمين، أو على طريقة الأدباء واللغويين.. فهو الحيوان الناطق.. وهذا ما يستوجب اعتبار النفس الناطقة هي الإنسان من حيث الحقيقة"[١]. أما إذا انتقلنا إلى الاعتبار الثاني، وهو ارتباط اللغة بالوعاء الذي يجري فيه استعمالها، فإننا نجد طائفة من الباحثين يعتبرها وسيلة التواصل، وتبادل المنافع، "تشبع الطابع الاجتماعي للإنسان، إنها أهم مقوم من مقومات بناء المجتمعات.. إنها

(١) عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، العربية للكتاب، تونس، ط ٣، ١٩٨٦، ص٤٦.

الأساس الذي تنبني عليه سائر المقومات القومية الأخرى"[١] إنها، ككفاية، تضم قطبي المعرفة اللغوية المتمثلة في: المعجم المتواضع عليه وجملة القوانين التي تحكم بناءه، وبوصفها أيضا أداء أو كلاما، مشروطين بجملة العلاقات الاجتماعية[٢]، إذ يستحيل تعلم لغة، أو إنتاج كلام خارج حدود التفاعلات الاجتماعية، لأن اللغة، كما يعتقد (إدوارد سابير) وغيره، "فعالية إنسانية تتباين بلا حدود معلومة عندما ننتقل من جماعة اجتماعية إلى أخرى؛ لكونها إرثا تاريخيا لتلك الجماعة، وهي ناتجة عن الاستخدام الاجتماعي المستمر لمدة طويلة"[٣].

اللغة وأبعاد الشخصية:

يمكن أن نقرر بناء على ما بيناه سلفا أن الإنسان، خلاف التسطيح المنطقي الذي يعرفه بالحيوان الناطق، كائن متعدد جوانب الذات، على أنه تعدد تكامل لا تضاد، لا يستقل جانب عن آخر، ولا يشتغل منفردا عن بقية المكونات، بل إن كل تلك المكونات تتماهى سويا، حتى إنه ليصعب تمييز حدود كل طرف في هذا البناء العجيب، وما حديثنا عن الجوانب

(١) كمال بشر: صفحات من كتاب اللغة، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٤، ص٣٠٦-٣٠٧.

(٢) جاكبسون وآخرون: التواصل نظريات ومقاربات، ترجمة عز الدين الخطابي، منشورات عالم التربية، الرباط، ط١ ، ٢٠٠٧، ص٤٤.

(٣) جون إي جوزيف: أعلام الفكر اللغوي، التقليد الغربي في القرن العشرين، ترجمة أحمد شاكر الكلابي، دار الكتاب الجديد، ليبيا، ط١، ٢٠٠٦، (ج٢)، ص٢٢.

النفسية والوجدانية والعقلية والفكرية والاجتماعية والحضارية والثقافية والدينية، وقبل ذلك كله العضوية الجسمانية إلا من باب تسهيل تصور تقريـــبي للإنسان، وإلا فإن الإنسان مادة متفاعلة بصورة كلية مع جانب روحي متعدد الأوجه متداخل الأبعاد، تفاعلا يسهم فيه عامل الزمن، ولكن ما محل اللغة من ذلك البناء المتماهي المكونات؟ إنها في حقيقة أمرها تدخل في تجاذب معه، بل وتصير أحد المكونات الأساسية، تنقص بعض حقيقة الإنسان من دونها، إنها تتلبس بجملة خصائص النوع النفسية والفكرية، فتسهم في قولبة الذات وتعلن عن ذلك الفعل من غير مواربة، فعلى الرغم من كونها " تعمل كقوة للتآلف والتوافق، إلا أنها في الوقت نفسه، العامل الكامن الأوحد المعلوم لدينا في نمو الفردية، أما الطبيعة الأساسية لصوت الفرد والأنماط الصوتية في الكلام وسرعة النطق والانسيابية وطول الجمل وبناؤها. فهذه جميعا تمثل مؤشرات معقدة عن الشخصية"[(١)]، بل قد تتحول إلى عامل إكراه يملك قوة خفية تجبر الفرد على العمليات التصنيفية للعالم من حوله مجسدة في الجانب العملي من اللغة(الكلام)، سواء وعى ذلك ورغب فيه، أم لم يعه و لم يكن يرغب فيه، كما يرى (وورف)[(٢)].

---

(١) المرجع السابق، ج٢، ص٣٧.

(٢) المرجع السابق، ج٢، ص٨٧.

ومن أبرز ملامح ارتباط اللغة بالفرد اختلافها وتباين أداءاتها باختلاف الهوية الجنسية، وفي هذا المقام يمكن أن نلخص التعارضات اللغوية بين الرجال والنساء في[(١)]:

النواحي الفزيولوجية:

كحدة صوت المرأة وتسارعه، وميلها إلى مراعاة المعيار اللغوي، وسبب ذلك كما يرى كالفي، أنها "منذورة للطاعة" في حياتها الاجتماعية كلها[(٢)]، كما أنها تكثر من استخدام تنغيم السؤال مع الجمل التقريرية نحو (متى ستكونين مستعدة؟ في الساعة العاشرة؟) خلاف الرجل.

الخصائص اللفظية والتعبيرية:

وهنا ترى الباحثة (Robin Lakott) أن ما يطبع ثروة المرأة اللغوية هو الصفات الفارغة، إلى جانب أن النساء أكثر دقة في اختيار الألفاظ (التمييزات اللونية)، وأكثر ميلا إلى استخدام الكلمات الدالة على الجوانب الوجدانية، كالتحبب والولولة. وكثيرا ما تعكس ألفاظهن تحفظهن في إصدار الأحكام، وهن مع ذلك يخترن الألفاظ التي لا تحمل الإيحاءات المستقبحة والألفاظ السوقية المبتذلة، مع استعمال الصيغ الوصفية الثنائية، كما يعتقد

---

(١) أحمد مختار عمر: اللغة واختلاف الجنسين، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٩٩٦، ص٨٧ وما بعدها.

(٢) لويس جان كالفي: علم الاجتماع اللغوي، ترجمة محمد يحياتن، دار القصبة، الجزائر٢٠٠٦، ص٥٥.

(Hass)، ويكثرن من الصيغ المبنية للمجهول، والصيغ الاسمية والتصغير، ومن الاستفهام بعد الإخبار، مثل (إنه يوم جميل. أليس كذلك؟) وهي غير خصائص لغة الرجل.

ثم إن اللغة تتجاوز الجنس، لتخترق الفكر وتمتزج به في صورة ثنائية استعصى على الباحثين الخروج بموقف منسجم إزاءها، بحكم تلازم مكونيها، فالفكر قبل التعبير عنه أشبه ما يكون بوجود سديمي لا نكاد نتبينه، إنهما، بتعبير دي سوسير، أشبه بالورقة ذات الوجهين، التي يستحيل أن نمزق أحد وجهيها دون تمزيق الوجه الآخر ضرورة، أو كالعملة التي لن تكون إلا عديمة الجدوى بوجه وأحد[١]. فعلى الرغم من أن كلا منهما له مسلك وجودي وتكويني يختلف عن مسلك نظيره (الاستعمال غير الذهني للغة أو التأثيري الوجداني، ومرحلة الفكر ما قبل اللسانية)، إلا أنهما يلتقيان في مرحلة ما لتصبح اللغة، كما يذهب فيغوفسكي، "عنصرا من عناصر الفكر دون أن تفقد وظائفها السابقة، والفكر لا يتحقق إلا بها"[٢]. فاللغة مرة على رأي فريق وسيط تعبيري، ومن ثم فهي منفصلة عن الفكر مباينة له، يمكن الوقوف على حدود كل طرف، وهو مذهب قديم يعود إلى سنة ١٦٦٠م مع بعض رواد مدرسة بور-رويال، حينما عرف الكلام بأنه تفسير الأفكار بواسطة علامات ابتكرها الإنسان لهذا الغرض، وهو ما يعني أن اللغة حيادية، ولا تسهم بأية صورة في قولبة الفكر وتشكيله، وصناعة بناه الضامرة،

---

(١) cours de linguistique générale, édition talantikit, Bejaia, Algérie, ٢٠٠٢, p١٣٦

(٢) التواصل نظريات ومقاربات، ص٤٦.

وأنها تنفصل وتتمايز عنه إلى درجة أنه يمكن أن نفكر من غير لغة، كما يحدث في آلية "التدوير العقلي"، "الذي يتضمن تخيل كيف تبدو الأشياء إذا تم تدويرها على مختلف الاتجاهات.. ومن المحتمل أن معظم أفكارنا الإبداعية هي لا لفظية"(١)، وفي هذه الحالة –كون اللغة وسيلة مصطنعة وأداة- نجد المتلقي "لا يتأثر إلا برنات الصوت التي تستثير أفكاره، وتتجلى الأفكار بشكل مترابط، بفضل اللغة المشتركة بين المتخاطبين.. ويقتضي هذا التمثيل الأداتي للغة أن تكون كل العقول متوفرة على نفس الأفكار"(٢)، وهو ما يفنده الواقع، كما يذهب إليه بعض الباحثين، ذلك الواقع الذي يكاد يحملنا على الاعتقاد يوما بعد يوم بأن اللغة تتجاوز الوظيفة الآلية لتوصيل المضامين، إلى كونها بوابة العقل للربط بين ما يتلقاه من التجارب الحسية الفردية، برأي (كوندياك) و(لوك)(٣)، وبين المفاهيم المفيدة، فمن غيرها لا يتسنى له إدراك المدخلات الحسية الخارجية، ولا أن يشكل عنها تصورات ومفاهيم واضحة، كما لا يمكنه أن يحلل ما يصادفه من تجارب مركبة أو معقدة إلى عناصرها الجزئية، لانتفاء تشكل المفاهيم؛ إذ الجزء تابع للكل، والبسيط تابع للمركب في حكمه، ما حدا بـــ(كوندياك) لاعتبار اكتساب الفرد للغة ونموها عنده مفتاحا لكل تطور في الفكر الإنساني(٤)، ما يجعل التفكير عملية إبداعية

---

(١) في نشأة اللغة، ص٣٠.

(٢) التواصل نظريات ومقاربات، ص٤٧.

(٣) أعلام الفكر اللغوي، تعريب أحمد شاكر الكلابي، دار الكتاب الجديد، ليبيا، ط١، ٢٠٠٤. ج١، ص٢٢٣.

(٤) المرجع السابق، ج١، ص١٨٨.

وصناعة ذاتية خالصة، متمردة على الظروف الخارجية، فكل عمل للعقل هو داخلي بالأساس، وفي المقام الأول يمثل نظام الأدلة الوأحد "أساسا لآلية اللغة وآلية التصور معا" وبالمقابل فإن اللغة تقوم "بتأسيس الأشياء في النفس.. وكل فكر يقوم ببناء الأدلة والأشياء في وقت وأحد"(١).

إن اللغة توجد فكرا أوليا عن طريق ما تنقله من خبرات خارجية إلى الداخل، فإذا نما وتطور في صورة مطردة، بدأ بصناعة اللغة وتكييفها للتعبير عن التجارب الداخلية والخارجية وتحليلها، وهي مرحلة الفكر الإبداعي المتفرد، ولا يمكن تصور قطعا أن العادات اللغوية في مجتمع النشأة تفرض على الفرد مسبقا خيارات معينة من التأويل بشكل مستمر لا يتغير، وإلا فكر الناطقون باللغة بطريقة واحدة وبكيفية متطابقة(٢)، وإذا استحضرنا فكرة تجاوز اللغة للدور الأداتي، وأنها متشابكة مع أخاديد الفكر لدينا، كما يقول (سابير)، أمكننا إدراك سبب التخبط الذي نعيشه في عالمنا العربي على اختلاف الجهود التي تبذل في أقطاره، فعلى الرغم من محاولات التعريب الكثيرة هنا وهناك، فإنها تعد في أحسن الأحوال محدودة الأثر، ولم تنتج فكرا عربيا خالصا، وما ذلك إلا لأن تلك الجهود توجهت إلى التعريب اللساني لمنتجات الفكر والحضارة الغربيين، على ما فيه من علل، دون الانتباه إلى أن ذلك لن يجدي نفعا، ما دامت اللغة تنطبع بالفكر الذي تصنعه في مرحلة

---

(١) جورج ماطوري: منهج المعجمية، ترجمة وتقديم عبد العلي الودغيري، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ١٩٩٢، ص٧٠.

(٢) أعلام الفكر اللغوي، ج٢، ص٣٤.

معينة، وكل ذلك لن يتأتى إلا إذا كان للعرب دور في النتاج العلمي والتقني والفكري العالمي. إن التعريب اللغوي المتميز محصلة لتعريب الفكر، الذي يستمد في الوقت نفسه من الكفاية اللغوية، المتمثلة في الألفاظ والأساليب التي تتناسب من جهتها مع موضوع التعريب، وإلا ستظل العملية مجرد ترجمة تشتغل على محور اللسان وحده دون أن تخاطب العقل أو تمتح منه[١].

وكما تعكس اللغة طبيعة الفكر وجنس صاحبه، يمكن أن تنبئ أيضا عن سلم أعمار المتكلمين والطبقة الاجتماعية التي ينتمون إليها، وذلك نابع من التغير اللغوي الواقع في صلب اللغة نفسها، بسبب اختلاف الزمر الاجتماعية والأعمار والجنس ودرجة الرفاه، ودرجة الحساسية، فالوأحد منا يتحاشى استعمال كلمة (فتاتي) بمعنى ابنتي، لما يصحب الكلمة الأولى من ظلال غير محبذة، لارتباطها بالعهر والمخادنة، نظير الكلمة الفرنسية (fille) ذاتها، التي لا تستعمل في معنى البنت عادة إلا مقترنة بالوصف(petite)[٢]، وقد نبه كالفي إلى هذه الحقيقة حينما تتبع بعض العبارات والألفاظ التي تؤدي المعنى الواحد تقريبا، وكيف اختلف توظيفها من قبل الشرائح الاجتماعية[٣].

---

(١) للتفصيل يراجع، كمال بشر: دراسات في علم اللغة، دار غريب القاهرة، ١٩٩٨، ص٣١٣ وما بعدها.

(٢) ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال بشر، دار غريب، القاهرة، ط١٢، ١٩٩٧، ص٢١١.

(٣) لاحظ أن العبارات (petit coins-les toilettes-les lieux-les chiottes) التي تعبر عن مكان قضاء الحاجة، تتوزع كالآتي:

=

ومن جهة أخرى فاللغة ترتبط ارتباطا بالتراكمات الاجتماعية التي يوجدها الإنسان بالتعاون مع بني جنسه، في مجالات المنتجات الفكرية الثابتة والصلبة، ذات الصبغة الطبقية، التي تشكل خلفية يستند إليها مقوم ثقافة المجموعة، وفي ميادين المنتجات المادية التي يبدعها الإنسان تلبية لحاجاته وضرورات عيشه، بل حتى تلبية لرفاهه وكماله، أو ما يمكن أن نطلق عليه المدنية المادية، فمن ناحية يعتقد الكثيرون، وبخاصة المثاليون الألمان كـــ(هيرود) أن اللغة في طبيعة بناها لا تخرج عن كونها تمثيلا حقيقيا لقيمة حضارة أصحابها وتطورهم الفكري؛ لأن اللغة في حقيقتها ليست تجميعا لقواعد يتبعها الإنسان في حديثه، إنما هي نظام متكامل يخضع في حركيّته لنسقية مطردة وقارة ثابتة، وأي تغير في تلك النسقية يصحبه حتما تغير في الجوانب الحضارية والثقافية برأي وورف[1]، ونظرة إلى تاريخ الاستعمار الغربي الحديث للعالم العربي ترغم على الإعطاء باليد في الأمر، فلقد ركز

= -بحسب الأعمار: الشبان (les petits coins)، أولياؤهم (les toilettes)، أما الأجداد فيستعملون (les lieux).

-بحسب الجنس: الرجال يقولون (wc-les chiottes)، أما النساء فيستعملن (petit coins-les toilettes).

-بحسب الطبقة الاجتماعية: ففي الوقت الذي توظف فيه الطبقات الميسورة عبارة (les toilettes)، تميل الطبقات المحرومة إلى استعمال (les petits coins). علم الاجتماع اللغوي، ص٧٩.

(١) أعلام الفكر اللغوي، ج٢، ص٢٥٧.

أول ما ركز على مقوم اللغة وبخاصة في البلاد التي خضعت للاستيطان كالجزائر، بمنع تدريسها في المدارس والكتاتيب والزوايا والمساجد، والتضييق على دور تعليم القرآن لارتباطه بالعربية، يقينا منه أن ذلك كفيل بمحو سلطان القومية والحضارة والدين من النفوس، عملا بنصيحة نابليون بونابرت للغزاة من جنده "علموا الفرنسية ففي تعليمها خدمة الوطن الحقيقية"، ومن المبدأ نفسه بدأت الحركات الإصلاحية في الوطن العربي والإسلامي، وعلى نفس الوتر عزف كمال أتاتورك في علمنته الشاملة لتركيا الحديثة، حينما منع تعليم العربية والأذان، واستبدل الحرف العربي باللاتيني، الذي لا يزال قوام الكتابة إلى اليوم، لتبدأ عملية ترميم ما خلفته حماقاته من النقطة ذاتها على يد بديع الزمان النورسي وغيره ممن اجتهدوا في إحياء العربية، لأنهم أدركوا أن حياتها حياة للدين والثقافة وبقية مقومات الحضارة الأخرى، وصبغة لشخصية الفرد بصبغتها في مناحي حياته القيمية والأخلاقية والسلوكية، باعتبار أن الثقافة فاعلية اجتماعية "تعتمد بصفة عامة على أسلوب الحياة في مجتمع معين، وعلى الذي ينتهجه الفرد كيما ينسجم مع هذا الأسلوب"[١]، وما يتحقق فعلا من القيم الثقافية المنجزة، يشكل قاعدة ترتكز عليها حضارة الأمة[٢]، فتكون العلاقة علاقة تخلق ووجود، أي ذات بعد أنطولوجي، فلا ثقافة إلا بتعلم مقتضيات الحضارة، التي لا يعد

---

(١) مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر الجزائر– دار الفكر دمشق، ط٤، ١٤٠٤هـ ــ ١٩٨٣م، ص٤٢.

(٢) المرجع السابق، ص١٠١.

العلم وإنجازه سوى ثمرة من ثمارها، حينما يستخدم العقل في عالم الأشياء، ومن ثم "فالأولى تحركنا وتقحمنا كلية في موضوعها - أي عملية غمر الإنسان - أما الثانية فإنها تقحمنا في مجاله جزئيا، والأولى تخلق علاقات بيننا وبين النظام الإنساني، والآخر يخلق علاقات بيننا وبين نظام الأشياء"(١)، واللغة هي الحاضر دائما في هذا التعدد والتمازج، وهذا التأثير والتأثر المتبادل بينها وبين غيرها من مقومات الثقافة، الذي فتح عليه الحداثيون العرب عيونهم في حملتهم على اللغة العربية بدعوى ضرورة التحديث، الذي يحمل في طياته، إن حصل، تحديثا -أو تغييرا- في جملة البنى العقلية وإليات التفكير، وكافة مظاهر السلوك ونظام القيم، ولن يستثنى، بالضرورة، البعد العقدي.

---

(١) مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر الجزائر- دار الفكر دمشق، ط٣، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م، ص٩٦.

العولمة وخلفياتها:

إن المتتبع للمذاهب الفكرية والفلسفية في الغرب، يدرك أن جملة تلك المذاهب إنما ولدت على اختلاف توجهاتها، وتشعب مللها مع مطلع عصر الأنوار، وما صاحب ذلك من ثورة في مجال الصناعة والشغل، بعد التحرر من سلطان الكنيسة الذي كثيرا ما حجب الفكر الغربي عن أن يعمل النظر في الإنسان والكون من حوله، على ما في ذلك السلطان من العلل القادحة في العبادة والاعتقاد، فكان لزاما على الفكر الغربي أن ينتفض ويثور على جملة تلك الخرافات، ويعلن تمرده على كل ما له علاقة بالدين، ولما كان التشدد لا يلد إلا تشددا، ولا ينتج التطرف والشطط إلا نظيرا لهما، فقد غالت تلك المذاهب الفلسفية والنزعات الفكرية في تمجيد الحرية وتقديس العقل، والارتباط بعالم الشهادة بعد هيمنة عالم الغيب والميتافيزيقا، وترجم ذلك النزعة الوضعية التجريبية في كافة مناحي الحياة، وبسط يد العلمانية، وظهور ما سمي حينها الحداثة الغربية، ونزع حجب الفضيلة والنظم الأخلاقية النسبية، التي طالما تسترت تحت عباءتها.

فالحداثة إذن نهج في إطار المنظومة المعرفية العلمانية الغربية، أو هي "عملية تعديل البنية الاجتماعية والرؤية المعرفية والأخلاقية؛ بحيث يُخْضَع الواقع بأسره (الإنسان والبيئة والطبيعة) للقواعد والإجراءات العامة وغير الشخصية، ويزداد التحكم فيه، فتُسْتبعد كل المطلقات (الأخلاقية والإنسانية والدينية) من الدنيا، وتُصَفَّى كل الثنائيات، ويصبح مصدر المعرفة العقل وما

يصله من معطيات من خلال الحواس"[١]، إنها نهج جديد في التفكير يسائل أبعاد الحياة المختلفة: الإنسان، المجتمع، التاريخ، الطبيعة، الفرد والدولة، على أنها لا تؤمن بمجرد التغير فحسب، بل التغير المستمر من متطلب مبدأ الصيرورة، وإلى شيء مختلف تماما[٢]، وعلى الجملة يمكن أن نشير إلى أهم المبادئ الفلسفية التي تقوم عليها، وهي: الفردانية أو الإعلاء من قيمة الإنسان الفذ على حساب الجماعة أو المؤسسات الاجتماعية كالأسرة، وتوثيق الصلة مع الأشياء، تحت شعار الموضوعية، بدل العلاقات الاجتماعية، وخاصية الشمولية التي تعني التعامل مع كافة متغيرات الحياة من خلال مبادئها[٣]. وعليه، فليس الإنسان الحديث أو الحداثي، سوى ذلك الكائن المسخ، المتقلب، الإمّعة، أو كما يعرفه أحد الغربيين بأنه "الإنسان القادر على تغيير قيمه بعد إشعار قصير"، من منطلق إخضاع المطلق الثابت، للنسبي المتغير باستمرار، والمجتمع الحديث أو الحداثي هويته في تغيره وانقلابه، بصورة مطردة، ضمن نظام متشابك، بعدما كانت هوية المجتمعات

(١) عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٦، ج١، ص٢٢٩، ٢٣٠.

(٢) محمد سبيلا، عبد السلام بن عبد العالي: الحداثة، سلسلة دفاتر فلسفية، دار توبقال، الدار البضاء، ط٣، ٢٠٠٨، ص١٥، ١٦.

(٣) المرجع السابق، ص١٧، ص٦٧، ص٧٤- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج١، ص٢٣٠- طه عبد الرحمن: روح الحداثة، المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٦.ص٢٥-٢٩.

(التقليدية) في قيمها ودينها وعاداها وثقافتها ذات الطبيعة التراكمية جيلا بعد جيل، وكلها مكونات لها صفة الثبات والديمومة النسبية، وإن تخللها تغير فليس بشكل سريع ودائم حتى تتحول إلى شيء آخر مختلف، بل وفق سنن التغير الكونية، المتدرجة في بعض جوانبها. وفي هذا الخضم من التغيرات المتتالية تقف اللغة، والعربية على وجه الخصوص، على مفترق الطريق بين ماهية معلومة وطبيعة واضحة، وبين طبيعة غير متجانسة، وشيء غير مفكر فيه، إلا وهي أخلاط وأمشاج، كل ذلك تحت شعار ضرورة التماشي مع حداثة الفكر، وآليات اشتغاله، وفق المنظومة العلمانية الطارئة، فلا يمكن أن نحقق القفزة المرجوة، بحسب رأي العلمانيين العرب، ونحن نفكر تحت طائلة ما تحمله اللغة من موروثات فكرية عتيقة ودينية وثقافية بآلية، لا تتماشى وروح العصر! ويزداد الأمر سوءا عندما يطالب هؤلاء بضرورة إتقان اللغات الأجنبية، وهي دعوة حق يراد بها الباطل؛ لأن هذا المطلب يحمل في طياته الاعتقاد بأن التفكير السليم لا يتم إلا بلغة الفكر الغربي الذي جاءنا منه فكر التحديث، وكأن إجادة العربية المتوافقة مع روح الحداثة بوابتها تطعيمها من خارجها بإتقان تلك اللغات، والعربية بنظر هؤلاء تضيق عما يطمح فكرهم إلى الاشتغال عليه والتعبير عنه، وفي هذا، برأيهم، "يكمن الصراع الخفي العنيف الذي تخوضه حركة النقد العلمانية في الوطن العربي، صراع بين فكر يرمي إلى تجاوز اللغة التقليدية ونظامها، ولغة ترمي إلى لجم هذا الفكر وتقييده ضمن حدودها الذوقية والأخلاقية والمعرفية"[١]،

---

(١) الحداثة، ص١١٢.

وببساطة، فما ذلك، أي التركيز على قضية زعزعة نظام العربية الفصحى، وخلخلة حمولتها المعرفية والتاريخية، إلا للمرور إلى تلك الحمولة ذاتها ونسفها بالكامل، تماشيا مع مبادئ العلمانية كمنظومة شمولية، بما فيها فكر التحديث، الذي أشرنا إليه من قبل، عبر اختراق"الذات الجماعية بتجاوز لغتها وفكرها بالخروج إلى موقع يقع خارجها، خارج لغتها وفكرها"[(١)]، لأنه لا يظن عاقل أن أحدا لا يحسن التفكير بلغته الأم، ولا يتسنى له الإبداع في أحضانها، بقادر على الإبداع بلغة غريبة عنه، إلا بقدر ما نؤمل تحصيل كائن سليم تام التخلق، من آخر مستنسخ مختل الجينات، ولا يدل هذا إلا على فكر مستنبت، ونشأة استغرابية، على أن الحل الأمثل هو إصلاح اللغة وما أصاب بنيتها من داخلها، أي بمنطقها الخاص هي، لا بمنطق غيرها من اللغات، وبالعناية بتربية الفرد من النشأة، وصقل فكره وسلوكه، وبأحداث مصالحة بين الاثنين: بين اللغة بعد سد مواطن الخلل فيها، وبين الفرد وواقعه ومتطلباته ومتغيرات عصره.

وبعد أن تتمركز الحداثة حول الذات، وتترع إلى التعقيل في كل شيء، تقف تائهة في نهاية الدرب الذي خطته لنفسها؛ لأنها استنفذت كل ما لديها من ممكنات للإجابة عن الأسئلة اللامتناهية التي يطرحها الفكر الحديث، المتجاوز لذاته باستمرار، وفي هذه اللحظة الحرجة، تطلع علينا المنظومة الفلسفية الغربية ببديل عن الحداثة، هو فكر ما بعد الحداثة، الذي يمثل "استكمالا لعملية تفكيك الميتافيزيقا، وبالتالي، لتصفية الفلسفة

---

(١) المرجع السابق، ص١١١.

الغربية"[١]، وبيان فشل الخطاب الفلسفي الغربي ، كما سعى إلى ذلك هابرماس، بسبب عدم قدرته على الإفلات من بقايا فلسفة الذات الواعية، أو سيطرة النزعة العقلية التي اتهمها بعض فلاسفة مدرسة فرانكفورت (كهوركهايمر)، بأنها هي السبب في كل الكوارث والنزاعات والاختلالات التي شهدها القرن العشرين، فكان لزاما إذن إزاحة العقل نهائيا وتجاوزه، وإتاحة الفرصة للتيارات اللاعقلانية، وإن كان بعض روادها (كميشال فوكو) يعود إلى حظيرة العقلانية في أخريات حياته، بعد أن أمضى معظمها في تعرية العقل والعقلانية وفكر الحداثة[٢].

أما العولمة فنظام ذو خلفية فلسفية تؤمن بالتقدم الغربي وتفوق النموذج الأمريكي، الذي حقق لنفسه التميز بما تركز في يد أصحابه من رساميل، وما حققوه من تقدم في مجال التقنية، التي أصبحت لا ترى في بقية الناس سوى مستهلكين، يقادون بفعل حاجاتهم الاستهلاكية عنوة إلى الأهداف نفسها؛ لأن العالم-كما يرى فيليب ماكمايكل- أصبحت رغباته وحاجاته متجانسة بشكل لا رجعة فيه"[٣]. إن العولمة، كما بعد الحداثة التي ترتبط معها بنيويا ووظيفيا إلى حد بعيد، تسعى بالأساس إلى "ابتلاع العالم

---

(١) محمد سبيلا، عبد السلام بن عبد العالي: ما بعد الحداثة، (سلسلة دفاتر فلسفية)، دار توبقال، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٧، ص٨٣.

(٢) ما بعد الحداثة، ص٦٧، ٦٨.

(٣) تيمونز روبيرتس: من الحداثة إلى العولمة، ترجمة سمر الشيشكلي، عالم المعرفة، الكويت، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م، ج٢، ص١٤٤.

وإعادة بنائه سلعيا، من خلال السعي لإيجاد سوق كونية واحدة.. لم تعد تتحدث عن أوطان، وإنما تتحدث عن أسواق.. بمعنى أن النظام العولمي يسعى إلى إنهاء كل شيء تحقق حتى الآن، وتحويله إلى بؤر سوقية، وابتعاث الهويات الأخرى غير المثمرة تاريخيا: الطائفية، الإثنية، والمذهبية الدينية وغيرها"[(١)]، وهو ما عجزت عنه ما بعد الحداثة التي توقفت، كما يرى طيب تيزيني[(٢)]، عند تفكيك العالم وإسقاطه في الفوضى التي لا حد لها، وبتعبير آخر: لقد جاءت العولمة لتنقذ مشروع ما بعد الحداثة، فهي وريث لها ومتجاوز في الوقت نفسه.

---

(١) ما بعد الحداثة، ص٧٠.

(٢) المرجع السابق، ص٧٠.

اللغة العربية في ظل العولمة:

بما أن اللغة وعاء الفكر، ورافد الحضارة، وترجمان المعتقد والثقافة، وبما أن العولمة تهدف إلى محو الخصوصيات الثقافية والدينية والحضارية، بتغليب النموذج المهيمن في السياسة والاقتصاد على بقية النماذج، التي يؤمل لها أن تتلاشى بالتدريج، فإن اللغة مشمولة هي الأخرى بالخضوع لنظام القيم العوملي؛ أي أن تتحول اللغة العربية إلى كائن غريب، لا يكاد يأوي إليها أصحابه إلا في القلة، وحتى بين الصفوة من أبنائها تعاني الاغتراب، ولعل ما يصدق ذلك عزوف بعض الساسة عن استعمالها، وضعف بقية المتكلمين فيها، وإن كانوا من فضلائنا وعلمائنا ومثقفينا وخاصتنا، حتى لقد عاد الوأحد من شبابنا يتحرج أيما حرج إذا تعثر لسانه في لغة أجنبية دخيلة، ولا يجد غضاضة إن هو أخل ببعض لغته الأم أو جلها، أو لحن فيها، بل ويتباهى بأنه بلغ من ثقافته الأجنبية أنه لا يحسن العربية، وكم تروعنا الإحصائيات عندما ترصد لنا كم الإقبال على اللغة الإنجليزية في كافة دوإلىب المجتمعات العالمية والدوائر التي تعكس سيادة الدول ومدى استقلالية قرارها، كما يختصره الجدول الآتي(1):

مجال الاستعمال	النسبة المئوية
الشبكة العنكبوتية	٩٠ %
الاتصالات الدولية عبر الهاتف	٨٥%
الأفلام التلفزيونية والسينمائية	٧٠%
برامج الإذاعات في كل العالم	٦٥%

(١) المرجع السابق، ص٣١٣.

ما يعني أنه لم يبق للغات القومية على اختلافها في أنواع تلك المجالات إلا ما نسبته ٢٢% ، وكم سيكون نصيب اللغة العربية في زحمة كل لغات العالم المتبقية من تلك النسبة، خاصة ونحن ندرك أننا في كل ذلك متبعون لا مبتدعون، بل حتى تلك الوسائل لا يتقنها معظمنا، الذين يطبق عليهم الجهل والأمية من جهة، وانشغالات تدبير العيش من جهة ثانية، وعدم الاكتراث لموقعنا من ركب المدنية الزاحف من جهة ثالثة وليست الأخيرة..إن اللغة كما بينا هي المستهدف في المقام الأول؛ لأن في إضعافها إضعاف لمقوم الدين والانتماء والحضارة والثقافة، فكل مقومات أمتنا العربية مكتنزة في اللغة التي تعاني منذ زمن ليس باليسير من تراجع في كل صعيد، ولم يبق لها إلا مجال الوعظ على منابر المساجد، بل إن المنابر نفسها شابها التخليط وبلبلة اللسان وفساد اللغة، وقديما قال عبد الملك بن مروان وكان يلعب بالنرد لبعض الداخلين عليه وقد لحن: لا حرمة للاحن! فأين نحن من تلك القيم الاجتماعية التي تعد فيها اللغة مفتاحا لمعرفة قدر الأشخاص ومنازلهم من سلمية القبول والرفض الاجتماعيين؟ إن حديثنا عن واقع اللغة العربية في أيامنا هذه تحت ضغط مد العولمة الجارف، لا يمكن أن يكون بحال بمعزل عن جملة أبعاد الحياة الأخرى المرتبطة باللغة ارتباطا عضويا ووظيفيا، تقوى بقوتها، وتضعف بضعفها، وإلا كان الطرح مبتسرا ومسطحا، قائما على نظرة البعد الواحد.

إن المتصفح للواقع العربي اليوم لا يجد كبير عناء في الوقوف على مظاهر اللا تجانس التي تطبعه، فنحن نعيش عدم التجانس، بداية من تركيبة الفرد، الذي تتجاذبه أهواء وتيارات عدة، فبين الانشداد إلى الماضي بكافة مكوناته، وما يتبع ذلك من الإحساس بالدونية، وبين الاستجابة لداعي التقدم الأوحد، وما يتركه من إحساس

بالاغتراب، وفقدان الجذور، وهذه هي الترجمة العملية لنظرية التفكيك، وبين إحساسه من جهة ثالثة بوقوعه فريسة لمطلب السوق ومنطق الواقع الذي حول الإنسان إلى سلعة بالمفهوم الحقيقي للكلمة، وكل تلك الإكراهات حملت الفرد على التنكر لموروثه، والانسلاخ من الصبغة الاجتماعية، وأكسبته محدودية في التفكير، فصارت اهتماماته لا تعدو الحاجات الضرورية مما به قوام الحيوانية الدنيا، ومن ثم ضمنت المقومات الوافدة عدم المواجهة، وتحقيق الاستلاب الكامل. وليست الثقافة بأسعد حظا من حال الفرد، فهوية الأمة الثقافية مهزوزة ومضطربة، تكونها أخلاط لا تكاد تلتقي، وما ذلك إلا نتيجة التقليد الأعمى لما تلقيه إلينا المدنية الغربية من نمط حياتها، في الفكر والسلوك والثقافة والاجتماع والسياسة والاقتصاد، وندرك حال الثقافة على تعدد مفاهيمها في عالمنا العربي، إذا استعرضنا قطاعين لهما بها وثيق الصلة، لأنهما من أهم ركائزها، ألا وهما الإعلام والتعليم، اللذين يظهر من خلالهما حال اللغة وموقعها من سلم القيم.

أما وسائل الإعلام على اختلافها فقد حولت العالم إلى "قرية كونية" صغيرة، بفعل سرعة نقل الخبر ودقته، مستعينة بالصورة بعد الصوت، مما سهل الاحتكاك المباشر بين الشعوب والثقافات والأديان وبين اللغات، إلى حد كادت فيه الفواصل والخواص القومية وفوارق الجنس والمعتقد واللسان أن تتلاشى، ولذلك كله تأثيره في الإعلام العربي، الذي ينتقي مواضيعه تحت تأثير الإعلام العالمي، ويعالجها من منظور يتنكر لثوابت الأمم في حالات كثيرة، وقائمة الشواهد تطول إذا رمنا العد، قد تبدأ بالحرب على أفغانستان ثم العراق، وقد لا تنتهي بحرب تموز في لبنان، وحرب غزة التي

رافقتها احتفالات أعياد الميلاد، ناهيك عن جملة الأدبيات التي تسربت إليه من وسائل الإعلام الغربية المختلفة، وكأنه رضي لنفسه بدور العراب. وفي المقابل نلحظ أنه يغطي على كثرة كاثرة من الحقائق الاجتماعية والأخلاقية التي تنخر جسم الأمة المتداعي يوما بعد يوم، فمرة حديث عن الدببة القطبية وخطر الانقراض بسبب آثار الاحتباس الحراري، ومرة خبر للبؤة تلد زوجا من الصغار في أحدى الحضائر الأوروبية..! كما لو لم تكن مجاعة هنا وانحلال هناك، ولا نعرات طائفية أو مذهبية ودعوات هدامة لإعادة تقسيم ما قد تم تقسيمه على زمن الاستعمار الغربي البغيض، والأسوأ من هذا كله أن تستبعد رابطة الدين من وسائل إعلامنا، فما عاد يعنينا من قضايا العالم الإسلامي شيء، بل لقد تحول الإعلام إلى مروج لعبادة صنم القطر، يعلي من القبيلة والعشيرة والبطن، على حساب الوطن الأكبر على طوله وامتداده، وامتلائه بكافة المقدرات، التي يفتقد إليها العالم الغربي على ما أوتي، إننا اليوم بصدد إعلام خلط جده بهزله، غريب عن قضايا الأمة، اختلطت عليه أولوياته، بل لا أولوية عنده البتة، تحكمه المنفعة المادية العاجلة، وبخاصة في ما صار يطلع علينا حينا بعد آخر من قنوات إعلامية خاصة، تخدم مصالح ضيقة، وتيمم حيث الربح والشهرة، ولو كان ذلك على حساب الأمة وقضاياها على الجملة. ومن أسوأ ما أنتجته وسائل الاتصال، على تنوعها، تراجعُ مستوى اللغة العربية، وضعف أدائها، لأن المتابع لتلك الوسائط يجدها تعتمد عربية هجينة، لا هي بالفصحى، ولا هي بالعامية الخالصة، فما يدور على ألسنة المذيعين والصحفيين ومقدمي البرامج إنما هو مستوى لا يمكن

تصنيفه إلا ضمن (البيدجن) أو الرطانة التي ينعدم فيها النظام، ولا تتسم ببنية معيارية واضحة، وبخاصة ما يدور على ألسنة الشباب الأكثر تأثرا وقربا من معطيات العولمة، فأنت تسمع الجملة يتبرأ بعضها من بعض، فتحار في تصنيفها؛ لأن بعض كلماتها عربي صحيح، وبعضها لهجة مقحمة، إلى جانب ما يتسلل إليها من ألفاظ أجنبية دخيلة، مع ما يطبعها من ضعف الإعراب، وهو ما يؤثر على المستمعين المتابعين للبرامج والحصص من العامة، بل إن تلك المظاهر وجدت طريقها إلى أساليب الحديث اليومي في المقاهي والأندية والمساجد والجامعات على ألسنة الخاصة، وإن تأثيرها يتعاظم يوما بعد آخر، لاسيما في الإعلام المرئي في ظل سيطرة الصورة وفعاليتها، فمن أين يتعلم الناشئ فينا لغته إذا تخلت الأسرة عن مهمة التلقين المبرمج، وتنكب الإعلام عن وظيفته في التثقيف وتعليم اللغة المبسطة، التي هي بين لغة الأدب والعاميات على تعددها؟ ولعل الجميع يتذكر ما كانت تقوم به شركات الإنتاج في جملة من التلفزيونات العربية في مرحلة الستينات إلى الثمانينات من جهد أثمر جيلا تعلق بلغته، وأحبها ونافح عنها، تحت شعارات شتى. أما إذا عرجنا على قطاع التعليم في العالم العربي فإننا نجده مشكلة المشاكل، على الرغم من أنه من خلاله تصاغ العقول، وتشكل الأفكار، وترسم آفاق التنمية بكل ما تحمله الكلمة من معنى، تنمية للفرد، وللاقتصاد وللسياسة.. إن التعليم هو بوابة كل إصلاح عند كل الأمم التي تحترم نفسها، وتحدد أهدافها، وتعرف غاياتها ومراميها، وما من زعيم له وزنه في بلده إلا ويوصي بأن معبر كل تغيير، وقاعدة كل نهضة إنما هو

التعليم (مهاتير محمد، طيب رجب أردوغان..)، وهذه هي الحقيقة التي وعتها العولمة الزاحفة ممثلة في المنظرين لها، فانطلقت في عملية تغيير المجتمعات من التعليم، وفي قولبة الفكر على نمطية ومعيار لا يقبلان التعدد أو المغايرة، من قبيل الدعوة إلى "مراجعة" المنظومات التربوية للدول التابعة والمستضعفة. إن التعليم لا يعاني من هذه الضغوطات المتتالية فحسب، بل الأسوأ فيه أن نجد اللغة العربية لا تشغل إلا حيزا ضئيلا لا يكاد يذكر، فالمتجول في أروقة المدارس والجامعات والمعاهد العربية يدرك أن العربية مستبعدة إما عن قصد، أو عن سوء تدبير، وإلا كيف يعقل أن الجامعات، وهي قمة الهرم التعليمي، تقدم فيها المواد والمساقات (Modules) والوحدات التعليمية إما باللغة الأجنبية، وإما بعربية أضعف من لغة الإعلام، تستمع إليها فلا تكاد تخرج منها بشيء؛ لأنها مزيج بين الفصحى والعامية الدارجة، وبعض ألفاظ أجنبية، وقد نسوغ الأمر في بعض المعاهد ذات التخصصات التقنية، لكن أن يكون ذلك في مراكز تعليم العربية، التي كان يفترض فيها حراستها، فهو الأمر المروع حقا، وليس هذا من قبيل المبالغة، بل هي حقيقة أقر بها كمال بشر في حديثه عن واقع العربية، ولمسناها حقيقة مُرة في تجربتنا في التعليم الجامعي، والظاهرة آخذة في الانتشار والتوسع. هذا الخطب في التعليم العام أو الحكومي، وأعظم منه ما يحدث في المدارس والثانويات والجامعات الخاصة والمعاهد الأجنبية، وكلها تعتمد اللغة الأجنبية قلبا وقالبا، فلم تعد الإنجليزية أو الفرنسية مجرد لغة تلقن بها العلوم، وتقدم بها المواد الدراسية، بل صارت نمط سلوك وطريقة تفكير، بحكم أن اللغة

والفكر لا ينفصلان، تلك المدارس الخاصة التي أخذت في الآونة الأخيرة في الانتشار حتى لقد غطت في بعض الأقطار على المدارس العمومية، حرصا من الأولياء على مستوى جيد في التكوين لأولادهم، مراعاة لمبدأ العرض والطلب الذي يفرضه سوق الشغل، والظاهرة أوسع انتشارا بدول الخليج العربي كما تبينه التقارير، هذا في الوقت الذي يقبل فيه غير العرب من المسلمين وغيرهم على العربية، أما المسلمون فلضرورة الفهم الصحيح للقرآن الكريم والسنة النبوية، وهما مناط التشريع، ولسلامة أداء العبادات والشعائر، كما يحدث في باكستان وماليزيا وأندونيسيا ونيجيريا وغيرها[١]، بل لقد صارت العربية لغة رسمية في بعض تلك الدول، كباكستان التي عممت تعليم العربية فيما يقرب من٧٠٠٠مدرسة، وأما غير المسلمين فبدافع الرغبة في الاطلاع على الحضارة العربية الإسلامية حينا، وبدافع الحاجة السياسية والعسكرية حينا آخر، كما يحدث في أمريكا وأوروبا واليابان والصين وغيرها، من تخصيص أقسام للدراسات العربية والإسلامية في الجامعات والمعاهد، بل وحتى في بعض مؤسسات الدولة السياسية والعسكرية. وأعتقد أن ما يحدث في التعليم من تقزيم لدور العربية يعضد منه الدور السلبي للإعلام المسموع والمرئي، ويجد له نظيرا في الإدارة ودواليب قطاعات التسيير المختلفة، وسببه الأساسي يرجع إلى تراخي الوصايات في اتخاذ قرارات جريئة، كالتي اتخذت في الجزائر عام ١٩٩٩م من ترسيم العربية

(١) محمود فهمي حجازي: علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة، دار غريب، القاهرة، (دط ت)، ص٩٧، ٩٨.

عمليا من خلال فرض استعمالها في الإدارة وتغريم من يستعمل غيرها، أو يوقع على وثيقة مكتوبة بلغة أجنبية. إذن فما يمثل خطرا على العربية سببه فكري سياسي في المقام الأول، ويمكن أن نضيف إلى ما سبق أنه مما يعكس أزمة اللغة العربية في أوطاننا:

أ-غياب خطة عمل لتعليم العربية لغير الناطقين بها، على أن تكون تلك الخطة مستوعبة لكافة الدول العربية، ذات منحى عالمي لا إقليمي أو قاري، وقبل ذلك كله العناية بأبناء اللغة كبارا وصغارا، من خلال تأسيس جمعيات تربوية وثقافية وتعليمية، توجه لأفراد المجتمع بحسب أعمارهم وطبقاتهم؛ لأن ما يجري به العمل كما يرى محمود فهمي حجازي(١)، إنما هو تخطيط قطري مبتور، محدود الأثر، غير واضح الأفق.

ب-العكوف على النهج التقليدي في تعليم اللغة، بتحفيظ قواعدها وتلقينها للمتعلمين، دون محاولة لتبسيطها.

ج-غياب تكوين متقن للمتخصصين في تعليم اللغة، وبخاصة أن التدريس وتعليم اللغة صار علما قائما بذاته، له مفاهيمه ومصطلحاته، وإجراءاته، هو علم التدريس أو الديداكتيتك، بعد أن كان يتأرجح بين علم النفس والبيداغوجيا.

د-الانتصار لها أو الإزراء بها من غير دليل، فلا المحب - كما يقول العقاد - بذل منتهى الجهد في التعريف بأهمية العربية، وفي اقتراح طرق فعالة لتعليمها، ولا الثائر عليها استطاع أن يقدم بديلا مقنعا، فلا بد إذا من ثقة

---

(١)المرجع السابق، ص٩٩.

تعيدنا إلى لغتنا عن وعي وعن بينة علمية[1].

هـــ-ومن باب الافتخار باللغة العربية، الذي ليس يفيدها في شيء، الوقوف من منجزات العصر دون حراك، ودون تشغيل الترجمة، وهي من أهم إليات نمو اللغة، وقد تتبع بعض الباحثين العجز الذي نعانيه في هذا المجال مقارنة بغيرنا، فوجد الهوة لا يمكن جسرها بسهولة، كما يختصره الجدول[2]:

الدولة	عدد الكتب المترجمة
ألمانيا	٨٠٠٠
فرنسا	٣٥٠٠
إيطاليا	٢٠٠٠
يوغسلافيا	١٣٥٠
تشيكوسلوفاكيا	١٢٥٠
بولندا	١٢٠٠
تركيا	١٠٠٠
بلغاريا	٤٥٠
العالم العربي	٤٠٠

وهذه إحصائيات قديمة نسبيا، أما اليوم فالأمر قد اختلف كثيرا؛ إذ سرعت وتيرة الترجمة إلى أضعاف ما هو مثبت هنا، هذا إذا علمنا أن كثيرا

(١) العقاد: أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، دار المعارف، القاهرة، ط٦، ١٩٨٨، ص١١٤.

(٢) علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة، ص٩٩.

مما يترجم إلى العربية يدخل ضمن خانة الترف كالقصص والروايات، أما الكتب العلمية فقلة قليلة.

و–قيام نظام التعليم على التوجيه القسري بناء على المعدل، بحيث يوجه ضعاف الطلبة إلى شعبة الآداب، ابتداء من نهاية الطور المتوسط أو الإعدادي، وكذلك الحال بالنسبة للتعليم الجامعي، فأدنى المعدلات وأضعف الحصائل المدرسية يوجه أصحابها إلى كليات الآداب والعلوم الإنسانية، ثم ترفع معدلات القبول في اللغات والعلوم الاجتماعية المختلفة كعلم النفس وعلم الاجتماع والفلسفة، بما يعني أن الدون يتوجهون لا محالة إلى أقسام اللغة العربية وآدابها، فتجد الوأحد منهم لا تستقيم له جملة، بل وأنت تصحح ما تشرف عليه من مذكرات التخرج (الليسانس) ومذكرات الماجستير يهولك ما ترى من أخطاء، بداية بالرسم وليس انتهاء بالنحو، فكيف يؤتمن هؤلاء على الأجيال القادمة في ظل التشتت الذي يعيشونه على أكثر من صعيد!

ز–تحول رسالة المعلم والأستاذ تحت الضغط المادي الجارف من تلقين العلم وإكساب اللغة الصحيحة، إلى دور البائع للسلعة، وهو ما تترجمه موجة الدروس الخصوصية.

ح–تدهور العربية على ألسنة المسؤولين بميلهم إلى استعمال الفرنسية أو الإنجليزية مع اللهجات والعاميات، وعلى ألسنة ممثلي الشعب الذين يفترض فيهم المنافحة عن قيمه بما في ذلك لغته، وما ذلك إلا بحجة قرب العاميات من الناس.

رجعة العربية ومبادئ التخطيط اللغوي:

إن هذا الوضع الحرج الذي تعيشه العربية، لا يمكن بحال الغض من خطره وتأثيره، لا على اللسان وحده، بل على المعتقد والثقافة والحضارة والنسيج الاجتماعي برمته؛ لأن اللغة، كما يرى كثرة من الدارسين، تتجاوز كونها مظهرا قوميا، إلى كونها المشكل للتصورات والأفكار والتمثلات عن العالم الخارجي، إنها "طريقة تواصل منتظمة مع الأخرين للتأثير في سلوكهم وسلوكنا، وللمشاركة في الاهتمام بتشكيل الوقائع التي نتمسك بها فيما بعد، كما بحقائق الطبيعة"(١)، وعليه يمكننا القول إن اللغة هي الإنسان، بحكم أنها تختزله، وتعبر عن كل أبعاده، وتطوي لنا المظهر للوصول إلى المستور من حياته. إننا في عالمنا العربي بحاجة إلى التحرك وفق هذا المنظور عاجلا غير آجل؛ لأن كل مماطلة تعمق الشرخ بين الأجيال القادمة وبين ثقافتها وفكرها ورصيدها الحضاري، على الرغم من أن الواقع لا تقر به عين غيور، فلم ندرك على المستوى الرسمي إلى اليوم في كثير من الأقطار خلفية قبولنا بالواقع المفروض من دواخلنا ومن خارجنا، وهو رضى تعززه المسلمة الاستعمارية التي تم إقناعنا غداة الاستقلالات العربية بعدم تحولها، لقد ورثت بلادنا العربية وضعا لغويا معقدا: "تعدد لغوي من جهة وهيمنة رسمية للغة المستعمر من جهة أخرى، ولما كانت الثنائية تعطي لهذا الوضع إطارا نظريا، فإنها نزعت إلى تقديمه وكأنه عاد وقار ومحو الصراع اللغوي الذي

(١) أعلام الفكر اللغوي، ج٢، ص٢٥٧.

تعكسه"[١]، وهي الروح الاستعمارية نفسها التي محت اللغات الأم في كثير من البلاد التي خضعت لها، بمزجها بخليط من رطانتها مع تلك اللغات، فتخلق منهما (**كريول**) له قوانينه، وهي غير قوانين لغات تلك الشعوب المستعمرة، روج لها الغزاة، وأدخلوها إلى التعليم في تلك المناطق، كالتجربة الفرنسية في السيشل والأنتيي وهايتي[٢]. وفي هذا السياق يقترح بعض الباحثين مجموعة من الحلول لإحياء العربية والرقي بها إلى مصاف اللغات الحية، وهو أمر ممكن كما تصدقه تجارب الأمم المعاصرة، فالعبرية لم تكن يوما إلا لغة للعبادة، محصورة في أماكن ضيقة لا تعدوها، إلى غاية أواخر القرن التاسع عشر[٣]، وها قد تحولت مع استنفار الناطقين بها إلى لغة التدريس والسياسة والاقتصاد وسائر المعاملات الاجتماعية، ومثل ذلك حدث مع اللغة الألمانية حينما تم توحيدها لغة مشتركة في كامل البلاد،

---

(١) علم الاجتماع اللغوي، ص٤٩.

(٢) المرجع السابق، ص٤٢.

(٣) بحكم أن الوافدين اليهود لم تكن لديهم لغة مشتركة، لاختلاف أعراقهم ومواطنهم، فالقادمون من شرق أوروبا يتكلمون اليدش(تتكون من مفردات عبرية وسلفية وبعضا من اللغة الرومنسية)، والذين وفدوا من البلقان وبقية أنحاء الدولة العثمانية كانوا يتكلمون إما العربية أو الجودزمو(مزيج من الإسبانية وبعض الكلمات العبرية)، في حين كان المهاجرون من شمال إفريقيا وغرب آسيا، أي من معظم العالم العربي فكانت لغتهم عربية صرف.روبرت، ل.كوبر: التخطيط اللغوي والتغير الاجتماعي، ترجمة خليفة أبو بكر الأسود، منشورات مجلس الثقافة العام، القاهرة، ٢٠٠٦، ص٣٢.

وتعميم استعمالها على نطاق واسع، وفي جميع المدارس والمواد الدراسية، نطقا وكتابة، وفي الإدارة ووسائل الإعلام، وأبعد من هذين المثالين نشر اللغة الإنجليزية في الهند بعد أن لم تكن موجودة قبل الاستعمار الإنجليزي، حتى صارت اللغة الغالبة والشائعة[١]. إن كل هذه النتائج لم تأت جزافا من غير جهد، بل وقفت وراءها مجهودات جبارة على مستوى التنظير والبحث والدراسة، وعلى مستوى الإجراء والتطبيق، تحت ما يعرف بالتنمية اللغوية أو التخطيط اللغوي، فما هو التخطيط وما فائدته وجدواه في إحياء العربية في أوطانها أولا، وفي باقي أنحاء العالم بعد ذلك في مرتبة ثانية؟ إن التخطيط اللغوي، كما يعرفه بعض الباحثين[٢]، عملية تغيير قائمة على أسس ثابتة، تحركها دوافع واعية ومعلومة، هي جملة المشاكل المطروحة على مستوى الاستعمال اللغوي في مجتمع من المجتمعات، وتهدف إلى مرامي محددة ومتجانسة، تتمثل في إيجاد أفضل الحلول لتلك المشكلات، كما تحمل طابعا إيجابيا، خلاف مطلق التغير الذي كثيرا ما تجهل أسبابه وعلله، وقد لا يتنبأ بزمنه ولا وقت حصوله، وآثاره قد تكون سلبية على مستقبل اللغة في إطارها الاجتماعي، أو بتعبير آخر، فإن التخطيط اللغوي عملية تهذيب للغة باستمرار؛ لتتوافق مع حاجات المجتمع، من أجل الإبقاء عليها لغة حية متداولة، صالحة لكل زمن؛ لأن اللغة تتطور وتتبدل ولكن بوصفها متغيرا إنسانيا واجتماعيا، أي إنها لا تتبدل من تلقاء نفسها، ولكن تتغير في

---

(١) علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة، ص٩٢.

(٢) المرجع السابق، ص٨٩.

ارتباطها بتغير المجتمع ووعي أفراده، وما ينشأ من مفرزات العصر الذي يعيشونه، وسواء نظرنا إلى اللغة على أنها مجرد أداة، أو على أنها عامل يحمل ثقافة المجتمع وقيمه الحضارية والعقدية والتعبيرية والجمالية، فإنه ينبغي علينا، كما يرى هؤلاء الباحثون، "التدخل المنظم في مجرى اللغة واستعمالاتها في المجتمع بقصد التعديل والتوسيع أو التغيير إلى وضع مفضل، وفقا لما تقتضيه مصلحة الأمة وحاجاتها وطموحاتها، ويعتبر ذلك عندهم من أهم ما يعمل على استقرار المجتمع ويحفظ كيانه وأصالته"[١]. بمعنى أن عـــمـــلـــية علاج ما يعرض للغة من نكبات في مسيرتها، وما يقدم من حلول لتظل سليمة هي عين التخطيط اللغوي، أي إنه عملية واعية قائمة على تفكير وإمعان نظر، لا ضرب من العجلة والاعتباط، يسهر عليه علماء مختصون في قضايا اللسان، كما يؤخذ في الحسبان أن أي تخطيط يجب أن يستند إلى إعداد البحوث عن الواقع اللغوي العربي في كافة الأقطار، وهي عملية متجددة، لا تقنع بالمنجز القديم المتجاوز في قيمته، وأن يعي علماء اللسان وغيرهم من التخصصات الأخرى أنهم ليسوا الوحيدين في هذه المعركة، بل إن دورهم يقف عند عملية التشخيص واقتراح الحلول المناسبة لتلك المعضلات ليس إلا، لذلك ينبغي أيضا أن نحدد جملة القطاعات التي تمتلك القدرة على تنفيذ هذا التخطيط، لا بمفردها، وإنما بصورة مشتركة، فالتخطيط اللغوي "الذي يحكم عمليات التدخل في توجيه اللغة وينظم سيرها يتضمن كما تؤكد ذلك بعض

---

(١) أحمد محمد المعتوق: نظرية اللغة الثالثة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٥، ص٣٠.

الدراسات المتعلقة به، نشاطات إدارية وتربوية وسياسية، لا تستهدف جانبا معينا من اللغة أو ظاهرات محددة مرتبطة بها، وإنما تستهدف كل ما يتعلق بها من جوانب، وكل ما يرتبط بها من ظاهرات ويتبعها من قضايا ومن تعقيد، وتيسير وتنقية وتفصيح وتحديث وإصلاح أو تطوير للأنظمة الأساسية المرتبطة بالأصوات أو المفردات أو التراكيب"[١]. إذن فالقطاعات التي تؤثر تأثيرا بالغا في التخطيط اللغوي، إذا أردنا أن نصلح من حال العربية المعاصرة، هي الأبعاد السياسية والإدارية والتربوية والإعلامية.

(١) المرجع السابق، ص٣١.

العربية وجرأة القرار السياسي:

إن ما يقف حجر عثرة في الإصلاح من شأن العربية هو القصور في الجانب السياسي؛ لأننا إلى اليوم لا نزال في أقطارنا العربية بصورة عامة مرهنين في أغلال جلادي الأمس، فلا نكاد نعثر على زعيم يمتلك الجرأة الكافية على الإعلان بصراحة لا مراء فيها أنه على الأمة أن تعود إلى ينابيع أصالتها، وفي مقدمتها اللغة أو اللسان، وما دام الحاكم يحتل من الأمة مكان الرأس من الجسد، فلا يعقل أن يسلم الجسد سلامة عامة ما لم يكن العقل صاحيا والفكر يقظان، ومهما بذلت من جهود هنا وهناك، وعلى أي صعيد، فإن أثرها يظل محدودا، ما لم يدعم ذلك قرار فوقي، لا قهرا، بل بخطة محكمة ملزمة تسندها القوانين المنظمة والسلطة الحاملة على التنفيذ؛ لأن "الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن"، وما يؤسف حقا، أن أكثر ممن يلي أمورنا في دولنا العربية متشبعون بلبان الاستعمار الغربي، لسانا وفكرا، وقلة أفلتت من هذا التعميم ومن هذه السطوة القاهرة، كما أن منهم من يظهر ولاء لسانيا ويبدي هوى مسايرا حفاظا على حاجات في نفسه، غير أن التاريخ لا يزال يحتفظ بأسماء حاولت في هذا جهدها، لكنها ما أفلحت؛ بسبب بعض الخاصة من أصحاب الولاءات المشبوهة، وعبدة المصالح، ممن لا انتماء لهم، وكم سطر من قرار فوقي بخصوص تعميم استعمال اللغة العربية، وتعريب التعليم وكافة قطاعات النشاط الاجتماعي المختلفة، لكنها ظلت على الورق لا تبرحه، بل إن أول من يفتك بهذه القرارات هم من كان يفترض فيهم السهر على تطبيقها وإعطاء القدوة الصالحة فيها، وإن كان

بعض الباحثين يبدي تفاؤلا بحال التعريب في الوطن العربي، كموقف عبد الرحمن الحاج صالح من التعريب في الجزائر[1]، والحقيقة أن ما نص عليه كانت له ثماره في حقل التعليم وحده، وهو جهد محدود قاصر، بحكم أن منتهى الطلب كان تحويل المواد من اللغة الفرنسية إلى العربية تعريبا وحسب، دون أن تكون هناك خطة لتطوير العربية لاستيعاب الحادث في كل مجال من مجالات العلوم، فكأن الوضع ظل يراوح مكانه، كما أن تعريب بعض التخصصات تم قبل أن يتوفر الكادر البشري الضروري للإشراف على عملية التكوين، فكان التعريب متعثرا بشكل فاضح، وبخاصة في المجالات العلمية التطبيقية، مما أعطى تصورا غير محبذ عن العربية، وعن كفايتها العلمية وأدائها التعليمي. إنه متى ما صح العزم من قمة الهرم، وصحت النية في التوجه نحو الالتزام بمقومات الأمة، يأتي دور المختصين في علم اللغة وعلم النفس وعلم الاجتماع والأنتروبولوجيا الثقافية؛ لوضع الخطط، وبناء الاستراتيجيات لاستعمال العربية وتعميمها على مختلف القطاعات، بعد عملية مسح الواقع اللغوي، بغية تشخيص النقائص ونقاط الخلل لرسم أفضل الحلول، مما يعني أن مهمة بعث العربية والنهوض بها مهمة مشتركة، لا يقوم بها من هؤلاء فريق وحده. ولعل تلك المهمة تعد يسيرة هينة بالمقارنة بمحاولة إحياء لغات كانت في عداد اللغات الميتة؛ لأن العربية لم تنقطع كلية عن واقع الحياة، ولم يحصل تنكر لها أو تناس مطبق من قبل أفراد المجتمع العربي،

(١) عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، الجزائر ٢٠٠٧، ج١، ٣٨٧.

وذلك يعود إلى جملة عوامل أساسية:

أ- ارتباطها بالقرآن الذي تكفل الله بحفظه، وحفظ لغته بالتبع والاقتضاء؛ لأن فهمه والتعبد به لا يكون إلا بالعربية.

ب- ارتباطها بهذا التراث الضخم الذي يترامى على أبعد ما يمكن أن يحاط به.

ج- الارتباط الجغرافي للعالم العربي[1].

إن ما يعمق القناعة بدور القرار السياسي محاولة إحياء اللغة الفرنسية في فرنسا التي ظلت اللاتينية مسيطرة على مستوى كافة الصعد، ولم يكن للفرنسية وجود ظاهر في التعليم وغيره إلى غاية بداية القرن السابع عشر، كما أنه لم يظهر أول عمل مكتوب بالفرنسية إلا في عام ١٦٣٧م ممثلا في كتاب "خطاب المنهجية"، وهي محاولة قادها ريشيليو (Rechelieux) الذي هيمن على الحكم لثمانية عشر عاما، لا بوصفه ملكا، بل بوصفه مخولا من قبل الملك لويس الثامن، ومما أقره ريشيليو في هذا الصدد وكان له أثره في بناء المجتمع اللغوي الفرنسي، بعد أن لم يكن، إنشاء المجمع اللغوي أو الأكاديمية الفرنسية، وكان يهدف بذلك إلى إيجاد موقع قدم وهيمنة للفرنسية من جهة، وإرضاء الكتاب والأدباء والفنانين ورجال الفكر ليقوي بهم عماد الدولة من جهة ثانية، حتى وصل بالذوق الفرنسي العام إلى رتبة تذوق الأدب والشعر، حتى قيل "كان الفرنسيون يتداولون الأدب والشعر كما يتناولون المرطبات والجاتوه"، كل ذلك إيمانا منه أن "الآداب والفنون الرائعة ليست

(١) رمضان عبد التواب: فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٦، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م. ، ص٤١٤، ٤١٥.

نتيجة أو شَرَكا من شِراك السلطة، بل هما جزآن أساسيان مكملان لها، وأن روعة الفن وسحره يمكن أن تسهم في عظمة فرنسا وعلوها"(١).

العربية وقطاع التعليم:

لا شك أن أي تغيير يراد له أن يمس عمق المجتمع لا بد من أن يمر حتما عن بوابة التعليم؛ لأنه هو الذي يبني الأفراد نفسيا وفكريا، ولنا أن ننظر إلى حقيقة العولمة وما تصبو إليه عبر فرض ضرورة إعادة النظر في النظم التعليمية في العالم كله وبخاصة في تلك المجتمعات التي تختلف عن المجتمع الغربي ثقافيا وحضاريا وعقديا ونفسيا وفكريا؛ لأن بقاءها مرهون بإعادة تشكيل هؤلاء المختلفين، لقد "حددت الرأسمالية المتوحشة وظيفة النظام التعليمي، فبواسطته تتم عملية تشكيل شخصية إنسان القرن الوأحد والعشرين الذي هو أساس إنتاج أدوات إنتاج النظام ذاك.. فالنظام التعليمي هو النظام الذي يمد الرأسمالية بمختلف الحاجيات من موارد بشرية ذات مهارات متنوعة..لذا فبنية النظام الرأسمالي العولمي ليست في جوهرها وحقيقتها، حاضرا ومستقبلا، سوى هذه المتغيرات التي بدونها تتأزم بنيته وتنهار ثوابته التي ستؤول في النهاية إلى الزوال، وهو الوضع الذي تتجنبه وباستمرار بالتركيز على النظام التعلمي باعتباره المجال الذي له القدرة على

(١) يراجع: التخطيط اللغوي، ص٢١ وما بعدها.

الإجابة على كل التحديات التي تهدد وجود هذا النظام في ظل الوضع الراهن"[١]، وهي الحقيقة التي ينبغي على العالم العربي برمته، حكاما ومحكومين، مثقفين وغير مثقفين، أن يعيها، بمعنى أن أي تحول منشود في بنية الأفراد ونمط تفكيرهم وسلوكهم لن يكون إلا عبر التعليم، فما محل التعليم في عالمنا العربي؟ وما نظرة الماسكين بالسلطة إليه؟ إن الحقيقة التي تصدم المطلع عليها في خطابات معظم الساسة على اختلاف درجاتهم ومستوياتهم وصلاحياتهم، أنه ينبغي، ومن أجل النهوض من الكبوة التي منينا بها، التركيز على القطاع الاقتصادي الصناعي والفلاحي، وأما التعليم عندهم فما له من نصيب، فهو القطاع العالة، الذي يبتلع رأس المال، ولا يفرز مما يأكل شيئا، ولما كان لهم في آخر عشرية من القرن الماضي من حديث عن التعليم، فلم يكن إلا كيلا للاتهامات من قبيل أن المدرسة هي التي أفرزت التطرف، فلابد من تدجينها وفق ما تمليه ضرورة التطوير! هذا في الوقت الذي لا يحظى فيه قطاع التربية في معظم الدول العربية إلا بسقط المتاع عند تقسيم الريع العام، وتوزيع الميزانية عند إقرارها، وفي حديث للأستاذ بلعربي في الحصة المتميزة

---

(١) محمد بوجنال: النظام التعليمي ومشروع عالمية الصراع، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط١، ٢٠٠٨، ص٨.

التي بثتها القناة المغربية(٢M) تحت عنوان(مباشرة معكم) يوم الأربعاء ٢٠٠٩/٠٩/٣٠م حول المنظومة التعليمية وكيفية تحسينها ضمن البرنامج الاستعجالي، يشير إلى أن قطاع التعليم لا يحظى في المغرب، وهو مجرد مثل، إلا بما نسبته٢% من مجموع الدخل القومي، وهي نسبة ضئيلة جدا مقارنة بما يوجه لقطاعات خاملة أو أقل أهمية، وهو ما يطرح مسألة التمويل؛ لأن أي تغيير في أي منظومة تعليمية في العالم كله، يمر حتما عبر زيادة النفقات، سواء فيما يتعلق بتطوير التجهير، أو الرفع من الأجور، أو ما يرصد للتكوين قبل الخدمة وأثنائها، أو لتطوير المناهج والبرامج التعليمية، فاليابان على سبيل المثال لم ينهض هذه النهضة المميزة، وما كان له أن تسيطر على قطاعات حيوية في العالم في الاقتصاد والتصنيع بمختلف أنواعه، ولا أن يحقق نموا لافتا، واكتفاء، بل وفائضا، لولا توجهه للتعليم بزيادة الإنفاق، بل الاستثمار في التعليم، بعد تحسين النظرة إليه، إنه وحسب تقارير وزارة التربية اليابانية فإن كل المدارس اليابانية بلا استثناء، ومنذ سنة ١٩٨٠م، تتوفر على آلات لعرض الأفلام وآلات تلفزية ومسجلات صوتية وآلات الفيديو، وأن ٩٥% منها تتوفر بها قاعات للألعاب الرياضية، و٦٠% من تلك المدارس تتوفر بها حمامات للسباحة(١)، اهتماما بالفرد من جميع نواحيه: الجسمانية البدنية

(١) المرجع السابق، ص٨٦.

والفكرية، وها هو اليابان يتحدى قوى قوضت كيانه بالأمس القريب، بل إنه ومن باب الثقة بالفرد تطلب أحدى أكبر الشركات اليابانية لصناعة السيارات ذات الجودة العالمية (تويوتا) من زبائنها في العالم إرجاع ما تم تسوىقه في السداسي الأول من ٢٠٠٩م، لاحتمال وجود خلل تقني في الصناعة، وعلى الرغم من الخسائر التي من المحتم أن تلحق بالاقتصاد الياباني، إلا أنها، قبل ذلك، ستحافظ على سمعتها كأحد أكبر مصنعي السيارات في العالم، وفي الوقت نفسه ستزيد ثقة الفرد الياباني بنفسه، الذي متى ما ذكر ذكر رديفا له الجد ومضاعفة الإنتاج مع الإتقان، وفي نفس السياق تلجأ الصين سنة ١٩٨٦م، ومن أجل زيادة الاستثمار في التعليم، إلى جمع التبرعات من السكان في المناطق الريفية، وإلى زيادة ما قيمته ١% من الضرائب على المنتجات وتوجيهها لقطاع التعليم[(١)]، وهو ما كان له ناتجه فعلا بعد ما ينيف عن العقدين فقط، فها هي الصين تفرض نفسها في كافة المجالات، وتمسك بزمام المبادرة الصناعية والزراعية والتقنية العآلية عالميا، بل وتصبو لأن تكون المصدر الأول في العالم للسنة الجارية٢٠٠٩م. ومما يهول أن نعلم أن غير قلة ممن ينتسبون إلى قطاع التعليم بجميع مراحله في العالم العربي، بدءا من المرحلة التحضيرية، وانتهاء بالمرحلة الجامعية، بحاجة إلى

---

(١) المرجع السابق، ص١٢٢.

إعادة نظر، فمنهم من يشكو القصور الأكاديمي، فلا يكاد يحسن تخصصه، ناهيك أن يطلب إليه الاطلاع على مستجدات العلوم الأخرى ذات القرابة، ومنهم من يحتاج إلى التدريب المهني، كالاطلاع على الطرق الفعالة في التوصيل البيداغوجي، وطرق التدريس، وتكنولوجيات التعليم وغيرها، إلى جانب انخفاض الإنفاق على المنظومات التعلمية، حيث لم يتجاوز حجم الإنفاق نسبة ٠,١٤% من الناتج المحلي الإجمإلى، ويظل متوسط نصيب الفرد من الإنفاق على التعليم قليلا[١]:

بعض الدول العربية	بعض الدول الغربية
السعودية ١٢٠٠ريال في التعليم العام، مقابل ٣٠٠٠٠ ريال في التعليم الجامعي	النرويج ٩٠٠٠ دولار
تونس ٢١٩٢ دولار	الولايات المتحدة الأمريكية ٨١٧١ دولار
الأردن ٢١٧٩	سويسرا ٧٣٤٥ دولار
المغرب ١٤٤١دولار	النمسا ٧٢٨٤ دولار
مصر ١٩٦دولار	اليابان ٧٠٠٠ دولار

(١) هناك كثرة من الدراسات في هذا الشأن، يمكن مراجعتها للاستزادة على الموقع:
www.islamtoday.net/.../artshow

في الوقت الذي بلغ الإنـــفاق الفردي في إسرائيل ٣٥٠٠ دولار، أي ما يفوق إنفاق دولتي مصر والمغرب، أو المغرب وتونس أو الأردن مجتمعة، على تباين في عدد السكان، وهو متغير له دلالته إذا أردنا أن نحكم على الظاهرة. إن واقعا متخبطا كالذي تم رسمه لا شك أنه أحسن مترجم عن موقع العربية في المنظومة التعليمية العربية، وهو موقع متراجع بشكل واضح ومستمر، في ظل انحسار استعمالها، على الرغم من التغني بحبها لغة للدين والعلم والثقافة، وإفساح المجال لغيرها من اللغات ذات السيطرة الاقتصادية والتقنية والأيديولوجية، كتغلغل الفرنسية في بلاد المغرب العربي، والإنجليزية في بلاد المشرق عموما، وبخاصة في بلاد الخليج العربي، فلم تبق العربية إلا لقلة من الناس وبخاصة في التعليم الجامعي، في مجال دارسي العربية وآدابها، وبعض العلوم الإنسانية والاجتماعية، ولن تغني شعارات التعريب من جوع إذا بقيت مجرد شعارات ترفع، ولم نتمكن من تعريب الفكر، الذي يلد التعريب اللغوي بالضرورة، وبشكل أكثر أصالة وتميزا، وأعمق جذورا، وهنا لا بد من التمييز بين تعليم اللغة العربية وبين تعليم قواعدها الذي لن يفيد المتعلم شيئا[١]؛ لأن تلك القواعد ستظل كفاية كامنة تحتاج إلى إنجاز، يعكسه الاستعمال اللغوي، أو الأداء (performance) بتعبير نيوم شومسكي، ثم إلزام الطلبة في كافة المراحل باستعمالها، بعد إجراء مراجعة من قبل المتخصصين

---

(١) وقد سبق إلى هذا ابن مضاء القرطبي حينما دعا إلى إسقاط كل ما لا تأثير له في النطق، أي ما لا يفيد المستعمل للغة، كتاب الرد على النحاة، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٣،١٩٨٨، ص ١٣٠ وما بعدها.

في الجامعات والمجامع اللغوية، لقواعدها الصوتية والصرفية والنحوية، وتبسيطها، وتقريبها من نفوس الناشئة، بالبحث عن مواطن الاشتراك والتطابق بين البلدان العربية، ورصد المتواتر منها على ألسنة العرب، على ألا تكون لغة الأدب الراقية التي لا يفهمها إلا الخاصة، ولا اللهجة السوقية التي تنفر منها الطباع السليمة، فهي لغة وسط مشتركة، كما جرى عليه الأمر في تعميم اللغة الألمانية وتوحيدها، كما أشرنا، كما يكون ذلك بالتشجيع على المطالعة وتنويع مصادر أخذ اللغة بصورة محلية لا خارجية، كالمجلات والكتب التثقيفية العامة، ومجلات الأطفال بما تحويه من ألعاب لغوية وألغاز، لتعوض القراءة الفراغ الذي نعانيه في جانب السماع، الذي يعد جانبا مهما في اكتساب اللغة، كما يشهد به الاكتساب الفطري للهجة العامية في البيوت، فلو لم ينشأ الطفل في بيت به أفراد ناطقون لما كان بمقدوره أن يتكلم مقلدا أول الأمر، ومبدعا ثانيا، وهي خاصية الإبداعية كما أشار إليه ابن خلدون والنظرية التوليدية التحويلية من بعده، وفي المقام الأول، قبل هذا وذاك، لا بد من تكوين متميز لمدرسي اللغة، إلى جانب مواصفات نفسية وفكرية من الواجب التحلي بها، وكم كان الاستعمار مصيبا حينما كان ينتقي معلمي العربية في بعض بلادنا من النفسيات الهابطة، غير المتحمسة لما تقوم به، ومن ذوي السن المتقدمة، حتى لا يتسنى لهم بذل جهد كبير، بل لقد كان يعطيهم من الأجر أقل ما يعطي لمدرس اللغات الأجنبية، الذي غالبا ما يكون شابا نشيطا، حركيا، مهتما بهندامه ومظهره، مما يغري الناشئة بحبه والإقبال على لغته، وبالمقابل النفور من صورة مدرس العربية

والنفور من اللغة التي يدرسها، وقد اكتسبت نمطيتها وجمودها من نمطيته وجموده، بفعل تراجع راتبه ودخله الشهري[١]، ولغياب التشجيع أثره هو الآخر على معلم اللغة ومتعلمها، فالإنسان من طبيعته الإقبال على ما يحقق له النفع، ويدبر عن كل ما يجلب له الضرر، وهي طبيعة حيوانية عامة، وفوق هذا فإن الله تعالى رتب عن كل فعل جزاء، حتى على النيات؛ ليربي الناس على مراقبة سلوكهم بداية مما يسرون، ووصولا إلى ما يعلنون، ويشحذ هممهم ليستقبلوا أمرهم بحب، وعن راحة نفس وطيب خاطر، وهو ما كان ينبغي أن تبنى عليه كل الجهود في التعليم، أو ما يعرف في علم النفس بالدافعية(Motivation)، التي يمكن أن تنمى بوسائل مختلفة، ولعل من بينها التحفيز.

اللغة والأسرة:

من المعلوم في السياسة والاجتماع أن الأسرة هي النواة التي تركز عليها كل أنواع البرمجة مهما كان نوعها، بحكم أنها محضن الأفراد، وكل تغيير لا يمر عبرها محكوم عليه بالفشل من اللحظة الأولى لإعلانه، ومن جملة ما يعول فيه عليها التنشئة اللغوية. إن الطفل يكتسب لغة المجتمع الذي ينتمي إليه ومن قبل أن يلج المدرسة من العائلة، التي لا تمارس دور المعلم الواعي كما يحدث في المدارس ودور الحضانة عادة، بل إن إكسابها اللغة لأبنائها يكون بصورة عفوية، فهي التي تمنح القاموس أو الكفاية اللغوية، من جملة ما

(١) يراجع: محمد قطب، واقعنا المعاصر، مكتبة رحاب، الجزائر١٩٨٩، ص ٢١٨ وما بعدها.

توظفه أمامه ومن جملة ما تستعمله، وقد أثبت العلم أن الطفل يولد مزودا بالقدرة على تعلم اللغة، وهي مقدرة فطرية لا دخل للإنسان فيها، وكأنها قالب مفرغ يحتاج إلى ما يملأ به، ويتوقف ذلك على طبيعة المجتمع الذي ينشأ فيه الطفل، وهو ما سماه دي سوسير باللغة (langage)، فإذا ولد الطفل ونشأ بدأ يسمع من محيطه ما يكون به قوام التواصل فيه، حينها يبدأ في تكوين معجمه الخاص، ويكتسب معه جملة القوانين الضابطة لعملية الكلام التي يتوصل إليها نتيجة عمل عقلي صرف، من قبيل ضم الأشباه من التراكيب إلى بعضها، بحيث تسمح له تلك القواعد الضمنية بالنطق بما لا حصر له من التراكيب التي لم يسبق له سماعها، والحكم على ما لم يسمعه منها بالصحة والخطأ، تحت ما سماه شومسكي بالكفاية اللغوية، التي تعكس الطابع الإبداعي للغة، خلاف اللغة الحيوانية التي تنتظم جملة محصورة من الرموز، لا تطور، ولا يخرج التواصل الحيواني خارج دائرتها، فهي إذا نظام مغلق، خلاف اللغة البشرية التي تتميز بكونها نظاما مغلقا من حيث الأصوات، مفتوحا من حيث حركية التاليف فيما بين الأصوات وما بين الكلمات. إن ما ينبغي اعتباره في المقام الأول، في أي تخطيط لغوي، أن الأسرة تسهم بدور لا يستهان به في إحياء اللغة، من خلال استعمالها، ولن يتحقق ذلك إلا إذا أخذ القائمون على السياسات اللغوية على عاتقهم توعية الأسر في بلادنا العربية، بأهمية اللغة بوصفها حاملا ثقافيا وحضاريا ودينيا، لا على أنها مجرد وسيلة اتصال قد تغني أية لغة أخرى أو لهجة عنها في هذا الدور، ولولا هذه القناعة لدى الأسر الفرنسية مثلا ما عادت الفرنسية إلى

الاستعمال ولما كان لها الدور الحضاري في الثقافة والعلوم، إن الأمر يبدأ بالسياسة، ولكنه يتجاوزها إلى البيت، وقد سبقت الإشارة إلى كيفية إحياء العبرية، من خلال إخلاص أبنائها لها من الجاليات اليهودية التي توافدت إلى فلسطين من كل مكان، بل إن من يخطط عليه أن يعطي القدوة في بيته وفي الشارع ومكان العمل وفي كل أنواع المعاملات؛ لأنهم كانوا يرون ارتباطا وثيقا بين لغتهم وبين الأرض المقدسة، فبمجرد أن نزلوا فلسطين جعلوها لغة التعليم في المدارس والمعاهد، وقد حمل خريجو هذه المدارس لواء العبرية في الأسر الجديدة التي أسسوها، بل إن بعض المهاجرين الأوائل كان يأخذ نفسه وأهله وأولاده بتكلم العبرية، كما كان يفعل المستوطن الروسي ابن يهودا، وها هي العبرية اليوم لغة العلم والاقتصاد والعسكر.. بعد أن لم يكن يتجاوز عدد المستعملين لها سوى عشر عائلات عام ١٩٠٦م[1]. والعربية في العالم العربي، ثم الإسلامي، تمتلك من عوامل القوة، ومن المؤهلات ما لا تمتلكه أية لغة أخرى، ولكن ذلك لن يعيدها حية في العلم والسياسة والاقتصاد إلا بقرار سياسي جرئ ووعي أسري متجذر، لاسيما أن اللهجة قريبة من الفصحى، ولن يثقل كاهل الأسر بعبء لغة غريبة، كما يكون مع لغة أجنبية غريبة صعبة كالألمانية، ومع ذلك يقبل عليها شبابنا في المدارس والجامعات بحكم الوظيفة والارتفاق، بمعنى أنه لا يوجد محفز لدينا لاستعمال العربية في بيوتنا؛ لأن إيمان الفرد بالرسالة والفكرة التي يحملها، ووعيه بثقل الأمانة التي تخلى عنها أغلب الناس، تجعله يستميت في مواجهة إكراهات

---

(١) التخطيط اللغوي، ص٣٤، ٣٥.

الواقع وتحديات تعدد الرطانات وتسلل اللغات الأجنبية إلى الكيان الاجتماعي بداية من الأسرة، مع العلم أنه جهد محدود لا يؤثر بالشكل المرغوب، إلا إذا تضافرت الجهود، وتعددت وجوهها، وكان يحفزها في ذلك المحيط الاجتماعي، والقرار السياسي، وتضبطه خطة علمية مدروسة، ولا يبقى أثره في البيت وحده، بل ينتقل إلى الشارع في كافة أوجه التعامل والنشاط الإنساني.

مهمة وسائل الإعلام:

إن ما يشجع الأسرة على أداء الدور المنوط بها في الاستماتة دفاعا عن لغتها، وتبنيها لغة حية، ويدعم القرار السياسي ويروج له، إنما هو وسائل الإعلام على اختلافها، وقد بلغت من الأهمية أن سميت السلطة الرابعة، أي إن دورها يضاهي دور السلطات القضائية والتشريعية والتنفيذية، ولأهمية الوسائط الإعلامية تلك، لاسيما الثقيلة منها، فقد ركزت عليها القوى الغربية في قولبة الرأي وتوجيه الفكر في حملتها على العالم كله عموما، وبخاصة العالم العربي والإسلامي، تمكينا للفكر العولمي أو ما بعد الحداثي، بجميع ما يحمله من رداءة، ومن تناقضات تطعن في شرعيته بالأساس، ولكي نعي دور الإعلام، يمكننا أن نجري مراجعة لجملة التحولات اللغوية والثقافية والحضارية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية الطارئة في عالمنا العربي على وجه الخصوص، بل إن تصفح معجمنا اللغوي، سواء العامي منه أو الفصيح، يشهد على جملة تلك التأثيرات، فهناك كثيرة من الكلمات التي طرأت، و لم تكن موجودة، أو كانت موجودة ولكن بغير الحمولة الدلآلية الحادثة، وهي ظاهرة اجتماعية تدخل في صميم البحث اللساني فيما يتعلق بالتطورات اللغوية في أي لسان، مثل كلمات: إرهابي، متزمت، رجعي، تسامح، حياء.. وقد أثبتت لنا الحروب الأخيرة التي شهدها العالم كالحرب على أفغانستان والعراق ولبنان وغزة.. فعالية الإعلام وتأثيره على المجريات والواقائع أكثر من تأثير السلاح وشتى أنواع القوى. وإذا سلمنا للإعلام بهذه المركزية والمحورية فأين يتموقع إعلامنا العربي يا ترى؟ وما جملة تأثيراته وما

طبيعتها؟ بداية علينا أن نميز بين وسائل الإعلام المقروءة كالجريدة اليومية والأسبوعية، والمسموعة كمحطات الراديو، والوسائل المرئية التي لم يعد يقف أمامها عائق في الوصول إلى المشاهد العربي حيثما وجد، وهو يقع تحت تأثيرها جميعا بدرجات متفاوتة، ويرتبط ذلك بطبيعة المادة المقدمة وطريقة تقديمها وارتباط ذلك بقدر الجهد الذي يبذله. إنه –الفرد– فيما يبدو لنا من الحياة اليومية، يقضي معظم الوقت في تتبع القنوات الفضائية، في حين يشكل تعامله مع الوسائل المكتوبة أضعف النسب، بحكم تفشي الأمية من جهة، وبحكم ما يتطلبه فعل القراءة من تركيز وإعادة النظر من جهة أخرى، ومن ثم يكون المواطن العربي بجميع شرائحه متعاملا سلبيا وطرفا مستهلكا، ثم إن انتشار الأمية قد حتم، ولا يزال، على القائمين على الصحف والمجلات الثقافية والعامة أن تبحث عن مستوى لغوي يتناسب مع درجة ثقافة المجتمع، وهو جهد يصيب أحيانا، ويخيب في أحيان أخرى، لدرجة أن بعض الجرائد، وبخاصة الرياضية منها عمدت إلى اللغة الدارجة أو اللهجة، وهو دور سلبي كان ينبغي أن يُتورع عنه؛ لأنه انسلاخ لتلك الجزائر عن وظيفتها التثقيفية والتعليمية، المتمثلة في استغلال المادة الإعلامية وسيلة لتقريب الفصحى من الناس، وكأنها تلعب، لو أرادت، دور مراكز محو الأمية. أما الراديو فقد غلبت عليه لغة هجين بين الفصحى والدارجة، فلا هو يعمل على تعليم العربية الفصحى صافية كما هي، ولا هو خاطب الناس باللهجة، وإن كان أمرا مشينا، أي إنه خلق حالة من البلبلة اللسانية أو اللغوية، فبدلا من أن ينهض بمستوى الناس اللغوي، ينكب على الانحطاط

بهم شيئا فشيئا، فلم تبق إذا إلا الوسائل المرئية، وهي الأكثر تأثيرا لما للصورة من فعل في المتلقي، وبحكم ارتباطه بما يشاهد، إلى جانب الجانب السمعي، فهي تعمل من ثم على نظامين تمثليين عند الإنسان، السمع والبصر، وهما أكثر بوابات الإدراك فعالية في تشكيل الفكر، وتوجيه الرأي، وتحليل الخبرات الخارجية خاصة، فهل تلعب الوسائل المرئية عندنا ما تقتضيه المرحلة وهي مرحلة صراع حضاري مفتوح مع تيار العولمة؟ والحقيقة أن هذه الفضائيات لم تسلم هي الأخرى من المستوى اللغوي المتدني، والعلة دائما، التقرب من المواطن العربي، والترويج للبرامج، والواقع أن الإعلام مطالب أن يلعب دور المربي والمثقف والمرشد للمجتمع، وسبيله في ذلك دعامتان، تتمثل الأولى في إعطاء القدوة الصالحة، بالاستعمال المطرد للغة بمستوى يرفع المتابعين إلى السقف المراد بلوغه في الاستعمال اللغوي شيئا فشيئا، وهذا لن يتأتى إلا بالانتقاء الصارم للمذيعين والصحفيين والقائمين على مختلف البرامج العامة والمتخصصة، أما الثانية فالتخطيط للعمل الإعلامي، وألا يترك للأهواء أو الصدف أو المناسبات، والمقصود بالبرمجة وضع خطة عربية موحدة للتثقيف بالمحتويات الإعلامية، ولتربية الذوق اللغوي وتقويم اللسان عند العامة في الوقت ذاته، فلا شكل بدون محتوى، كما لا ينفع المحتوى إذا تجرد من الشكل، بحكم أن اللغة تسمو فوق كونها مجرد وسيلة اتصال محايدة، إنما هي وسيلة يتواصل بها الناس، وهو الجانب الوظيفي فيها، إلى كونها صانعة الفكر، وحامية الحضارة، وناقلة العلم والثقافة، في هذه الحالة فقط يكون للإعلام رسالة اجتماعية شاملة؛ لأن من بين أهم أهداف العولمة،

إلى جانب بلبلة الفكر والمعتقد، بلبلة اللسان، وأحداث القطيعة بين الفرد ولغته، أو خلخلة الاعتقاد فيها، والتمسك بها، وهو جسر الوصول إلى المسخ الروحي والعقدي والحضاري والثقافي. ولعل سائلا يسأل: كيف تفلح وسائل الإعلام في تعليم الكبار والعامة من الناس، وهو ما لم تفلح فيه المدرسة؟ والمتتبع لشؤون تعليم اللغة لا يبهته هذا الاعتراض، بحكم أن الطفل يتعلم لغة المنشأ من غير معلم، والعامل في بلاد أجنبية يتعلم لغة أهل تلك البلاد من غير ملقن، كما يفعل في المدارس عادة، لسببين أولهما: تحقيق الاندماج وضمان التواصل مع المحيطين به، وثانيهما: أن عملية التعلم تتم بطريقة آلية؛ فكثرة الاستماع لمدونة ما يتيح اكتساب بعض منها من جهة، كما يتيح الإحاطة، ولو بصورة جزئية، بقواعد اللغة التي تضبط عملية الاستعمال من جهة أخرى، وهو ما يحدث فعلا مع من يدأب على الاستماع للراديو أو التلفاز أو يقرأ الجريدة؛ لأن كثرة الطرق على المكان نفسه تترك أثرا بقدر التكرار والمزاولة، وهي الآلية نفسها التي تفسر لنا اكتساب بعض أطفالنا للغة الفرنسية قبل أن يبدأوا في تعلمها، وما كان ذلك ليحدث لولا عكوفهم على أفلام الكرتون طيلة اليوم، وبنفس الكيفية نفسر قرض الشعراء للشعر قبل الخليل بن أحمد ووضعه قوانين العروض، واكتساب العرب قبل تقعيد النحو للغة الفصيحة حتى تصير ملكة وسليقة، وليس ذلك إلا بالسماع، أو الحفظ الذي يقوم مقام المعاشرة والمخالطة.

الخاتمة:

وفي النهاية، يمكن اختصار ما وقفنا عليه فيما يأتي:

١-لا يمكن حصر اللغة في الأداتية فحسب، بل هي عامل مهم في تشكيل الفكر والتفاعل معه لإنتاج المعرفة والثقافة الإنسانية، وكل حط من قيمتها هو هدر لقيمة كافة أبعاد الإنسان.

٢-اللغة مرآة عاكسة لوضعية الجماعة التي تتكلمها، والنقص في اللغة لا يعود إليها في ذاتها، بل إلى أصحابها؛ لأن ما تحويه كل لغة من إلىات التطور والحياة لا يمكن لها بحال أن تشتغل بمفردها ومن تلقاء نفسه، بل بتفعيل من مستعمليها.

٣-أن اللغة العربية تعيش فترة من أحلك فترات حياتها، وتأخرها نابع من تأخر العالم العربي، وأن العجز فيها طارئ؛ لأن التاريخ يشهد أنها استوعبت في ماضيها مختلف العلوم والفنون والآداب والفلسفات، فهي بطبيعتها لغة حية، ولكنها تحتاج إلى يقظة عربية شاملة.

٤-أن تراجع العربية مسؤولية الأنظمة السياسية العربية ومنظومات التعليم والإعلام بأنواعه المختلفة، ومسؤولية الأسرة التي تخلت عن دورها، وتنصل أفرادها من كل عبء وتبعة.

٥-أنها في ضعفها تواجه خطرا آخر يحدق بها، لا بوصفها لسانا بشريا وظيفيا، بل بوصفها حاملة الثقافة والعلم والدين والحضارة، هو خطر العولمة، التي تسعى إلى ابتلاع العالم كله، من منطلق عقيدة الأحادية، الرافضة للتنوع الثقافي، المتنكرة للتعدد اللغوي والحضاري، وقد سخرت في

تمردها ذلك سلطان العلم والتكنولوجيا والإعلام والسوق ورأسمال، ذلك السلكان الذي تحول كل شيء في نظره إلى سلعة، ولا قيمة للشيء في ذاته إلا بقدر ما ينجر عنه من براغماتية مقيتة، مما يعني تحييد العواطف والمشاعر والمعتقدات والأخلاق والقيم.

٦-أنه يجب التصدي لهذه الهجمة العولمية من خلال تمتين روابط الفرد العربي بلغته، وتعزيز انتمائه إلى جذوره وثقافته بمختلف مكوناتها، وهي مسؤولية يجب أن يحس بها كل فرد، ويخطط لتجسيدها واقعا، عبر مختلف المستويات: السياسية والاجتماعية والتربوية والإعلامية، ومعبر ذلك كله الأسرة.

فهرس المحتويات

من استعمالات اللغة المحدثة

(العربيزي)

إعداد

أ.د. وسمية عبد المحسن المنصور

ثمة سؤال يستثير من ليست العربية لغته الأم؛ ما سر غيرة العربي على لغته والاعتزاز بها؟ إنّ كثيرًا من الشعوب تنحاز للغتها؛ ولكنها تفتقر إلى هذا الرابط الوجداني الذي يربط العربية بأهلها، إنه الحبل السري الذي لم ينقطع ولن ينقطع أبد الدهر بأمر الله.

اللغة العربية ليست بدعًا عن اللغات؛ ولكنها ليست ككل اللغات، فظرفها التاريخي حفظ لها سمات قوة وصلابة امتدت إلى أكثر من خمسة عشر قرنا، فالشعر الجاهلي ما زال يُقرأ ويُفهم، ثم نزل القرآن بالدعوة للإسلام ليتلى آناء الليل وأطراف النهار؛ كل ذلك كان من الدعائم القوية التي حفظ على العربية ثباتها ومنعتها من الانصياع لعوامل التغيير الحادّ، وإن كان التغير أمر لا بد منه.

إن اهتمام الباحثين في العربية لا يقف عند دراسة الظواهر اللغوية في حقبة زمنية ما، أو في مستوى من الاستعمال المقيد زمانًا ومكانًا، بل غاية الباحثين تتسع وتمتد إلى العناية بالتطور اللغوي الحادث في اللغة المعاصرة في مستوى الرسم الكتابي وهو مدار موضوع هذا البحث، ويدفعنا هذا إلى أن نتوقف عند الفرق بين اللغة وكتابة اللغة.

اللغة كما قال ابن جني أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم،[١] فهي نظام شامل يجمع الأصوات والكلمات والجمل والتراكيب كما أن اللغة تشمل كل المباحث التي تتخذ اللغة مادة لها كالمعاجم والدلالة ويدخل فيها

(١) أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، (دار الكتب/ القاهرة ١٩٥٢م) ١/ ٣٣

الرسم الكتابي، أما الرسم الكتابي فهو رموز اصطلاحية متواضع عليها سهلت نشر المعرفة باختراع الطابعة[1] فشاعت الكتابة بين الناس واكتسبت الاستقرار بكم المدونات الورقية التي تضيق بها المكتبات وأرشيف الصحف والمؤسسات الرسمية. وهو ما يجعل للرسم الكتابي الذي دون فيه هذا التراث قيمة لا تفرط الأمة بها، فليس للرسم الكتابي قدسية في ذاتها؛ ولكن قيمته مكتسبة من المحتوى الذي صار ذاك الرسم أداة له، فهو الصورة التي تعكسه، ولا خلاف أن المقومات الثلاثة الرئيسية للأمة هي: اللغة والدين والتراث.

لغة حديثة أم لغة مُحْدَثَة

يوازي مصطلح (اللغة الحديثة) اللغة المعاصرة، وهو على صيغة (فَعِيل) التي تشي بالتجدد وعدم الثبات، ولكن ذاك التغير في اللغة لايتسم بالقصدية النفعية، ففيها يكون التغيير حتميًّا ينساب بهدوء غير صادم، وفاعله غير محدد، فهو يتسلل إلى استعمالات جميع فئات المجتمع اللغوي حتى وإن أثار جدلا؛ كأنْ تقبله فئة أوترفضه فئة أخرى. الفعل يستقر ويتداخل في نسيج اللغة من صيغ وتراكيب ودلالات جديدة، منه ما يخالف النسق التقعيدي في مستويات اللغة المختلفة: الأصوات والصيغ الصرفية والتراكيب وكذلك في الدلالات المعجمية والدلالات السياقية، ومن ثم فجميع تلك الانحرافات

---

(١) بنى الراهب الأثوذكسي اليوناني عبد الله زاخر أول مطبعة عربية في دير القديس يوحنا في بلدة ذور الشواير في جبل لبنان، وكان أول كتابٍ صدر من المطبعة في ١٧٣٤م انظر موقع ويكبيديا (الأبجدية العربية):
http://ar.wikipedia.org/wiki

يمكن معالجتها بالتنبيه إليها والتدريب المستمر المعزّز بشيء غير يسير من الصبر والدأب الحثيث، وكذلك بالمعرفة الواعية بمكمن الخطأ ومسبباته وطرائق علاجه. أما (اللغة المُحْدَثَة) فالتسمية بصيغة اسم المفعول المتحقق وقع فعله عليه. وبالوقوف على الفعل (أحدثَ) من اللغة المُحْدَثَة، يتضح اكتناز معانيه بدلالات الفعل المُوَجَّه لقصد مرسوم واضح، وفاعله شريحة قليلة يقتصر استعماله عليها، فهي متواطئة على هذا الفعل، متواضعة على توجيهه، ولذلك تكتسب دلالتُه دلالة الفعل الصادم للمجتمع اللغوي، وفي هذا الفعل مباغتة وفيه قهر يجتاح كالإعصار، فكما ولد في غرف الدردشة المغلقة اكتسب قوة وسطوة في الاستعمال؛ لذا يلزمه صرامة في المواجهة والتصدي بعد أن أغفل الباحثون والمهتمون تلك الظاهرة أو تغافلوا عما شاع بين الشباب من رسم كتابي انتهجوه في الكتابة العنكبية بَدْءًا، حين جابهت روادَ مواقع الشبكة العنكبية مشكلة عصرية فرضتها الحواسيب عند دخولها حياتهم المعاصرة؛ إذ كانت الحواسيب نتاج حضارة أمم ليست العربية من حساباتهم. ولما قصرت بنية الحواسيب التقنية عن تلبية الاحتياجات اللغوية في المجتمع العربي؛ فرض الواقع على مستخدمي الحواسيب مواجهة المشكلة، وهو ما اتفقوا على تسميته بالعربيزي. ولعل أكثر المراقبين عزا تلك الظاهرة إلى أنها من سمات العصر المتغيرة؛ فاليوم شأن وغدا شأن آخر، وعوَّلوا على أمرين: أن تكون ظاهرة وقتية مؤقتة يلهو بها الشباب حينا ثم تزول وتتلاشى كما زالت ظواهر كثيرة، والأمر الآخر الركون إلى ما في اللغة العربية من مقومات الصلابة والثبات، ويكفيها فخرًا

أن القرآن الكريم نزل ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء ١٩٥]، وعلى ما في الأمرين من حقائق يشهد عليها التاريخ تستدعي الحال المتغيرة ومستجدات العصر نظرًا جديدًا متعمقًا متأملا واعيًا بكل ما يحدث حولنا، نظرًا متابعًا للتغيرات وراصدًا للتغير في المتغير ذاته.

إن في الأمر مشقة على الجهد الفردي، وجسامة المشكلة أثقل من أن ينهض بها فرد مهما أوتي من ملكات واقتدار، فالمسؤولية منوطة بالأمة، والأمل معقود على الجهد المؤسسي الذي يدرك حقيقة المشكلة ويفيد من جهد الأفراد. ولاستكمال صورتي اللغة الحديثة واللغة المحدثة نمثل لمجالات التغيرات فيهما كليهما ولأمثلة تلك الانحرافات الشائعة.

أولا: اللغة الحديثة:

لم يشب العربيةَ الحديثة تغيرٌ يمس مستوى محددًا من الاستعمال؛ فقد ظهر في كافة مستوياها المنطوقة والمكتوبة، منه ما يجري على سنن التطور الذي يكون "في نطاق ما ينسجم ويغني ويضيف ويوسع ويعمق، ويجعل التعبير في النهاية يتألق ويزدهر. وليس في إطار ما يتضاد ويُفْقِر، ويُنقص ويُضيِّق ويُسطح، ويُلقي على التعبير مِسْحَة التقلص والذبول".(١) ومنه ما هو وباء لوث اللغة ولم ينج منه مثقفون أو عامة، وامتدت أذرعه الأخطبوطية لتلوي ألسنة أهل الاختصاص من معلمي العربية وأساتذة الجامعات، وقادة الاقتصاد ورجال السياسة. فانعكس هذا على مؤسساتنا الثقافية والاقتصادية

---

(١) عباس الجراري؛ اللغة العربية بين التطوير والتقويم (كتاب ندوة قضايا استعمال اللغة العربية في المغرب/ الرباط، ١٩٩٣م) ص ٣٨.

والسياسية تعاملاً وفكرًا. فاللحن وغياب الإعراب عن اللغة المنطوقة في مستواها الفصيح صار ظاهرة عامة، و لم يَعُد أحد مطالبِنا تصحيح اللحن والعودة باللاحن إلى أعلى مستويات الصواب اللغوي مثال "لغة البادية في القرن الرابع الهجري كما كان الأمر في عصر التدوين، وإنما اكتفى بعض المصلحين باقتفاء آثار كبار الأدباء والشعراء في تاريخنا الثقافي القديم."(١)
وكان العلماء القدماء يتحرجون من الأخذ بلغات القبائل التي تتدنى فصاحة؛ وإذا أجازوا مستعمل تلك اللغة ينبهونه إلى المستوى اللغوي الأفصح "وكيف تصرفت الحال فالناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطئ وإن كان غيرُ ما جاء به خيرًا منه."(٢) يذكر الجواليقي قولا للفراء ينهى فيه عن التوسع في القول بما قالت اللغات ذات المستوى الأدنى من الفصاحة؛ يقول: "واعلم أن كثيرا مما نهيتك عن الكلام به من شاذ اللغات ومستكره الكلام لو توسعت بإجازته لرخصت لك أن تقول رأيت رجلان."(٣) وكان لولاة الأمر موقف حازم من الخطأ اللغوي منطوقًا ومكتوبًا وكان أبو بكر الصديق ﵁ يقول: "لأنْ أقرأ فأسقط أحبّ إلى من

(١) نقلا عن أحمد بن محمد الضبيب؛ اللغة العربية في عصر العولمة؛ (ط١ مكتبة العبيكان / الرياض، ٢٠٠١م) ص ١٣٧.
(٢) ابن جني؛ الخصائص، ٢/ ١٢.
(٣) أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر بن الحسن الجواليقي (ت ٥٤٠هـــ)؛ تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة ، تحقيق حاتم صالح الضامن، (ط ١، دار البشائر / دمشق، ٢٠٠٧م). ص ٤٦

أن أقرأ فألحن."[١] وكان عمر ﷺ صارمًا في معالجة الخطأ ففي حديث عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ، قَالَ: "بَلَغَنِي أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَمِعَ رَجُلا يَتَكَلَّمُ بِالْفَارِسِيَّةِ فِي الطَّوَافِ فَأَخَذَ بِعَضُدِهِ وَقَالَ: ابْتَغِ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ سَبِيلا وَرُوِّينَا عَنْ عُمَرَ، بِإِسْنَادٍ غَيْرِ قَوِيٍّ، أَنَّهُ مَرَّ عَلَى قَوْمٍ يَرْمَوْنَ فَقَالَ: بِئْسَ مَا رَمَيْتُمْ، قَالُوا: إِنَّا قَوْمٌ مُتَعَلِّمُونَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَذَنْبُكُمْ فِي لَحْنِكُمْ أَشَدُّ عَلَيَّ مِنْ ذَنْبِكُمْ فِي رَمْيِكُمْ وَرَفَعَ الْحَدِيثَ: رَحِمَ اللَّهُ رَجُلا أَصْلَحَ مِنْ لِسَانِهِ"[٢] وعندما وصله كتاب من أحد الولاة ووجد فيه خطأ لغويًا كتب إلى الوإلى أبي موسى الأشعريّ: " أنِ اجْلِدْ كَاتِبَكَ سَوْطًا."[٣]ونتساءل أين رجل السلطة الذي يزعجه لحن مكتوب فيأمر المسؤول بمعاقبة الكاتب جلدًا؟ وقال ابن فارس: " وَقَدْ كَانَ الناس قديما يجتنبون اللحن فيما يكتبونه أَوْ يقرأونه اجتنابَهم بعضَ الذنوب. فأما الآن فقد تجوزا حَتَّى أن المحدّث يحدث فليحن. والفقيه يؤلف فيلحن. فإذا نُبها قالا: مَا ندري مَا الإعراب وإنما نحن محدّثون وفقهاء. فهما يسران بما يُساء بِهِ اللبيب".[٤]

---

(١) جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، أخرجه: محمد أحمد جاد الموالى بك، وعلي محمد البجاوي، ومحمد أبوالفضل إبراهيم (ط٣، دار التراث/القاهرة، د.ت.)٢/ ٣٩٧

(٢) البيهقي؛ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، شعب الإيمان تحيقق؛ عبد العلي عبد الحميد حامد. (رقم الحديث [٢١١] ط١ مكتبة الرشد للنشر والتوزيع /الرياض ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣م) ٣ / ٢١٠

(٣) السابق ٣/ ٢١١

(٤) ابن فارس؛ أبو الحسين أحمد بن فارس الصاحبي في فقه اللغة؛ تحقيق أحمد حسن =

تكشف هذه النصوص قدم مشكلة اللحن في المجتمعات العربية وتغلغلها. ويذكر ابن جني بعضًا من طرائق يتوسل بها المجتمع اللغوي للنجاة من مزالق الإخلال بالإعراب، من هذه الوسائل إقحام لفظ زائد يدل في معناه على الفاعلية أو المفعولية: "واحتملوا ما لا يؤمن معه اللبس؛ لأنهم إذا خافوا ذلك زادوا كلمة أو كلمتين فكان ذلك أخف عليهم من تجشمهم اختلاف الإعراب واتقائهم الزيغ والزلل فيه؛ ألا ترى أن من لا يعرب فيقول ضرب أخوك لأبوك قد يصل باللام لمعرفة الفاعل من المفعول ولا يتجشم خلاف الإعراب ليفاد المعنى."(١) ومن خصائص العربية الحديثة تعزيز العاميات(٢) وليست النظرة للعاميات من حيث هي ذاتها وباء؛ فالعاميات

= بسج (ط١ دار المكتبة العلمية/ بيروت، ١٩٩٧م) ص ٣٥

(١) ابن جني؛ الخصائص، تحقيق ٢/ ٣٢

(٢) شهد التاريخ الاستعماري على تسلط اللغات الأجنبية على اللغة العربية "فقد كانت خطة النفوذ الأجنبي ترمي إلى: تقديم اللغات الأجنبية في الأقطار الإسلامية وتقديم اللهجات واللغات المحلية وتشجيعها والدعوة إلى كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية ومنها ابتعاث أبناء المسلمين إلى الغرب لدراسة لغاته وكان ذلك اعترافًا بأن اللغة هي الوجه الثاني للفكر وأن من يجيد لغة أمة لابد أن يعجب بتاريخها وفكرها وينمو له انتماء من نوع ما إلى هذه الأمة، وكانت الحملة على اللغة العربية الفصحى تنطلق من خلال حجج ضعيفة واهية منها صعوبة اللغة ومنها التفاوت بينها وبين العامية " (أنور الجندي، اللغة العربية في مواجهة اللغات الأجنبية – الموسم الثقافي الخامس لمجمع اللغة العربية الأردني ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م) ص ٣٤. وبالنظر للمهاجرين العرب فقد توجه الغرب =

وعاء حافظ لموروثنا القولي، وهي بموضوعية علمية تمثل مستوى من الاستعمال اللغوي يتدفق حيوية.[١] هذا المستوى قادر على تلبية احتياجات الناس في مستويات محصورة. لذا تتعاظم صوره التعددية باختلاف المناطق الإقليمية كما أن هذا المستوى يتنحى بشدة عن بعض الاحتياجات اليومية كالشأن التعبدي مثلا، والمخاطبات الرسمية، والخطاب مع الآخر الغريب. وليس بخاف أن المنتج الإبداعي الشفاهي بالعامية لم يكن له قدرة على الانتشار والخلود مثلما كانت تحظى به الإبداعات التي كتبت بالفصحى، فهي تسجل خلودًا مكتوبًا وقادرًا على الولوج إلى وعي القارئ منطوقًا ومفهومًا من المحيط إلى الخليج رغم تجاوزه أربعة عشر قرنًا، فأي نص إبداعي عامي له تلك الميزة في الزمان أو المكان؟ بالإضافة إلى ما في العامية

= إلى تقوية العاميات وإقصاء العربية الفصحى يشهد بذلك استبدال تعليم اللهجات (المصرية واللبنانية والأمازيغية) بمقررات تعليم اللغة العربية وإلغاء الأنشطة التي تقدم في الجامعات باللغة العربية وإصدار القرارات الرسمية التي تلزم بتوقف تعليم العربية لأبناء العرب المهاجرين، محتجين بعدم القدرة على قياس مستوى منهج تعليمها وجدواه ومدى فاعليته أو عدمه في تعليم الأطفال، أُقرَّ ذلك في فرنسا وألمانيا وبلجيكا وهولندا وقد عَدَّ (حزب بيم فون تون) الهولندي تعليم العربية غزوًا ثقافيًّا. (أميمة نور؛ تصور هيكلي لدراسة حول لغة الطفل العربي بهولندا في عصر العولمة، ملخص بحوث مؤتمر "لغة الطفل العربي في عصر العولمة" مقر الأمانة العامة لجامعة الدول العربية القاهرة: ١٧ – ١٩ فبراير ٢٠٠٧).

(١) نهاد موسى؛ قضية التحول إلى الفصحى في العالم العربي؛ (دار الفكر للنشر والتوزيع /الأردن ١٩٨٧م) ص ٢٧

من ارتجال، "والارتجال هنا غير محمود وقد ذم القدماء ارتجال الكلام؛ لأن فيه الخطأ والخطل وعدم التدقيق".(١)

لم تسلم العاميات ذاتها من شرار إعصار التلوث، إذ دخلت معاجِمَها مفرداتٌ غريبة في اشتقاقاتها، وأُلْبِسَتْ ألفاظ من الفصحى دلالاتٍ مستحدثة، وكذلك الأمر مع ألفاظ شائعة في العامية خرجت عن دلالاتها لتكتسب توظيفًا جديدًا. أُمَثِّلُ لها من مناطق عربية ففي مصر: (مزة روش، وإديها طراوة، الجوند، خفشاوي، شنيش، بيئة، أنت من الكفار، جلنف، طحش، عصفوره، كحرتة)(٢)، وفي السعودية: (هوّينا، أروح ملح، إزرفها، سقها، ضف وجهك، ديص نيص، يخقق، كذابة)(٣)، وفي الكويت: (حدّه مسخرة، كشت فيني، يسحب عليه، يغسله، فقيرة، مسكينة)(٤). هذه الاستعمالات تكاد تنحصر في دائرة مستعمليها من الشباب. إن الأمة تعقد عليهم الأمل أن يكونوا حراس

---

(١) محمد بركات حمدي أبو علي؛ بين الفصحى والعامية؛ (ندوة الازدواجية في اللغة العربية / الأردن، ١٩٨٨م) ص١٦١.

(٢) معناها على التوإلى: (للإعجاب، لا أبالي، النقود، شخصية غامضة، للاعتذار، من طبقة متدنية اجتماعيًّا، أنت انتهازي، قليل الذوق، غبي، مرشد للبوليس، التعمية في الكلام).

(٣) معناها على التوإلى: (اتركنا، للإعجاب، اسرقها، انصرف، للاحتجاج عند نهاية جدال الخصومة، يظهر غير ما يخفي، للإعجاب عند الإناث، للاستعراب والتعجب عند الإناث).

(٤) معناها على التوإلى: (للانبهار، نساني، تجاهله، يُذِلَّه، ألفاظ تأتي في سياقات متباينة قد تكون للإعجاب وقد تكون للانبهار وقد تكون لإبداء عواطف المودة الأخوية).

أمانة الغد، ورسام صورة مستقبل المجتمع، والواقع أن لغتهم مرآة للثقافة المسطحة التي هبت على المجتمع مع أعاصير العولمة الجارفة محملة بلغة جديدة، وقيم غريبة تتهددنا كما تهدد لغتنا. ويظهر التغير في العربية الحديثة في مستوياتها المختلفة وسنقف عند بعض الظواهر.

في المستوى الصوتي:

نلحظ غياب صوت الضاد، وسيطرة صور أخرى أكثرها شيوعًا صوت الظاء،[١] يقول الشمسان: "وما زلنا في البلاد النجدية وما جاورها لا نسمع غير الظاء، فكل ما يكتب بالضاد ينطق ظاء كما هي الحال في العراق على نحو ما وصف العاني، ولم تعرف الضاد الوقفيّة في نجد إلا بعد توافد القرّاء من مصر والشام ونشرهم لطريقة أداء الضاد، ومع ذلك ظل التمييز بين الصوتين غائبًا وآية ذلك تظهر في تدوين أسماء الناس (الأعلام). إذ نجد الاسم قد يكون رسمه المفترض بالضاد فيرسم بالظاء وقد يكون رسمه المفترض بالظاء فيرسم بالضاد، وكل ذلك راجع إلى أن الناس لا يفرّقون في الاستعمال بين الحرفين ولا يسمعونهما مختلفين."[٢]

ومن صور الانحرافات الصوتية في اللغة المعاصرة تسهيل الهمز،

---

(١) يميل كثير من الباحثين إلى أن الأصل هو صوت الظاء وأن صوت الضاد الذي سميت به العربية إنما هو صوت محول عن الظاء، ولأبي أوس الشمسان بحث (الضاد بين الشفاهية والكتابية) استقصى قضايا الضاد وتحولاتها انظر كتابه: الملحوظ والملفوظ (مركز حمد الجاسر الثقافي/ الرياض ٢٠٠٩م) ص ١٢٥ – ١٧٣.

(٢) السابق ص ١٢٨.

واضطراب مخرج الجيم والقاف.

في المستوى الصرفي:

ينال أمثلة الصيغ الصرفية على ألسنة الناس تدوير وتحوير مما أثرى اللغة المعاصرة بصيغ جديدة منها ما ليس له حضور في المعاجم القديمة. وقد رصدت وفاء كامل عددًا منها، وهي ترى "أن المعاجم العربية المعاصرة تتعامل مع الاستعمالات الجديدة بأحدى طريقتين: إما أنها ترد الاستعمال المعاصر إلى القديم وتحكم بتخطئته ما لم يكن له أصل عند القدماء، وإما أن تؤكد الاستعمالات المعاصرة بغض النظر عن الاستعمالات القديمة، والنتيجة هي كم هائل من الصيغ المستحدثة والاستعمالات المعاصرة التي تتداولها الأقلام، وتنتشر عن طريق وسائل الإعلام، ولا تستطيع المجامع العربية ملاحقتها بالدراسة، ومن ثم تستسيغها الآذان مع كثرة تكرارها على الألسنة".[(١)]ومن الأمثلة التي وقفت عندها الباحثة ولم ترد في معاجمنا العربية بدلالاتها الوظيفية المعاصرة: الأفعال مثال: صيغة (استفعل) من الفعل (قطب) فى مثل (تُستقطب الكفاءات).وقد ورد الفعل المجرد (قطب) متعديًا في معجم لسان العرب والمعجم الوسيط بمعنى(جمع). ولم ترد الصيغة (استفعل) منه في اللسان، ووردت بمعنى آخر في المعجم الوسيط.[(٢)] و(تَماشَى) على الصيغة (تَفَاعَلَ) من الفعل: (مشى)، بمعنى: تناسب أو تواءم وتَوافَق وتمشّى. وقد انفرد المعجم الوسيط بذكرها خلافًا

(١) وفاء كامل؛ بحوث في العربية المعاصرة، (عالم الكتب/ القاهرة ٢٠٠٣م)، ص ١٣٧.

(٢) السابق ص ١٣٩.

للمعجمين الأساسي واللسان، ولكنه أوردها بمعنى آخر غير المعنى المعاصر. وصيغة: (تَــفاعَــلَ) هنا هى الصيغة القياسية لمطاوعة الصيغة: (فَــاعَــلَ)، ولكنها لا تستخدم لهذا المعنى في الاستعمال المعاصر.(١)

والمصادر مثال: (الاســتقواء) بمعنى: إظهار القوة. ولم يرد الفعل (استقوى)، أو المصدر: (استقواء) فى كل من المعجمين الوسيط والأساسي. وصيغة استَفْعَلَ هنا قياسية للاتخاذ والجعل.(٢)

ومن الكلمات المنسوبة على غير قياس النســب إلى بنية، وحياة، ودَولة، وسُلطة، وتَنمية، ونَهضة، فيقال: بُنيويّ، وحياتِيّ، ودَولتيّ، وسُلطويّ، وتنمويّ، ونهضويّ. كما شاع النسب إلى بعض الأسماء المنتهية بألف التأنيث الممدودة، في مثل: عشوائيّ(٣).

ومما جاء على غير قياس من أمثلة اسم المكان: مَطَبَّـــات، وهي ترد فى الاستعمال المعاصر بمعنى حُفَر أو أماكن غير مستوية يمكن أن يهبط فيها المرء أثناء سيره أو الطائرة أثناء تحليقها. وكلمة (مَطَبّ) اسم مكان على وزن (مَفْعَل)، من الفعل طَبَّ. ولم ترد هذه الكلمة بهذا المعنى في تاج العروس ولسان العرب والمعجم الوسيط والمعجم الأساسي(٤).

---

(١) السابق ١٤١.

(٢) وفاء كامل؛ بحوث في العربية المعاصرة، (عالم الكتب/ القاهرة ٢٠٠٣م)، ١٤٢.

(٣) السابق ١٦٠- ١٦٤.

(٤) السابق ١٦٧.

ومن المعرَّب: الذي استعمله المعاصرون: أيديــولوجيــا، وقد ورد منها المصدر: تأدلج، كما اشتقت منها صيغة اسم المفعول: مؤدلج،[١] كَــوَادِر،[٢] تملير (الفعل من المليار) وملايينير (جمع مليونير).[٣]

(١)وفاء كامل؛ بحوث في العربية المعاصرة، (عالم الكتب/ القاهرة ٢٠٠٣م)، ١٦٨.

(٢) السابق ١٦٩.

(٣) السابق ١٧٠.

في مستوى التراكيب:

- الاستعانة بعبارات تنوب عن نائب الفاعل مع ذكر الفاعل مثال (أُفْتُتِحَ المؤتمر من قبل مدير الجامعة)
- استخدام كاف التشبيه دون مقتضى للتشبيه مثال (اللغة العربية مهمة كلغة للقرآن الكريم)
- شيوع تركيب الجار والمجرور (على صورة) و(بشكل) لغرض التوكيد مثال (جاء الطلاب على صورة جماعات) أو (بشكل جماعات).
- الخلل في مطابقة اسم التفضيل (كُرِّمَتْ الطالبات الأكثر تفوقا).

في المستوى الدلالي

من أنواع التغير الدلالى السياقي في اللغة العربية المعاصرة ما يصاحب تركيبه غموض في الدلالة ناتج عن خروج التركيب لما وضع له كخروج الخبر إلى الأمر، فالمثال (جو الغرفة حار) يقولها الضيف فيفهم المضيف أن عليه فتح الشباك أو جهاز المكيف[١]. السامع أطلق الجملة خبرية، والمتلقي استقبلها بنية الطلب، ولا نغفل هنا عن الدلالات المنشعبة التي سيق بها الطلب لومًا أو أمرًا تذمرًا أو رجاءً. ومن أمثلة التغير الدلالي المعجمي بعض الكلمات، مثال: "استبانة: وتعني أسئلة موضوعة لقياس دراسة معينة،

---

(١) محمد محمد يونس علي؛ وصف اللغة العربية دلإليا (منشورات جامعة الفاتح/ ليبيا ١٩٩٣م) ص ٧٧.

مُخرْجات: بمعنى ناتج أو عائد أو مستخلصات[١]، (القناعة): بمعنى: الاقتناع، و(استترال): بمعنى اقتطاع أو إنقاص، و(منظومة): بمعنى نظام متكامل، و(هيكلة): بمعنى عمل هيكل، و(توأمة): بمعنى إيجاد صلة وثيقة، و(التواجد): بمعنى الوجود."[٢] و(التصويت): بمعنى الإدلاء بالرأي.

ولو أطلنا التفكير وأمعنّا التأمل، لوجدنا للألفاظ وللتراكيب في اللغة المعاصرة طاقة تشحنها وتصرف دلالاتها في مسارب لا نجهلها؛ ولكنها تغيب عنا بمقتضى اعتياد التوصل للمعاني من حزمة مترابطة تمثل الألفاظ والتراكيب عنصرًا أساسيًّا، يعوزها مقتضيات أخرى لتنمية دلالتها وتوجيهها لقصدها. وقد توقف القدماء عند إشارة اللفظ إلى معناه فتبينوا توجهات تتعدد ولا تتناقض وإنما هو اختلاف جهة النظر إلى اللفظ وما يدل عليه "فالمعاني هي الصورة الذهنية من حيث إنه وضع بإزائها الألفاظ والصور الحاصلة في العقل، فمن حيث إنها تقصد باللفظ، سميت: مفهومًا، ومن حيث إنه مقول في جواب ما هو، سميت: ماهية، ومن حيث ثبوته في الخارج، سميت: حقيقة، ومن حيث امتيازه عن الأغيار، سميت: هوية"[٣]. وقد يعتور اللفظ خصوصية في الدلالة يدركها المتكلم ويفتقر إليها المستمع، أحيانًا ينتهي إلى ما نسميه سوء الفهم أو اللبس الذي يعتور الموقف اللغوي

(١) وفاء كامل؛ بحوث في العربية المعاصرة، ص ١٧٢.

(٢) السابق ١٧٢– ١٧٥.

(٣) أبو الحسن علي بن محمد الشريف الجرجاني، التعريفات (الدار التونسية للنشر/تونس، ١٩٧١م) ص ٥٦

أو الخطأ دون قصد، وهو ما يفسر كثرة تردد تعبيرات بعينها بين المتخاطبين، مثال: (لا أقصد)، (أقصد)، (فهمتني غلط) (الموضوع إنه كذا وكذا) (حدث لبس) (حدث سوء فهم)...إلخ.

تشيع في لغة الشباب استخدامات لفظية حدث فيها انتقال دلالي في مستوى اللفظ (المعجم)، وكذلك في مستوى التراكيب والمفردات، غزت المعجم العامي، فقد انحدر مستوى لغة التخاطب بين الشباب ذكورًا وإناثًا، فثمة جرأة صادمة في استعمال ألفاظ السباب والشتائم واللمز، بعد أن اكتسبت معانيها طاقة مستحدثة وشحنت بمعان جديدة أعادت توظيفها لتدخل في سياقات لم تكن تستعمل فيها.[1] فأصبحنا نسمع بكثرة إطلاق أسماء الحيوانات لدلالات إيجابية أفليس غريبًا أن نستمع طالبة تتحدث عن زميلتها (الكلبة) في سياق مدحها بأنها دؤوبة وذكية، ولمناداتها فكثيرًا ما نسمع في أروقة القاعات وساحات الجامعة النداء بـــ(يا حمارة).[2]

(١) مثال أسلوب التنادي بأسماء الحيوانات أو بالصفات البذيئة. وكذلك رد الفعل في مجتمع الفتيات على خبر تنقله فتجيب السامعة (كذابة) أو (فقيرة) وهي تقصد أستغرب، ومما يؤسف له أن الشباب يطرب باستمتاع لأغان يحتشد في معجمها ألفاظ بذيئة ودلالات خارجة، ومن ثم تلتصق هذه المفردات بألسنتهم وتشيع في استعمالاتهم المتداولة ملفوظة ومكتوبة. انظر: من سياقات الدلالات الضمنية في اللغة المعاصرة؛ وسمية عبد المحسن المنصور؛ (كتاب المؤتمر الدولي للغة العربية (اللغة العربية بين الانقراض والتطور- التحديات والتوقعات) جاكرتا - إندونيسيا من ١٠- ١٢ شعبان ١٤٣١هـــ الموافق ٢٢- ٢٤ يوليو ٢٠١٠م

(٢) يبدو أن النداء بأسماء الحيوانات لغة شبابية عالمية.

ومنه استخدام الوصف (كذّابة؟)، وهي تقصد به أستغرب أو أأنت متيقنة ومطمئنة إلى صدق الخبر؟ وكذلك شيوع استعمالات تفارق دلالاتها في سياقات خاصة بلغة الشباب، لكن الإعلام أسهم بانتشارها فوصلت إلى ألسنة الناضجين؛ مثال التعبير (بكل أريحية) الذي يأتي استخدامه في سياقات لا يناسبها كأن يقول الشاب (تناول الأستاذ معي القهوة بكل أريحية).

نتوسع اليوم في توظيف التعبيرات الاصطلاحية، وهي أيضًا من سمات لغة الإعلام التي زاد ثراؤها بما استورده المجتمع اللغوي العربي من تعبيرات مترجمة مثال: تحت دائرة الضوء، واجتماع مغلق، وغداء عمل، وغيرها، وكان بعض المجمعيين ينكر استعمالات مجازية مثال: النزعة الواقعية، القوة الوجدانية، الذاتي، الموضوعي، الأقليمي، الفكرة الأساسية، الفكرة الرئيسية.[1]

ثانيا: اللغة المحدثة (العربيزي):

أما اللغة المحدثة موضوع هذا البحث فإن أشد ما فيها وقعًا وتأثيرًا وسرعة انتشار هو ظاهرة الانحراف في الرسم الكتابي، فبعد أن تشوهت اللغة ملفوظة استجدت ظروف لتمسخها مكتوبة، فالأخطاء الإملائية والنحوية لا تبرأ منها المخاطبات الرسمية، ولا تسلم منها التعاميم الأكاديمية في أرقى المؤسسات التعليمية التي تنشد الامتياز وتتطلع إلى مرتبة متقدمة في سباق الجودة. وقد تحور الرسم الكتابي في اللغة المحدثة، واستكمل تهجينه بالرقمنة، والتزم كثيرٌ من الشبيبة بالخط اللاتيني، فالدعوات القديمة التي نادت

(١) أمين الخولي؛مشكلات حياتنا اللغوية، (الهيئة المصرية العامة للكتاب/ القاهرة ١٩٨٧م) ص ٨٥. انظر اعتراضاته على السيد خالد مجلة المجمع ٧/ ٣٠.

بتحويل الخط العربي إلى اللاتيني لم تكن تحلم بهذا الانتشار والنصر لدعواها، فقد حوربت وتلاشت في القرن الماضي رغم بسالة دعاتها وضراوة المعارك التي خاضوها،[١] ومن أشهر دعاتها عبد العزيز فهمي في مصر،[٢] وفي العراق داوود الجلبي الموصلي[٣] وأما في لبنان فرائدهم أنيس فريحة الذي

(١) منذ أكثر من نصف قرن مضت دعا عبد العزيز فهمي أحد شيوخ مجمع اللغة العربية إلى استبدال الحروف اللاتينية بالحرف العربي، ففي جلسة ٣-٥-١٩٤٣م قدم اقتراحًا لكتابة العربية بالحرف اللاتيني وساق حججه ومنها غياب مطابقة بعض الأصوات المرسومة للمنطوق، انظر كتابه الحروف اللاتينية لكتابة العربية (دار العرب للبستاني/ القاهرة ١٩٩٣م) ص ١٤٥، ومن حججه قسر الناس وعزلهم عن متابعة قانون التطور الحتمي، ص ١٣٩. وانظر: كتاب (تيسير الكتابة العربية) من منشورات مجمع اللغة العربية ١٩٤٦م، وقد لاقت تلك الدعوة معارضة شديدة في أوساط المثقفين وهاجمها سدنة اللغة هجومًا عنيفًا وتنقل د. نفوسة زكريا سعيد رد أعضاء المجمع وتفنيدهم العلمي لتلك الدعوة الباطلة وذلك في كتابها تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر(دار المعارف/ مصر ١٩٦٤م) ص ٢١٤ -٢٢٠. وقد قضت تلك الدعوة وقبرت.

(٢) سرد عبد العزيز فهمي ثلاثة وعشرين ردًّا على من عارض اقتراحه الكتابة بالحروف اللاتينية، انظر كتابه الحروف اللاتينية لكتابة العربية (دار العرب للبستاني/ القاهرة ١٩٩٣م) ص١٧ - ١٣٦ وانظر أنور الجندي؛ المعارك الأدبية، (ط١ مطبعة الرسالة/ القاهرة ١٩٧٢م) ص ٩٠- ١٠١

(٣) ينظر مقاله: إصلاح الحروف العربية، مجلة عالم الغد، العدد الثالث، السنة الأولى ١٩٤٥م ص ٨٨، نقلا عن الدراسات اللغوية في العراق ص ١٩٣.

أبدى إعجابه باقتراح عبد العزيز فهمي ودعا لمناصرته[١] ومن غلاة الدعاة للعامية والكتابة بالحرف اللاتيني سعيد عقل[٢] ومن غرائب الدعاة لكتابة العربية بالخط اللاتيني أن لا أحد منهم كتب مؤلفاته أو مقالاته بهذا الخط المزعوم غير بضعة دواوين شعرية قبرت و لم تحظ بانتشار بين القراء، ويصدق فيها قوله تعالى ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾ [الرعد- ١٧]

لم تكن مشكلة الرسم الكتابي وليدة هذا العصر فقط، أو هي مرهونة بالكتابة الحاسوبية فحسب؛ فقد كانت المشكلة همًّا يؤرق المجتمع اللغوي في كل عصر[٣] وكان العلماء يرصدون كل جوانبها، ويتصدون لها بالمعالجة وحسن التصرف محافظين على صورة الرسم الكتابي العربي معالجين مكامن الزلل في استعمال المجتمع اللغوي المعاصر لهم "ليس الرسم الإملائي إلا

(١) له أكثرمن كتاب انظر دراسة إميل يعقوب؛ الخط العربي (جروس برس/طرابلس –لبنان١٩٨٦م) ص ٨٨-٩٠.

(٢) له ديوان شعر كتبه بالخط اللاتيني عنوانه (يارا) من منشورات مكتبة لبنان ١٩٦١م صدره بالأبجدية المقترحة، وهي من ٣١ رمزًا وله كتاب الخماسيات، كتبه بتلك الرموز وهو من منشورات دار قدموس/ بيروت ١٩٧٩م، وتابعه بعض طلابه، فأصدروا كتبًا بهذا الرسم لم يقدر لها الانتشار وطوتها الأيام مثال: ديوان (ولو صح الحلم) لمي منصور وهو من منشورات دار قدموس/ بيروت ١٩٧٨م.

(٣) وقف كثير من الباحثين عند مشاكل الخط العربي، واهتموا بعرض محاولات الإصلاح والتجديد، ونحيل إلى دراسة أميل يعقوب الخط العربي نشأته تطوره مشكلاته دعوات إصلاحه الباب الثاني ٥٥ - ١٠٦.

تصويرا خطيا لأصوات الكلمات المنطوقة، يتيح للقارئ أن يعيد نطقها طبقا لصورها التي نطقت بها، ولما كانت بعض الحروف في الكتابة العربية تخضع في رسمها إلى عوامل أخرى محررة من التزام الصورة النطقية، فقد جدت الحاجة إلى وضع ضوابط عامة، تنظم رسم الحروف في أوضاعها المختلفة وهذه الضوابط هي التي نسميها الرسم الإملائي"(١) ولكنَّ فريقًا من المجددين للرسم العربي ابتكر رموزًا تفوق في صعوبتها الرسم المصطلح عليه منهم جميل صادق الزهاوي في العراق(٢) "وأعجب ما في موقف الزهاوي أنه كان مدركًا تمامًا أن القرآن الكريم وكتب الحديث مكتوبة بخطنا القديم، فإذا تبدل الخط اقتضى أن يبدل خط القرآن وكتب الحديث. كما أنه كان مدركًا أنه إذا شاع اقتراحه بتبديل الخط فإنه لن يبقى أحد يقرأ الخط العربي؛ فتعطل كل كتبنا العلمية والأدبية كأن لم تكن شيئًا مسطورًا. و لم يجد الرجل كلاما يدفع به المخاوف، سوى أن يقول إنها اعتراضات بمعزل عن الصواب."(٣) ومن لبنان قدم مصطفى الشماع اقتراحًا ارتكز على فكرة

---

(١) أحمد عبد العليم إبراهيم؛ الإملاء والترقيم في الكتابة العربية، (مكتبة غريب /القاهرة ١٩٧٥م) ص ٣.

(٢) للزهاوي كتاب الخط الجديد، نشر في مجلة المقتطف، العدد العاشر، من المجلد العشرين ١٨٩٦م ص ٧٣٨ – ٧٥٢. وانظر الدراسة حوله في كتاب الدراسات اللغوية في العراق لعبدالجبار القزاز (كلية الآداب/ جامعة بغداد ١٩٧٩م) ص ١٨٩ – ١٩٠.

(٣) محمد الصاوي، كتابة العربية بالحروف اللاتينية، الأبعاد التربوية والسياسية (نشر إلكتروني، الموقع =

توحيد رسم الحروف والمخالفة بينها بزوائد تمايز كل حرف. وقال أميل يعقوب في نقد ذلك الاقتراح "إن اعتمدناه وحده، دون أن نعلم الطلاب أشكال الحروف المعروفة اليوم تقطع صلتنا بالتراث العربي، وفي هذا ضرر جسيم يلحق باللغة وبأهلها".(١) وللجنيدي خليفة اقتراح يجعل الأرقام بديلا عن الحركات مما يحول الكلمات إلى رموز مشفرة في القراءة فكيف بإعادة كتابة التراث المطبوع وتعليم هذه الشفرة الذي مثل لها بأمثلة من اشتقاقات الفعل (كرم) على اختلاف صور مشتقاته من حيث الزوائد ونوع الحركات البنائية والمعاني الوظيفية للصيغ المشتقة. يقول: "فإذا اقتصرنا على رفع موطن اللبس وحده كتبنا الكلمات السابقة هكذا (مكر٣٤م) لاسم الفاعل من كرم المضعف و(مكر٢٤م) لاسم المفعول منه و(مكر٣م) لاسم الفاعل من أكرم المزيد أوله بالهمزة و(مكر٢م) لاسم المفعول منه"(٢) أما الكلمات المشتركة في الحرف رسما المختلفة في الحركات والدلالة فيمثل لها بمادة (سكر) فيجعل (سك٢٤ر) للمادة الحلوة و(سكر) للحالة الناتجة عن شرب الخمر.(٣) ولم يلق اقتراحه ذاك اهتمامًا حينها؛ فالمجتمع اللغوي ربط الخط

= http://www.٤shared.com/document/u٩XxJ٢pN/.html

ص ٤٨، و(مجلة المعرفة العدد ١١٧/ الرياض ٢٠٠٥م).

(١) إميل يعقوب، الخط العربي ص ٧٧- ٧٨ وانظر كتاب مصطفى الشماع؛ موضوع جديد، كتاب في تعديل الحرف العربي (مطبعة العرفان / صيدا ١٩٤٧م)

(٢) الجنيدي خليفة؛ نحو عربية أفضل (ط١ منشورات دار مكتبة الحياة/ بيروت ١٩٧٤م) ص ٤٨

(٣) م.ن. ص.ن.

العربي بتشكيلاته الجمآلية، والاقتراح السابق يشوه الحس الفني في الخط العربي إلى جانب الصعوبة في تمازج الأرقام بالحروف، كما أن مشكلة تشابه الحركات بقيت على حالها فالأرقام ٢، و٣ متشابهان في الخط اليدوي وكذلك في الخط الحاسوبي فما فرّ منه وقع فيه مع خسائر أكبر.

الدراسات التي أرخت للمشكلة كثيرة، ومعروفة مظانها، ولا حاجة لتكرارها فهي أصبحت في ذمة التاريخ، وما يشغلنا هو التحول القسري للخط العربي، وأقول القسري؛ لأنه خط اكتسب الحياة الفاعلة عمليًّا دون دراسة علمية أو تبادل خبرات، هكذا فجأة وُلد في غرف المحادثة بين أصابع العابثين، فالشباب يتداول اليوم لغة صدمتنا في المستوى الكتابي، حيث رقمنوا اللغة بتحويل بعض الأصوات إلى أرقام، وأدخلوا الرسم التصاويري الرمزي، وتفننوا في تشكيلها لتصبح سيميائية تُذَكِّرُ باللغة الهيروغليفية، كما توسع الشباب في استعمال هذه اللغة المحدثة واستساغوا ذلك الرسم الكتابي ليفرض وجودًا حيًّا ينتشر بسرعة البرق، ويخرج من لوحة الحواسيب ليتنفس فضاء حديدًا في رسائل الجوال. ووجد العربيزيون في القنوات الفضائية بيئة خصبة لا تراقب ولا تراعي؛ لأن جُلَّ اهتمامها موجه للكسب المادي فحسب. والآن أصبح حالة كتابية يكتب بها الطلاب المحاضرات المسموعة. وتنامى الخطر لينال من لغة الإعلام والإعلانات.

الخطر الذي تنبه له هذه الورقة أن بعض آثار ذلك العبث امتد إلى الكتابات الجادة، نجد شيئًا منه في أوراق الطالبات.(١) وامتد خطرها

---

(١) أرتني بعض الطالبات شيئًا من هذا في كراس محاضراتها، ولكنها تحفظت عليه =

ليتداخل في استعمالات بعض الراشدين فكريًّا فنجدها في بعض كتاباتهم على الشبكة العنكبية وفي رسائل الجوال.[(١)]

اليوم يتفاقم الخطر نتيجة عجز المجتمع العربي عن تلبية الاحتياجات اللغوية لمواكبة سيطرة اللغة الحاسوبية. فآخر كوارث ما انتهى المبرمجون في هذا الحقل ابتداع برنامج يترجم اللغة الفصحى إلى مقابلها من اللغة المحدثة

= ورفضت تصويره وهو دليل على عدم إيمانها بهذا الخط وعندما ناقشتها عن المسوغات التي دعتها لذلك جعلت السهولة هي العلة.

(١) قابلت أكثر من طبيبة ومثلهن من أستاذات الجامعة جميعهن يستسهلن التواصل كتابة بالعربيزي عنكبيًّا وهاتفيًّا. وفي منتدى مهارات اللغة العربية الذي يشرف عليه محمد محمود فجال وجّه إلى طلاب جامعة الملك سعود أسئلة عن لغة العربيزي واستعمالهم لها فأجاب عدد كبير منهم أنه يستسهلها في الكتابة، وإن كان ينكرها، وأنه لا يخرج بها إلى طرف آخر من غير الشباب

http://www.١٠١١٠٣.com/vb/t٢٧٥٦.html

وكثيرة المواقع التي طرحت استبانات للتصويت عليها مثال

http://www.isalep.com/showthread.php?t=١٣٢١١

موقع منتديات طلاب الجامعة العربية المفتوحة.

http://www.aoua.com/vb/showthread.php?t=١١٢٥٠٩

موقع استبيان الألكتروني – ظاهرة العربيزي دراسة ميدانية على طالبات جامعة الإمام محمدبن سعود الإسلامية.

C:\Users\Good\Desktop mht

وكذلك الموقع

http://almashajer.com/vb/archive/index.php/t-٢٩٠٨.html

(العربيزي).[١] لقد تجاهلوا الرسم الكتابي للخط العربي ليحل الخط اللاتيني هيمنة ماحقة. وثمة برامج حاسوبية تصدت لتلك الظاهرة فهي تعاكسها في المسير "ودخل عملاقا البرمجيات في العالم مايكروسوفت وجوجل على الخط، فبدأت جوجل المباراة بإطلاق خدمتها "تعريب" Ta٣reeb منذ سنة تقريبًا، ثم تبعتها مايكروسوفت مصر بإطلاق خدمة سمتها "مارن" Maren، والخدمتان تساعدان المستخدم العربي على تحويل الكلمات العربية المكتوبة بحروف لاتينية إلى كلمات عربية مكتوبة بحروف عربية، من خلال تطبيقات الإنترنت المختلفة."[٢]

تطوير لغوي أم تشويه لغوي:

اللغات الإنسانية نشاط إنساني قابل للتطوير والتغيير، ومن اللغات ما يستجيب لرياح تهب عليها من الداخل والخارج فيعتري البنية اللغوية وهن يتفتت له عضدها، يسْلب الأمة هويتها فليس أمامها إلا الانسياق وراء الغالب، وقد أسماه ابن خلدون (الاقتداء) يقول: "أن المغلوب مولع أبدًا بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده. والسبب في ذلك أن النفس أبدًا تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت إليه: إما لنظره بالكمال بما وقر عندها من

---

(١) هناك مترجم يترجم العربيزي إلى عربي و العكس.موقع عربيزي
http://egpy.yoo٧.com/t٢٣٩٢-topic

(٢) سمير محمود، كتابة العربية بحروف لاتينية.. تهديد جديد للغة القرآن الكريم موقع العربيةالجمعة٣٠ يوليو ٢٠١٠م
http://www.alarabiya.net/articles/٢٠١٠/٠٧/٣٠/١١٥٢١٧.html

تعظيمه، أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي إنما هو لكمال الغالب، فإذا غالطت بذلك واتصل لها صار اعتقادًا، فانتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبهت به، وذلك هو الاقتداء".[١] بعض اللغات يموت ويندثر،[٢] ومنها ما يبعثه الأبناء حيًّا بعد ممات[٣] وبعضها تتقلص دوائر استعماله فيفقد وظيفة التواصل الحيوية ليقتصر استعماله على الطقوص الدينية.[٤] ومنها ما

---

(١) عبدالرحمن بن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق عبدالسلام الشدادي (ط١، بيت الفنون والعلوم والآداب/ الدار البيضاء ٢٠٠٥م.) ص١/ ٢٤٢.

(٢) لغات إنسانية كثيرة اندثرت فالآرامية لا يتحدث بها إلا بضعة آلاف واللغة الهوساسية في عمان ولغات الهنود الحمر الأباشي والشينوك وغيرها. وعرف علماء اللغات اللغة المنقرضة بأنها التي يتكلمها أقل من ألف شخص أو يتوقف حوالي ٣٠% من الناطقين بها عن تعلمها والتحدث بها. وفي دراسة أعدَّها الدكتور خليفة الميساوي، أستاذ اللسانيَّات في قسم اللغة العربيَّة في جامعة الملك فيصل. تحدَّث عن إمكانيَّة موت ٣٥٠٠ لغة، من بينها اللغة العربيَّة. موقع شبكة الإعلام العربية
=http://www.moheet.com/show_news.aspx?nid
.٤٦٥٨٩١&pg=٨

(٣) اللغة العبرية، انظر نهاد موسى، قضية التحول إلى الفصحى في العالم العربي (دار الفكر للنشر والتوزيع/ الأردن ١٩٨٧م) ص ٢٥.

(٤) اقتصر استعمال اللغة اللاتينية الأم على الطقوس الدينية وكذلك لغة التامل في جنوب الهند، فيها نصوص كثيرة مقدسة لدى الهندوسية. لذا فكثير من الكنائس والمساجد يصلون ويخطبون بهها.
http://ar.wikipedia.org/wiki

يصمد مع ضعف هنا وهناك، ومنها ما يقف للريح يلاعبها فيلتفت يمنة ويسرة ليخرج سوى القامة، ومثال النوع الأخير (لغتنا العربية) التي انحسر شيء غير قليل من مفردات معجمها اللغوي.

ينازعنا النظرَ إلى حال العربية اليوم خطان متعاكسان الأول حتمية التطور مع تسويد الهوية، والآخر الاستسلام للمتغيرات، فالانسحاق والهزيمة، ثم الانقراض فالتواري. وليس الخطر في التطور،[1] وإنما التوجس من نذر الهلاك التي يختلط فيها التطور بكل مظهر للتغير، فاللغة تتطور، ولكنها تبقى لغة في مستواها الفصيح؛ لذا يرفض بعض الباحثين القول باللغة الوسطى.

فرض المحور الذي التزم به البحث ألا نقفَ عند مظاهر التطور الذي ينمي اللغة ويثريها، إن غايتنا التوجه إلى مظاهر التغير الذي يمثل تحديًّا فرضته عولمةٌ لها استحقاقاتها السياسيةُ والاقتصادية والثقافية، "ولا وسيلة لزعزعة أية ثقافة إنسانية إلا بخلخلة مرجعياتها اللغوية".[2] العولمة واقع لا فكاك منه وقد حذر كثير من الباحثين[3] من مغبة آثارها؛ لأنها تلتزم "نموذجًا

---

(١) علي عبد الواحد وافي، علم اللغة (ط ٧ مكتبة نهضة مصر/ القاهرة ١٩٦٧م) ص ١٨-١٩.

(٢) عبد السلام المسدي، أزمة اللغة العربية تجاه الحقائق الجديدة، (ملخص بحوث مؤتمر "لغة الطفل العربي في عصر العولمة" مقر الأمانة العامة لجامعة الدول العربية القاهرة: ١٧ – ١٩ فبراير ٢٠٠٧)

(٣) محمد جواد رضا، التربية وإعادة تشكيل الوعي العربي (ندوة العصر العربي الجديد، الواقع والتحديات/ الكويت، ٢٠٠٤م) ص ٧.

وأحدا يعصف بالأصول ويكتفي بالذيول، لذا تدعم كل ما من شأنه أن يفتت ويفكك، وتؤجج العلاقة التصادمية مع خيوط الاتصال والتوحد. حتى يتيسر الاحتواء الكلي مستقبلاً حين تنعدم شروط الاستمساك بالهوية"(١) فنحن نواجه إشكالية حضارية لها أجندتها وعلينا أعباؤها. والسؤال الدائم متى نشفى من عقدة المغلوب؟

تساؤلات حول المسببات التي ساعدت على استقرار العربيزي:

١- تقنية الحواسيب

تثير الورقة تساؤلات كثيرة: أتكون تقنية الحواسيب هي العلة للتوسع في استعمال(العربيزي)؟ وإذا كان هذا مقبولا في خارج نطاق الجغرافيا العربية لنقص كفاءة الحواسيب المصنعة لتلك المناطق فكيف نقبله من مستعملي البرمجيات المصنعة لخدمة المتحدثين بالعربية؟ وهل من ضمان أنه لو ابتُكِرَ رسم جديد للخط العربي سيصرف الشباب عن العربيزي؟ إننا حينها سنواجه مشاكل جمة أولها أننا سنحتاج إلى تعليم أمة كاملة وكذلك تعليم المسلمين في أصقاع الأرض ومثلهم كل ناطق بغير العربية اجتهد في تحصيل العربية نطقًا ورسمًا. ونحن أمام تراث ضخم مدون سنلتزم بإعادة تدوينه. تشهد التجارب أن المبرمجين الحاسوبيين قد نجحوا –أو كادوا– في التغلب على مشكلات الخط العربي من حركات التشكيل والحروف بصور مواقعها

(١) آمنة دهري، علاقة اللغة العربية باللغات الأم في مختلف البلاد العربية–حالة المغرب–(بحوث مؤتمر "لغة الطفل العربي في عصر العولمة" مقر الأمانة العامة لجامعة الدول العربية القاهرة: ١٧ – ١٩ فبراير ٢٠٠٧).

المختلة بداية ووسطًا وطرفًا وتزويد الحواسيب بأنماط كثيرة للخطوط وتشكيلاتها الغنية. ليس رسم الخط العربي مشكلة بحد ذاته وإنما الأنظمة التعليمية التي صرفت اهتمام معدي البرامج التعليمية ومناهج مقرراتها إلى كم المادة التي يهدف تحصيلها حفظًا، فجاء ذلك على حساب أدوات التحصيل وهي المهارات. منها الخط الذي يمكن تنمية مهارته في حصة التربية الفنية، فيحببه فيه وينمي إحساسه اللغوي. وذلك بحسن انتقاء النصوص التي يتدرب عليها من أقوال وحكم تؤصل للقيم، وأسماء شخصيات وأعلام أماكن وأحداث محلية وعالمية تشحذ فضول التوق إلى زيادة المعرفة حولها، فتكون حصة الخط منطلقًا للقراءة التي لا تزيد حصيلته المعرفية فحسب؛ بل تعمل على تقوية حسه الوطني وتعزيز انتمائه.

٢- هيمنة اللغة الإنجليزية

وسؤال آخر حول هيمنة اللغة الإنجليزية على جوانب الحياة في مجتمعاتنا العربية؟ فالأمر لم يعد محصورا في طبقة محدودة من المجتمع، بل أصبح ظاهرة هامة في المنازل والشوارع والموسسات التعليمية والمؤسسات التجارية و تشترط أكثر هيئات الخدمات العامة اللغة الإنجليزية في تعاملاتها، فأبسط الأمور لاتستطيع إنجازها ما لم تتحدث باللغة الإنجليزية. الأمة تحتاج إلى قرار حاسم تُكفل له آليات التنفيذ ولا يبقى حبيس الأدراج، وقد سبقتنا أمم كثيرة في فرض لغتها وتجريم من يتخذ لغة أخرى في تعاملاته الرسمية على أراضيها، بل هي تلزم التحدث بلغتها فقط كل ممثليها الرسميين من مواطنيها منهم السفراء والمندوبين في الهيئات الدولية، ولا ينسى المجتمع

الدولي وقفة الرئيس شيراك في المنتدى الاقتصادي للاتحاد الأوربي عندما سمع مواطنه الفرنسي اغيرنست سليبيرغ رئيس البنك المركزي لدول الاتحاد الأوربي يقدم تقريره الاقتصادي باللغة الإنجليزية في مؤتمر قمة الاتحاد الأوربي في بروكسل، لم يتمالك الرئيس الفرنسي غضبه فانسحب معترضًا عليه، وقال (لماذا بحق السماء تتحدث الإنجليزية)، وفشلت كل المحاولات لإقناع الرئيس الفرنسي بالعودة، مما ألزم رئيس البنك المركزي لدول الاتحاد الأوربي تقديم تقريره الاقتصادي باللغة الفرنسية.[1] إليست العربية أحق بالاحترام؟ كم مسؤول يفضل التحدث في المحافل الدولية بالعربية؟ إننا نعاني من عقدة التعامل مع الوفود الأجنبية في مؤسساتنا الرسمية بل التعليمية منها، فالعربية تنحّى جانبًا في حين أن بالإمكان التعامل بالمثل، فنستعين بالمترجم للمحافل الرسمية حفاظًا على هيبة العربية. وأما في سوق التعاملات اليومية، فاللغة الأجنبية رمز الوجاهة الذي يُكسب المتحدث بها احترامًا يشفع له في تيسير مهماته كحجوزات السفر من طائرات وفنادق، وكذلك في المحافل العلمية الأفضلية بالتقدير لمن يتقن اللغة الأجنبية فذاك –ويا للعجب –شهادة على تمكنه العلمي ولمعان أفكاره. فكيف لا نقع فريسة لاكتئاب الغربة وما أشدها على النفس في أرض الوطن!

ترى الفتى العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان

(١) صحيفة الشرق الأوسط العدد ٩٩٩٢ الجمعة ٢٠٠٦/٤/٧م وانظر نحو تقويم جديد للكتابة العربية؛ طالب عبد الرحمن (كتاب الأمة العدد ٦٩ السنة ١٩ وزارة الأوقاف / قطر ١٩٩٩م) ص ٢٢ - ٢٣

٣- تطوير المناهج التعليمية والتربوية

وسؤال حول اكتناه المحاولات المتكررة لتطوير المناهج التعليمية والتربوية وحقيقة تأثيرها في الفكر المجتمعي كأسلوب حياة، فلا نعلم نتائج دراسة مخرجات التعليم ومدى ملاءمتها لسوق العمل! ثم ما هي التغيرات التي تُعَمَّدُ كل مرة في البرامج؟ وما معايير ذلك التغير وما نتائجه؟ إن مؤتمرات تصحيح المسار التعليمي يجب أن تكون دورية فلا أقل من مؤتمر وأحد سنويًّا، ويجب أن تكون دروس الحواسيب داخلة في برنامجه. لقد دخلت الحواسيب المدارس وشغلت حصة في الجدول الدراسي، وهو جهد على قيمته يحتاج تعزيزًا "نجد أن استعمال الحاسب قد صار مألوفًا إلا في حصص اللغة العربية، مما كون انطباعًا بأن العربية لا تتوافق مع تكنولوجيا الحاسبات، أو لا توافقها هذه التكنولوجيا. وما لم ينتبه مصممو المناهج إلى لوحة المفاتيح العربية فإن جيلا لاتينيا سوف يسود في بلاد العرب."[(١)]

إن العمل على تكثيف تدريب الطلاب على إمكانات الحاسوب، ودراسة خفاياه الفنية، وكيفية مواجهة مشكلاته التقنية هو ما يحتاجه الطلاب في المدارس والمتعلمون كافة، فلا يكفي أن يتعلم الطالب كيف ينقر على لوحة مفاتيح الحاسوب وإلا سيكون كمن تعلم قيادة السيارة ولا

---

(١) محمد الصاوي، كتابة العربية بالحروف اللاتينية، الأبعاد التربوية والسياسية (نشر إلكتروني، الموقع

http://www.٤shared.com/document/u٩XxJ٢pN.html

ص ٤٨ و(مجلة المعرفة العدد ١١٧/الرياض ٢٠٠٥م)

يعرف شيئًا عن آلات التشغيل. الورقة ترصد شواهد (العربيزي) وتحلل الأسباب وترقب النتائج المتوقعة.

دلالة المصطلح (العربيزي):

هو اللغة المعروفة بين الشباب. وهو مصطلح يقارب مفهوم الصناعة القهرية المستهجنة. فيه سطوة للعجمةِ بالخلوصُ إلى اللغات الأجنبية. كما يفرض واقعًا بدأ يؤسس لدلالات خطيرة على المجتمع من مسخ للغة، وضياع للهوية، وانعدام روح الانتماء لكل ما يتصل بالعروبة والإسلام.

يمثل (العربيزي) لغة يلوكها أبناء العرب، وفيها تتداخل المفردة الأجنبية في نسيج بنية اللغة العربية، هي ظاهرة وبائية ثقبت ثوب العربية، وجعلت فيه خروقًا استسلمت للأصابع العابثة فزاد اتساعها، ذلكم موضوع حديثنا ومثار قلقنا، فاللغة على ألسنة الشباب غريبة، والظاهرة متسقة مع ظواهر عدة، تترجم ذلك الولع الشديد بكل ما يقربهم من الغرب القوي وينأى بهم عن الحالة العربية المنكسرة. الشباب محوط بثقافة أجنبية فرضها الإعلام والتعليم، ولأنها ثقافة وافدة فهو يكتفي منها بالجرعة الهزيلة ولا يَعني المُصَدِّرَ لتلك الثقافة أن يبحث شبابنا في عمقها؛ فالهدف ربحي مادي على أحسن النوايا، الغاية المهمة أن تغرق المنطقة العربية بالمستورد الاستهلاكي في أصعدة شتى ثقافية ومادية. بدَّل الشباب شكل ملابسه المحلية وتسريحة شعره، وذائقته الفنية. فالزي غربي، والموسيقى غربية، والرقصات ملفقة، والمتعة الفنية لا تتحقق إلا بقراءة أعمال إبداعية باللغة الأجنبية أو مشاهدة الفن الغربي مسرحا وسينما، وكذلك الشخصية القدوة التي تُحْتَذَى من

الكتاب والفنانين والرياضيين وغير ذلك كلها ليست عربية، فكيف تكون اللغة بمنأى عن هذا المد التغريـــبي الغرائـــبي الكاسح؟

إن من يسير في أي عاصمة عربية تهوله هذه الفوضى المنفلتة، والخليط في مستويات اللغة التي كتبت بها اللوحات سواء في لافتات المحال التجارية أم الإعلانات[(١)]، وتخترق أذنه أخلاطُ أصوات للغات أجنبية منها الواضحة المتبينة، ومنها مزيج لرطانة لا أصل لها، فإذا اتصل بمجتمع النخب حاصرته هيمنة كاسحة للغة الأجنبية وبخاصة الإنجليزية في المؤتمرات والندوات والمواقع العربية الاسم الأجنبية اللغة. ومن القضايا التي تنضوي في هذا السياق سوء الترجمة، لأن المترجم الذي لا يتقن العربية يترجم مفردات فقط فيأتي التركيب العربي مشوبًا بالعجمة وإن كان عربي اللفظ.

مفاهيم العربيزي:

أولا: مزاوجة الأبجدية المكتوية بالرقمنة.

احتال العربيزيون على افتقار الخط اللاتيني لبعض الأصوات العربية، فقابلوها بالأرقام وأحرف يشترك فيها الرقم مع إضافة شرطه، فيكون الرقم المقابل لحرف الصاد ٩ ويقابل شبيهه الضاد الرقم نفسه بإضافة شرطه '٩ وكذلك النهج في الطاء والظاء، فالطاء رمز لها ٦ والظاء`٦، ونلاحظ الالتزام

---

(١) انظر دراسة محمد راجي الزغلول؛ اللافتات في الأردن: دراسة لغوية اجتماعية لبعض جوانب غربتنا الحضارية. (كتاب ندوة الازدواجية في اللغة العربية – مجمع اللغة العربية الأردني / عمان ١٤٠٩هـــ – ١٩٨٨م) وكذلك وفاء كامل؛ بحوث في العربية المعاصرة ١٢ – ١٣٦

بما يقابل الإعجام في الرسم الكتابي العربي للأصوات المطبقة (ص ض، ط ظ)، فما كان منقوطًا في العربية نقط أو وضعوا له شرطه في الرسم العنكبي وما أهمل في العربية أهمل كذلك عندهم. كما يلاحظ ذكاء المستعمل في استغلال الشبه بين الحرف والرقم فالهمزة تشبه مقلوب الرقم ٢، والعين تشبه مقلوب الرقم ٣، والحاء الابتدائية (حـ) تشبه الرقم٧، والخاء تشبه مقلوب الرقم ٥، وتشبه الطاء الرقم ٦، وتشبه الصاد الرقم ٩، أما القاف فلعلها في خط الرقعة تشبه الرقم ٨ وإن شبهًا قليلاً. وهذا الثبت الأبجدي سموه (أول توك) aol talk وهو مركب تركيبًا إضافيًّا من كلمتين عربية+ إنجليزية:

الحرف	اسمه	مقابل عربيزي	الحرف	اسمه	مقابل عربيزي
ء	همزة	٢	ط	طاء	٦
ع	عين	٣	ظ	ظاء	'٦
غ	غين	'٣	ص	صاد	٩
ح	حاء	٧	ض	ضاد	'٩
خ	خاء	'٥/٧	ق	قاف	٨

ثانيا: الاختزالات العربيزية:

أمثلة الاستهلاك التي ترسخ تنميط المجتمعات مست جوانب كثيرة من حياتنا، وقد تكون الجوانب المادية أسرع في الخنوع والقابلية للتغير، ولكن الرياح استقوت بالعولمة فنالت من القيم كما نالت من اللغة. وتُعرَف لغة النت بمصطلح (العامية الإنترنيتيّة) (Internet Slang) وفيها تكثر الاختزالات والاختصارات، ولما كانت السرعة اللاهثة سمة عصر بأكمله فكيف تنجو منه اللغة؟

أدخل العربيزي الرقمنة والتزم الحرف اللاتيني، يظهر ذلك في اختزالات كثيرة في لغة الشباب المكتوبة عنكبيًّا. فيها تختزل الأسماء العربية عبدالله (دودي) (dode)، وتقي الدين (تال) (taal). ووجد رواد المواقع الشبابية على الشبكة العنكبية غاياتهم في الاختصارات الأجنبية، فوافق ذلك مطلبًا يلـــبي احتياجاتهم التي تحقق السرعة واختزال الوقت، والاقتصاد في الجهد العضلي، فأدخلوا تلك الاختصارات بصورها الأجنبية، ثم تفنّنوا في صياغة اختزالات أخرى على نسقها. تلك سمة كل مظاهر الثقافة المستوردة تؤخذ برمتها ثم تقلد بنسخة محلية في مجالات الفن والزي واللغة.

رموز تعتمد في الكتابة العنكبية على اختزال جمل وتعابير بالإنجليزية مثال:

المختزل الإنجليزي	مقابله بالإنجليزية	دلالته بالعربية
H n day	Have a nice day	أتمنى لك يومًا سعيدًا
Cu	See you	أراك لاحقًا
Imo	In my opinion	في اعتقادي
Istr	I still remember	إني أتذكر
Fyi	For your information	لمعلوماتك
Pov	Point of view	وجهة نظر
Tyt	Take your time	لديك متسع من الوقت
Cuz	Because	بسبب
Brb	Be right back	سأعود حالا
Lol	Laugh out loud	أضحكُ بصوت عالٍ
iykwim	If you know what I mean	إذا كنت تعرف ما أريد
b٤	Befor	قبل ذلك
omw	On my way	أنا قادم (انتظروني)

وإذا كانت هذه الاختصارات منتجًا أجنبيًّا لفظًا وفعلاً فإن المبتكر العربي واجه بعضها بمضادات من الاختصارات المقابلة فالاختصار (brb) جعلوا له مقابلا (rbr) معناه (روحة بلا رجعة)، وهو رد على من يتوقف عن الاتصال مؤقتًا ويعود بعد حين. دلالة هذا الاختصار مشحونة بالمسلك الصدامي الذي يعتري لغة الشباب اليوم، وثمة اختصارات لتعبيرات عربية لكن الشباب

اختزلوا النطق العربي بالحرف اللاتيني فالتعبير[١] (إن شاء الله) يكون رمزه الاختزالي (isa) والرمز (kba) يكون مقابلا للتعبير (كله بأمر الله) و(الحمد لله) رمزها (halel)، و(لا حول ولا قوة إلا بالله) (lahwlkeb).

ثالثا: كتابة العربية بالخط اللاتيني

ما جال في فكر أحد أنه سيتحقق لهدف الكتابة بالخط اللاتيني النصر. تلك الدعوة الضالة المضلة التي تسللت بهدوء أثناء غفلة الأمة، وانشغال الناس ببريق التقنية، وانصرافهم إلى إتقان لغة الثقافة الرقمية في عالم الحواسيب وفضاءات الشبكة العنكبية. ولما كان المناخ المصاحب متسمًا بالرهان الحضاري لمواكبة التطورات المتسارعة في علوم التكنولوجيا وثورة الاتصالات استدعى ذلك سرعة التحرك والتغير العاصف، مما جعل العلماء والمفكرين ينصرفون إلى اهتمامات تأخذهم بعيدًا عن الممارسات المنحرفة في لغة الكتابة عند رواد غرف المحادثة العامة التي انتقلت منها إلى الرسائل الشخصية المتبادلة بين الشباب على الشبكة العنكبية، في برامج المرسال المباشر (IM Programs)، أو (Instant Messenger Program)، (المحادثة) لكن الأمر استفحل، وتحقق لدعوة عبد العزيز فهمي النجاح بل الانتشار بمدى لم يكن يحلم به صاحب الدعوة نفسه. وقد أعيدت طباعة كتاب «الحروف اللاتينية لكتابة العربية» لعبدالعزيز فهمي، بعد نصف قرن من

---

(١) سمير محمود، كتابة العربية بحروف لاتينية.. تهديد جديد للغة القرآن الكريم موقع العربيةالجمعة ٣٠ يوليو ٢٠١٠م

http://www.alarabiya.net/articles/٢٠١٠/٠٧/٣٠/١١٥٢١٧.html

صدوره أول مرة سنة ١٩٤٤م، وبعد أن أغلق مجمع اللغة العربية الملف برفض الاقتراح جملة وتفصيلاً، طبع سنة ١٩٩٣م.[1]

ميادين استعمالات العربيزي:

ذكرنا فيما سبق كيف اخترع العربيزي وولادته في غرف المحادثة الحاسوبية، ويثيرنا سرعة انتشاره وتيسير تعلمه دون معلم، وسنتوقف عند ميادين استعمالات العربيزي لنعرض أمثلة من النصوص التي كتبت، ونحاول استعراض أهم الخصائص اللغوية التي تختص بها لغة العربيزي.

المحاورات في منتديات المحادثة:

تعج المنتديات الشبابية بلغة العربيزي، يستوي في ذلك المنتديات الجادة أو الموضوعات الجادة، وكذلك منتديات الحوارات الشبابية اليومية. كان من الموضوعات الجادة سؤال عن لغة العربيزي فقد قدمت قناة (الآن) برنامجًا عن المستجدات اللغوية الشبابية، وجاءت الردود منوعة اللغة، خليط بين العامي والفصيح والعربيزي، منها هذا الرد الذي كتبه من رمز إلى اسمه بـــ(Chancellor١١٠٠) وكان رسم خط الرد بالحرف اللاتيني

"ahm shi ytklmo ٣arabi o trakiz fe klamhom inno hom nfsahom ytklmo english with the arabic i mean WTF like at ٣:٠٦ he says fe BASIC LOOL USELESS subject if they stay

(١) محمد الصاوي، الإنترنت تُعيد القضية من جديد كتابة العربية بالحرف اللاتيني (مجلة المعرفة – العدد ١١٧ /الرياض ٢٠٠٥م)

http://www.almarefh.org/news.php?action=show&id=١٦٩٤

home a٧snlahom:D GOOD JOB i give u ZERO."[١]

وبنقله للرسم العربي "أهم شيء يتكلموا عربي وتركيز في كلامهم إن هم نفسهم يتكلموا إنجلش آي مين وتف آت ٣:٠٦ هي سيز في باسك لول يوسلس سبجك إف ذي ستي هوم أحسن لهم: د جود جوب آي جف يو زيروو".

بتأمل النص نجد أنه جعل الخط اللاتيني جامعا بين الكلام العربي بمستوياته الفصيحة والعامية والعربيزي إلى جانب مفردات باللغة الإنجليزية، فمن الأمثلة: الكلمات العربية (ahm shi ytklmo) ومن العربيزي (٣arabi، a٧snlahom) ومن المفردات الإنجليزية اللغة و(GOOD JOB) ومن المختصرات العربيزية (LOOL) و(WTF). وهذا المصطلح الأخير (WTF) نُقِلَ عن اختزال باللغة الإنجليزية له دلالة خارجة ويستخدم استخدامًا وظيفيًّا خاصًّا، لكن الشباب العربي نقلوه إلى وظيفة دلآلية محلية (وش تحس فيه) ووسعوا مجالات استخدامه ليدل تارة على (الاستغراب) وتارة أخرى على (الاستهزاء) مشحونًا بطاقات سلبية تقترب من السباب الذي يتعلق بوشائج تربطه بأصله المنتمي لألفاظ التابو المستهجنة والمحرمة على المتكلم المهذب.

هذا الخلط العجيب كشف عن فقر لغوي في الصياغة والتركيب لدى كاتب التعليق في مهاراته اللغوية في العربية، فالروابط بين الجمل تكاد تكون منعدمة، فنحن أمام تعبير هنا ثم انتقال إلى آخر وتباين ما بين تشطير الكلمة

---

(١) برنامج تاثير اللغة الإنجليزية على حياة الشباب السعودي
mht.- C:\Users\Good\Desktop\YouTube

الواحدة (إنهم) (inno hom) ودمج الكلمتين (أحسن لهم) (a٧snlahom). كما كشف التعليق عن سمة الاستخفاف الشائعة بين الشباب (D GOOD JOB i give u ZERO) فالتناقض واضح فهو يمتدح العمل لكن يعطيه صفرًا. وفي النص سمة من سمات لغة الشباب وهو استعمال مصطلحات ذات دلالة بذيئة.

الرسائل الإخوانية في البريد الشبكي:

يشغل البريد الشبكي حيّزًا في بطاقة التعريف الشخصية؛ فهو لازم كالاسم ومكان الميلاد والجنسية، ومن هنا حرص المتعاملون بالحواسيب على فتح حسابات بريدية أفرادًا كانوا أم مؤسسات رسمية أم تجارية خاصة أم عامة، راشدين أم مراهقين. بل إن أبناءنا سبقونا وهم اقتدينا.

في يوم ما كنت مع ابنتي نتجول في المواقع العنكبية فاستقبلت رسالة ألكترونية أنقل لكم نصها:

Ahleen oo sahleen how's algomar today? keef ٧alak?

Ya shee٥a NT marra wa٧ashteeny shda٣wa ma nshoofk ٥eer shar

wesh hatha aish ٩ayer ?? Ana LesSa raj٣a mn alQ٨ ☺

٣moman shofy next week inshalla ana bjma٣ all the girls oo ١+h, u♥ her fee beety

`٩roory tjeen.. tra ana jam٣thoom ma٥٩o٩ ٤u l٢nhm

mshtageen lk.. bs ٣almeeny which day bykoon ta٨reban ansab ٢ make the invitations.. plz la ١٠seen lazm tjeen ya … LOL..٦ayeb call me back sweety

حاولت قراءة الرسالة معها فلم أتبين إلا النــــزر إلىسير، فطلبت من ابنتي ترجمتها صوتيًّا، فإذا هي: (أهلين وسهلين هاو إز القمر تودي؟ كيف حالك؟ يا شيخه أنتِ مره، وحشتيني شْدَعْوه ما نشوفك خير شر، وش هذا إيش صاير؟ أنا لسه راجعه من الكويت، وانبسطت هناك. عمومًا، شوفي، نِكْسْت ويك إن شاء الله أنا بجمع أول ذا قيرلز وواحدة أنت تحبينها في بيتي، ضروري تجين، ترا أنا جامعتهم مخصوص فور يو، لأنهم مشتاقين لك.. بس علميني وتش دي بيكون تقريبًا أنسب تو ميك ذا إنفتيشنـــز، بليز لا تنسين، لازم تجين يا... لول.. طيب كول مي باك سويتي..)

كان النص مغلقًا اضطررت لمن يعنيني لكشف معمياته، فطلبت الترجمة لفك طلاسم النص، إلا أن الترجمة جاءت غامضة كالنص الأصلي، مما فاقم استغلاقها، وبعد مساعدة من ابنتي[1] استطعت الولوج بين منحدراتها وتعرجاتها، وتداخل بنائها اللغوي، لأنه مزيج من العامية العربية بحروف لاتينية، Ahleen oo sahleen . نلاحظ حرف العطف الواو؛ لأنه ينطق بالعامية واوًا مضمومة وواوًا أخرى مختلسة ساكنة فاختار لها المبتدع

(١) ابنتي صاحبة الرسالة كانت في أواخر المرحلة الابتدائية عندما دخل الحاسوب منزلنا، وهي الآن على وشك التخرج، وليست المشكلة في تمكنها من العربية حديثًا وكتابة ولا بيئتها الأسرية بمعزل عن أدواتها اللغوية، ولكنها تجعل لكل مقام مقالا، وهذه سمة كثير من الشباب ممن يستعملون العربيزي.

رسمًا (oo) ومنحوتات اختزالية (plz)، إلى جانب الخلط بين مستويات لغوية متعددة فكلمات منقولة من العربية لفظًا تدخل في جملة ذات بنيان لغوي إنجليزي (how's algomar today) .

تضم الرسالة سمات اللغة العربيزي من المزاوجة بين الرمز الأبجدي والرقم العددي، وهو قاصر على الأصوات التي لا مقابل لها في اللاتينية. من ذلك الحاء يقابله الرقم (٧) (keef ٧alak) والعين يقابله رمز (٣) (shda٣wa) أما الخاء فيقابلها الرقم (٥) (shee٥a) والطاء تقابل الرقم (: ٦) (٦ ayeb) وأصوات يشترك فيها الرقم مع إضافة شرطه، فيكون الرقم المقابل لحرف الصاد (٩) (٩ ayer) ويقابل شبيهه الضاد الرقم نفسه بإضافة شرطه (`٩) ( roory ` ٩) وكذلك النهج في الطاء والظاء، (٦ayeb) فالطاء رمز لها (٦) والظاء (`٦) ونلاحظ الالتزام بما يقابل الإعجام في الرسم الكتابي العربي للأصوات المطبقة (ص ض، ط ظ) فما كان منقوطًا في العربية نقط أو وضعوا له شرطه في الرسم العنكبي، وما أهمل في العربية أهمل كذلك عندهم.

في الرسالة تعبيرات رقمية تحل محل كلمات إنجليزية (٤ u) استفاد الاختزال من جرس الصوت للعدد ٤ الإنجليزي والحرف u لأنه يتطابق لفظًا مع الضمير you و٢ للأداة to. تلك الاختصارات مستوردة من منتجيها في الغرب، أما الأعجب فهو الابتكار العربي إنتاجًا واستهلاكًا عندما يدخل ملفوظ الرقم الإنجليزي في نسيج اللفظ العربي، فالفعل العربي المنفي (لا تنسين) + (la) ١٠seen) تركب من المقطع (تن) وهذا المقطع مؤلف من حرف المضارعة التاء ثم النون وهو الحرف الأول من الفعل (نسي) الذي يقابله صوتًا الرمز العددي (١٠) + المقطع (سين) (seen) فصار المزج بين المقطعين في لغة الشبكة العنكبية (la ١٠seen). والاسم (كويت)

(Q٨) يختزل بعد تقسيمه إلى مقطعين يدمج حرفًا لاتينيًّا (Q) برقم (٨) ، والمقطع (أن) من (أنت) يقابله ملفوظ الصوت في الرمز الأبجدي اللاتيني (N) ، أما التاء المكسورة في الضمير أنتِ فيرمز لها بالحرف اللاتيني (T) ، فكتبت (أنتِ) (NT) . ويمكن أن يكون التلفظ اللهجي واغلاً في هذا، فالهمزة من الضمير في اللهجة مكسورة والكسرة ممطولة (إنتي). ومد الضمائر ظاهرة واضحة في نطق الشوابّ في مدينة الرياض وفي كتاباتهن، فللمؤنث يمددن الضمير نطقًا وخطًّا بالياء (إنتي، كتابكي، لكي، كيفكي)، وكذا يفعلن في ضمائر المذكر يمددن الضمير نطقًا وخطًّا بالألف (إنتا،كتابكا، لكا، كيفكا). هذه الظاهرة عرفت في لهجة قديمة نسبت إلى ربيعة وصفها الثقات بأنها رديئة[١].

ومن الرموز استعمال التصاوير للتعبير عن اللفظ اللغوي، وهم بذلك يحاكون طريقة اللغة الهيروغلوفية، فالوجه المبتسم ☺ في الرسالة السابقة يقابل جملة (لقد استمتعت في الكويت وأنا سعيدة جدًّا) ولهم في الأوجه المرسومة دلالات تقابل الحالات النفسية فإلى جانب المبتسم هناك العابس☹ والدامع والذي تعلو حاجبيه علامات الاستنكار أو التعجب وغيره. أما دلالات العواطف فرسم القلب❤يعبر عنها بأشكال مختلفة (her❤ u) (أنت تحبينها) ولهم مواقع خاصة على الشبكة العنكبية تزودهم بمعاجم الرموز التصويرية وطرائق استعمالاتها.[٢]

---

(١) إبراهيم محمد نجا؛ اللهجات العربية؛ (مطبعة السعادة/ القاهرة ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦) ص ٩٣

(٢) http://www.ach.uams.edu/~adh/ و http://webchat٢٠.wbs.net

رسائل الجوال:

نعود إلى ابنتي صاحبة الرسالة السابقة بعد أن مضى على تلك الرسالة حوالى عشر سنوات تلقت رسالة أخرى على هاتفها الجوال من زميلتها في الجامعة؛ تقول:

(Hey BoBo Keefik ?? iL`٦aher Nseeytii Ketab ٧ag iLtha٨afa iL٢eslameya Fe Baity anyway Plz Ersly Sawagik ٩'rorry ٣shan Ya٥tha Cause Ana Manii fi iLbeet, la١٠seen, See ya Honey)

(هيي بوبو كيفك؟ الظاهر نسيتي كتاب حق الثقافة الإسلامية في بيتي، إني واي بليز إرسلي سواقك ضروري عشان ياخذه كوز أنا ماني في البيت، لا تنسين، سي يا هوني).

لا يغيب عن الملاحظ ثبات المعجم العربيزي وتراكيبه والخلط بين المستويات اللغوية المختلفة العامي والفصيح والعربيزي، وكذلك الجمع بين ما هو عربي في أصله وإنجليزي، كل ذلك برسم كتابي يلتزم الخط اللاتيني والرقمنة والاختزالات المستوردة (Plz).

وإذا كانت هذه لغة الشباب فقد تلقيتُ شخصيًّا على هاتفي رسالة دعوة معممة من أحداهن إلى صديقاتها، ومع ملاحظة فارق السن والخبرة الحيويّة بين الرسالة التي تلقتها ابنتي وهذه الرسالة التي نصها:

(hello ladies,waiting ٤u on Monday ٢٥th of may at ٩٠٠pm in shaallah.With love)

الرسالة من امرأة ناضجة مثقفة؛ ولكنها تناست التحية باللغة العربية، واستخدمت التحية (hello) لفظًا وكتابة، ومثلها كذلك عبارتها الختامية

الحميمية (With love) وهي التزمت بفصاحتها في المستوى اللغوي الإنجليزي. أما التعبير (إن شاء الله) فالرسالة التزمت بالنطق العربي للفظ ولكنها رسمته بالحرف اللاتيني، ولا بأس في مثل هذه التعابير الاصطلاحية المقولبة أن تكتب بالخط اللاتيني إذا كانت في سياق نص مكتوب باللغة الإنجليزية، إنما ما يتحرج منه بل نتشدد في منعه كتابة النص العربي الفصيح حتى العامي بالخط اللاتيني.

الرسائل في شريط القنوات الفضائية:

اليوم فُتِحَت للشباب ساحات فضائية أخرى غير حبسهم أمام الحاسوب؛ فهذه القنوات المرئية الفضائية تغزو شاشاتها أشرطة الرسائل (sms)، القنوات الجادة تستقبل الرسائل بالمستوى الفصيح، وأما القنوات التي تلبي رغبات الشباب كقنوات الترفيه والتسلية فأكثر الرسائل تفارق المستوى الفصيح، وتقرأ على شاشتها تعليقات يدخل فيها العربيزي، كما نقرأ أسماء أصوات وأسماء أفعال غريبة مثال: (خخ خخ) و(خعخع) و(ههههههه) و(أب أب) واسم صوت معرب (أوبس) ومنها ما اختار أن يكون اسم القناة بالعربيزي مثال قناة (٧falaat) وثمة قنوات اختصت باستقبال سيل المحادثات المتبادلة في غرف الدردشة. ودخلت قنوات الأطفال الميدان فهي تستقبل الرسائل أيضًا إنها تجارة الفضاء، لا تكترث لما يكتب، فلا رقيب ولا حسيب. الهدف واضح، هو جني المكسب الربحيّ.

الخطورة ليست في المختصرات فقط، ولا في الطريقة التعويضية بالأرقام عن الأصوات العربية التي ليس لها مقابل في اللغات الأخرى، وإنما

الخطورة في هذا المسخ الذي يصيب اللغة في صلبها ويفرض واقعًا مستقرًا في التواصل اللغوي، ستتعاظم آثاره في العقود القادمة[١]، فقط لنفكر كيف ستكون لغة طفل اليوم بعد عقدين أي عندما يكون شابًّا قد أنهى دراسته الجامعية، إن هذا الجيل هو من سيشغل المراكز القيادية في بلداننا العربية، فكيف نأتمنهم على مسؤولية صناعة المستقبل وتلك آثار فأسهم.

حقًّا لقد فرضت ظاهرة (العربيزي) نفسها بجهد غير قليل من الكلفة والعناية في مستويات لغوية متعددة، منطوقة ومسموعة، مكتوبة وملونة ومرقمة، وأشياء أخرى قد ندرك بعضها اليوم وتخفى عنا أسرارها. لقد بدأ الأمر بما يلبي ضرورة وحاجة في الجيل الأول من الحواسيب التي لم تعرب، واتسم الأمر بما يشبه الطرافة فانتهى بكارثة. نحن حقًّا بحاجة إلى تدريب مكثف لنتمكن من فهم هذه اللغة. ونفك طلاسمها المكتوبة في المنتديات الفضائية. لأن قوادها جيل الشباب، سخر فتوته وعبقرياته المبدعة لتوليد طوائفَ متناسلةٍ من (العربيزي) في الاختزالات والتعبيرات الاصطلاحية بما يعوزنا دائمًا إلى مترجم من الشباب يسعفنا في تجلية المعنى وإزاحة الغموض. وهم يصفون من لا بعرف العربيزي بالمتخلف ومن يعرفها ولا يستعملها بالمتحذلق[٢]

(١) في مؤتمر عن الإعلام في المنطقة العربية عقده المجلس الوطني في الكويت ٢٠٠٨م قال أحد المعقبين وبشيء من الثقة أن المنتظر من عمر اللغة العربية في العصر الحديث فقط (٢٥) خمسة وعشرون عامًا ثم تنقرض وتندثر، هذا ما يتوقعونه خاب فألهم.

(٢) فاطمة البريكي، لماذا تفوقت العامية الإنترنيتية على اللغة العربية، (موقع البلاغ الألكتروني http://www.balagh.com/thaqafa/pk٠rjy٥t.htm

رابعا: القصائد العربيزي

انتشرت *القصائد العربيزي* كطرفة يتندر بها في المجالس فأصبحت فنًّا إبداعيًّا، واختلط النص الموجه استهجانًا ليصبح مثالاً يحتذى به؛ فقصيدة من هذا النوع جاءت في أحدى الحلقات النقدية للفنان السوري ياسر العظمة وتحملت بأدائه المميز المتمكن صنوفًا من محفزات الضحك والظرافة التي تابعه فيها شباب صاغوا قصائد عدة من مثل:

ليت مي تل يو يا حبيبي سم اشي ** بان يور لف في قلبي كما دمي مشي

واي تهجرني وتعشق سم بـــدي ** تتركني لونلي و اني بعدك نو بـــدي

وتختلف طرائق التنسيج العربيزي فإذا كانت القصيدة السابقة قد أدخل فيها العربيزي في جملة نسيج القصيدة،؛ فإن صور أخرى تكتفي بإقفال الشطر من القصيدة بالعربيزي الذي قد يكون تعبيرًا ومنه ما يكتفي بأن تكون القافية فقط بالعربيزي[1].

(١) في القرن الرابع الهجري عرف الشعر الشعبي القديم نوعا من الشعر يتضمن تعبيرات بالأعجمية، يطلق عليه شعر (المواليا)، وهو ما كانت تنوح به الجواري في مراثيهم. كما عرف الشعر الأندلسي الشعبي أيضا نوعا آخر من الموشحات يتضمن مقطعا يقفل به الموشح يسمى (خرجة). انظر: الموشحات الأندلسية؛ محمد زكريا عناني، (عالم المعرفة العدد ٣١ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب/ الكويت يولية ١٩٨٠م) ص ٢٦.

مثال ما أقفل شطره بالتعبير العربيزي:

طولت بغيابــك **مـــاي لاف** ترجـــع لنا ثاني **آي هوب**

بســـبابك **آكانـــت سلـــيب** النـــوم ماجـــاني **آت نيت**

واعطف على أحبابك **كم هير** عليك ولهـــاني **ماي هارت**

واصبر على حسابك **آي ويت** تصبر على شاني **يو مصت**

يالـــترف خطـــابك **رفـــيوز** تنساني **آي كانت بيليـــف**

ياحـــظ من جابك **آت لاست** ثم عاش وحداني **آت هوم**

ومثال ما اكتفي بأن تكون القافية فقط بالعربيزي.

أيا ذا القلب لا تحزن فذاك الحب Infection

فلن تجدي عقاقير ولن تشفيك Injection

فكم من عاقل فطن مضى بالحب Direction

ستنكره وتنساه ولن يبقى له Mention

فلا تنظم له شعرًا ولا تكتب له Section

ولا يحزنك من باعك فقد أخطأت Selection

ولا تبدي له أسفًا ولا تبدي له action

فإن الحب منـــْزلةٌ لبعض الناس exception

فبعض الناس إن هجروا فلا حزنٌ ولا tension

وبعض الناس إن هجروا يظل ويبقى connection

فوصل الروح له فعل وما أحلاه reaction

بدعوات بقلب دجى لها أثر و affection

فإن لم يبق لي شيء فلا حب ولا Passion

فلا أسف على دنيا لك وعليك conversion

خامسا: تعريب المعاني العربية

يدخل العربيزي في سياق آخر من استعمالات اللغة الشبابية، وهو *تعريب المعاني العربية* بلفظ أعجمي فالمسكوكة العربية شعبية أو فصحى اقتضتها الثقافة الحاسوبية أن تعرب بطرائق خاصة لا تتسق وقواعد الترجمة والتعريب في الثقافة المنقولة منها:

التعبير باللغة العربية	المقابل باللغة الإنجليزية
اقلب وجهك	Turn your face
لقط وجهك بس	pick up your face but
دور ربعك	Find your quarter
ظروف قاهرة	Cairo envelops
بعد إذنك	after your ear
أخذت منك موقف	took a parking from you
كسرت خاطري	You broke my mind
يا راجل مشي حالك	Oh man walk your adverb
على بلاطة	On ceramic
نقطة ماء شربتها الأرض	Drop of water drunked by the ground

ولعل هذه الترجمات أريد بها الطرافة، وبيان ما بين اللغتين من مفارقة إن عمد إلى ترجمة حرفية؛ ذلك أن للتعابير العربية المذكورة معانيها الوظيفية، وما يترجم هو المعنى الوظيفي[١]، وعلى سبيل المثال فإن الجملة الأولى (اقلب وجهك) تعني (فارق، أو ابتعد) ولذا فالمقابل هو go away، ومثلها الجملة (دور ربعك) فالمعنى: (أني لست من ربعك أي أصحابك الملائمين لطبعك وسلوكك فابحث عنهم وانصرف عني)، وخلط المترجم بين معاني (ربع) فمن معانيها المكان، ولكنها هنا تعني الأصحاب والمعنى الوظيفي (فارق أو ابتعد) فترجمتها أيضًا go away، وكذلك خلط المترجم بين الأُذن العضو والإذن المصدر من الفعل أَذِن، والسبب أن اللهجة لا تفرق في النطق بينهما فهما مشترك لفظي فيها. ويمكن أن تترجم هكذا please، وأما على بلاطة فمعناها الوظيفي (بصراحة أو بوضوح) ولذلك يمكن أن تقابل frankly أما التعبير الأخير فهو مجازي للدلالة على فقدان الشيء، ويغني عنه في الإنجليزية

(it has been gone) أو (been lost it has).

---

(١) لبيان مفهوم المصطلح وأمثلته وآثاره انظر: أبو أوس إبراهيم الشمسان، جوانب من الاستخدام الوظيفي، (المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، الكويت،مجلد١٠، ع٣٧، شتاء ١٩٩٠م) ص٣٠-٦٥.

الخاتمة

- إن مشكلة الخط العربي ليست وليدة العصر الحديث، وحفظ التاريخ محاولات الإصلاح والتجديد على اختلاف مقاصدها واتجاهاتها، ولم يكن رفض المجتمع العربي بعلمائه ومفكريه والعامة فيه لمحاولات التجديد تعسفًا أو إصرارًا ولا مكابرة، وإنما أثبت التمحيص والتدقيق أن لا جدوى منها، وأن صعوبة التنفيذ ومضاره تدق أسفين نعشها.
- أن الخط العربي تمكن من حمل أمانة تدوين تراث أمة حضارتها تقوم على الإبداع اللغوي، وشهدت خمسة عشر قرنًا على ذلك، وإن أي محاولة لتغيير الخط تعني إعادة تدوين ذلك التراث جملة وتفصيلا وهو مطلب شاقّ عسير.
- أن الخط العربي يتصل بالفن التشكيلي بنسب قويّ، وأنه مدرسة فنية يمكن استثمارها على مر السنين، مع الإفادة من تقنيات الحواسيب لتجدد مكانة أمتنا العربية بين الحضارات المبدعة فنيًّا.
- أن الخط العربي اكتسب قيمة يذود عنها كل عربي وكل مسلم؛ إذ كان الخط الذي كتب القرآن الكريم به.
- أن احتياج الشباب إلى الخط اللاتيني ارتبط بمشكلة مؤقتة في الحواسيب أمكن تجاوزها.
- أن المشكلات الطارئة والمؤقتة يمكن حلها كخلو الحواسيب المصنعة للعالم الغربي من الخط العربي وسيكون ذلك مهمة رؤوس الأموال العربية ومصانعها الوطنية فعليها أن تفتح فروعًا لصناعة الحواسيب

وبرمجياتها في تلك البلدان، أو أن تدخل شريكًا على أن تشترط صناعة حواسيب وبرمجيات للغة العربية.

- ضرورة الاقتراب من اهتمامات الشباب، وعدم التهوين من توجهاتهم ومشاركتهم الشعور بالمسؤولية تجاه أمتهم وهويتهم وانتمائهم.
- لن يستقيم شأن اللغة بالجهود الموسمية المجزأة، الأمر يحتاج هبة وطنية قومية شاملة تلتحم فيها الجهود الرسمية والشعبية، كما لن تجدي ظاهرة الانكفاء على الذات القطرية، لابد من تكامل الجهود التي ترفع شعار العودة إلى العربية؛ لأنه اختيار حضاري ملزم، ويعمق الإيمان بالهوية العربية، وبلغة القرآن الكريم. ولن نكون أقل من بنغلادش التي فرضت لغتها وأخرجتها من بين فكي الأسد الباكستاني الذي قضمها، ولم يبتلعها، وقدمت شهداء ضحوا بحياتهم لتحقيق النصرة للغتهم الأم. وأصبحت "ساحة منارة الشهداء أحدى عبقرياتها المكانية المبكرة، حيث تمثل هذه الساحة نصبًا تذكاريًّا لرواد حركة اللغة البنغالية الذين طالبوا عام ١٩٥٢م بفرض اللغة البنغالية كلغة رسمية على باكستان، واختارت الأمم المتحدة تلك الذكرى ٢١ فبراير يومًا عالميًّا للغة.[١]

---

(١) الجزيرة الفضائية، برنامج تحت المجهر (الاثنين ١١/٢١/ ١٤٢٧- الموافق ١١/ ١٢ / ٢٠٠٦م)

http://www.aljazeera.net/NR/exeres/F٩٢B١E١D-٢٧٦٩-٤E٣B-٩C١٨-٠٧٥CD٢٩٥٣F٧١.htm

- الوعي بمسؤولية الإعلام، والعمل على تخصيص برامج يومية في القنوات الرسمية والأهلية تعالج العربيزي على أن يكون الشباب مشاركين في الإعداد والتنفيذ فأهل مكة أدرى بشعابها. "وإذا كانت حضارة الكتابة قد أسهمت في تأسيس الازدواجية وتعميقها في اللغة العربية فإن حضارة الكلمة المنطوقة بوسائلها المسموعة والمرئية خاصة مؤهلة؛ لأن تحقق تقاربًا حتى التماثل بين مستويات العربية المتفاوتة"(١).
- توجيه اهتمام المؤسسات التعليمية والتربوية لتوعية الطلاب والناشئة بجسامة المشكلة. وكشف الجهل المعرفي بقيمة اللغة العربية فهي قادرة على نقل المعرفة ولها تجارب تاريخية، وهي من أكثر اللغات تنويعًا في معاجمها، قال المستشرق الألماني أوجست فيشر: "وإذا استثنينا الصين فلا يوجدُ شعبٌ آخرُ يحقّ له الفَخارُ بوفرةِ كتبِ علومِ لغتِه، وبشعورِه المبكرِ بحاجته إلى تنسيقِ مفرداتها، بحَسْبِ أصولٍ وقواعدَ غيرَ العرب"(٢).
- التوجه الجاد إلى تعريب العلوم؛ ومما يؤسف له أن هذه القضية ما زالت تتوارى في سلم اهتمامات جامعاتنا وكأنها من الأعاجيب المستحيلة، في حين نجحت مجتمعات أخرى في فرض لغتها لغة علم

(١) نهاد موسى؛ قضية التحول إلى الفصحى في العالم العربي؛ (دار الفكر للنشر والتوزيع / الأردن ١٩٨٧م) ص ١٥٣.
(٢) أوغست فيشر مقدمة المعجم اللغوي التاريخي.

كالصين واليابان وروسيا ودول مجاورة كإيران وتركيا وإسـرائيل. والأمر الأكثر غرابة أن دولنا لا تحترم قرارات مؤسسات ثقافية رسمية تابعة لها وبيانات يوقع عليها وزراء في حكوماتها نذكر منها تمثيلاً لا حصرًا؛ بيان الرباط الصادر عن مؤتمر الوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية في الوطن العربي في الدورة السابعة وقد عقد في الفترة مـن ١٠- ١٣ أكتوبر ١٩٨٩م وقد نص "فإن الاعتماد علـى لغـات أجنبية في نقل المعرفة العلمية لناشئتنا وتدريس العلوم والتقنيـات في أغلب الجامعات العربية بلغات أجنبية، يعني عـزل اللغـة القوميـة والثقافية العربية عن كل مضمون علمي، وبخاصة أن التجارب قـد أكدت أن لا سبيل إلى تحقيق تقدم جدي في شتى مجالات المعرفـة خارج اللغة القومية"(١).

- ضرورة إصدار قوانين رسمية تمنع أي موظف رسمي يمثل الدولـة في الخارج أن يدلي بتصريح أو يلقي كلمة الأمة بغير العربية.(٢)
- ضرورة إصدار قوانين رسمية تنظم كتابة الإعلانات التجارية وتسمية المحال، وكذلك تسمية البرامج التلفزيونية واشتراط كتابـة أسمـاء المعدين والفنيين باللغة العربية.

---

(١) اللغة العربية والوعي القومي، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها (مركز دراسات الوحدة العربية بالاشتراك مع المجمع العلمي العراقي ومعهد البحوث والدراسات العربية/ بيروت ١٩٨٤م) ص ١٠٥

(٢) م،ن

- الاهتمام بالمعلمين والإعلاميين وتكثيف الدورات اللغوية التدريبية.
- تشجيع الشباب على ابتكار برامج تطور الحواسيب بما فيه خدمة للعربية مثال كتابة عناوين البريد الألكتروني وتسمية الملفات في بعض البرامج. على أن تكون الجوائز والحوافز مغرية للشباب.
- تشجيع المواقع العربية التي تهتم بالفصحى ودعمها ماديًّا ومعنويًّا.
- إدخال برامج تعليمية تهتم بتقنيات الحاسوب.

المصادر والمراجع

إبراهيم؛ أحمد عبد العليم:

الإملاء والترقيم في الكتابة العربية، (مكتبة غريب /القاهرة ١٩٧٥م).

البيهقي؛ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، (ت ٤٥٨هـ):

شعب الإيمان تحيقق؛ عبد العلي عبد الحميد حامد(ط١، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع/الرياض، ٢٠٠٣م).

الجراري؛ عباس:

اللغة العربية بين التطوير والتقويم (كتاب ندوة قضايا استعمال اللغة العربية في المغرب/ الرباط، ١٩٩٣م).

الشريف الجرجاني؛ أبو الحسن علي بن محمد (٨١٦هـ):

التعريفات (الدار التونسية للنشر/تونس١٩٧١م).

الجندي؛ أنور:

–اللغة العربية في مواجهة اللغات الأجنبية (الموسم الثقافي الخامس لمجمع اللغة العربية الأردني، ١٩٨٧م).

–المعارك الأدبية، (ط١ مطبعة الرسالة/ القاهرة ١٩٧٢م).

ابن جني؛ أبو الفتح عثمان (ت ٣٤٢هـ):

الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، (دار الكتب/ القاهرة ١٩٥٢م)

الجواليقي؛ أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر بن الحسن (ت ٥٤٠هـ):

تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة، تحقيق: حاتم صالح الضامن، (ط ١،

دار البشائر/ دمشق، ٢٠٠٧م).
ابن خلدون؛ عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٠٨):
مقدمة ابن خلدون، تحقيق: عبدالسلام الشدادي (ط١،بيت الفنون والعلوم والآداب/ الدار البيضاء، ٢٠٠٥م)
خليفة؛ الجنيدي:
نحو عربية أفضل (ط١ منشورات دار مكتبة الحياة/ بيروت، ١٩٧٤م)
الخولي؛ أمين:
مشكلات حياتنا اللغوية، (الهيئة المصرية العامة للكتاب/ القاهرة ١٩٨٧م)
دهري؛ آمنة:
علاقة اللغة العربية باللغات الأم في مختلف البلاد العربية:حالة المغرب، بحوث مؤتمر "لغة الطفل العربي في عصر العولمة" (مقر الأمانة العامة لجامعة الدول العربية القاهرة: ١٧ – ١٩ فبراير ٢٠٠٧)
رضا؛ محمد جواد:
التربية وإعادة تشكيل الوعي العربي (ندوة العصر العربي الجديد.. الواقع والتحديات/ الكويت ٢٠٠٤م)
سعيد؛ نفوسة زكريا:
تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر، (دار المعارف/ مصر ١٩٦٤م).
السيوطي؛ جلال الدين عبدالرحمن (ت ٩١١هـ):
المزهر في علوم اللغة وأنواعها، أخرجه:محمد أحمد جادالموالى بك، وعلي محمد البجاوي، ومحمد أبوالفضل

إبراهيم (ط٣، دار التراث/القاهرة، د.ت.)

الشماع؛ مصطفى:

موضوع جديد، كتاب في تعديل الحرف العربي (مطبعة العرفان/ صيدا ١٩٤٧م).

الشمسان؛ أبو أوس إبراهيم سليمان:

-جوانب من الاستخدام الوظيفي، (المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، الكويت، مجلد١٠، ع٣٧، شتاء ١٩٩٠م)

-الملحوظ والملفوظ (مركز حمد الجاسر الثقافي/ الرياض ٢٠٠٩م)

الصاوي؛ محمد:

كتابة العربية بالحروف اللاتينية، الأبعاد التربوية والسياسية (نشر إلكتروني)، و(مجلة المعرفة العدد ١١٧/الرياض ٢٠٠٥م)

الضبيب؛ أحمد بن محمد:

اللغة العربية في عصر العولمة؛ (ط١ مكتبة العبيكان / الرياض، ٢٠٠١م)

عبد الرحمن؛ طالب:

نحو تقويم جديد للكتابة العربية؛ طالب عبد الرحمن (كتاب الأمة العدد ٦٩ السنة ١٩ وزارة الأوقاف / قطر ١٩٩٩م)

أبو علي؛ محمد بركات حمدي:

بين الفصحى والعامية؛ (ندوة الازدواجية في اللغة العربية / الأردن، ١٩٨٨م)

علي؛ محمد محمد يونس:

وصف اللغة العربية دلاليا (منشورات جامعة الفاتح/ ليبيا ١٩٩٣م)

عناني؛ محمد زكريا:

الموشحات الأندلسية، عالم المعرفة (العدد ٣١ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب/ الكويت يولية، ١٩٨٠م)

ابن فارس؛ أبو الحسين أحمد بن فارس (ت ٣٦٩هـ):

الصاحبي في فقه اللغة؛ تحقيق أحمد حسن بسج (ط١ دار المكتبة العلمية / بيروت، ١٩٩٧م)

فهمي؛ عبد العزيز:

الحروف اللاتينية لكتابة العربية (دار العرب للبستاني/ القاهرة ١٩٩٣م)

قدور؛ أحمد محمد:

مصنفات اللحن والتثقيف اللغوي حتى القرن العاشر الهجري (سلسلة إحياء التراث العربي- وزارة الثقافة (رقم ١٠٣) دمشق/ ١٩٩٦م)

كامل؛ وفاء:

بحوث في العربية المعاصرة، (عالم الكتب/ القاهرة ٢٠٠٣م).

المسدي، عبد السلام:

أزمة اللغة العربية تجاه الحقائق الجديدة، بحوث مؤتمر "لغة الطفل العربي في عصر العولمة" (مقر الأمانة العامة لجامعة الدول العربية القاهرة: ١٧ — ١٩ فبراير ٢٠٠٧)

المنصور؛ وسمية عبد المحسن:

من سياقات الدلالات الضمنية في اللغة المعاصرة،كتاب المؤتمر الدولي للغة العربية (اللغة العربية بين الانقراض والتطور- التحديات

والتوقعات) جاكرتا - إندونسيا من ٢٢- ٢٤ يوليو ٢٠١٠م).

موسى؛ نهاد:

قضية التحول إلى الفصحى في العالم العربي؛ (دار الفكر للنشر والتوزيع /الأردن ١٩٨٧م)

نجا؛ إبراهيم محمد:

اللهجات العربية؛ (مطبعة السعادة/ القاهرة ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦)

يعقوب؛ إميل:

الخط العربي (جروس برس/طرابلس –لبنان١٩٨٦م)

الدوريات

- اللغة العربية والوعي القومي، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها (مركز دراسات الوحدة العربية بالاشتراك مع المجمع العلمي العراقي ومعهد البحوث والدراسات العربية/ بيروت ١٩٨٤م)
- صحيفة الشرق الأوسط العدد ٩٩٩٢ الجمعة ٢٠٠٦/٤/٧م

المواقع الإلكترونية:

- موقع مشاركة الملفات مجانا:

http://www.٤shared.com/document/u٩XxJ٢pN/.html)

- موقع العربية نت:

(http://www.alarabiya.net/articles/٢٠١٠/٠٧/٣٠/١١٥٢١٧.html

- موقع شبكة الإعلام العربية (محيط)

http://www.moheet.com/show_news.aspx?nid=٤٦٥٨٩١&pg=٨

- موقع عربيزي:

http://egpy.yoo٧.com/t٢٣٩٢-topic

- قناة الآن؛ برنامج تاثير اللغة الإنجليزية على حياة الشباب السعودي

C:\Users\Good\Desktop\YouTube.- mht

- منتدى مهارات اللغة العربية

http://www.١٠١١٠٣.com/vb/t٢٧٥٦.html

- موقع وكيبيديا

http://ar.wikipedia.org/wiki

- موقع البلاغ

http://www.balagh.com/thaqafa/pk٠rjy٥t.htm

- موقع الماسنجر

http://almashajer.com/vb/archive/index.php/t-٢٩٠٨.html

قناة الجزيرة الفضائية:

- برنامج تحت المجهر (الاثنين ٢١/١١/ ١٤٢٧- الموافق ١١/ ١٢ / ٢٠٠٦م)

فهرس المحتويات

الفهرس العام